

الجزء الاول
من كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى
تأليف العالم العلامة المحقق الفهامة وحيد
الاولان وفريد الزمان ببحر العلوم الراوى
الشيخ آجدين خالد الناصرى
السلاموى حفظه الله
وأدام علاه
آمين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



فهرست الجزء الاول من كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى

حجیمة	حجیفة
٢ مقدمة في فضل علم التاريخ	٤٦ ولاية يزيد بن أبي مسلم على المغرب
٤ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه	٤٧ ولاية بشر بن صفوان على المغرب
٩ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٤٧ ولاية عبيدة بن عبد الرحمن على المغرب
١٣ خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	٤٨ ولاية عبيد الله بن الحجاب على المغرب
١٧ خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان	٤٩ ولاية كلثوم بن عياض على المغرب ومقتله
٢١ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	٥١ ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب
٢٨ القول في نسب البربر وبيان أصلهم	٥١ ذكر صالح بن طريف البرغواطى المتنبئ ومخرقته
٣٠ القول في تقسيم شعوب البربر على الجملة	٥٢ الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب
٣١ الخبر عن حال البربر قبل الاسلام وذكر بعض	وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم
أمصار المغرب القديمة وما قبل في ذلك	٥٤ استيلاء الياس بن حبيب على المغرب
٣٣ القول في تحديد المغرب وذكر حال البربر بعد	٥٤ استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وفتنة
الاسلام	عاصم بن جميل المتنبئ ومقتله
٣٤ ولاية عمرو بن العاص رضي الله عنه وفتحه	٥٥ استيلاء عبد الملك بن أبي الجعد على المغرب
برقة وطرابلس	٥٥ استيلاء عبد الاعلى بن السمع على المغرب
٣٥ ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وفتحه	وظهور الصفرية من آل مدرار الحكاسيين
افريقية	٥٧ ولاية محمد بن الاشعث على المغرب وبنائهم
٣٦ ولاية معاوية بن حديج على المغرب	مدينة مجلماسة
٣٦ ولاية عقبة بن نافع الفهري على المغرب وبنائهم	٥٧ ولاية الاغلب بن سالم التميمي على المغرب
مدينة القيروان	٥٨ ولاية عمر بن حفص هزارمر على المغرب
٣٧ ولاية أبي المهاجر دينار وفتحه المغرب الاوسط	٥٨ ولاية يزيد بن حاتم على المغرب
٣٨ ولاية عقبة بن نافع الثانية وفتحه المغرب	٥٩ ولاية روح بن حاتم على المغرب
الاقصى ومقتله	٦٠ القول في مذاهب أهل المغرب أصولا وفروعا
٣٩ ذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة	٦٤ الخبر عن دولة آل ادريس بالمغرب الاقصى
أسمائهم على حروف المعجم	٦٧ دخول ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاقصى
٤١ ذكر اختلاف العلماء في أرض المغرب هل	٦٨ بيعة الامام محمديس بن عبد الله رضي الله عنه
فتحت عنوة أو صلحا أو غير ذلك	٦٨ غزو ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الاقصى
٤٢ ولاية زهير بن قيس البلوي على المغرب ومقتل	وفتحة اياها
كسيلة وما يتبع ذلك	٦٩ غزو ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاوسط
٤٢ ولاية حسان بن النعمان على المغرب وتخريبه	وفتح مدينة تلمسان
قرطاجنة	٦٩ وفاة ادريس بن عبد الله والسبب في ذلك
٤٣ ولاية موسى بن نصير على المغرب وفتحه الاندلس	٧٠ أمر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله رحمه الله
٤٦ ولاية محمد بن يزيد على المغرب	٧٠ الخبر عن دولة ادريس بن ادريس رحمه الله
٤٦ ولاية اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على	٧١ وفود العرب على ادريس بن ادريس رحمه الله
المغرب	٧٢ بناء مدينة قاس

صحيحة	صحيحة
٨٦ قدوم القائد جوهر الشيباني من افريقية الى المغرب واستيلاؤه عليه	٧٤ غزو ادريس بن ادريس المغربيين واستيلاؤه عليهما
٨٧ قدوم بلال بن زيري بن مناد الصنهاجي الشيباني من افريقية الى المغرب	٧٥ وفاة ادريس بن ادريس رحمه الله
٨٧ قدوم غالب الاموي الى المغرب وتغريب آل ادريس الى الاندلس	٧٥ انخبر عن دولة محمد بن ادريس
٨٨ حدوث النفرة بين الحكم والحسن	٧٥ حدوث الفتنة بين بني ادريس
٨٨ عود الحسن بن كنون الى المغرب ومقتله	٧٦ وفاة محمد بن ادريس رحمه الله
٨٩ انخبر عن دولة زناتة من مغراوة وبني يفرن	٧٦ انخبر عن دولة علي بن محمد بن ادريس
٩١ انخبر عن دولة زيري بن عطية المغراوي بفاس والمغرب	٧٦ انخبر عن دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس
٩١ حديث أبي البهار الصنهاجي مع المنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك	٧٨ انخبر عن دولة علي بن عمر بن ادريس
٩١ وفاة زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر بالاندلس	٧٨ انخبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس
٩٢ استيلاء يدو بن يعلى اليفرني على فاس ومقتله	٧٩ انخبر عن دولة يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس
٩٢ بناء مدينة وجدة	٧٩ استيلاء العبيد بن من الشبيعة على المغرب الاقصى وقدوم قائد هم مصالة بن حبوس
٩٢ حدوث النفرة بين زيري بن عطية والمنصور ابن أبي عامر وما نشأ عن ذلك	٨٠ عود المغرب الاقصى الى الادارسة وظهور الحسن الحجام ابن محمد بن القاسم بن ادريس
٩٣ قدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر مدينة فاس وما كان من شأنها	٨٠ خروج الحسن الحجام لقتال موسى بن أبي العافية
٩٤ بقية أخبار زيري بن عطية	٨١ انخبر عن دولة آل أبي العافية المكاسبين
٩٤ انخبر عن دولة المعز بن زيري بن عطية المغراوي	٨١ طرد موسى بن أبي العافية آل ادريس من أعمال المغرب وحصره اياهم بحجر النسر
٩٥ انخبر عن دولة حامة بن المعز بن عطية المغراوي	٨١ استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان
٩٥ انخبر عن ثورة أبي الكمال تميم بن زيري اليفرني واستيلائه على فاس وأعمالها	٨٢ انحراف موسى بن أبي العافية عن الشيعة الى بني مروان وما نشأ عن ذلك
٩٦ انخبر عن دولة دوناس بن حامة بن المعز بن عطية المغراوي	٨٢ ثورة أحمد بن بكر الجذامي بدعوة المروانيين بفاس وما نشأ عن ذلك
٩٦ انخبر عن دولة فتوح بن دوناس المغراوي	٨٢ حرب ميسور مع موسى بن أبي العافية
٩٦ انخبر عن دولة معنصر بن جاد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوي	٨٣ بقية أخبار آل أبي العافية بالمغرب
٩٧ انخبر عن دولة تميم بن معنصر المغراوي	٨٤ انخبر عن الدولة الثانية للادارسة ببلاذ الريف
٩٨ انخبر عن الدولة الصنهاجية اللتونية المرابطية	٨٥ انخبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم ابن ادريس
٩٩ انخبر عن رياسة يحيى بن ابراهيم الكدالي	٨٥ انخبر عن دولة أبي العيش أحمد بن القاسم كنون
١٠٠ انخبر عن دخول عبد الله بن ياسين أرض الصغراء وابتداء أمرها	٨٥ تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب ومضايقته لابي العيش بها
	٨٥ هجرة أبي العيش الى الاندلس بقصد الجهاد
	٨٦ انخبر عن دولة الحسن بن كنون

صحيفة	صحيفة
١٠٠	شروع عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه بالدعوة وما كان من أمره في ذلك
١٠١	الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكللا كين اللتوني
١٠١	الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر سجلماسة والسبب في ذلك
١٠٢	الخبر عن رياسة أبي بكر بن عمر اللتوني وفتح بلاد السوس
١٠٣	فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطة وفتح بلادهم
١٠٥	غزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وقصه اياها
١٠٥	عود أبي بكر بن عمر الى بلاد الصحراء
١٠٦	الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
١٠٧	بناء مدينة مراکش
١٠٨	فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب
١٠٩	فتح سبتة وطنجبة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس
١١١	الخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من أرض الاندلس
١١٩	بقية أخبار أمير المسلمين في الجهاد وما اتفق له مع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عباد
١٢٣	الخبر عن دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللتوني
١٢٣	خروج يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين على عمه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين
١٢٤	أخبار الولاة بالمغرب والاندلس
١٢٥	أخبار أمير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد وجوازه الاقل الى بلاد الاندلس
١٢٥	استيلاء العدو على سرقسطة
١٢٦	ولاية الامير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الاندلس وأخباره في الجهاد
١٢٧	الخبر عن دولة أبي المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللتوني
١٣٠	الخبر عن دولة الموحدين من المصامدة وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف بالمهدي
١٣٧	بقية أخبار المهدي وبعض سيرته الى وفاته
١٣٩	الخبر عن دولة عبد المؤمن بن علي الكوي
١٤٠	بيعة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها
١٤١	غزوة عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها على المغربين
١٤٢	فتح مدينة فاس
١٤٣	فتح مراکش واستئصال بقية اللتونيين
١٤٤	ثورة محمد بن هود السلاوي المعروف بالماسي
١٤٥	انتقاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رحمه الله معهم
١٤٦	أخبار الاندلس وفتحها
١٤٧	قدوم عبد المؤمن الى سلا وفادة أهل الاندلس عليه بها
١٤٨	غزو افريقية وفتح مدينة بجاية
١٤٩	فتح المرية ورياسة وأبدة
١٤٩	قدوم عبد المؤمن الى سلا وتولية أولاده على التواحي بها
١٤٩	إيقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى أخوي المهدي والسبب في ذلك
١٥٠	إيقاع يحيى بن يغمور بأهل لبلة واسرافه في ذلك
١٥٠	أمر عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة
١٥٠	نقل المصحف العثماني من قرطبة الى مراکش وبناء جامع الكتبيين بها
١٥٢	نكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها
١٥٤	غزو افريقية ثانيا وفتح المهدي وغيرها
١٥٦	توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب
١٥٦	بناء عبد المؤمن جبل طارق
١٥٦	بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء
١٥٧	عبور عبد المؤمن الى جبل طارق
١٥٧	قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه
١٥٨	مراكش والسبب في ذلك
١٥٨	استعداد عبد المؤمن للجهاد وانشاؤه الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته
١٥٨	بقية أخبار عبد المؤمن وسيرته

صحيفة	صحيفة
١٥٩	الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي
١٦٠	ثورة سبع بن متغاد بجبال غمارة
١٦٠	الجواز الأول لأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس بقصد الجهاد
١٦١	غزو أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد إفريقية وفتح مدينة قفصة
١٦٢	الجواز الثاني لأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس برسم الجهاد
١٦٣	بقية أخبار أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته
١٦٤	الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي
١٦٤	خروج علي بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية على يعقوب المنصور
١٦٥	الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم إلى أرض إفريقية ثم منها إلى المغرب الأقصى
١٧٢	الخبر عن بني معقل عرب الصحراء من أرض المغرب وبحقيق نسبهم وبيان شعوبهم وبطونهم
١٧٤	الجواز الأول ليعقوب المنصور رحمه الله إلى الأندلس بقصد الجهاد
١٧٤	مراسلة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر ليعقوب المنصور رحمه الله والتماسه منه الأساطيل للجهاد
١٧٥	عود المنصور إلى إفريقية والسبب في ذلك
١٧٥	الغزو الكبرى بالأرك من بلاد الأندلس
١٨٠	ذكر ما شاهده المنصور رحمه الله من الآثار بالمغرب والأندلس
١٨١	بقية أخبار المنصور وسيرته
١٨٣	وفاة يعقوب المنصور رحمه الله
١٨٩	الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله
١٨٩	غزو الناصر بلاد إفريقية وولاية الشيخ أبي محمد بن أبي حفص عليها والسبب في ذلك
١٩٠	فتح جزيرة ميورقة
١٩٠	ثورة ابن الفرس وما كان من أمره
١٩١	غزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين
١٩٣	وفاة الناصر رحمه الله
١٩٤	الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر بالله ابن الناصر بن المنصور رحمه الله
١٩٥	الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المحلوع ابن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله
١٩٦	الخبر عن دولة أبي محمد عبد الله العادل ابن المنصور رحمه الله
١٩٧	الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ومراجه يحيى بن الناصر له
١٩٧	ثورة محمد بن أبي الطوابعين الكاكي بجبال غمارة
١٩٧	أخبار الثوار بالأندلس
١٩٨	قدوم أبي العلاء المأمون بن المنصور من الأندلس إلى مراكش وما اتفق له في ذلك
٢٠٠	الخبر عن دولة أبي محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور رحمه الله
٢٠١	فتنة الخطط مع الرشيد واستيلائهم على حضرة مراكش
٢٠٢	هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم إياها
٢٠٢	عود الرشيد إلى مراكش وقرار يحيى عنها إلى بني معقل ومقتله بهم
٢٠٣	وفاة الرشيد رحمه الله
٢٠٣	الخبر عن دولة أبي الحسن السعيد علي بن المأمون بن المنصور رحمه الله
٢٠٤	نهوض السعيد من مراكش إلى غزو الثوار بالمغرب ومحاصرة بني زيان
٢٠٥	الخبر عن دولة أبي حفص عمر المرتضى ابن السعيد أبي إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن
٢٠٧	انتفاض أبي دؤس على المرتضى واستيلائه على مراكش ومقتل المرتضى عقب ذلك
٢٠٨	الخبر عن دولة أبي العلاء إدريس الوائلي بالله المعروف بأبي دؤس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المعبود* الرؤف الرحيم الودود* المخرج للخلق من ظلمة العدم الى نور الوجود* الفاتح عليهم بعرفته* والتحقيق بوحدايته* كل باب مسدود* الدال لهم على باهر حكمته* وعظيم قدرته* بالمعنى المعقول والحس المشهود* فلا يرتاب في انه الواحد القدير* العليم الخبير* الا الكفور الكنود* خالق العباد وقتل آجالهم* وأحصى أنفاسهم وأعمالهم* وأوقفهم من شرعه على نهج سوى وحد محدود* فن وقف عنده وأطاع* فقد فاز من ثرة الإيجاد المقصود* ومن حاد عنه واستكبر* فقد أورد نفسه الردى وبئس الورد المورود* نحمده تعالى على ما أسبغ من النعم البيض وكسا من البرود* وأزاح من العمل ووفى من النوب السود (ونشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنبؤ بها من الجنان الصدر المنضود* والطح المنضود* وأتطل الممدود (ونشهد) أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله أكرم مبعوث وأشرف مولود* صاحب المقام المحمود* واللواء المعقود* والحوض المورود* صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم في محافل السلم يدور* وفي محافل الحرب أسود* ولهم في اتباعه ونصرته البدر البيضاء والباع الممدود* والدعاء لامير المؤمنين مولانا الحسن ابن أمير المؤمنين مولانا محمد ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن كوكب السعود* ومنبع الكرم والجود* والمنير بطلعته الغراء* وإمامته البيضاء* الأغوار والنجود* لازالت به ملة الاسلام بحول الله في صعود* تردى الكفور وتنفي البغي وتدود* وتصول على الضلال وتسود* آمين* وبعد* فيقول مؤلفه أحمد بن خالد الناصري السلاوي عفا الله عنه هذا بعون الله كتاب الاستقصا* لاخبار دول المغرب الأقصى* كتاب جمعه لنفسه* ولمن شاء الله من أبناء جنسه* ذكرت فيه دول هذا القطر المغربي من لدن الفتح الاسلامي الى وقتنا هذا الذي هو آخر القرن الثالث عشر سالكا قضايا أنقله من ذلك سبيل الاختصار* آتيا منه بما تسموا اليه النفوس من حوادث الأعصار* ملء بما لا بد منه من وفيات بعض الأئمة المقتدى بهم في الدين* متبركا أولا بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين* متحر يا من النقول أحكمها* ومن العبارات أفصحها* والله تعالى المسؤول* في بلوغ المأمول* فنه سبحانه المنة والطول* وييده تعالى القوة والحول*

الحمد لله يقول مؤلف هذا الكتاب أحمد الناصري عفا الله عنه اني ألتبس من يقف عليه من سادات العلماء وفرهم الله أن ينظر فيه بعين الانصاف حسب الامكان بل وبعين الاغضاء عما لا يكاد يسلم منه انسان وأن يعاملنا فيه بمقتضى قول القائل ومن ذا الذي ترضى سبحانه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه وقد قال الامام مالك رضي الله عنه كل كلام منه مقبول ومردود الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم واذا كان الشيخ خليل رضي الله عنه على علوقه في العلم والتحقيق وطول بابه في التبرير والتدقيق يقول وأسأل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والتضرع أن ينظر بعين الرضا والصواب الخ فماذا عسى تقول نحن حنابلة الخثالة في هذا الزمان الذي انغى فيه من العلم حقيقته ورسمه ولم يبق منه الا اسمه اللهم استر عورتنا وآمن روعاتنا واغفر زلاتنا وارحم بفضلك يا أرحم الراحمين يارب العالمين آمين وكتب في أواسط رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٦

﴿مقدمة في فضل علم التاريخ﴾

اعلم ان علم التاريخ من أجل العلوم قدرا وأرفعها منزلة وذكرنا وأنفعها عائدة وذخرا وكفاه شرفا ان
 الله تعالى شجع كتابه العزيز الذي لا يأتسه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من أخبار الأمم الماضية
 والقرون الخالية بما أضم به أكار أهل الكتاب وأتى من ذلك بما لم يكن لهم في ظن ولا حساب ثم لم يكتف
 تعالى بذلك حتى امتن به على نبيه الكريم وجعله من جملة ما أسداه اليه من الخير العميم فقال جل وعلا
 تلك القرى نقص عليك من أنباءنا وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال لقد كان
 في قصصهم عبرة لأولى الألباب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ما يحدث أصحابه بأخبار الأمم
 الذين قبلهم ويحكي من ذلك ما يشرح به صدورهم ويقوي إيمانهم ويؤكده فضاهم وكتاب بدء الخلق من
 صحيح البخاري رحمه الله كفييل بهذا الشأن وآت من القدر المأمور منه بما يريد غلة العطشان (قال بعضهم)
 احتج الله تعالى في القرآن على أهل الكتابين بالتاريخ فقال تعالى يا أهل الكتاب لم تتحاجون في إبراهيم
 وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (وحكى بنو الذين القرأ في رحمة الله) ان الامام
 الشافعي رضى الله عنه كان يقول ما معناه دأبت في قراءة علم التاريخ كذا وكذا سنة وما قرأته إلا لاستعين
 به على الفقه قلت ومعنى كلام الشافعي هذا ان علم التاريخ لما كان مطلعا على أحوال الأمم والجيال
 ومقاصبها عن عوائد الملوك والاقبال وميئنا من أعرف الناس وأزيائهم وفضاهم وأديانهم ما فيه عبرة
 لمن اعتبر وحكمة بالغلة لمن تدبر واقتصر كان معينا على الفقه ولا بدو ذلك ان جل الأحكام الشرعية مبني
 على العرف وما كان مبني على العرف لا بد أن يطرد باطراده وينعكس بانعكاسه ولهذا ترى فتاوى الفقهاء
 تختلف باختلاف الأعصار والاقطار بل والاختصاص والاحوال وهذا السبب بعينه هو السبب في اختلاف
 شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام وتباينها حتى جاء موسى بشرع وعيسى بأخرو ومحمد بسوى ذلك صلى
 الله على جميعهم وسلم ثم فائدة التاريخ ليست محصورة فيما ذكرناه بل له فوائد أخر جلية لوقيل بعدم
 حصرها ما بعد (قال الجلال السيوطي رحمه الله) من فوائد التاريخ وقوعه رئيس الرؤساء المشهورة مع
 اليهود وبغداد وحاصلها أنهم أظهر وأرسم أقدم ما يتفق من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باسقاط
 الجزية عن يهود خيبر وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه فرقع الرسم
 الى رئيس الرؤساء وعظمت حيرة الناس في شأنه ثم عرض على الخافض أبي بكر الخطيب البغدادي قتلها
 وقال هذا من ورق قيل له بم عرفته قال فيه شهادة معاوية وهو انما أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة
 وخيبر فتحت سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ وهو مات يوم بني قريظة وذلك قبل فتح خيبر فسر الناس
 بذلك وزالت حيرتهم اه (قال العلامة القادري في الازهار الندية) وفي حدود صدر هذه المائة أعني
 المائة الحادية عشر ظهر نحو هذا الكتاب المزور بعينه والرفع على مخطوطه بتاريخ سبع وعشرين
 وسبعمائة بالموحدة ثم ظهر أيضا بتاريخ خمس وثلاثمائة ثم تعدد ظهوره مرارا آخرها سنة اثنتين
 وأربعين وألف مسمى فيه جماعة من شهرتهم بالدين والعلم قاطعة بالتقول عليهم في ذلك انظر بقية كلامه
 قلت وقد وفتت في بعض التقايد المظنون بم الصحة على كلام لاديب أبي عبد الله اليفري المعروف
 بالصغير في هذا المعنى قال جرى بمجلس شيخنا قاضي الجماعة فلان الفلاني ذكر علم التاريخ فقال ان علم
 التاريخ يضر جهله وتنفع معرفته لا كما قيل انه علم لا ينفع وجهاله لا تضر قال وانظر ما وقع في هذا الوقت
 في حدود عشر ومائة وألف من ان نرا من يهود فاس الجديدا مستعوا من أداء الجزية وأخرجوا ظهيرا
 قديما مضمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد لموسى بن حي بن أخطب أخى صفية رضى الله عنها ولاهل
 بيت صفية الامان لا يبطأ أرضهم جيش ولا عليهم نزل ولهم ربط العمامة فعلى من أحب الله ورسوله ان
 يؤمنهم وكتب على بن أبي طالب وشهد عتيق بن أبي قحافة وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان
 علم لا ينفع وجهاله لا تضر مرويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورده ببرهاني فانظره ولكن علم النسب وعلم التاريخ متلازمان والله أعلم

قال مؤلفه عفا الله عنه
 الذى لابن خزم فى صدر
 الجهرة وكذا لابن عبد البر
 فى صدر كتاب النسب هو
 علم النسب لا علم التاريخ كما
 هنا وانكر ابن خزم ان يكون
 ذلك أعني ان علم النسب

وتاريخ شهادتهم في ذي القعدة سنة تسع من الهجرة قال شيخنا قظهري ولعلماء العصر ان ذلك زور
واقترأ لاشك فيه ولا امتراء لان التاريخ بحجبة الهجرة انما حدث زمن عمر سنة سبع عشرة لاسباب اقتضت
ذلك كما في ابن حجر ولان اهل التاريخ لم يذكروا لصفية آخا اسمه موسى وانما المروي في الاحاديث انه
عليه الصلاة والسلام قتل ابا صفية وزوجها ولان الظهير الذي استظهر وابيه نسخة من الاصل الذي
فيه خطوط الصحابة وقد ارجوا الاستنساخ من الاصل بسنة ثلاث وعشرين وسبع مائة فقد تأخر خط
الصحابة برعهم الى المائة الثامنة وكيف يتوصل في المائة الثامنة الى ان ذلك خط الصحابة هذا خلاصة
ما كتبه اهل فاس في ابطال الظهير ولما رفع ذلك الى السلطان المولى اسمعيل رحمه الله عاقب اليهود
عقابا شديدا اه (وبالجملة) ففضيلة علم التاريخ شهيرة وقائده جليلة خطيرة ومادحه محمود غدير موم
والحديث بفضله حديث معلوم والله در ابن الخطيب اذ يقول

وبعد فالتاريخ والاخبار * فيه لنفس العاقل اعتبار
وفيه للاستبصار استبصار * كيف أقي القوم وكيف صاروا
يجري على الحاضر حكم الغائب * فيثبت الحق بسهم صائب
وينظر الدنيا بعين النبيل * ويترك الجهل لاهل الجهل
وقال الآخر

ليس بانسان ولا عاقل * من لا يبي التاريخ في صدره
ومن روى أخبار من قدمضى * أضاف أعمارا الى عمره

قد كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الاربعة رضی الله عنهم

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطالب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن اليثع بن الهيمس بن سلامان
ابن نبت بن حنبل بن قidar بن اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ
ابن ارغوب بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارغش - دين سام بن نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلح بن حنوخ
ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهما السلام فاما ما بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين عدنان فتفق عليه عند علماء الاسلام وأما ما بين عدنان واسمعيل فتختلف فيه اختلافا كثيرا
ما بين سبعة آباء الى نحو الاربعة والخمسة ما ذكرناه تبعا لابي الفداء وأما ما بين اسمعيل وآدم عليه - ما
السلام فتفق عليه عند أهل الكتاب وهي أسماء أعجمية يكثر تغييرها الصعوبة النطق بحروفها والله أعلم
وقال ابن خلدون ولدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لا تقي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول
لاربعة سنين من ملك كسرى انوشروان وقيل لثمان وأربعين ولثمانمائة واثنين وثمانين سنة لذي القرنين
ومات أبوه عبد الله وأمه حامل به وكفله جده عبد المطلب واسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر اسمها
حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية فكان عندها نحو أربع سنين وشق صدره صلى الله عليه وسلم وهو عندها
في السنة الرابعة من مولده فخافت عليه وردته الى أمه ثم ماتت أمه عقب ذلك واستقر في كفالة جده
عبد المطلب الى ان توفي أيضا لمضي ثمان سنين من مولده صلى الله عليه وسلم فاوصى به عبد المطلب الى ابنه
أبي طالب فكفله أبو طالب أحسن كفالة وقام بشأنه أتم قيام ونشأ صلى الله عليه وسلم نشأة طيبة يحفظه
ربه ويكلؤه لما يريد به من كرامته ويهيئ له من نبوته ورسالته * وتزوج خديجة بنت خويلد بن أسد
ابن عبد العزى بن قصي وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهد ببناء الكعبة وهو ابن خمس وثلاثين سنة ووضع
الحجر الاسود بيده الشريفة في موضعه بعد ان تراضت قبائل قريش عليه ثم آتاه الله الكتاب والحكم

والنبوة على رأس أربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم **خرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله**
عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة **ومسلم الصادقة** في النوم
فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يصمت فيه
والتحنن التعب لليالئ ذوات المد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها
حتى جاءه الوحي وفي رواية حتى فجّته الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال
فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني
فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم
فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني
فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أي خديجة مالي وأخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي
قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتعمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق **فأنطلقت به خديجة حتى أتته ورقة بن نوفل**
ابن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأت نصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أي ابن عم
اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال
له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ياليتني فيها جذع عاليتني أنكون حيا إذ يخرجك قومك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرجني هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي
وان يدركني يومك أنصرك نصر أمؤزرا ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي
فترة حتى خزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا خزانة غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهد الجبال
فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن
لذلك جأشه وتقر عينه ف يرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا المثل ذلك فيتبدى له جبريل فيقول له مثل
ذلك ثم نزل عليه بعد فترة الوحي سورة المدثر (قال العلماء) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي
عليه نبيا فقط ثلاث سنين لم يؤمر فيها بأحد ثم أتاه جبريل عليه السلام برسالة من ربه عز وجل فكان
فيما أنزل عليه في ذلك قوله تعالى وأنذر عشيرتک الاقربين **خرجي** محمد بن اسحق بسنده عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي ان الله أمرني أن
أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت
عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل ما تؤمر به بذكر ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل
شاة واملا لنا عسما من لبن ثم اجعل لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم
له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس
وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فحشيت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جنية
من اللحم فشقهها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال كلوا باسم الله فاكل القوم حتى مالهم بشئ
من حاجة وأيم الله ان كان الرجل الواحد لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فحشيتهم بذلك
العس فشربوا حتى رووا جميعا وأيم الله ان كان الرجل الواحد يشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يكلمهم بذكره أبو لهب فقال صحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال الغديا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان أكلمهم فاعد
لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجعهم فضعلت ثم جعته ثم دعاني بالطعام فقرّبه فضعل كما فعل بالامس

فاكوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخبري الدنيا
 والاخرة وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم اليه فايكم يوازي في علي امرى هذا ويكون اخي ووصي
 وخليفتي فيكم فاجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا فقلت يا رسول الله انا اكون وزيرك عليه فاحذ
 برقبتي ثم قال هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يصيحون ويقولون لابي
 طالب قد امرنا ان نسمع له ونطيع (وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتک
 الاقربين - عبد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش
 حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فاجاء أبو لهب وقريش فقال
 أرايتكم لو اخبرتكم ان خيلاً بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال
 فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جعنا فقلت تب تب يا أبي لهب
 وتب ما أغنى عنه ماله وما كسبه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ربه صابراً محتسباً فيما يناله
 من المحن وضروب الاذى معلناً بالتذكير والانهذار داعياً الى الله آتياً الليل وأطراف النهار وأسلم معه
 جماعة من السابقين الى الاسلام كخديجة وعلي وأبي بكر وزيد بن حارثة وعثمان وسائر العشرة سوى عمر
 ابن الخطاب فان اسلامه كان قد تأخر قليلاً ونصبت قريش العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 واقتربت كلمتهم عليه وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب وتعاهد قريش على ألا ينالوا كفوهم
 ولا يبايعوهم ولا ينفعوهم بشيء ونال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا معه من الاذى
 فوق ما يوصف وهاجر جماعة منهم الى النجاشي بالحبيشة فراراً بدينهم من الفتنة وحسب على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عه أبو طالب وقام دونه وذب عنه سفهاء قريش ومنعه منهم ما استطاع وكانت خديجة
 رضي الله عنها توازره على أمره وتسليه وتهون عليه ما يلقيه من قومه فكان صلى الله عليه وسلم يرتاح
 لذلك ويخف عليه بعض ما يجد ثم توفي أبو طالب في شوال سنة عشر من النبوة ونوفيت خديجة بعد ذلك
 ببسير وكانت وفاته ما قبل الهجرة بثلاث سنين فعظمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصيبة
 وتتابعت المحن حتى كان يسمى ذلك العام عام الحزن ونالت قريش منه ما لم تكن تطمع في نياله قبيل
 ذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الثلاث سنين اذا حضر الموسم خرج الى اهل العرب عني
 وطاف عليهم قبيلة قبيلة يدعوهم الى الله تعالى ويعرض عليهم نفسه ويسألهم النصرة والقيام معه
 حتى يبلغ رسالة ربه فان قريش اقدعت على الله وكذبت رسوله وردت عليه كرامته ويقول فيما يقول
 يا بني فلان اني رسول الله اليكم يا امرئكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من
 هذه الانداد وان تؤمنوا بي وتصدقوني ولقي صلى الله عليه وسلم في هذه المدة من الشدايد ما رفع الله به في
 عليين درجته وأجزل به كرامته وشرف منزلته وحازبه في جوار الله تعالى أكرم نزل وصار امام أدلى
 العزم من الرسل صلى الله عليه وسلم ولما أراد الله اظهاري دينه واعزاز نبيه خرج صلى الله عليه وسلم
 في بعض المواسم يعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع فبينما هو عند العقبة عني اذ لقي ستة نفر من
 الخزرج من اهل مدينة يثرب وأهلها يومئذ قبيلتان الاوس والخزرج ويجمعهم أب واحد وهم من
 عرب اليمن والنفر الستة هم أبو امامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفرات ورافع بن مالك
 ابن الجحلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى يهود وكانوا يحالفون قريظة
 والنضير قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض
 عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم في الاسلام ان اليهود كانوا معهم ببلادهم
 وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل أوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا الا ان مبعوث

قد اظلم زمانه سنبه ونقتلكم معه قتل حاو ارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه النبي الذي توعدهم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا معه وقالوا انا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشرا ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرنا فان يجمعهم الله عليك فلا احد اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام حتى قشافيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وفي الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الستة الذين ذكرناهم اتفاعدى جابر بن عبد الله فانه لم يحضرها وسبعة من غيرهم وهم معاذ بن الحارث اخو عوف بن الحارث المذكور وذكوان بن عبد القيس ويزيد بن ثعلبة البلوي وعبدادة بن الصامت والعباس بن عباد بن نضلة وهؤلاء العشرة من الخزرج ومن الاوس ابو الهيثم مالك بن النيهان وعويم ابن ساعدة فلحقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فبايعوه بيعة النساء الا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزناوا ولا يقتلوا اولادهم الى آخر الآية فقال صلى الله عليه وسلم فان وقيتم فلكم الجنة وان غشيتهم شيئا من ذلك فاخذتم بحدته في الدنيا فهو كفارة لسكم وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان تفرض الحرب فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ومعه عمرو بن أم مكتوم الاعشى ليعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويفقههم في الدين فكان مصعب بالمدينة يسمى المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة فاسلم على يده كثير من الاوس والخزرج منهم أسيد بن حضير وسعد بن معاذ سيد الاوس وسعد هذا هو الذي يقول فيه حسان بن ثابت رضي الله عنه

وما اهتز عرش الله من أجل هالك * سمعنا به الا لسعد أبي عمرو

ولم يبق دار من دور الانصار الا فيهار جال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف بطون من الاوس وكانوا في عوالي المدينة وكان فيهم أبو قيس بن الاسات الشاعر سيد مطاعا فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فاسلموا كلهم ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة من العام المقبل وذلك سنة ثلاث عشرة من المبعث وخرج معه من الانصار الذين أسلموا ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج مع حجاج قومهم من أهل الشرك فلما وصلوا الى مكة واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجتمعوا به ليلا في أوسط أيام التشريق بالعقبة من منى وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب ان يعوثق لابن أخيه فقال يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منمنناه من قومنا من هو على مثل رأينا وهو في عز ومنعنا من قومه وبلده وانه قد أبى الا الانحياز اليكم والحق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نعوه ممن خالفه فانتم وما تحماتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه فن ان فدعوه فقالوا قد سمعنا ما قلت فنسلكم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فسلكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني عما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فاخذ البراء بن معمر وريسه ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك عما تمنع منه اذن فبايعنا يا رسول الله فحسن أهل الحرب وأهل الحلقة ورتناها كابرأعنا كابرأعنا ترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان يئتنا وبين الناس حبا لا يعي عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهرنا الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسوا

الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم والدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أعارب من حاربتم وأسالم
 من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً يكونون كفلاء على قومهم
 بما فيهم ككفالة الخواريين لعيسى ابن مريم فأخرجوا له اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من
 الاوس قال عاصم بن عمر بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا للبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس
 ابن عباد بن فضالة يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر
 والاسود فان كنتم ترون انكم اذ انتم اموالكم مصيبة وأشرافكم قتيلاً أسلمتموه فذل ان فهو والله
 خزي الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافقون له بما دعوتوه اليه على نكته الاموال وقتل الاشراف
 نخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذ على مصيبة الاموال وقتل الاشراف قالنا بذلك
 يا رسول الله ان نحن وفيما قال الجنسة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء
 ابن معرور ثم تتابع القوم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفضوا إلى رجالكم فقال العباس بن عباد
 ابن فضالة والذي بعثك بالحق لنن شئت لنميتن غداعلى أهل منى بأسيا ففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اني لم أؤمر بذلك ولكن أرجعوا إلى رجالكم ثم انصرف القوم راجعين إلى المدينة وأمر النبي صلى الله عليه
 وسلم أصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ينتظر الاذن
 من ربه في الهجرة وبقي معه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب إلى أن أذن الله لنبيه في الهجرة فهاجر
 كما هو معلوم في كتب الحديث والسير * ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أظهر الاسلام
 وشرع الاحكام وبين الحلال والحرام ونزل عليه من القرآن السبع الطوال سوى سورة الانعام فانها
 نزلت بمكة ونزل عليه قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا
 من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله فكانت هذه أول آية نزلت بالاذن في القتال فخاهد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في الله حق جهاده ونال من نصرة الدين واعلاء كلمة الله غاية مراده وانثالت عليه وفود
 العرب من كل ناحية ولبت دعوته من أماكنها الدانية والقاصية وضرب الاسلام بجرانه في جزيرة
 العرب كلها وأجمع على التمسك بدينه أهل عقدها وحلها (قال القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفا)
 فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته بلاد الحجاز واليمن وجسيم جزيرة العرب وما دنا ذلك من
 الشام والعراق وجبي اليه من أنجاسها وجزيتها وصداقاتها ما لا يحصى للولك الابعضه وهادته جماعة من
 ملوك الاقاليم فاستأثر بشئ منه ولا أمسك منه درهم بل صرفه مصارقه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين
 صلى الله عليه وسلم * ولما حصل المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم وأظهر الله دينه على الدين كله أنزل الله
 تعالى عليه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً قال المفسرون نزلت
 هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء
 فكادت عضد الناقة تهتدق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة روى انه
 لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني اننا كنا في زيادة
 من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عاش بعدها احدى وعثانين يوماً ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع
 الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة قال الخازن في تفسيره وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة مجموع
 عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة على الصحيح (أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس قال أنزل على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فكانت ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر
 إلى المدينة فكانت بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة (قال الشيخ محي الدين
 النووي) ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين

سنة الثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أحكمها وأشهرها اه وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهر من أن يشرح ويبين فهو حجة الله في الأرض وشهيد على الخلق ومصطفاه من البشر والمخصوص بمنزلة النبوة وآدم بين الماء والطين والله در ابن الخطيب اذ يقول
يا مصطفي من قبل نشأة آدم * والكون لم تنفخ له أغلاق
أيروم مخلوق تنساءك بعدما * أتني على أخلاقك الخلاق

﴿ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾

هو أبو بكر واسمه عبد الله وقيل عتيق ابن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب السلمي المعروف بالصديق يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وفي الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماع من العصاة ومن تأخر عنها أولا رجع اليها ثانيا الا ما كان من سعد بن عبادَةَ الانصاري فانه توقف عن بيعته وذلك لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وهو ابيابعة سعد بن عبادَةَ سيد الخزرج لانهم كانوا يرون انهم أحق بالامر لانهم الذين آووا ونصروا وتبوا والدار والايمان من قبل المهاجرين ولما انتهى الخبر الى أبي بكر وعمر أفرغهم ماذلك وبادرا الى السقيفة ومعهم أبو عبيدة بن الجراح فوجدوا الانصار به اعلى ما بلغهم من العزم على بيعه سعد فحاجهم أبو بكر رضي الله عنه وقال نحن أولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشيرته وأحق الناس بالامر بعده فخن الامراء وانتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير وان شئتم أعدنا لها جذعة أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب فقام بشير بن عبد الانصاري فقال ألا ان محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وان قومه أحق وأولى بالامر بعده ونحن وان كنا أولى فضلا في الجهاد وسابقة في الدين فما أردنا بذلك الا رضى الله واطاعة نبيه فلا نبتغي به من الدنيا عوضا ولا نستطيع به على الناس ثم أشار أبو بكر بان يبايعوا أحد الرجلين اما عمر بن الخطاب واما أبو عبيدة بن الجراح فذكرها ذلك وبايعا أبا بكر وسبقهما اليه بشير بن سعد ثم تناجى الا ومن فيما بينهم وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النقباء فذكرها امارة الخزرج عليهم ومالوا الى بعة أبي بكر فبايعوه وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر حتى كادوا يطؤون سعد بن عبادَةَ وهو مضطجع بينهم يوعك فقال رجل من أصحابه قتلتم سعد بن عبادَةَ فقال عمر قتله الله فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرقق هذا أباغ ثم لحق سعد بالشام فلم يزل هناك حتى توفي أيام عمر رحم الله جميعهم وكانت ببيعة أبي بكر يوم الثلاثاء الثاني من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل دفنه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت عامة العرب لان كلمة الاسلام لم تكن رسخت في قلوبهم على ما ينبغي ومنع آخرون منهم الزكاة وقالوا نصلي ولا نؤدى الزكاة ظنا منهم ان ذلك كان واجبا عليهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقط واضطرب أمر المسلمين عند وفاته صلى الله عليه وسلم لقتلهم وكثرة عدوهم (قالت عائشة رضي الله عنها) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ونجم النفاق واشترأت اليهودية والنصرانية ونزل باني بكر ما نزل بالجبال الراسية لها ضها وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الساتية لفقد نبيهم (وقال أبو بكر بن عياش) سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال أهل الردة (وفي الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله قال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا ان رأيت ان قد شرح

الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (وحكى ابن خلدون) أن أبا بكر رضى الله عنه لما عزم على قتال أهل الردة استخلف أسامة بن زيد بعد رجوعه من بعثته الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قبل وفاته فبقى بالمدينة حتى أنقذه أبو بكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فخرج أبو بكر في جماعة من المسلمين إلى ذي خشب وإلى ذي القصة موضعين قرب المدينة ثم سار حتى نزل على أهل الردة بالابريق وبها عيس وذيان وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ونعلبة بن سعد وغيرهم فقاتلهم أبو بكر وهزمهم ورجع إلى المدينة ثم خرج إلى ذي القصة ثانياً فعد فيه أحد عشر لواءً على أحد عشر جند القتال أهل الردة وأمر كل واحد باستنفار من يليه من المسلمين من كل قبيلة وعقد لأمراء على تلك الاجناد منهم خالد بن الوليد وخالد بن سعيد بن العاص وعمر بن العاص وغيرهم وكتب لهم عهداً وهدم بنص واحد بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام وعهد اليه ان يتقى الله ما استطاع في أمره كله سره وجهره وأمره بالحق في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام إلى أماني الشيطان بعد ان يعذر اليهم فيدعوهم بدعاية الاسلام فان أجابوه أمسك عنهم وان لم يجيبوه شق غارته عليهم حتى يقرؤا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فياً أخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم فان أجاب إلى أمر الله تعالى وأقر له قبل ذلك منه وأمانته عليه بالمعروف والنهي عن المنكر على الاقرار بما جاء من عند الله فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبة بعد قيامته به ومن لم يجب إلى داعية الله قاتل وقتل حيث كان وحيث بلغ من الغمة لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى الا الاسلام فان أجابه وأقر به قبل منه وأمانته ومن أبي قاتله فان أظهره الله عليه قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله عليه الا الخمس فانه يبلغناه ويمنع أصحابه الجحلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لثلا يكونوا عيوناً ولثلاً يؤتى المسلمون من قبلهم وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنازل ويتفقدهم ولا يجمل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن النصيحة ولين القول اه وكتب إلى كل من بعث اليه الجنود من المرتدين كتاباً واحداً أيضاً وجعله في نسخ متعددة يدرسل تقدموا أمام الامراء بأمرهم فيه بالتمسك بكامة الاسلام وبينهاهم عن الارتداد ويحذرهم عاقبته وسوء أثره تركنا ذكره اختصاراً (وكان) أول ما بدأ به خالد بن الوليد رحمه الله من القتال قتال طليحة بن خويلد الاسدي أسد خزيمية وكان كاهناً وأدعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعه أفریق من قومه بني أسد ومن غيرهم فوجه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور ليقاتله فبقي ضرار يريد مناجزته اذ ورد عليه الخبر بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت ذلك في عضد ضرار واذ كفأ راجعاً بمن معه من المسلمين إلى المدينة وعظم أمر طليحة حينئذ واستطار ثمره وانضمت اليه غطفان وبعض طيء وأخذ لاط من العرب على ماء من مياه بني أسد يقال له براحة فسار اليهم خالد رحمه الله فأوقع بهم وقعة شنعاء قتل بها جمعهم وقتل من قتل منهم ونجى طليحة إلى الشام برأس طمرة ولجام وبقي هناك إلى ان أسلم وحسن اسلامه وكانت له في قتال فارس والروم زمان الفتح اليد البيضاء ثم تتبع خالد رحمه الله أهل الردة قبيلة قبيلة وجمعاً جمعاً فقتل وحرق ورضخ بالحجارة ورعى من رؤس الجبال وأبلغ في النكاية بكل وجه فخشعت نفوس المرتدين وخامر قلوبهم الرعب وقوم اعوجاجهم الطعن والضرب حتى راجعوا الاسلام كرها وكان من أعظمهم شوكاً وأشدهم قوة بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب وكان موطنهم باليمامة وهي بلاد واسعة ذات نخل وزرع على أربعة أيام من مكة وكان مسيلة هذا قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني حنيفة فأسلم ثم ارتدوا دعى النبوة استقلالاً ثم شاركة مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له بذلك الرجال ابن عنفوة أحد أشرف بني حنيفة وكان قد هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقام عنده وقرأ القرآن

وتفقه في الدين فلما ارتدت مسيلة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم معلماً لأهل اليمامة ومشجعاً على مسيلة فكان من أعظم الفتن على بني حنيفة فانه شهد مسيلة بالتبوء وأتبعه على شأنه وصار مؤذناً له يشهده بالرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم شأنه فيهم وكان مسيلة ينتهي إلى رأيهم وكان يأتي بأصباح كثيرة يزعم انها قرآن ينزل عليه ويأتي بخارق من الشبهة ويقول انها مجزاة فتقع على خلاف المقصود اهانة من الله فنهض خالد رحمه الله بعد الفراغ من طليحة وغيره من أهل الردة إلى بني حنيفة وهم يومئذ كثير يقال كانوا أربعين ألف مقاتل ولما سمعوا بدين خالد منهم خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنقروا الناس فنصرهم وأقبل خالد على مقدمته شرحبيل بن حسنة ونازل بني حنيفة وكان الرجال بن عنقوة على مقدمة مسيلة فالتقوا واقتتلوا واشتدت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد ثم تراجع المسلمون وكروا على بني حنيفة وقاتل ثابت بن قيس بن شماس حتى قتل ثم زيد ابن الخطاب أخو عمر كذلك ثم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ثم مولاة سالم ثم البراء أخو أنس بن مالك وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ثم يثور كالأسد فقاتل ذلك اليوم وفعل الأفاعيل واستصر القتل في المسلمين خصوصاً قراء القرآن وأهل السابقة ^{في} وقال ابن خلدون ^{في} قتل يوم اليمامة من الانصار ما ينيف على الثلاثمائة وستين ومن المهاجرين مثلها ومن التابعين لهم مثلها أوزيدون وفشت الجراحات فيمن بقي ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون إلى حديقة كانت هناك وفيها مسيلة فقال البراء بن مالك ألقوني عليهم من أعلى الجدار فاقحمهم وقتلهم على باب الحديقة حتى دخل بعض المسلمين عليهم واقتحم الباقون من أعلى الحيطان فقتل من بني حنيفة يومئذ سبعة عشر ألف مقاتل فسميت الحديقة حديقة الموت وأما مسيلة فقتله وحشي بالحربة التي قتل بها حنيفة بن عبد المطلب يوم أحد وشاركه في قتله رجل من الانصار ثم صالح خالد بن حنيفة في خبر طويل وهذه الواقعة من أعظم الوقعات التي كانت في زمن أبي بكر رضي الله عنه وهي كانت السبب الداعي إلى جمع القرآن في المصحف واستمر كذلك إلى ان جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه الجمع الثاني في المصحف ^{في} وفي المصحف عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال أرسل إلى أبي بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه ان عمر أتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني أخشى ان يستصر القتل بالقراءة في المواطن فيذهب كثير من القرآن واني أرى ان تأمر بجمع القرآن قال أبو بكر قلت لعمر كيف أفعَل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا تنهك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعهم حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فقمت فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والكتاف والعصب والخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حتى خاتمة براءة فكانت المصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر اهـ ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث إليه أبو بكر في المحرم سنة ثنتي عشرة يأمره بالسير إلى العراق وذلك عندما أجمعت العرب على الاسلام واتفقوا على التمسك بكلماته وأخلصوا الطاعة لله وخطيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسميت لابي بكر رضي الله عنه همة في قتال فارس والروم أهل الدولتين العظيمتين في العالم يومئذ توجه خالد رحمه الله نحو فارس وكان عذاباً من عذاب الله أرسله على أهل الكفر والضلال وما مثل له الا قول المتنبى

وما كان الا النار في كل موضع * يشير غبارا في مكان دخان فتوجه خالد بن الوليد وفتح الحيرة وما وراءها من أعمال العراق وفتح الانبار وعين التمر وأوقع الوقائع العظيمة على اهل فارس وجيوشهم حتى أخافهم في بلادهم وهم بالاقحام عليهم ومقاتلتهم في عقر دارهم وكتب اليهم بكتابين يتوعدهم ويتذدهم ثم صرفه أبو بكر رضي الله عنه الى الشام فشهد اليرموك مع جيوش المسلمين الذين كانوا هناك في الاكفاء عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي وكانت له حبة قال لما أراد أبو بكر أن يجهز الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من اهل يمدن وغيرهم فدخلوا عليه وأنافهم فقال ان الله لا يحصى نعمه ولا تبلغ جزاءها الا اعماله الحمد كثيرا على ما اصابكم عندكم ثم جمع كلمتهم وأصلح ذات بينهم وهذاكم الى الاسلام ونفي عنكم الشيطان فليس يطمع ان تتركوا بالله ولا ان تتخذوا الها غيره فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد رأيت ان أستنفرهم الى الروم بالشام فمن هلك منهم هلك شهيدا أو ما عهد الله خير للابرار ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله ثواب المجاهدين هذا رأي الذي رأيته فليشر على امرؤ يبلغ رأيه فاجاب كل من الحاضرين باستصواب رأيه وتقوية عزمه فجهز أبو بكر رضي الله عنه جيوشا وأمر عليهم أمراء كخالد بن سعيد بن العاص وعمر بن ابن العاص وعكرمة بن أبي جهل والوليد بن عتبة ويزيد بن أبي سفيان وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حص وأوصى كل واحد منهم بما ينبغي الوصية به فكان بسبب تلك الجوع وقعة اليرموك بين المسلمين والروم في رجب سنة ثلاث عشرة من الهجرة بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه بنحو شهر لان وفاته رضي الله عنه كانت مساء ليلة الثلاثاء بين العشاءين لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وعمره ثلاث وستون سنة رضي الله عنه وتغنايه

(خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

هو أول من دعي أمير المؤمنين وكان أبو بكر قبله يدهي خليفة رسول الله وهو أبو حفص عمر بن الخطاب ابن نفيل مصغر ابن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وفتح المثناة التحتية ابن عبد الله بن قريظ بضم القاف ابن رزاح بفتح الراء ابن عدي بن كعب بن لؤي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي ولي الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه بعهد منه اليه وقال ابن خلدون لما احتضر أبو بكر عهد الى عمر رضي الله عنه ما بالامر من بعده بعد ان شاور عليه طلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه فاثنوا على رأيه فاشرف على الناس وقال اني قد استخلفت عمر ولم آل لكم نصفا فاسمعوا له وأطيعوا ودعا عثمان فأمره فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدين وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر وينيب فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آل لكم خيرا فان صبر وعدل فذلك على به ورأي فيه وان جار وبذل فلا علمي بالغيب وان لم ير أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فكان أول ما أنقذه من الامور عزل خالد بن الوليد عن امارة الجيوش بالشام وتولية أبي عبيدة وجاء الخبر بذلك والمسلمون موافقون عدوهم باليرموك فكتب أبو عبيدة الامر كله حتى انقضى أمر اليرموك وكان فتح دمشق بعدها فحينئذ أظهر أبو عبيدة امارته وعزل خالد فسمع خالد وأطاع وقيل في هذا الخبر غير هذا مما هو مبسوط في كتب الفتح ثم ان عمر رضي الله عنه استدعاه وأرهم حذو لغزو فارس والروم فتابع عليهم الجنود وعين لكل أمير عمله وعقد لابي عبيد بن مسعود الثقفي على جيش من المسلمين وبعثه نحو العراق فاستشهد أبو عبيد بموضع يقال له قس الناطف على الفرات فولى مكانه المثني بن حارثة

الشيباني وكان بطلامن الا بطال تظير خالد بن الوليد في عين النقيبة والجراءة على الاعداء فوقع باهل
 فارس عدّة وقعات منها وقعة البويب قتل فيها من الفرس مائة ألف أو يزيدون ثم ان عمر رضى الله عنه
 استأنف الجبل تجاهد فارس وقال والله لا ضربن ملوك الجهم ملوك العرب فلم يدع رئيسا ولا ذاوى
 ولا خطيبا ولا شاعرا الا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وكتب الى المثنى يأمره ان يخرج بالمسلمين من بين
 الجهم ويتفرق بهم على المياه بجياهم وان يدعو الفرسان وأهل النجدات من ربيعة ومضر ويحضرهم
 طوعا وكرها ثم حج عمر سنة ثلاث عشرة ورجع الى المدينة فواقته امداد العرب بهم ف عقد عليهم لسعد
 ابن أبي وقاص رضى الله عنه وولاه حرب العراق وأوصاه وقال يا سعد بن أم سعد لا يغرنك من الله ان يقال
 خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لا يحجو السيء بالسيء ولا كنه يحجو السيء بالحسن وليس بين الله
 وبين أحد نسب الا بطاعته فالناس في دين الله سواء الله ربهم وهم عباد الله يتفاضلون بالعافية ويدركون
 ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر
 ثم سرجه في أربعة آلاف عن اجتمع اليه فيهم وجوه العرب وأشرافها وانضاف اليه في طريقه جوع
 آخر فكانت له في هذا الوجه وقعة القادسية المشهورة دامت فيها الحرب بين المسلمين والفرس أربعة أيام
 بلياليها وقتل فيها رستم زعيم الفرس وصاحب حربها واستلحمت جنوده وكان الفتح الذي لم يكن له في
 الاسلام نظير وذلك في المحرم سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة ثم كان بعدها فتح المدائن وجالوا عوساثر
 بلاد العراق وغيرها من بلاد فارس والجبل وأرمينية واذريجان وسجستان وكرمان ومكران ونخاسان
 وغير ذلك مما يطول ذكره وكذا استولى جيوش المسلمين الذين بالشام على بلاد الشام والجزيرة وانطاكية
 وغيرها من بلاد الروم ومصر والاسكندرية وبرقة وطرابلس الغرب وغير ذلك (وفي سنة أربع عشرة)
 أمر عمر رضى الله عنه باختطاط البصرة والكوفة بعراق العرب لما بلغه من وخامة البلاد وان العرب
 قد تغيرت ألوانهم بالعراق فاذا نلهم في اختطاط المصريين وان لا يتجاوزوا في بناءها السنة ويقال
 ان اختطاط الكوفة كان في سنة سبع عشرة (وفي سنة خمس عشرة) وضع عمر الديوان وفرض العطاء
 للمسلمين ولم يكن قبل ذلك وروى الزهري عن ابن المسيب ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين فقال
 ابن خلدون يقال وضع عمر الديوان لسبب مال أتى به أبو هريرة من البحرين فاستكثروه وتعبدوا في قسمه
 فسموا الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فاشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوك الشام
 يدقون فقبل منه عمر وقيل بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقال له ومن يدع
 بغيبة من يغيب منهم فان من تخلف أدخل بكائه وانما يضبط ذلك الكتاب فأنبت لهم ديوانا فامر عمر
 رضى الله عنه عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان
 العساكر الاسلامية مرتب على الانساب مبتدأ فيه بقراية رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب
 بعد ان قال على وعبد الرحمن بن عوف لعمر ابدأ بنفسك فقال لا بل بعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ
 بالعباس ثم بالاقرب فالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة
 آلاف وفرض لمن بعدهم الى الحديدية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم لمن بعدهم ثلاثة آلاف ثلاثة
 آلاف ثم ألفين وخمسمائة ثم لاهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لمن بعد القادسية
 واليرموك ألفا ألفا وادفهم خمسمائة خمسمائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين وأعطى نساء
 النبي صلى الله عليه وسلم لكل واحدة عشرة آلاف وفضل عائشة بالفين وجعل النساء على مراتب
 فلاهل بدر خمسمائة ثم أربعة مائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين والصبيان مائة مائة والمساكين جريدين في
 الشهر ولم يترك في بيت المال شيئا وسئل في ذلك فابى وقال هي قنته لمن بعدى ثم سأل رضى الله عنه
 الصحابة في قوته هو من بيت المال فاذنوا له وسأله في الزيادة على لسان ابنته حفصة متكئين عنه فغضب

وامتنع **﴿وفي سنة ست عشرة﴾** قدم جبلة بن الايم ملك غسان على عمر رضى الله عنه في جماعة من أصحابه مسلمين فتلقاه المسلمون ودخل في رضى حسن وبين يديه جنائب مقادة وعلى أصحابه الديباج حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيته وأكرم عمرو فادته وأحسن نزله وأجله برفع رتب المهاجرين ثم خرج عمر للسمع في هذه السنة فخرج معه جبلة فبينما جبلة يطوف بالبيت اذ وطئ رجل من قزارة فضل ازاره فلطمه جبلة فهشم أنفه فاقبل الغزاري الى عمرو وشكاه فاحضره عمرو وقال له اقتصد نفسك ولا أمرته بلطمك فقال جبلة كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقه فقال عمران الاسلام جمعكوا ستوى بين الملك والسوقة في الحد فقال جبلة كنت أظن اني بالاسلام أعز مني في الجاهلية فقال عمر دع عنك هذا فقال جبلة اني أنتصر فقال عمران تنصرت ضربت عنقك فقال انظر في لياتي هذه فانظره فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورجله الى الشام ثم منها الى القسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتنصروا عن آخرهم وفرح هرقل به وأكرمهم ثم ندم جبلة على فعلته تلك وقال

تنصرت الاشراف من عار لطمه * وما كان فيها الوصير لها ضرر
تكتفي فيها الجراح ونخوة * وبعث لها العين الصحيحة بالعود
فيا ليت أرى لم تلدني وليتني * رجعت الى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرى المخاض بقفرة * وكنت أسير في ربيعة أو مضر
ويا ليتني بالشام أدنى معيشة * أجالس قوى ذاهب السمع والبصر
أدين بمآدانوا به من شريعة * وقد يحبس العير الدجون على الدبر

وكان قدم مضى رسول عمر الى هرقل وشاهد ما هو فيه جبلة من النعمة فارسل جبلة بخمسمائة دينار الى حسان بن ثابت وأما هاله عمر فدخله حسان بن ثابت بآيات منها

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم يذهبهم أبأوههم باللوم
لم ينسني بالشام اذ هور بها * ككلا ولا متنصر بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده * الا كبعض عطية المذموم

﴿وفي سنة سبع عشرة﴾ جى الى عمر بالهرمز ان ملك الاهواز أسير او معه وفد فهم أنس بن مالك والاحنف ابن قيس فلما وصلوا به الى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون على هيئته التي يكون عليها في ملكه فطلبوا عمر فلم يجدوه فسأوا عنه فقيل هو في المسجد فاتوه فاذا هو نائم فجلسوا دونه فقال الهرمز ان أين هو عمر قالوا هو ذا قال فابن حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب فنظر الهرمز ان الى عمرو وقال عدات فأمنت فممت واستيقظ عمر لجلبة الناس فقال الهرمز ان قالوا انهم أمير المؤمنين فقال الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشباهه وأمر بترع ما عليه فترعوه وألبسوه ثوبا ضيقا فقال عمر كيف رأيت عاقبة أمر الله فيك فقال الهرمز ان لما خلى الله بيننا وبينكم في الجاهلية غلبناكم ولما كان الله الا أن معكم غلبتمونا **﴿وفي سنة ثمان عشرة﴾** كانت جماعة الرماة وطاعون عمواس وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيى الناس واستسقى عمر بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فسقوا وهلك بالطاعون أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابنه عتبة في آخرين أمثالهم وتغافى الناس بالشام وبالبصرة أيضا ولما خش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر السير اليه ليقسم موارد المسلمين وية تطوف على الثغور ففعل ورجع وكانت له خرجة أخرى قبل هذا الفتح بيت المقدس **﴿وفي سنة عشرين﴾** فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية وشهد الفتح معه الزبير بن العوام وجماعة من كبار الصحابة **﴿وفي سنة اثنتين وعشرين﴾** سار عمرو بن العاص الى برقة فصالحه أهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها وقتلها عنوة

(وفي سنة ثلاث وعشرين) كانت وفاة عمر رضي الله عنه على ما سياتي في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما زلنا أعزّه منذ أسلم عمر ^{رضي الله عنه} أيضا قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة ولما مات عمر كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وعند ابن أبي شيبة عنه رضي الله عنه قال كان اسلام عمر عزاء هجرته نصر او امارته رجة ^{رضي الله عنه} وفي الصحيح أيضا عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيننا انا نائم رأيتني على قليب وعليه اذ لو فتزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فتزع منها ذنوبيا وذنوبين وفي نزعه ضحك والله يغفر له ثم استحالت غربا فآخذها عمر بن الخطاب فلم أر عبقر يامن الناس يتزعزع عمر وفي رواية فلم أر عبقر يامن الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن قال النووي رحمه الله قالوا هذا المثلث مثال لما جرى للخليفين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به أكمل قيام وقرر قواعد الدين ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فطالت مدة خلافته عشرين سنة وزيادة واتسع الاسلام في زمانه فشبّه امر المسلمين بقلب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحتهم وأميرهم بالمستقي لهم منها وسعته هي قيامه بعصا لحهم اه ^{رضي الله عنه} قلت ^{رضي الله عنه} من تأمل أمر عمر رضي الله عنه علم انه كان عجايبا من العجب فانه عمدا الى ثلاث دول هي أعظم دول العالم في ذلك الوقت دولة الفرس ودولة الروم ودولة القبط فخار بهم في نفس واحد وفرق جيوشه عليهم مع قلة المسلمين اذ ذاك وشغف عيشهم فغلبهم على عمالكهم وأزال عزهم وكسر كراسيهم وأما نخوتهم بحيث ضرب الجزية على رقابهم طول أحقابهم فلم يطاق البوابعد هابثا ولا عادوا الى جاح ونفار بل أعطوا المقادة وأسلموا أنفسهم لاصغار ثم لم يكتف بذلك حتى أغزى خيل المسلمين أطراف المعمور من خراسان والترك وبلاد النوبة وبلاد البربر ولعمري ما أمر الاسكندر الذي تضرب الامم به المثل في الغلبة والتمكن في الارض الا دون أمر عمر بكثير فان الاسكندر كان غازيا بجميع جيشه متوليا ذلك بنفسه جوالا في الارض غير مقيم ووجهته في حروبه وجهة واحدة كلما فرغ من مملكة انتقل الى غيرها تاركا للتي خلف وراءه غير ملتفت اليها وكان له لا غرض له الا في اظهار القوة والبطش والغلبة على الامم دون ما سوى ذلك من تصريف الممالك طوع الامر والنهي * ولذا قال حمزة الاصمباني في كتابه تواريخ الامم ومارواه القصاص من ان الاسكندر بنى بارض ايران عبدة مدن منها اصبهان ومرو وهرات وسمرقند فحدث لا أصل له لان الرجل كان مخربا لا عامرا اه فاما عمر رضي الله عنه فانه لما استولت جيوشه على أكثر المعمور صرف عمالكها طوع أمره حتى جبي اليه خراجها وثبتت استقامتها وزال اعوجاجها أقوى ما كانوا شوكة وأشد قوة وأكثر حامية ولم يعتز به الله حتى انتهت خيلها في جهة الشرق الى نهر بلخ وفي جهة الشمال على ما تتي فرسخ من بلخ وفي جهة المغرب الى تخوم الروم وبلاد برقة وطرابلس الغرب كل ذلك في مدة يسيرة لم يجاوز معظمها الثلاث سنين وهو مع ذلك في جوف بيته مترددا فيما بين منزله ومسجده لم يستعمل لذلك كثير أسباب ولا أجلب بنفسه بخيل ولا ركاب انما هو الى أي الميول والنصر المضمون والامر الجاري بين الكاف والنون والوعد المتجز بقوله تعالى لينظروا على الدين كله ولو كره المشركون (فاما) وفاة عمر رضي الله عنه فروى ابن سعد باسناد صحيح ان عمر كان لا يأذن لمن احتلم من أولاد الجهم في دخول المدينة حتى كتب اليه المغيرة بن شعبه وهو على الكوفة فذكر له ان عنده غلاما صنعا وهو يستأذنه ان يدخله المدينة ويقول ان له أهلا لا تنفع الناس انه حداد نقاش نجار فاذن له عمر وضرب عليه مولاة كل شهر مائة فشكى الى عمر شدة الخراج فقال له ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل فانصرف ساخطا فلبث عمر الى فريه العبد فقال عمر ألم أحدث انك تقول لو شئت لصنعت رحي تطحن بالريح فالتفت اليه عابسا فقال لا صنع لك رحي يتحدث الناس بها فاقبل عمر على من معه فقال توعدني العبد فلبث ليالى ثم اشتمل على

خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكم في زاوية من زوايا المسجد في القلنس حتى خرج عمر يوقظ الناس
 للصلاة وكان عمر يفعل ذلك فلما دنا عمرو بن عبد الله عليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت السررة قد خرقت
 الصفاق وهي التي قتله يومئذ في صحيح البخاري ثم عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال كيف فعلتما يعني في أرض
 السواد أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق يعني من الخراج قال لا حملناها أمرأه لهما مطيقة
 ما فيها كبير فضل قال انظرا ان تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق قال لا فقال عمر لئن سلمني الله تعالى لأدعن
 أرا من أهل العراق لا يتجنن إلى رجل بعدى أبدا قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب قال عمرو بن
 ميمون اني لقاتم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان اذا هم بين الصنفين قال استوا حتى اذا
 لم يرفيهن خلالا تقدم فكبر وروى عن أسورة يوسف أو النخل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس
 فاهو إلا ان كبر فسمعه يقول قتلى أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة واسمه فيروز فطار العج بسكين
 ذات طرفين لا يمر على أحد عينا ولا شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى
 ذلك رجل من المسلمين واسمه حطان التميمي اليربوعي طرح عليه بنو سافلما ظن العج انه مأخوذ فحضر
 نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فن يلى عمر فقدر رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فانهم
 لا يدرون غير انهم قد فقدوا صوت عمرو وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف
 صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا بن عباس انظر من قتلى في حال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال أأصنع
 قال نعم قال قاتله الله لقد أمرت به معروفا الحمد لله الذي لم يجعل ميتي بيد رجل يدعي الاسلام قد كنت
 أنت وأبوك تحبان ان تكونا العالج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا قال ان شئت فعلنا أي ان شئت
 قتلنا قال كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلكم وجوا بحكم فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكان
 الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقال يقول لا بأس وقائل يقول أخاف عليه فاقى بنبيذ فشر به فخرج
 من جرحه ثم أتى بلين فشر به فخرج من جرحه فعملوا انه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء
 رجل شاب فقال ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم في
 الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت ان ذلك كفاف لاعي ولالي فلما أدبر الشاب
 اذا ازاره عيس الأرض قال ردوا على الاسلام قال يا بن أخي ارفع ثوبك فانه أتى لثوبك ونقى لربك يا عبد
 الله بن عمر انظر ما ذا على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا ونحوه قال ان وفي له مال آل عمر
 فأده من أموالهم والا فاسأل في بني عدي بن كعب فان لم تف أموالهم فاسأل في قريش ولا تعددهم
 إلى غيرهم فأتعنى هذا المال انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير
 المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فسلم
 واستأذن ثم دخل عليه فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن
 مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولا وثرنه به اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء
 قال ارفعوني فاستند رجل إليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان
 من شيء أهدم على من ذلك فاذا أنا قضيت فاجلوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لي
 فادخلوني وان ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأياها
 قنفا ولبت عليه فبكت عند ساعة واستأذن الرجال فو لجت خلاهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا
 أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال ما أجد أحدا أحق بهذا الامر من هؤلاء التفرا وألرط الذين توفي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمي عابا وعثمان والزيبر وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال
 يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيشة التعزية له فان أصابت الامارة سعدا فهو ذلك

والأفليس استعن به أيكم ما أقر فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة وقال أوصي الخليفة من بعدى بالمهاجرين
الاولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمهم وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان
من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفى عن مسيئتهم وأوصيه بالامصار خيرا فانهم ردة الاسلام وجباة
المال وغيت العدو وان لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالاعراب خيرا فانهم أصل العرب
ومادة الاسلام ان يؤخذ من حواشي أموالهم وترد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ان يوفى
لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم فلما قبض خرجنا به فاذا طلقنا غشي فسلم عبد الله
ابن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب قالت ادخلوه فادخل فوضع هناك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه
اجتمع هؤلاء الهط فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمرى الى علي
فقال طلحة قد جعلت أمرى الى عثمان وقال سعد قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف فقال
عبد الرحمن أيكما يتبرأ من هذا الامر فتجعله اليه والله عليه والاسلام لا ينتظرن أفضلهم في نفسه فاسكت
الشيخان فقال عبد الرحمن أفجعلونه الى والله على ان لا آلو عن أفضلكم قالان نعم فاخذ بيد أحدهما فقال لك
من قرأ بترسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم ما قد علمت فالتفت اليك ان أمرت لك معدن ولشئ أمرت عثمان
لتسمعن ولتطيعن ثم خذ بالابالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه
وبايع له على رولج أهل الدار فبايعوه اه (وكانت وفاة عمر رضي الله عنه) يوم السبت سابع ذي الحجة سنة
ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت مدة خلافته عشرين سنة وستة
أشهر وثمانية أيام كذا في الأب الفداء وفي حديث عائشة لما خرج أبو عمر بن عبد البر ناحت الجن على عمر
رضي الله عنه قبل أن يموت بثلاث فقالت

أبعد قتيل بالمدينة أظلت * له الارض تهتز الأعضاء بأسوق
جزى الله خيرا من امام وباركت * يد الله في ذلك الاديم المـهـزق
فن يسع أو يركب جناحي نعامة * ليذكرك ما قدمت بالامس مسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها * بوائق من أكمامهم الم تفق

في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

هو أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي يجمع مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ولي الخلافة بعد عمر رضي الله عنه باختيار أهل الشورى له وقد تقدم
خبر ذلك مستوفي ولما أوبع رقي المنبر وقام خطيبا فحمد الله وشهد ثم ارتج عليه فقال ان أول كل أمر
صعب وان أعش فستأتيكم الخطب على وجهها ان شاء الله ثم نزل وأقر عمال عمر كلهم الا ما كان من المغيرة
ابن شعبه أمير الكوفة فانه عزله واستبدل به سعد بن أبي وقاص لوصية عمر بذلك ثم بعد مدة نحو سنة عزل
من عزل من عمال عمر واستبدل بهم آخرين كان فيهم من هو من قرابته فعزل سعد بن أبي وقاص عن
الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أمه وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها
عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وكان أخا عثمان من الرضاة ثم عزل بعد ذلك أبا موسى الاشعري عن
البصرة وولى عليها عبد الله بن عامر بن كريز وهو ابن خاله واستكتب مروان بن الحكم بن أبي العاص
وهو ابن عمه كل ذلك كان لمصلحة اقتضاها الحال وضم حص وفسطين وغيرها من بلاد الشام
الى معاوية بن أبي سفيان أمير دمشق ومضى رضي الله عنه على سنين هجر في الجهاد وتجهيز الجيوش
وتكتيب الكتائب حتى اتسعت خطة الاسلام اتساعا أعظم منه في خلافة عمر رضي الله عنه وكان
لاول خلافة عثمان قد انتقض بعض الثغور والجهات مثل الاسكندرية وبعض بلاد الجهم وفارس ونحو
ذلك فتلافاها بالغزو والبعوث حتى عادت الى الطاعة وأدت ما كانت تؤديه أيام عمر وأكثرت وفتح عليه

بلاد أرمينية مثل تغليس وقال قلا وخلاط والسيرجان وعدة حصون وانتهى الفتح إلى مدينة الباب
وكان ذلك على يد سلمان بن ربيعة الباهلي سنة أربع وعشرين وغزا معاوية صاحب الشام أيضا بلاد
الروم حتى بلغ عمورية ووجد دما بين أنطاكية وطرطوس من حصون الروم خاليا بجمع فيها العساكر
حتى رجع وخربها وكذا استم المسلمون في خلافة عثمان رضي الله عنه فتح مدن خراسان والجزو زجان
والطالقان وطخارستان وما وراء النهر إلى فرغانة في الشرق وانتهى الفتح أيضا إلى كابل وزابلستان
وهي بلاد غزنة من تغور الهند في الجنوب وفتح في خلافة عثمان رضي الله عنه إفريقية أيضا من بلاد
المغرب وكان من خبرها أنه لما كانت سنة ست وعشرين من الهجرة عزل عثمان رضي الله عنه عمرو
ابن العاص رضي الله عنه عن خراج مصر واستعمل مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه
فلما قدم ابن أبي سرح مصر كان على خراجها وعمرو بن العاص على حربها فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان
يشكو عمرا فاستقدمه عثمان واستقل ابن أبي سرح بالخراج والحرب معاً ثم أمره عثمان بغزو إفريقية
بعد أن كان عمرو بن العاص استشار عمرو رضي الله عنه في غزوها فغلبه من ذلك وقال له تلك الشارقة
وليسست بإفريقية أو كل ما ههنا مناه وما أمر عثمان ابن أبي سرح بغزوها قال له إن فتح الله عليك فلك
خمس الخمس من الغنائم فعد ابن أبي سرح لعقبة بن نافع بن عبد القيس على جند ولعبه الله بن نافع
ابن الحرث على آخر وسرجه ما فرجوا إلى إفريقية في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه
ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها ثم إن ابن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستقدم فاستشار
عثمان الصحابة رضي الله عنهم فأشاروا به جهاز العساكر من المدينة وفيه مائة من الصحابة منهم
ابن عباس وابن عمرو وابن العاص وابن جعفر والحسن والحسين رضي الله عنهم وساروا مع ابن أبي
سرح سنة ست وعشرين ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة ثم ساروا إلى طرابلس فتهبوا
الروم عندها ثم ساروا إلى إفريقية وبثوا السرايا في كل ناحية وكان ملكهم جرجير ملك مابين طرابلس
وطنجة تحت ولاية هرقل ويحتمل إليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفاً من العساكر
ولقيهم على يوم وليلة من سيطرة دار ملكهم وأقاموا يقتتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر
ولحقهم عبد الله بن الزبير مدد بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم وسمع جرجير بوصول المدد دفعت
في عضده وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبي سرح فسأل عنه فقبل أنه سمع من أدي جرجير
يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي نخاف وتأخر عن شهود القتال فقال له
ابن الزبير تنادي أنت بأن من قتل جرجير نفلته مائة ألف وزوجه ابنته واستعملته على بلاده نخاف
جرجير أشده منه ثم قال عبد الله بن الزبير لابن أبي سرح الرأى أن تترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير
متأهبين للحرب وتقاتل الروم يثاقى العسكر إلى أن يضجروا فتركهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا
عليهم ووافق على ذلك أعيان الصحابة ففعلوا ذلك وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم
ثم افترقوا وأركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبروا ووجوا حلة رجل واحد حتى غشوا
الروم في خيامهم فأنهم قتل كثير منهم وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سبية فنفلها ابن أبي سرح
ابن الزبير ثم حاصر ابن أبي سرح سيطرة حتى فتحها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم
الراجل ألفا وبت جيوشه في البلاد إلى قصبة فسبوا وغنموا وبعث عسكرا إلى حصن الاجم وقد اجتمع به
أهل البلاد فخاصره وفتح على الأمان ثم صالحه أهل إفريقية على ألف وخمسمائة ألف دينار
وأرسل عبد الله بن أبي سرح عبد الله بن الزبير بخبر الفتح وبالنس إلى عثمان رضي الله عنه فاستراه مروان
ابن الحكم بخمسمائة ألف دينار ثم وضعها عنه عثمان وأعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة
الأولى ثم بعد تمام الصلح رجع عبد الله بن أبي سرح إلى مصر بعد مقامه بإفريقية سنة وثلاثة أشهر ويقال

انه لما فتحت افريقية امر عثمان رضى الله عنه عبد الله بن نافع ان يسير الى جهة الاندلس فغزاتك الجهة
 وعاد الى افريقية فاقام بها واليا من قبل عثمان ورجع ابن أبي سرح الى مصر والله أعلم **في سنة ثمان**
 وعشرين **في** استأذن معاوية عثمان في غزو البحر فاذن له وقد كان معاوية وهو بمصر أيام عمر رضى الله
 عنه كتب اليه في شأن جزيرة قبرس يقول ان قرية من قرى حصص يسمع أهلها نباح كلاب قبرس وصياح
 ديوهم فكتب عمر الى عمرو بن العاص يقول صف لي البحر وراكبه فكتب اليه عمرو يقول هو خلق
 كبير يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركدا أقلق القلوب وان تحرك أزاع العقول يزاد فيه
 اليقين قلة والشك كثرة وراكبه دود على عودان مال غرق وان نجافرق فكتب عمر الى معاوية والذي
 بعث محمد ابالحق لا أجل فيه مسلما أبدا وقد بلغني ان بحر الشام يشرف على أطول جبل بالارض فيستأذن
 الله كل يوم وليلة في ان يغرق الارض فكيف أجل الجنود على هذا البحر الكافر وبالله لمسلم واحد أحب
 الى مما حوت الروم فإياك ان تعرض لي في ذلك فقد علمت مالى العلاء منى ثم لما كانت خلافة عثمان ألح
 معاوية عليه في غزو البحر فاجابه على خيار الناس وطوعهم فاختر الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبوذر
 وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبد الله بن الصامت وزوجه أم حرام بنت ملحان واستعمل عليهم عبد الله
 ابن قيس حليف بني قزارة وساروا الى قبرس وجاء عبد الله بن أبي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم
 أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ويؤدون مثلها للروم ولا منعة لهم على المسلمين من أرادهم
 من سواهم وعلى أن يكونوا عينا للمسلمين على عدوهم ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم وكانت هذه
 الغزاة سنة ثمان وعشرين كما قدمنا وقيل غير ذلك وفيها توفيت أم حرام بنت ملحان سقطت عن دابتها
 حين خرجت من البحر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بذلك وهو نائم عندها كما في الصحيح وأقام
 عبد الله بن قيس على البحر فغزا حرسين غزوة لم ينسكب فيها أحد الى ان نزل في بعض الايام في ساحل
 المرفأ من أرض الروم فثاروا اليه فقتلوه ونجا الملاح وكان استخلف سفيان بن عوف الأزدي على السفن
 فجاء الى أهل المرفأ وقتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة من المسلمين **في سنة ثلاثين** **في** جمع عثمان القرآن
 الجمع الثاني في المصاحف وفيها هلك يزيد كسرى فارما من جيوش المسلمين بمدينة مرو ومن خراسان وهو
 آخر الأكاكسة وبموته انقرضت دولة آل ساسان وكان من خبر جمع القرآن ما أخرجه البخاري
 عن ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثه ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح
 أرمينية واذر بيجان مع أهل العراق فافترع حذيفة اختلافاهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير
 المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فإرسى عثمان
 الى حفصة ان ارسلى اليها المصحف تذاكرا في المصاحف ثم تردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان
 فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في
 المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن
 فاكتبوه بلسان قريش فأنزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف
 الى حفصة فإرسى الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف
 ان يحرق قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع أبا زيد بن ثابت قال فقدت آية من
 الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها قالت سناها فوجدناها
 مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في
 المصحف **في سنة ثلاث وثلاثين** **في** تكلم جماعة من أهل الكوفة في عثمان بانه ولي جماعة من أهل بيته
 لا يصلحون للولاية ونقموا عليه أمور أخر لا حاجة بنا الى ذكرها مع انه كان فيها مجتهدا وذلك ان عثمان
 رضى الله عنه كان فيه من يدحياء ورافة وبرور باقاربه وكان عمر رضى الله عنه مرهوب الجانب عند

الخاصة والعامه له عين كالثقة على الرعية بصيرا عما يأتون ويذرون محدثا في ذلك كما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم وكان من الحزم والضبط على ما وصفته به عائشة رضي الله عنها اذ قالت رحم الله عمر كان آخوذاً بنسيج وحده قد أعد لادمورا أقرانها فكان عثمان ألين جانباً من عمر فتوسع الناس في زمانه في أمور الدنيا أكثر مما كانوا عليه في زمان عمر واستعملوا النفيس من الملبس والمسكن والمطعم واقتنوا الضياع والآثا ^ي قال المسعودي في مروج الذهب ^ي وفي أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائتا ألف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان علي مرتبط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وعثمان ألفا وخلف يزيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة ألف دينار وبني الزبير داره بالبصرة وكذلك بني عكر والاسكندرية والكوفة وكذلك بني طلحة داره بالكوفة وشييد داره بالمدينة وبناه ابابيلص والاجر والساج وبني سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها وأوسع قضاها وجعل على أعلاها شرفات وبني المقداد داره بالمدينة وجعلها محصاة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منية خمسين ألف دينار وغير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف درهم اه كلام المسعودي فاستحالت الاحوال في زمان عثمان كاترى ولما رأى ذلك بعض الناس ممن لم يكن له رسوخ في الفقه والدين ولا هو من أهل السابقة من فضلاء الصحابة والمسلمين صاروا ينقمون على عثمان بانه أهل أمر الرعية وخالف سيرة العمرين مع ما انضاف الى ذلك من تولية أقاربه وحاشاه من ذلك رضى الله عنه فان الرجل كان مجتهدا وهو أهل للاجتهاد وما تخيلوه من اهاله أمر الرعية حتى استحالت أمرها الى ما ذكرته من بطل اذ ليس ذلك في طوقه ولا بسببه وانما طبيعة العمران البشرى تقتضى ذلك بسبب ما فتح على المسلمين من الاقاليم والممالك والاقطار والتواحي والامصار وترادف الجبايات الفائقة الحصر وانثيال كنوز كسرى وقيصر وغيرهم من ملوك الارض عليهم فأنى يبقى الامر على حاله مع هذا الفتح المجيب والنصر الغريب وقد قيل دوام الحال من المحال والناس ليسوا على قدم واحد في الزهد في الدنيا فالخلق الذي لا عوج فيه ولا أمت ان عثمان رضى الله عنه كان على الحق حتى لقي ربه وما يعتدون به عليه من مخالفة سيرة الشيخين رضى الله عنهم ما انصح فحمله الاجتهاد كما قلنا ومعلوم ان أحكام الشرع تدور مع المصالح والمفاسد وتختلف باختلاف الأزمان والاحوال كما لا يخفى على من له أدنى ميسيس بالفقه ^ي قال ابن خلدون ^ي اختلاف الصحابة والتابعين انما يقع في الامور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمدارك المتبعة والمجتهدون اذا اختلفوا فإن قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية في واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة والتأنيب مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وان كل مجتهد مصيب فاحرى بنفى الخطا والتأنيب ثم استمر أولئك الناقون على عثمان رضى الله عنه وتمادوا في طعنهم وتشغيهم حتى تفاقم الامر وسرى الداء واعوز الداء واختلط المرعى بالهمل وكان ما كان مما استأذ كره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وأخر الامر ان لما كانت سنة خمس وثلاثين قدم من مصر جمع قيسل ألف وقيسل سبعمائة وقدم من الكوفة جمع آخر ومن البصرة كذلك وحاصر وعثمان رضى الله عنه في داره وكانت خطوط وقطعوا عنه الماء واستمر الحصار نحو أربعين يوما ثم تسور عليه جماعة من أهل مصر داره فقتلوه وسال دمه على المحصف يقال ان الذي تولى قتله كنانة بن بشر التميمي وطعننه عمرو بن الحنظل طعنات وجاء عمر بن ضابط

البرجي وكان أبوه قدمات في سجن عثمان فوثب عليه حتى كسر ضلعا من أضلاعه وكان قتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة الاثني عشر يوما وقيل انه قتل صبيحة عيد الاضحى من السنة المذكورة وهو الذي عند ابن الخطيب في رقم الحلل وابن بدرون في شرح العبدونية ويؤيده قول حسان بن ثابت يرثيه

ضحوا بشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرأنا

لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا تارات عثمان

وهو قول الفرزدق بعده

عثمان اذ قتلوه وانتهكوا * دمه صبيحة ليلة النصر

رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به

في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم واسمه شعبة وفيه يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم بوع بعد مقتل عثمان رضي الله عنه باتفاق من يعتبر من أهل الحل والعقد بعد امتناعه من ذلك فيقال ابن خلدون في مقتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والانصار وأتوا عليا يبايعونه فأبى وقال أكون وزير الحكم خير من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتهم فألحوا عليه وقالوا لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه في ذلك فخرج إلى المسجد وبايعوه وأول من بايعه طلحة ثم الزبير بعد ان خيرها ويقال انه ما ادعى الا كراه بعد ذلك باربعة أشهر وتختلف عنبيعة على رضي الله عنه ناس من الصحابة وغيرهم فلم يغضهم وقال أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل ولما ولي الخلافة رضي الله عنه أحيى السنة وأما البدعة وأوضع منار الحق وأخذ نار الباطل ولم تأخذه في الله لومة لائم ولما دخلت سنة ست وثلاثين فرّق عماله على النواحي فبعث إلى الكوفة همارة بن شهاب وكان من المهاجرين وولى على البصرة عثمان بن حنيف الانصاري وعلى اليمن عبيد الله بن عباس وكان من الاجواد وعلى مصر قيس بن سعد بن عباد الانصاري وكان من أهل الجود والشجاعة والرأى وعلى الشام سهل بن حنيف الانصاري فلما وصل سهل إلى تبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير على الشام فقالوا ان كان بعثك غير عثمان فارجع فرجع إلى علي ومضى قيس بن سعد إلى مصر فولىها واعتزلت عنه فرقة كانوا عثمانية وأبو ان يدخلوا في طاعة علي حتى يقتل قتلة عثمان ومضى عثمان بن حنيف إلى البصرة فدخاها وابتعته فرقة وخالفته أخرى ومضى عمارة بن شهاب إلى الكوفة فلقبه طلحة بن خويلد الاسدي الذي كان ادعى النبوة زمان الردة فقالوا له ان أهل الكوفة لا يتبدلون بأميرهم أحدا وكان عليها أبو موسى الاشعري من قبل عثمان رحمه الله تعالى فرجع عمارة إلى علي ومضى عبيد الله بن عباس إلى اليمن فولىها وكان العامل بها من قبل عثمان يعلى بن منية فاخذ ما كان بها من المال ولحق بمكة ومعه ستمائة بعير وصار مع عائشة رضي الله عنها وذلك ان عائشة كانت خرجت إلى مكة زمان حصار عثمان فقصت نسكها وانقلب تريد المدينة فلقبها الخبر بمقتل عثمان فاعظمت ذلك ودعت إلى الطلب بدمه ولحق بها طلحة والزبير وعبد الله بن عامر وجاعة من بني أمية واتفق رأيهم على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها وكان عبد الله بن عمر قد قدم مكة من المدينة فدعوه إلى المسير معهم فأبى وأعطى يعلى بن منية عائشة الجمل المسجي بعسكر وكان اشترى بمائة دينار فركبته وسار واخرأى طريقهم بماء يقال له الخوებ فبصتهم كلابه فقالت عائشة أي ماء هذا فقبل ماء الخوებ فصرخت بأعلى صوتها وقالت ان الله واناليهم راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه مايت شعري أين كن تنبها كلاب الخوებ ثم ضربت عضد الجمل فأناخته وقالت ودوني أنا والله صاحبة ماء الخوებ وأقامت بهم يوما وليله إلى ان قيل النجاء

النساء فقد أدرككم علي بن أبي طالب وغلبوها على وأيمها فارتحلوا نحو البصرة فاستولوا عليها بعد قتال مع
 أميرها عثمان بن حنيف ولما بلغ علي رضي الله عنه مسيرة عاثشة وطلحة والزبير إلى البصرة سار نحوهم
 في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعة مائة ممن بايع تحت الشجرة وثمان مائة من الانصار وكانت
 رايته مع ابنه محمد بن الحنفية وعلى ميمته الحسن وعلى ميسرته الحسين وعلى الخليل عمار بن ياسر وعلى
 الرجالة محمد بن أبي بكر الصديق وعلى مقدمته عبد الله بن العباس وكان مسيره في ربيع الاخر سنة ست
 وثلاثين ولما وصل علي إلى ذي قار لقيه أمير البصرة عثمان بن حنيف وأخبره الخبر فقال علي ان الناس
 وليهم قبلي رجالان فعلا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا في حقه وفعلوا ثم بايعوني وبايعني طلحة
 والزبير ثم نكثوا ومن الحبب انقيادها لابي بكر وعمر وعثمان وخلافه ما على والله انهم ما ليعلم اني لست
 بدون رجل ممن تقدم ثم سار علي يوم البصرة فيمن معه من أهل المدينة وأهل الكوفة وانضم إلى عاثشة
 وطلحة والزبير جمع آخر والتقوا فكان يقال له الخريبة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس
 النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ولما تراء الجمعان خرج طلحة والزبير وجاءهم علي حتى
 اختلفت أعناق دوابهم فقال علي لقد أعددتكم أسلحا وخيلا ورجالا ان كنتم أعدتكم عند الله عذرا لم أكن
 أخا كما في دينكم كما تحرم من دمي وأحرم دمكم فهل من حدث أحل لكم دمي قال طلحة البتة علي عثمان قال
 علي يومئذ يوفيه الله دينهم الحق فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أما بايعتني قال والسيف على عنقي ثم قال
 للزبير أتدكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنه وأنت له ظالم قال اللهم نعم ولو ذكرت ذلك
 أقبل مسيري ما سرت والله لا أقاتلك أبدا واقتربوا وكان علي رضي الله عنه قد بعث إليهم قبل اللقاء
 القعقاع بن عمرو التميمي وأمره ان يشير بالصلح ما استطاع فقدم القعقاع على عاثشة أولا وقال أي أماء
 ما أشخصك قالت أريد الاصلاح بين الناس قال فابعثني إلى طلحة والزبير فاسمعي مني ومنهم ما فبعثت
 إليهم ما فجاء فقال لهما القعقاع اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح فقال طلحة والزبير
 كذلك هو قال القعقاع فاخبراني ما هو قال قتلة عثمان فان تركهم ترك القرآن قال فقد قتلتم منهم عددا
 من أهل البصرة يعني حين قاتلوا أميرها عثمان بن حنيف قال وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم
 حرقوا من زهير فقتله ستة آلاف فان قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمع ربيعة ومضر على حربكم فان الاصلاح
 قالت عاثشة فاذ تقول أنت قال هذا الامر دواؤه التسكين فاذا سكن الامر اختلجوا أي أخذوا على غرة
 فقالوا قد أصبت وأحسن فارجع إلى علي فان كان علي مثل رأيك صلح الامر فارجع القعقاع إلى علي
 فاعجبه وأشرف القوم على الصلح وعلم بذلك جماعة ممن كان سعي في قتل عثمان أو رضي به فقالوا ان يصططح
 هؤلاء في دماءنا يصططحون ثم تعاقدوا على انهم اذا التقوا يجيش عاثشة وطلحة والزبير أنشبوا القتال
 حتى يشتغل الناس عما عزموا عليه من الصلح فكان كذلك فانه لما كانت صبيحة الليلة التي اجتمع فيها علي
 بطلحة والزبير غلس أولئك المتعاهدون على انشاب الحرب وما يشعرونهم أحد وصمدت مضر منهم
 إلى مضر وربيعة إلى ربيعة واليمن إلى اليمن فوضعوا فيهم السلاح على حين غفلة فثار الناس وتسابقوا
 إلى خيولهم وزحف البعض إلى البعض واشتبهت الحرب فكانت الواقعة العظمى المعروفة بوقعة الجمل
 يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور أعني جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل طلحة في المعركة
 والزبير وهما راجعا إلى المدينة وعقرا الجمل الذي كانت عليه عاثشة وأمر علي رضي الله عنه بنقل هودجها
 إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي ونادى منادى علي يوم الجمل وكذا يوم صفين ألا في أن لا تتبعوا مديرا
 ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ثم صلى على القتلى من الجانبين وأمر بالاطراف فدققت في قبر عظيم
 وجع ما كان في العسكر من الاتاث وبعث به إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه الا سلاحا
 عليه ميسم السلطان وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة آلاف منهم من ضربة الفرس جل وبلغ

عليان بعض الغوغاء عرض لعائشة رضي الله عنها بالقول السيء فاحضر البعض منهم وأوجعهم ضرباً ثم جهزها إلى المدينة بما احتاجت إليه وبعث معها أخاها محمد بن أبي بكر في أربعين امرأة من نساء البصرة اختارهن لمرافقتها وجاء يوم ارتحلها فودعها واستعقب لها واسم تعبت له ومشى معها أميالاً وشيعها بنوه مسافة يوم وذلك غرة رجب فذهبت إلى مكة وأقامت بهم حتى حجت تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة واستعمل على رضي الله عنه على البصرة عبد الله بن عباس وسار إلى الكوفة فنزل بهم وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ولم يبق خارجاً عن طاعته إلا أهل الشام وأميرهم معاوية بن أبي سفيان فبعث إليه على رضي الله عنه جريز بن عبد الله البجلي يأمره بالدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار فلما قدم جريز على معاوية ما طله حتى قدم عليه عمرو بن العاص من فلسطين فاستشاره فأشار عليه بترك البيعة والطلب بدم عثمان وإن يقاتل معه على أنه إذا ظفر ولاه مصر فأجابته معاوية إلى ذلك ورجع جريز إلى على رضي الله عنه بالخبر فسار على من الكوفة قاصداً معاوية ومن معه بالشام وقدم عليه عبد الله بن عباس ومن معه من أهل البصرة فقال على رضي الله عنه

لا يصبح العاص وابن العاص * سبعين ألفاً قدى النواصي

مجنين الخيل بالقلاص * مستحقين خلق الدلاص

وسار معاوية ومعه عمرو بن العاص وأهل الشام من دمشق يريد علياً وتأنى معاوية في مسيره وخرجت سنة ست وثلاثين ودخلت سنة سبع بعدها فاجتمع الجيشان بصفين وتراسلوا وتدعوا إلى الصلح فلم يقض الله بذلك وكانت حرب يسيرة بالنسبة لما بعدها ولم يدخل صفرو وقع بينهما القتال فكانت وقعات كثيرة بصفين يقال إنها تسعون وقعة وكانت مدة مقامهم على الحرب مائة يوم وعشرة أيام وعدة القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً منهم ستة وعشرون من أهل بدر وكان على رضي الله عنه قد تقدم إلى أصحابه أن لا يقاتلوهم حتى يبدؤهم بالقتال وأن لا يقتلوا مدبراً ولا يكشفوا عورة ولا يأخذوا من أموالهم شيئاً وقاتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع علي قتيلاً عظيماً وكان عمره قد نيف على تسعين سنة وكانت الحرب في يده ويده ترتعد فقال هذه راية قاتلت بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة ودعا بقدر من لبن فنرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الإحبه محمد وأحزبه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آخر رزقي من الدنيا ضيعة لبن وروى أنه كان يرتجز نحن قاتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

ولم يزل عمار يقاتل ذلك اليوم حتى استشهد رضي الله عنه وفي الصحيح المتفق عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويح عمار تقتله الفئة الباغية وبعد قتل عمار رضي الله عنه انتخب على اثني عشر ألفاً بعد أن روى لهم حديث عمار ووجهل بهم على عسكر معاوية فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض ثم نادى يا معاوية على مقتله الناس بيننا هم أحاكمك إلى الله فابتاعوا قتل صاحبه استقام له الأمر فقال له عمرو ابن العاص انصفك فقال معاوية لكنك ما أنصفت ثم تقاتلوا ليلة الهرب رثبت بليلة القادسية وكانت ليلة الجمعة واستمر القتال إلى الصباح وكان على يسير بين الصفوف ويحرض كل كتيبة على التقدم حتى أصبح والمركة كلها خلف ظهره (وروى) أنه كبر تلك الليلة سبع مائة تكبيرة وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلاً كبيراً ودأب القتال إلى ضحى يوم الجمعة وقاتل الأشتر النخعي قتلاً عظيماً حتى انتهى إلى معسكرهم وقتل صاحب رأيته وأمدّه على بالرجال فلما رأى عمرو شدة الأمر قال لمعاوية مر الناس يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم فاقبلوا ذلك ارفع عنا القتال وإن أبي بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة ففعلوا ذلك فقال الناس نحيب إلى كتاب الله فقال على يا عباد الله امضوا على حقكم في قتال عدوكم فإن

غراومعاوية وابن أبي معيط وابن أبي سرح والفضالك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم
منكم ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ومكيدة فقالوا لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فلا نقبل فقال علي
انما قاتلناهم ليدينو ايكاب الله فانهم نبذوه فقال جماعة من القراء الذين صاروا خوارج يا علي أجب الى
كتاب الله ولا دفعناك برمتك الى القوم أو فعلنا بك ما فعلنا ببن عصفان فقال علي رضي الله عنه ان تطيعوني
فقاتلوا وان تعصوني فافعلوا ما بداركم وأخر الامر انهم اتفقوا على ان يحكموا رجلين من الجانبين
وما حكم به عليهم صاروا اليه فاختر أهل الشام عمرو بن العاص داهية العرب واختار أهل العراق
أبا موسى الاشعري بعد مراجعات وقعت بين علي وبينهم واجتمع الحكمان عند علي لتكتب القضية
بحضوره فكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تناقضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال عمرو
ابن العاص انما هو أميركم وليس هو بأميرنا فقال الاخنف لأمير المؤمنين وقال الاشعث
أمحها فقال علي الله أكبر سنة بسنة والله اني لكاتب القضية يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله فقالت
قريش لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أيك فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضوه
فقلت لا أستطيع قال فانيه فانيه اياه فحاه بيده فقال لي انك ستدعي الى مثاها فتجيب ثم كتب
الكتاب هذا ما تناقضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي بن أبي طالب الكوفة
ومن معهم وقاضي معاوية علي أهل الشام ومن معهم اننا نزل عندكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره
وان كتاب الله بيننا من فاتحه الى خاتمه نحي ما أحيا ونميت ما أمات فأوجد الحكمان في كتاب الله
وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ومالا لم يجد في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة
غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين اليهود والموانيق انهم ما آمنان على أنفسهم
وأهلهم والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله
وميثاقه ان يحكما بين هذه الأمة ولا يورداها في حرب ولا فرقة وأجلا القضاء الى رمضان من السنة
وان أحبا ان يؤخر ذلك أخره وان مكان قضيتهم مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام وشهد رجال
من أهل العراق ورجال من أهل الشام ووضعوا خطوطهم في الصحيفة ودعى الاشتر النخعي ليشهد فقال
لا هبتي عيني ولا نفعتني بعدها ثم الى ان وضع لي فيها اسم وكتب الكتاب في يوم الاربعاء ثلاث عشرة
ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين وعينوا موضع الحكم بدومة الجندل فوق الاجتماع لاجل المذكور
(وحاصل ما كان من ذلك) ان الحكمين اتفقا على خلع علي ومعاوية ويكون الامر شورى بين الناس
حتى يختاروا من يقدمونه للامر وقدم عمرو بن العاص أبا موسى علي نفسه في الكلام فتكلم أبو موسى
على رؤس الناس بما اتفقا عليه من خلع علي ومعاوية حتى ينظر الناس لانفسهم فلما سكت أبو موسى
قام عمرو فقال أيها الناس ان هذا قد خلع صاحبه وقد خلعت كما خلعه وأثبت معاوية فهو ولي ابن عصفان
وأحق الناس بعمامة فكذب أبو موسى وتنازعا وتشتاما ومرج أمر الناس ولم يحصلوا على طائل وانسل
أبو موسى الاشعري الى مكة فاقام بها ولم يرجع الى علي حياء منه ومضى عمرو بن العاص في أهل الشام
فسلموا على معاوية بالسلامة لافقه ولا م على أصحابه فيما كان منهم من عصيانه أولا واتخذاهم لاهل الشام
آخره وقال فيما قال كائنوا ياكم كما قال أخو جشم

أمرتهم أمري بمن خرج اللوا * فلم يستبينوا الرشدا لاضحى الغد

وقال ان هذين الحكمين اللذين اخترتموهما تر كاحكم الله وكم ما بهوى النفس واختلغا في حكمهما
فلم يرشدهما الله فتأهبوا للجهاد واستعدوا للسير وأصبح علي رضي الله عنه غاديا يريد الشام في ثمانية وسبعين
ألفا وكانت الخوارج قد خرجوا عليه واعتزلوه وقالوا احكمت الرجال في دين الله ولا حكم الله وبلغه ان
الخوارج قد اجتمعوا بالنهر وان وتعاهدوا على حرب المسلمين ثم بلغه ان خوارج البصرة لقوا عبد الله

ابن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من النهر وان فعر فهم بنفسه فسأله عن أبي بكر
 وعمر فأتني خيرا ثم عن عثمان في أول خلافته وآخرها فقال كان محقا في الأول والاخر فسأله عن
 علي قبل التحكيم وبعده فقال هو أعلم بالله وأشد توقيا على دينه فقالوا انك توالي الرجال على أسمائهم
 ثم ذبحوه وبقر واطن امرأته وقتلوا معها ثلاث نسوة من طي ومن عجيب أمرهم انهم لقوا مسلما
 ونصرا نيا فقتلوا المسلم وقالوا احفظوا ذمة نبيكم في النصراني فسار اليهم على رضى الله عنه وأرسل اليهم
 ان ادفعوا قتلة اخواننا منكم فتكف عنكم حتى نلقى أهل المغرب فعمل الله بركم الى خير فارسلوا اليه
 كلنا قد قتلهم وكلنا يستحل دماءكم فأتاهم على رضى الله عنه فقال أيتها العصابة التي أخرجها المرء من
 الحق الى الباطل وأصبحت في اللبس والخطب العظيم اني نذير لكم ان تصبحوا تلقاكم الامة غدا صرعى
 بانحاء هذا النهر بغير بينة منكم ولا برهان ألم تعلموا اني قد نهيتكم عن الحكومة الى وأخبرتكم ان القوم
 انما طلبوها خديعة فعضيتوني وخلصوني على ان حكمت ولما حكمت شرطت وأخذت على الحكمين
 ان يحيا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات فانقلبوا وحكا بغير حكم الكتاب فنبذنا أمرهم وأضغن على أمرنا
 الأول فما الذي أصابكم ومن أين أتيتم قالوا احكمنا وكننا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبنا فخن قومك
 والا فاعتزلنا ونحن نشأ بذلك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فقال على رضى الله عنه صيحكم صاحب
 ولا بقي منكم واذ بعد ايعاني برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادى في سبيل الله وهجرنى مع رسول الله
 أشهد على نفسي بالكفر قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين يجوز وى به انه لما كلمهم واحتج عليهم تنادوا
 لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهموا للقاء الرب والروح الى الجنة فخرج على رضى الله عنه فعبأ
 الناس ممنة وميسرة ووقف هو في القلب في مضر وجعل على الخيل أبأ يوب الانصارى وعلى أهل
 المدينة وكانوا سبع مائة قيس بن سعد بن عبادة وعبأت الخوارج على نحو هذه التعيسة ورفع على رضى
 الله عنه مع أبي أيوب الانصارى راية الامان فنادى أبو أيوب من أتى هذه الراية ولم يقاتل ولم يستعرض
 فهو آمن ومن انصرف الى الكوفة أو المدائن فهو آمن ومن انصرف عن هذه الجماعة فهو آمن فاعتزل
 فروة بن نوفل الاشجعي في خمسمائة وقال أعتزل حتى يتضح لي الامر في قتال على قتل الدسكرة وخرج
 آخرون الى الكوفة ورجع آخرون الى على رضى الله عنه وكانوا أربعة آلاف فبقي منهم ألف وثمانمائة
 فعمل عليهم على والناس وزحفوا هم الى على رضى الله عنه ينادون الروح الروح الى الجنة فاستقبلتهم
 الرماة وعطفت عليهم الخيل من المجنبتين ونهض اليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلهم في ساعة واحدة
 كما تم اقبل لهم موتوا فأتوا وكان جملة من قتل من أصحاب على رضى الله عنه سبعة نفر فطلب على رضى
 الله عنه المخرج في القتلى فلم يوجد فقام رضى الله عنه وعليه أثر الحزن لفقده فأنهى الى قتلى بعضهم فوق
 بعض فقال افرجوا فخرجوا يميننا وشمالا فاستخرجوه فقال الله أكبر والله ما كذبت على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وانه لنا قص اليه ما فيها عظم طرفها مثل ندى المرأة عليها خمس شعرات أو سبع
 رؤسها معقفة ثم قال اثبتوني به فنظر الى منكبه فاذا اللحم مجتمع على منكبه كندى المرأة عليه شعرات
 سود اذا مدت اللحم امة بنت حتى تحاذى بطن يده الاخرى ثم ترك فتعود الى منكبه فقال أصحاب على
 رضى الله عنه قد قطع الله دابرهم آخر الدهر فقال على والذي نفسي بيده انهم لفي أصلاب الرجال وأرحام
 النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعد هاهنا حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة يقال لهم الشعط
 فيخرج اليهم رجل منا أهل البيت فيقتلهم فلا تخرج لهم بعدها خارجة الى يوم القيامة يجوز في الصحيح
 عن سويد بن غفلة قال قال على رضى الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فوالله
 لان آخر من السماء أحب الى من أن أكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب خدعة
 وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الاسنان سفهاء

الاحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فايتم القيتموهم فاقتلوههم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم ثم ان عليا رضى الله عنه ندب أصحابه الى غزو الشام فقتلوا عاييه ولما وصلوا الى الكوفة دخلوا الى بيوتهم وتركوا المعسكر خاليا ولمسأرى على ذلك دخل الكوفة ثم ندبهم ثانيا فلم ينقروا ثم ثالثا فلم ينشط منهم الا القليل فخطبهم وأغلظ في عقابهم وأعلمهم بحاله عليهم من الطاعة في الحق والنصح فقتلوا وسكتوا واستمر الحال الى ان استأثر به ربه وأراحه من شغهم وقبضه اليه ونقله الى كراءته وجنته سابق مضمار الايمان والهجرة والنصرة والتجدة والصبر والقربى والقناعة والجهاد والعلم والزهد رضى الله عنه (وكان من خبر وفاته) ان ثلاثة من الخوارج ممن شجوا من وقعة النهروان وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي وعمرو بن بكر التميمي السعدي والحجاج بن عبد الله التميمي الصريمي وياقوب البرك اجتمعوا بمكة فذكروا اخوانهم الذين قتلوا بالنهر وان وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس فقال ابن ملجم وكان من مصر أنا كفيكم عليا وقال البرك أنا كفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا كفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا أن لا يرجع أحد منهم عن صاحبه حتى يفتل له أو يموت دونه وتواعدوا السبع عشرة ليلة تقضى من رمضان من هذه السنة أعنى سنة أربعين وانطلقوا فاقى ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم الا انه جاء الى شبيب بن شجرة الاشجعي ودعاه الى الموافقة على شأنه فقال شبيب تكاتك أمك فكيف تقدر على قتله فقال أكر له في المصداقة فقتلناه والافهى الشهادة قال ويحك لا أجد في أن شرح لقتله مع سابقته وفضله قال ألم يقتل العباد المالحين أصحاب النهروان قال بلى قال فنقتله بمن قتله منهم فاجابه ثم اتى امرأة من تيم الرب فائقة الجمال اسمها قطام قتلت أبوها وأخوها يوم النهروان فخطبها ابن ملجم فشرطت عليه ثلاثة آلاف درهم وعبد اوقينة وأن يقتل عليه اوقات فان قتله شفيت النفوس والافهى الشهادة قال والله ما جئت الا لذلك ولك ما سألت وفي ذلك قيل

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المسمم

فلامهر أغلى من على وان غلا * ولاقتك الادون قتلك ابن ملجم

ثم قالت سأبعث معك من يشظهورك ويساعدك وبعثت معه رجلا من قومه اسمه وردان فلما كانت الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه فيها وكانت ليلة الجمعة جاء الى المسجد ومعه شبيب ووردان وجلسوا قبالة السدة التي يخرج منها الى الصلاة فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع في عضادة الباب وضربه ابن ملجم على قدم رأسه وقال الحكم لله يا على لا لك ولا لأصحابك وهرب وردان الى منزله وهرب شبيب فجلسا ونجا في غمار الناس وقبض على ابن ملجم فجى به مكتوبا الى على وقد حمل الى بيته فقال اى عدو الله ما حلك على هذا ثم قال ان هتكت فاقتلوه كما قتلنى وان بقيت رأيت فيه رأيي يا بنى عبد المطلب لا تعرضوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا الا قاتلى يا حسن ان أنامت من ضربتى هذه فاضربه بسيفه ولا تخش بال رجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم المنة وقال له جندب بن عبد الله أنبايع الحسن ان فقدناك فقال ما أمركم به ولا أنهاكم عنه أنتم أبصروا ما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض رضى الله عنه ولما قبض أخرج عبد الرحمن بن ملجم من السجن فقطع عبد الله بن جعفر يده ثم رجه ثم لسانه وكلفت عيناه بسمار محي وأحرق اعنه الله وأما البرك فوثب على معاوية تلك الليلة وضربه بالسيف فوقع في البيت وأخذ البرك فقال لمعاوية عندي بشرى أتفنى ان أنا أخبرتك بها قال نعم قال ان أخالى قتل عليها هذه الليلة فقال معاوية لعله لم يقدر عليه فقال بلى ان عليا ليس معه من يحرسه فقتله معاوية وقيل قطع يده ورجله وأقام الى أيام زياد فقتله بالبصرة وأما عمرو بن بكر التميمي فانه جلس تلك الليلة لعمر بن العاص فلم

يخرج عمر والى الصلاة لمرض أصابه واستتاب خارجة بن حذافة العدوي في الصلاة فشد عليه عمرو بن بكر وهو يظن انه عمرو بن العاص فقتله فلما أخذ نومه وأدخله على عمرو قال فن قتل اذا قالوا قتل خارجة بن حذافة فقال أردت عمر أو أراد الله خارجة فارسها مثلاً وأمر به عمرو فقتل ويرحم الله ابن عبدون اذ يقول وايتها اذ فدت عمر ابنا خوجة * فدت عليا بما شاءت من البشر (وكانت وفاة علي رضي الله عنه) صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين كما ذكرنا وكانت مدة خلافته خمس سنين الاثلاثة أشهر واختلف في موضع قبره فقيل دفن بمأبى قبلة المسجد بالكوفة وقيل عند قصر الامارة بها وقيل نقله ابنه الحسن الى المدينة ودقنه بالبقيع عند زوجة فاطمة رضي الله عنها (قال أبو الفداء) والاصح وهو الذي ارتضاه ابن الاثير وغيره ان قبره هو المشهور بالنجف وهو الذي يزار اليوم وفضائل علي رضي الله عنه ومناقبه في العدل وحسن السيرة أجل من أن يحاط بها من ذلك مشاهد المشهورة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤاخاته له وسبق اسلامه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه وقوله عليه الصلاة والسلام يوم خير لا بعثن الا اية غدام مع رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقوله عليه الصلاة والسلام له أما ترضى أن تكون مني بئزلة هرون من موسى وقال صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي والقضاء يستدعي معرفة أبواب الفقه كلها بخلاف قوله عليه السلام أفرضكم زيدوا قروكم أبي ولم يضع رضي الله عنه لبننة على لبننة حتى لقي الله وكان يقسم مافي بيت المال كل جمعة حتى لا يترك فيه شيئاً ودخل مرة بيت المال فوجد الذهب والفضة فقال يا صفراء اصفري ويا بيضاء ابيضى وغري لا حاجة لي فيك **ووروي** ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده الى مجمع التيمي ان علياً رضي الله عنه قسم مافي بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكفس ثم صلى فيه وجاء أن يشهد له يوم القيامة **ووروي** أيضاً بسنده الى عاصم بن كليب عن أبيه قال قدم علي على مال من أصهاران فقسمه سبعة أسباع ووجد فيه رغياف قسمه سبع كسرو وجعل على كل جزء كسرة ثم أقرع بينهم أبهم يعطى أولاً قال ابن عبد البر وأخباره رضي الله عنه في مثل هذا من سيرته لا يحيط بها كتاب ويرحم الله من قال

أحسن من عود ومن ضارب * ومن قناة ناهد كعاب
ومن مدام في قواريرها * يسعى بها ساق الى شارب
ومن جباد الخيل في مهمه * وضارب يسطو على ضارب
أحسن من ذلك وهذا وذا * حب علي بن أبي طالب
لوقت شوا قلبي لالفوا به * سطرين قد خطا بلا كاتب
العلم والتوحيد في جانب * وحب آل البيت في جانب
ان كنت فيما قلته كاذباً * قلعة الله على الكاذب

ولما توفي علي رضي الله عنه بايع الناس ابنه الحسن رضي الله عنه وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له ابسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال الملحدين فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله ويأتينان علي كل شرط ثم بعد ذلك نزل معاوية عن الامير في خبر طويل نذكر منه مافي الصحيح فعن الحسن البصري رحمه الله قال استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكاتب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص اني لا رى كائب لا تولى حتى تقتل أقرانها فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين اي عمرو ان قتل هؤلاء هؤلاء هؤلاء ففن لي بأموال الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم فبعث اليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز فقال اذهبوا الى هذا الرجل فاعرضوا عليه وقولاه واطلبوا اليه فأتياه فدخلا عليه فتكأما وقالاه وطلبا اليه فقال لهما الحسن بن علي

رضي الله عنه ما انابني عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الامة قد عانت في دماءها قالافانه
يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال فن لي بهذا قال نحن لك به فاسأله ما شيا الا قال لا نحن
لك به فمالحه قال الحسن البصري رحمه الله ولقد سمعت أبا بكره يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم على المنبر والحسن بن علي الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول ان ابني هذا سيد
ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وهاهنا فائدتان (الاولى) هذه الحروب التي وقعت
بين الصحابة رضي الله عنهم فحملها الاجتهاد كاقدمه منا والذب عن الدين وكان الناس من السذاجة في الدين
والتمسك به على ما عهد منهم فكانوا اذاروا وما يظنونه منكرا غيروه ولو باتلاف مذهبهم الا انه لم كان
منهم المجتهد المصيب وهو ذو الاجرين كافي الحديث ومنهم المجتهد المخبط وهو ذو الاجر الواحد كافي الحديث
أيضا وكان علي رضي الله عنه مصيبا في جميع أموره من أوله الى آخره فعلى العاقل المختلط لدينه أن يظن
بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الظن الجليل ويعمل بوصيته فيهم اذ قال عليه الصلاة والسلام الله
الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم الحديث
واياي واياه ان يخرج من زكاهم الله تعالى بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وزكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله خير القرون قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم اللهم احشرنا في زمرة منهم وأمتنا على سنتهم وطريقتهم يا أكرم الاكرمين
ويا أرحم الراحمين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
ربنا انك رؤوف رحيم (الفائدة الثانية) أطبق السلف على ان ترتيب الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم
في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة وذهب بعض السلف الى تقديم علي علي عثمان ومن قال به سفيان
الثوري لكن قيل انه رجع عنه وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة الافضل بعد النبي صلى الله عليه وسلم
علي بن أبي طالب والحق هو القول الاول وهل التفضيل بين الخلفاء قطعي أو ظني فالذي مال اليه
الاشعري وهو الاول والذي مال اليه القاضي أبو بكر الباقلاني واختاره امام الحرمين في الارشاد هو
الثاني وعبارته لم يقم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الائمة على بعض اذ العقل لا يدل على ذلك والاخبار
الواردة في فضائلهم متعارضة ولكن الغالب على الظن ان أبا بكر أفضل الخلفاء لائق بعد الرسول صلى الله
عليه وسلم ثم عمر أفضاهم بعده وتتعارض الظنون في عثمان وعلي وهاهنا انتهى بنا القول فيما قصدناه
من التبرك بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر خلفائه الاربعة رضي الله عنهم وانرجع الى ما نحن
بصدده من ذكر أخبار المغرب الاقصى مقدمين القول أولا في بيان نسب البربر وبيان حالهم قبل
الاسلام وبعده على الجمل لتخصيص بعده للقصور والله تعالى يعصمنا من الزلل بمنه وكرمه

في القول في نسب البربر وبيان أصلهم

اعلم ان الناس اختلفوا في تحقيق نسب البربر والى أي أصل من أصول الخليفة يرجعون فذكر صاحب
كتاب الجمان في أخبار الزمان ونقله عن أهل العلم بالسيران بنى حام تنازعوا مع بني سام فانهزم بنو حام
أمامهم الى المغرب وتناشوا به واتصلت شعوبهم من أرض مصر الى آخر المغرب الى تخوم السودان وكان
بسواحل المغرب الاقارقة والافرنج فكانت ذرية حام في المداشر والغمام والا عاجم الاول في البلدان
وبقي أكثر اولاد حام في بلاد فلسطين من أرض الشام الى زمن داود عليه الصلاة والسلام وكان ملكهم
يسمى جالوت فلما قتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه عما يشاء أمر باجلائهم من بلاد كنعان
وفلسطين الى أرض المغرب فصاروا نحو افريقية والزاب وانتشروا هنالك حتى ضاقت بهم تلك البلاد
وامتلأت منهم الجبال والكهوف والرمال وصاروا يتبعون مواقع القطر بالابل وبيوت الشعر ولم تقدر
الفرنج على ردهم ودفاعهم فانحازت الاعاجم للدين وبقي البربر فيما عدى المدن وهم مع ذلك على أديان

مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الاديان الفاسدة ففهم من تجسس ومنهم من تهود ومنهم من تنصر واستمر وأعلى ذلك الى زمان الاسلام وكان فيهم رؤساء ومولوك وكهان ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم من الامم (وقال الطبري وغيره) ان البربر اخلط من كنعان والعماليق وغيرهم فلما قتل داود جالوت تفرق قوافي البسلام (وقال السكابي) اختلف الناس فيمن اخرج البربر من الشام ف قيل ل داود بالوحى قيل ل داود اخرج البربر من الشام فانهم جذام الارض وقيل ل يوشع بن نون عليه السلام وقيل ل افريقش الحيرى واختلف في افريقش هذا فقال المسعودى هو افريقش بن ابرهة ذى المنار أحد التابعين المشهورين (وقال ابن خزم) هو افريقش بن قيس بن صيفي أخو الحرث الرائي من بني كنعان وهو الذي ذهب بقبائل العرب الى افريقية وبه سميت وساق البربر اليها من أرض كنعان من بها عند ما عليهم يوشع ابن نون وقتلهم فاحتمل الغل منهم وساقهم الى افريقية فارتحلهم بها وقتل ملكها جرجير ويقال انه الذي سمي البربر بهذا الاسم لانه لما فتح المغرب وسمع وطانتهم قال ما أكثر بربرتهم فسموا البربر والبربرة في لغة العرب اختلاط أصوات غير مفهومة ومنه بربرة الأسد وينسبون اليه في ذلك شعرا وهو قوله

بربرت كنعان لما سقتها * من بلاد الضنك للخصب الجيب
أى أرض سكنوها ولقد * فازت البربر بالعيش الخصب

ولما قتل افريقش من غزو المغرب ترك هناك حامية من قبائل حيرصنهاجة وكنانة فهاجروا الى الان وليسوا من نسب البربر قاله الطبري والجرجاني والمسعودى وابن السكابي والسيهيلي وجميع النسابين من العرب (وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد له) اختلف الناس في نسب البربر اختلافا كثيرا وانسب ما قيل فيهم انهم من ولد قبط بن حام وانه لما نزل مصر خرج بنوه يريدون المغرب فسكنوا من آخر جمالة مصر وذلك فيما وراء برقة الى البحر الا خضر مع بحر الاندلس الى منقطع الرمل متصلين بالسودان وقيل ان البربر صنفان البرانس والبتر وان البتر منهم من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر واختلفوا في توجيه ذلك فقال الطبري خرج بر بن قيس بن عيلان ينشد ضالته يا حياء البربر فرأى جارية منهم فخطبها من أيها وتروجها فولدت له (وقال في كتاب الجمان) وأما تسميتهم بالبربر فانه لما صار ملك مضر لقيس بن عيلان كان له ولد اسمه بر فخرج مغاضبا لبيه واخوته الى جهة المغرب فقال الناس بر بر أى توحش في البرارى فسموا بربرا ونقل ابن أبي زرع وابن خلدون عن النسابين من البربر وحكاها أيضا البكري وغيره انه كان لمضر بن نزار ولدان الياس وعيلان أمهم ما الر باب بنت حيدة بن عمرو بن معد بن عدنان فولد عيلان ابن مضر ولد بن وهما قيس ودهمان ابنا عيلان أما دهمان فولد قليل وهم أهل بيت من قيس يقال لهم بنو امامة وأما قيس بن عيلان فولد أربعة بنين وجارية وهم سعد وعمر وخصفة أمهم مزنة بنت أسد ابن ربيعة بن نزار ثم بر وأخته عاضرة أمهم ما عترى بن يثرب بن عمرو بن مسمود البربري الجذولى وكانت قبائل البربر اذ ذاك يسكنون الشام ويجاوون العرب في المساكن والاسواق والمساعى ويشاركونهم في المياه والمسارح والمراعى ويصاهر بعضهم بعضا وكانت البهاء بنت دهمان بن عيلان ابن مضر من أجل نساء زمانها وكلهن ظرفا وأديا فكثر خطابها من سائر قبائل العرب فقال بنو عمارا وهم عمرو وسعد وخصفة وبر لا يتزوج ابنة عمنا الا أحدنا ولا نتخرج منا الى غيرنا فخيروها فممن شئت منهم فاختارت برا وكان أصغرهم سنا وأكلهم شبابا فتزوجها دون اخوته فسدوه عاها وهو ابنة له من أجلها وكانت أمه عترى من دهانة النساء فبعثت الى أبيها دهان وأعلمته الخبر ووطأته على الخروج بولدها الى أرض قومها من البربر حيث تأمن عليه ثم بعثت الى قومها فأقوتها سرا فأزاحت معهم هي وولدها بر وكنيتها البهاء بنت دهان فلحقوا ببلاد البربر وهم يومئذ مستوطنون فلسطين ويا كناف الشام قتل بر على أخواله واعتز بهم وبني بانية عمه البهاء فولدت له هناك ولدين علوان ومادة قيس ابن بر بن قيس

ابن عيلان فاما علوان فبات صغيرا ولم يعقب وأما ماد غيس فكان يلقب الابتر وهو أبو البتر من البربر
واليه يرفعون أنسابهم ومن ولده جميع زناته كما سيأتي ويؤمنون ان عاصرا أخت بر بكتة بعد فرقة
بشعر تقول فيه لتبسك كل باكية أخاها * كما أبكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته قاضى * ودون لقائه انضاء عفس
وعما ينسب اليها أيضا قولها

وشطت ببر داره عن بلادنا * وطوح بر نفسه حيث عما
وأزوت ببر لكنة أجمية * وما كان بر في الحجاز بأجمها
كانا وير لم تنف ببيادنا * بنجد ولم تقسم نهابا ومغنا

وأشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلي

ألا أيها السامع لفارقة بيننا * توقف هذا لك الله سبل الاطايب
فاقسم انا والسبر ابر اخوة * تناوانا جد ذكر كرم المناسب
أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى * له حومة تش في غليل المحارب
وبر بن قيس عصبية ضرية * وفي الفرع من أحسابها والذوائب
فصن وهم ركن منيع واخوة * على رغم أعدا لثام المناقب

في أبيات غير هذه وينشد أيضا يزيد بن خالد يدح البربر قوله

أيها السائل عنا أصلنا * قيس عيلان بنو الغر الأول
نحن مانحن بنو بر الندى * طاردنا لزممة نحر الابل
قد بنى المجد فاورى زنده * وكفانا كل خطب ذي جلال
ان قيسا يعترى بر له * ولبر يعترى قيس الاجل
فلنا الفخر بقر قيس انه * جدنا الا كبر فكل الكبل
ان قيسا قيس عيلان هم * معدن الخير على الخير دل
حسبي البربر قومي انهم * ملكوا الارض باطراف الاسل

في أبيات آخر واعلم ان الخلاف في نسب البربر طويل وقد تركنا جملته اختصارا وأشبهه هذه الاقوال
بالحصة ما نقلناه أولا عما يدل على ان جيل البربر من ولد حام وانهم جيل قديم قد سكنوا المغرب عندما تناسلت
ذرية نوح عليه السلام وانتشرت الخليقة على وجه الارض ثم تلا حقت بهم بقية بني كنعان من الشام
عندما أجلاهم يوشع بن نون عليه السلام أولا ثم داود عليه السلام ثانيا * قال ابن خلدون * بعد تزييف
القول بان البربر من ولد جالوت بالخصوص أو من العرب مانصه والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره
في شأنهم انه من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وان اسم أبيه م مازيغ اه وعما يستملح من
النوادير المقلولة في نسب البربر قول خلف بن فرج السمسير من شعراء الاندلس * حو البربر
رأيت آدم في نوى فقلت له * أبا البرية ان الناس قد حكموا

ان البربر نسل منك قال اذا * حواء طالق ان كان الذي زعموا

وهذا من ملح الشعراء وشيطنتهم والا فالبربر جيل معروف من أعظم الاجيال وأعزها ولهم الفخر الذي
لا يجهل والذي لا يهمل وقد تعددت فيهم الدول وكثرت فيهم الملوك العظام وكان لهم القدم الراسخ
في الاسلام واليد البينة في الجهاد ومنهم الأئمة والعلماء والاولياء والشعراء وأهل المزايا والفضائل
وستقف على كثير من ذلك عن قريب ان شاء الله

والقول في تقسيم شعوب البربر على الجملة

اعلم ان أمة البربر أمة عظيمة قدملائ ما بين برقة والبحر المحيط شرقا وغربا وما بين بلاد السودان والبحر
الروى جنوبا وشمالا ومع عظمها فيجمعها شعبان عظيمان بحيث لا يخرج بربرى عنهما (قال ابن خلدون)
علماء النسب متفقون على ان البربر يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس
بالابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وبين النساين خلاف هل هما لاب
واحد أم لا فعند ابن خزم انهما لاب واحد والجميع من نسل كنعان بن حام وقال سابق بن سليمان المطماطلى
وغيره من نساب البربر ان البرانس فقط من نسل كنعان * وأما البتر فهم بنو بر بن قيس بن عيلان بن مضر
وهذا القول قد تقدم ما فيه فالحق ان الشعبةين معا عريقان في البربرية وان الجميع من ولد مازيغ
ومازيغ هو من ولد كنعان بن حام كما مر * فاما البرانس فتقسم الى سبع قبائل أوربة وصنهاجة وكتامة
ومصمودة وعجيسة وأورينة واردة ويقال واردة بالواو بدل الهـ مزرة وزاد سابق المطماطلى وغيره
ثلاث قبائل أخرى وهم لطة وهسكورة وخزولة فتكون عشرا * فاما أوربة فكان منهم كسيلة بن اغرالاوربي
قاتل عقبة بن نافع رضى الله عنه زمان الفتح ومنهم اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي القائم بدعوة
ادريس بن عبد الله رضى الله عنه * وأما صنهاجة فهم أكبر قبائل البربر حتى زعم كثير من الناس انهم
مقدار الثلث منهم وكان منهم بنو زيري بن مناد ملوك افريقية والملقون ملوك مراكش والاندلس
(وأما كتامة) فهم القاعون بدعوة العبيد بين بافرريقية ومصر * وأما المصامدة فبنو غمارة وكان منهم يمان
النصراني صاحب سبتة وطنجة أيام دخول عقبة بن نافع للغرب الاقصى وهم القاعون أيضا بدعوة بنى
ادريس في دواتهم الثانية بعد بنى أبي العافية ومن المصامدة أيضا برغواطة أهل تامة سناوما اتصل بها
ومنهم أهل جبل درن القاعون بدعوة محمد بن تومرت مهدي الموحدين وأما باقي قبائل البرانس فلم يكن
لهم ملك يذكر وقد تقدم لنا ان النساين من العرب يقولون ان صنهاجة وكتامة من جبروان افريقش
الجبرى تركهم حامية بافرريقية فتناسلوا بها واستحال لسانهم الى البربرية لكن المحققون من نساب
البربر كسابق المطماطلى وغيره ينكرون ذلك ويجزمون بانهم ما قبلتان عربيتان في البربر * وأما البتر
وهم بنو مادغيس الابتر فينقسم شعبهم الى أربع قبائل وهم خريسة ونفوسة وأداسة وبنو لوى وهم
لواتة فاما خريسة فبنو مكناسة وبنو مدرار ملوك سجلماسة وبنو أبي العافية ملوك فاس
ومن خريسة أيضا زناتة كلها ومن زناتة جراوة قوم الكاهنة داهيا صاحبة جبل اوراس التي أوقعت
بحسان بن النعمان عامل الخليفة عبد الملك بن مروان ومن زناتة أيضا بنو خزر المغراوي ملوك تلمسان
والمغرب الاوسط ومنهم مغراوة ملوك فاس وبنو يفرن ملوك سلا وتادلا ومنهم بنو زيان ملوك تلمسان
و بنو مرين ملوك فاس أيضا فهو لاء كلهم من زناتة وزناتة هو زانان يحيى بن ضرى بن زحيك
ابن مادغيس الابتر * وأما نفوسة وأداسة ولواتة فلم يكن لهم ملك يذكر واعلم ان كل قبيلة من هذه القبائل
الاربعة عشرة تشتمل على عمار وبطون وأنفاذ وقصائل لا حصر لها وفيما ذكرناه كفاية وبالله التوفيق

والخبر عن حال البربر قبل الاسلام وذكر بعض أمصار المغرب القديمة وما قبل في ذلك

قد تقدم لنا ان البربر أمة قديمة سكنوا أرض المغرب في قديم الزمان وانهم لما همروا بالاداء وملؤا كفافه
انحازت الفرغ عنهم الى السواحل والثغور وبقي البربر فيما سوى ذلك من الضواحي والجبال
والكهوف وهم مع ذلك على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الأديان الفاسدة الى آخر ما مر
فهذا كان حالهم على الجملة * وقال ابن خلدون * لم تزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية
عامرة بهذا الجبل ما بين البحر الروى وبلاد السودان منذ أزمنة لا يعرف أولها ولا ما قبلها وكان دينهم دين
المجوسية شأن الا عجم كلها بالشرق والمغرب الا في بعض الاحياء يدينون بدين من غلب عليهم من الامم
فان الامم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم فقد غزتهم ملوك اليمن من قراهم مراراً الى ما ذكر

مؤرخوهم فاستكانوا الغلبهم ودانوا بدينهم (ذكر ابن الكلبي) ان حيرا ابا القبائل اليمانية ملك المغرب مائة سنة وانه الذي ابنتى مدائنه مثل افريقية وصقلية واتفق المؤرخون من العرب على غزو افريقس الحيرى من التبابعة أرض المغرب اه وما نقله عن ابن الكلبي من غزو حيرا أرض المغرب قد نقل أيضا انكاره عن الحافظين أبي عمر بن عبد البر وأبي محمد بن خزم وانهم ما قالوا كان الحير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ثم ذكر ان البعض من البربر كانوا قد دانوا بدين اليهودية وأخذوه عن بني اسرائيل عند استئصال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم كما كان جرادة أهل جبل اوراين قبيلة الكاهنة وكما كانت نفوسة من برابرة افريقية وفندلاوة ومديونة وبم لولة وغنيانة وبنو فزاز من برابرة المغرب الاقصى حتى محادريس الاكبر جميع ما كان في نواحيه من بقايا الاديان والممل وقال غير واحد من المؤرخين كان أهل المغرب الاقصى يضرون بأهل الاندلس لاتصال الارض بينهم ويلقون منهم الجهد الجهد في كل وقت الى ان اجتازهم الاسكندر فشكوا حالهم اليه فأحضر المهندسين وأتى الى الزقاق يعني زقاق سبتة فأمرهم بوزن سطح الماء من البحر المحيط والبحر الرومى فوجدوا المحيط يعالرومى بشئ يسير فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الرومى ونقلها من الحضيض الى الاعلى ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الاندلس من الارض فحفر حتى ظهرت الجبال السهلية وبني عليها حصن يفا بالجبل والجيار بناء محكما وجعل طوله اثني عشر ميلا وهي المسافة التي كانت بين البحرين وبني رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين فدخل في البحر الرومى ثم ارتفع الماء فاغرق مدنا كثيرة وأهلك أعما عظيمة كانت على الشطين وطمي الماء على الرصيفين باحدى عشرة قامة فأما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس فانه يظهر في بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرة يسمونه القنطرة وأما الرصيف الذي من جهة العدو فان الماء حمله في صدره واحتفر ما خلفه من الارض بنصواتني عشر ميلا وعلى طرفه من جهة المغرب قصر المجاز وسبتة وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد وجزيرة طريف بن مالك والجزيرة الخضراء وما بين سبتة والخضراء هو عرض البحر المسمى بالزقاق وبالبوغاز أيضا اه وما ذكروه من ان أرض المغرب كانت متصلة بأرض الاندلس نحوه في تواريج الفرنج القديعة غير انهم دعوى الملك الذي فتح البوغاز هو قول الجبار وعند ابن سعيد انه كان فيما بين قصر المجاز وطريف قنطرة عظيمة قد وصلت ما بين البرين يزعم الناس ان الاسكندر بناها ليعبر عايتها من بر الاندلس الى بر العدو والله تعالى أعلم بحقيقة الامر (وفي تواريج الفرنج المقطوع بحمتها عندهم) ان ملوك الروم الاولى حاربوا القرطاجنيين من أهل افريقية والمغرب وغلبوهم على البلاد وهدموا في بعض تلك الحروب مدينة قرطاجنة الشهيرة الذكر (قال الشيخ رقاعة في بداية القدماء مانصه) قرطاجنة مدينة بأرض افريقية وهي احدى مدن الدنيا الشهيرة وقد هدمها الروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة وست وأربعين سنة ثم أسست ثانية ونحوها العرب حتى انه لا يرى الا ن شئ من آثارها الا بقايا الجهد وبقرب موضعها مدينة تونس اه (وقال ابن خلدون) في كتاب طبيعة العمران حين تكام على قيادة الاساطيل مانصه وقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومى وكان أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في اساطيله ولما أسف من أسف منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى المغرب أجاز واليه في الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتزعوا من أيديهم أمرها وكان لهم في المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسببلة وجالولا ومرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبعث الاساطيل لحربه مشحونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين

حفاقيه معروفة في القديم والحديث انتهى **في** الفريخ اليوم جازمون بان مالوك الروم الاولى
 كانوا مستولين على أرض المغرب بأسرها قدم ملكوها مدة طويلة من الزمان قبل ميلاد المسيح عليه
 السلام بكثير وان الامصار القديمة بالمغرب مثل سبتة وطنجة وسلا وشالة ووليلي ونحوها هي من بناءهم
 أو بناء القرطاجنيين قبلهم ولقد قال لي بعض أهل الخبرة منهم ان مدينة سلا كانت موجودة في ذلك
 العصر وانهم رأوها مذكورة بهذا الاسم في تواريخ الروم القديمة المذكورة فيها أخبار المغرب وأمصاره
 وحقت عليه ذلك فخرم به ولم يرجع وما يقال من ان سبتة وسلا من بناء بعض أولاد نوح عليه السلام
 فقول بعيد عن الصحة نعم قد ذكر في التوراة عند الكلام على ذرية نوح وتنازلهم بالأرض انه كان منهم
 سبتة بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام ويبعد أن تكون المدينة من بناء هذا الرجل أو بناء بعض بني
 لبعد العهد وطول المدة وعدم نقل ذلك من وجه صحيح وان كانت أرض المغرب هي لأولاد حام من قديم
 الزمان والله أعلم * ولما أخذ الروم يدين النصرانية في زمن قسطنطين الملك وكانت لهم اليد العالمة على
 من جاورهم من الامم مثل الحبشة والقيط والفرنج والقوط وغيرهم جاورهم على الاخذ به فداؤا به معهم
 وتلقونه عنهم وبشوه في بلادهم ورعاياهم وكان الفرنج يجاورون للبربر في المغرب الادنى والقوط مجاورين
 لهم في الاقصى ايس بينهم وبينهم الاخليج البحر فحملوا أهل السواحل منهم على الاخذ بذلك الدين فداؤا به
 أديا وظهر القياس مرة يومئذ منسحب على الجميع وأمرهم نافذ في الكل واستمر الحال على ذلك حتى جاء
 الله بالاسلام وأظهره على الدين كله فدانت به البربر على ما نذكره ان شاء الله فلهذا السبب كان كسيلة
 الاوربي ويليان الغماري وغيرهما من كبار البربر نصارى **في** وقال ابن خلدون **في** كان للبربر في الضواحي
 وراء ملك الامصار المرهوبة الحامية ماشاء الله من قوة وعدة وعدد ومالوك ورؤساء وأقيال وأمرأه
 لا يرامون بذل ولا تنالهم الروم والفرنج في ضواحيهم تلك **في** خطه ولا اساءة ثم قال وكاؤا يؤدون الجباية
 لهرقل ملك القسطنطينية كما كان المقوقس صاحب مصر والاسكندرية وبرقة يؤدى الجباية له وكما
 كان صاحب طرابلس ولبيدة وصيرة وصاحب صقلية وصاحب الاندلس من القوط لما كان الروم
 قد غلبوا على هؤلاء الامم أجمع وعنه **في** أخذوا دين النصرانية وكان الفرنجة هم الذين ولوا أمر أفريقيا
 ولم تكن للروم فيها ولاية وانما كان كل من كان منهم مهاجرا **في** الفرنج ومن حشودهم وما يسمع في كتب
 لفتح من ذكر الروم في فتح أفريقيا **في** باب التغليب لان العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج وما قاتلوا
 في الشام الا الروم فظنوا انهم هم الغالبون على أمم النصرانية فان هرقل هو ملك النصرانية كلها فقبلوا
 اسم الروم على جميع أمم النصرانية ونقلوا أخبارا عن العرب كما هي فخرجوا المقتول عند الفتح من
 الفرنج وليس من الروم وكذا الامة الذين كانوا بأفريقية غالبين على البربر ونازحين عندها وحصونها
 انما كانوا من الفرنجة اه

في القول في تحديد المغرب وذكر حال البربر بعد الاسلام **في**

علم ان لفظ المغرب يطابق في عرف أهله على ناحية من الارض معروفة بعينها حدها من جهة مغرب
 لشمس البحر المحيط المعروف بالكبير ومن جهة مشرق الشمس بلاد برقة وما خلفها الى الاسكندرية
 ومصر فبرقة خارجة عن بلاد المغرب بهذا الاعتبار وبلاد طرابلس وما دونها الى جهة البحر المحيط داخله
 فيه وحدها من جهة الشمال البحر الرومي المتفرع عن المحيط ويعرف هذا الرومي بالصغير ومن جهة
 الجنوب جبال الرمل الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند العرب بالحالة هنالك بالعرق
في ثم هذا المغرب **في** يشتمل على ثلاث عمالك مملكة أفريقية وهي المغرب الادنى وقاعدتها في صدر الاسلام
 مدينة القيروان وفي هذا العصر مدينة تونس وسمى أدنى لانه أقرب الى بلاد العرب ودار الخلافة بالجَز
في ثم بعد أفريقية **في** مملكة المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وجزائر بني مزغنة وهذه المملكة اليوم في يد

فرج افرانسة ملكوها في سنة ست وأربعين ومائتين وألف وأهلها مسلمون ثم بعد ذلك ملكة المغرب
الاقصى وسمى أقصى لأنه أبعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة في صدر الاسلام وحده هذا الاقصى من
جهة المغرب البصر المحيط ومن جهة المشرق وادي ملوية مع جبال تازا ومن جهة الشمال البصر الرومي
ومن جهة الجنوب جبل درن قاله ابن خلدون وفي تقاسيم الفرج ان المغرب الأقصى يشتمل على خمس
عمالات عمالة فاس وعمالة مراكش وعمالة السوس وعمالة درعة وعمالة تافيلالت ودوا الملك به تارة
فاس وتارة مراكش وهو في الاغلب ديار المصامدة من البربر ويساكنهم فيه عوالم من صنهاجة
ومضغرة وأوربة وغيرهم لكنهم قليل بالنسبة الى المصامدة ويساكنهم فيه أيضا عوالم من العرب أهل
الخيام انتقلوا من جزيرة العرب الى أفريقيا ثم من أفريقيا اليه أو اخر المائة السادسة أيام الخليفة
يعقوب المنصور الموحدى وهم اليوم قبائل عديدة يرجعون في نسبهم الى رياح وجشم فأما رياح فهم
من بني هلال بن عامر بن صعصعة وأما جشم فهم بنو جشم بن معاوية بن بكر وكلهم ينتهي نسبهم الى
مضر ويضاف اليهم قبائل أخرى تحقق الكلام فيهم بعد هذا ان شاء الله ثم قد علمت ان كلامنا
بالقصد الاول في هذا الكتاب انما هو على المغرب الأقصى لكانت لكم أولا على أخبار المغرب مطلقا ونذكر
أمراء الوجهين من قبل الخلفاء بالمشرق على التفصيل ما دام تطرهم منسجبا عليه وظلمهم عتدا اليه
اذ كان أمر الخلافة في صدر الاسلام متحد او حكمها مجتمعوا وكلتها نافذة في جميع ممالك الاسلام شرقا
وغربا بحيث لا يخرج قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار فيما بعد أو دنيا من الارض عن نظر الخليفة
الا عظم وقد كان ذلك دينا متبعها وحكما مجتمعها عليه ولا تصح لاحد اماره أو ولاية الا بالاستناد اليه حتى
اذا طال العهد وضعف أمر الخلافة وتقلص ظلها عن القاصية تفرقت ممالك الاسلام البعيدة عن
دارها وتوزعت الثوار من بني هاشم وغيرهم واستبدت الامراء النازحون عنها كل بما غلب عليه وصار أمر
الوحدة الى الكثرة وحكم الاجتماع الى الفرقة فلهذا نتكلم الآن على أخبار المغرب مطلقا ونذكر ولاته
الوجهين اليه من قبل الخلفاء واحد بعد واحد الى زمن ادريس بن عبد الله المستبد بممالك المغرب الأقصى
والمقطوع له عماء عداه من الممالك الاسلامية فحينئذ نورد الكلام عليه بخصوصه على ما شرطناه
فاما الآن فلا يمكننا الكلام عليه وحده لانه والحالة هذه مندرج في غيره من ممالك المغرب اذ والى
الموجه من قبل الخليفة في صدر الاسلام كان يكون واليا على أفريقيا وما بعدها من بلاد المغرب الى البحر
المحيط وقد تضاف الى نظره الاندلس بل كان واليا بمصر قد يكون نظره شاملا لجميع بلاد المغرب حسبما
تقف عليه فاعرف هذه الجملة ولتكن منك على بال وأما حال البربر بعد الاسلام فيعرف من أخبار
الولاة التي نمردها الآن وبالله التوفيق

في ولاية عمرو بن العاص رضي الله عنه وقبحة برقة وطرابلس

لما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية
وفرغ منهم سار في سنة احدى وعشرين من الهجرة الى برقة وكانت تسمى في القديم انطا بلس فصالحه
أهلها على الجزية ثم سار بعدها الى طرابلس فحاصرها شهرا وكانت مكشوفة السور من جانب البحر
وسفن الروم في مرساها فحسر الماء في بعض الايام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين لها
فاقتحموا البلد فمابين البصر والبيوت فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم وارتفع الصباح فأقبل عمرو
بعساكره فدخل المدينة ولم يغلب الروم الا بما خف في المراكب ثم عطف عمرو رضي الله عنه على مدينة
صبرة وكانوا قد آمنوا بجمعة طرابلس واشتغال المسلمين بحصارها فصحبهم في جيش المسلمين واقتحمها
عليهم عنوة وكل الفتح ورجع عمرو الى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر
أهل برقة لواتة وهم بنو لوى الأكبر وأكثر أهل طرابلس وصبرة نفوسة وكلتا القبيلتين من البتر

ولما فرغ عمرو رضي الله عنه من أمر طرابلس ومامعها استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التقدم إلى أفريقيا فنتعه وقال تلك المفرقة وليست بأفريقية أو كلاهما هـ ذامعناه فامتثل وعاد إلى مصر فكان عمرو بن العاصي أول أمير للمسلمين وطشت خيله أرض المغرب لكنه لم يصل إلى أفريقيا ولا كان من البربر إلا مغيران صاحب كتاب الجان نقل أنهما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستغثت مدينة مصر وكان عليها عمرو بن العاصي قدم عليه ستة نفر من البربر محلقين الرؤس والليحي فقال لهم عمرو ما أنتم وما الذي جاءكم قالوا رغبنا في الإسلام فخشنا له لأن جدودنا قد أوصونا بذلك فوجههم عمرو إلى عمر رضي الله عنهما وكتب إليه بخبرهم فلما قدموا عليه وهم لا يعرفون لسان العرب كلهم الترجان على لسان عمر فقال لهم من أنتم قالوا نحن بنو مازن بن قيس فقال عمر لساننا هل سمعتم قط بهم ولا فقال شيخ من قريش يا أمير المؤمنين هؤلاء البربر من ذرية بر بن قيس بن عيلان خرج مغاضبا لآبيه وأخوته فقالوا بربر أي أخذ البرية فقال لهم عمرو رضي الله عنه ما علامتكم في بلادكم قالوا نكرم الخيل ونهين النساء فقال لهم عمر ألكم مدائن قالوا لا قال ألكم أعلام تهتدون بها قالوا لا قال عمر والله لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فنظرت إلى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر لا تحزن فإن الله سبحانه عز هذا الدين يقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق ثم قال عمر فالحمد لله الذي من على برؤيته ثم أكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه وكتب إلى عمرو بن العاصي أن يجعلهم على مقدمة المسلمين وكانوا من أنحاذشي اه والله أعلم

بولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وفتح أفريقيا هـ

لما كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاصي عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أخاه من الرضاعة وأمره بغزو أفريقيا سنة ست وعشرين من الهجرة وقال له إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم فأمر ابن أبي سرح عقبة بن نافع بن عبد قيس على جند عبد الله بن نافع بن الحرث على آخر وسر حهم ما فرجوا إلى أفريقيا في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدر واعي التوغل فيها لكثرة أهلها ثم إن عبد الله بن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستمده فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به فجهز العساكر من المدينة وفيه م جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمرو وابن العاصي وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير وقيل لحقهم مدد اوسار وامن عبد الله بن سعد سنة ست وعشرين ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين بركة ثم ساروا إلى طرابلس فقبضوا الروم عندهم تجاوزوها إلى أفريقيا وبنوا السرايا في كل ناحية وكان ملكهم جرجير الفرنجي يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل إليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيطة دار ملكهم وأقاموا يقتتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر ولحقهم عبد الله بن الزبير مددابعثه عثمان رضي الله عنه لما أبطأت عليه أخبارهم وسمع جرجير بوصول المدد فقتل ذلك في عضده وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبي سرح فسأل عنه فقيل له أنه سمع منادى جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي نخاف وتأخر عن شهود القتال فقال له ابن الزبير تنادى أنت بآن من قتل جرجير نفلته مائة ألف وزوجه ابنته واستعملته على بلاده فخاف جرجير أشد منه ثم أشار ابن الزبير على ابن أبي سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للعرب ويقا تل الروم بآقي العسكر إلى أن يضربوا فيركبهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا عليهم ووافق على ذلك أعيان الصحابة ففعلوا وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى اتعبوهم ثم افترقوا وأركب عبد الله الفريق الذي كانوا مستريحين

فكبروا وجاؤا حلة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فأنزمو وقتل كثير منهم وقتل ابن الزبير
جرجير وحيزت ابنته سبية فنقلها ابن أبي سرح ابن الزبير ثم حاصر ابن أبي سرح سبيطة فقتلها ونحوها
وكان سم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسمم الرجل ألفا وبث جيوشه في البلاد إلى قفصة فسبوا
وغفوا وبعثوا عسكرا إلى حصن الإجم وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحته على الأمان ثم صالحه
أهل أفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار وأرسل ابن الزبير بخبر الفتح وبالنس إلى المدينة
فاستراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار وبعض الناس يقول أعطاه أياه عثمان رضي الله عنه
ولا يصح وإنما أعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة الأولى وانحاز الفرنجة ومن معهم من الروم
بعد الهزيمة والفتح إلى حصون أفريقية وانساح المسلمون في البسائط بالغارات ووقع بينهم وبين أهل
النواحي من البربر خوف وقتل وسبي حتى لقد أسروا يومئذ من ملوك البربر صولات بن وزمار الزناتي
ثم المغراوي جذبني خزم ملوك تلمسان فرفعوه إلى عثمان رضي الله عنه فأسلم على يده فن عليه وأطبقه
وعقده على قومه ويقال اغتاصله وأقدا كرم وفادته والله أعلم ثم رغب الفريخ والبربر في السلم وسألوا
الصالح وشرطوا لابن أبي سرح ثلاثمائة قنطار من الذهب على أن يرحل عنهم بالعرب ويخرج من بلادهم
فقبل ورجع المسلمون إلى المشرق بعد مقامهم بأفريقية سنة وثلاثة أشهر ولما بلغ هرقل ملك الروم
أن أهل أفريقية صالحوا المسلمين بذلك المال الذي أعطوه غضب عليهم وبعث بطريقا يأخذ منهم مثل
ذلك فنزل قرطاجنة وأخبرهم بما جاءه فأبوا وقالوا قد كان ينبغي له أن يسعدنا فيما نزل بنا فقاتلهم
البطريق وهزمهم وطرد الملك الذي ولوه عليهم بعد جرجير فلحق بالشام وقد اجتمع الناس على معاوية
ابن أبي سفيان رضي الله عنه فاستجاب له على أفريقية فبعث معه معاوية بن حديج السكوني على ما ذكره

في ولاية معاوية بن حديج على المغرب

هو معاوية بن حديج الحناء المهمله مصغرا الكندي ثم السكوني له صحبة وعن شهد مع عمرو بن العاصي
فتح مصر وقدم بخبر الفتح على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولما قدم على أفريقية على معاوية بن
أبي سفيان رضي الله عنه وشكا إليه ما ناله من صاحب قيسر بعث معه معاوية بن حديج هذا في عسكر
ضمم سنة خمس وأربعين فلما وصل إلى الإسكندرية هلك العج ومضى معاوية فقدم أفريقية في عشرة
آلاف فنزل قونية فمرح إليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل كان قيسر قد وجهها من القسطنطينية
في البحر لدافعة العرب عن أفريقية فلم تغن شيئا وقاتلهم معاوية فهزمهم عند حصن الإجم ثم بث السرايا
ودوخ البلاد فبعث عبد الله بن الزبير إلى سوسة فافتتحها ثم بعث عبد الملك بن مروان إلى جلولاء فافتتحها
كذلك ووقال ابن خلدون أن معاوية حاصر حصن جلولاء فامتنع عليه حتى سقط ذات يوم سور
فلكه المسلمون وغفوا ما فيه ثم وجه جيشا في البحر إلى صقلية في مائتي مركب فافتخروا فيها ثم فتح بتزرت
وظهر الإسلام في البربر ثم عاد إلى مصر بعد أن خلدا نار احسنة وبني محل القيروان آبارا ثم عزله معاوية
ابن أبي سفيان عن أفريقية وأقره على مصر فقط ثم عزله عنها في خبر ليس ذكره من غرضنا

في ولاية عقبة بن نافع الفهري على المغرب وبنو مؤه مدينة القيروان

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري صحابي بالمولد وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة وكان
عمرو بن العاصي وهو أمير على مصر قد استعمل عقبة هذا وهو ابن خالته على أفريقية فأنتهى إلى لوانة
ومزاة فاطاعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبي ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غدامس من تخوم السودان
وفي السنة بعدها افتتح ودان وكور من كور السودان وأثنى في تلك النواحي وكان له فيها جهاد وفتح
قطر غناؤه وعرفت بجدته وكفايته فلما كانت سنة خمسين ولاء معاوية رضي الله عنه على أفريقية
استقل لا وبعث معه عشرة آلاف فارس فدخل عقبة أفريقية بعد رجوع معاوية بن حديج عنها

وانضاف اليه مسلمة البربر فكثر جمعه ووضع السيف في أهله لانهم كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا فاذا رجعوا عنها ارتدوا ثم رأى عقبة رحمه الله أن يتخذ مدينة يعتصم بها جيش المسلمين من البربر وتقام بها الجمع والاعياد فاستشار من معه فقالوا نحن أصحاب ابل ولا حاجة لنا بما وراء البحر فتسوط علينا الفرخ فانظر لنا ينظر الله عز وجل قال صاحب الجمان عز وجل وكانت بقعة القيروان غيبة لا يأوى اليها الا الوحوش والسباع فصاح بها عقبة أن اخرجي أيتها الوحوش والهوام باذن الله عز وجل فبقيت أرض القيروان أربعين سنة لا يرى فيها شيء من الهوام المؤذية ولا السباع العادية ثم شرع في بنائها وقال هذه أوسع لابلكم وآمن عليكم من روم القسطنطينية وافرغ الجزيرة عز وجل وعن الليث بن سعد عز وجل أن عقبة رحمه الله غزا افرريقية فأتى وادى القيروان فبات عليه هو وأصحابه حتى اذا أصبح وقف على رأس الوادى فقال يا أهل الوادى اظعنوا فاننا نازلون قال ذلك ثلاثا فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون اليها من حين أصبحوا حتى أوهجت الشمس وحتى لم يروا منها شيئا فترأوا الوادى عند ذلك عز وجل قال الليث عز وجل فحدثني زياد بن عجلان أن أهل افرريقية أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ولو التمس حية أو عقرب بالقرب بالقدنا ما وجدت اه عز وجل وفي الجمان عز وجل لما شرع عقبة رحمه الله في بناء جامعها تنازعوا في القبلة فأتى عقبة آت في النوم فوضع له علامة على سمت القبلة فلما انتبه أعلم الناس بذلك فأتوا الى الموضع فوجدوا العلامة كما قال فوقف عقبة ينظر الى القبلة فسمع تكبيرة في الجوف من ناحية القبلة فنظر فرأى الكعبة عيانا وراها كل من كان حوله عز وجل وقال ابن خلدون عز وجل اختط عقبة رضي الله عنه القيروان وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمئة باع وكملت في خمس سنين وكان يغزو ويبيعت السرايا لا غارة والنهب ودخل أكثر البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين اه عز وجل وقال صاحب الخلاصة النقية عز وجل اختط عقبة ابن نافع القيروان سنة خمس وخمسين وجرى دور سورها اثني عشر ميلا وبنى بها الجامع الاعظم وقاتل البربر وشردهم ثم عزله معاوية عنها والله أعلم

ولاية أبي المهاجر دينار وفتح المغرب الاوسط عز وجل

كان معاوية رضي الله عنه قدولى على مصر وافرريقية مسلمة بن مخلد بوزن محمد الانصاري فاستعمل مسلمة على افرريقية مولاه أبا المهاجر المذكور ويقال مولى بنى مخزوم فقدمها سنة خمس وخمسين وآساء عزل عقبة واستخف به لشيء كان بينهما وكره نزول القيروان فبنى مدينة قربها وأخلى قيروان عقبة فدعا عقبة الله تعالى أن يمكنه منه وكان رجلا صالحا محبا للدعوة فاستجيب له فيه على ما ذكره ثم ان أبا المهاجر بعث حنش بن عبد الله الصنعاني صنعاء الشام الى جزيرة شريك وهي المعروفة الآن بالجزيرة القبلية واليه يسلك من باب الجزيرة أحدا أبواب تونس فافتتحها وكان كسيلة بن اغر البرنسي ثم الاوربي من أهل المغرب الأقصى من عظماء البربر وكان نصرانيا قد جمع الجوع من البربر والفرخ وزحف الى المسلمين فزحف اليهم أبو المهاجر فهزمهم حول تلمسان وتمكن من البلاد وظفر بكسيلة فظهر الاسلام فاستبقاه أبو المهاجر واستخلصه عز وجل قال ابن خلدون عز وجل لم أقف لتلمسان على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق من ان أبا المهاجر لما قدم افرريقية توغل في ديار المغرب ووصل الى تلمسان وبه سميت العيون القريية منها عيون أبي المهاجر اه فهو أول أمير للمسلمين وطشت خيله المغرب الاوسط * ثم ان عقبة بن نافع لما قفل الى المشرق شكا الى معاوية رضي الله عنه ما ناله من أبي المهاجر فاعتذر اليه ووعده برده الى عمله ثم ولاه ابنه يزيد على المغرب سنة اثنتين وستين عز وجل وذكر الواقدي عز وجل ان عقبة ولي المغرب سنة ست وأربعين فاخطت القيروان ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بابي المهاجر فينشد قبض على عقبة وضيق عليه فكتب اليه يزيد يأمره ببعثه فبعثه اليه ثم أعاده واليا على افرريقية والله أعلم

ولاية عقبة بن نافع الثانية وفتح المغرب الاقصى ومقتله

لما توفي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وولي بعده ابنه يزيد بعث عقبة بن نافع واليا على المغرب فقدمه في التاريخ المتقدم واعتقل أباه المهاجر ونخب مدينته وعمر القيروان وعزم على الجهاد فاستخاف زهير بن قيس البلوي على القيروان ويقال ولاء على مقدمة جيشه وخرج في جيش كثيف ففتح حصن ليس ومدينة باقانة المطل عليه أجبل أوراس وفتح بلاد الجريد فتحا ثانيا وصالح أهل قران وسار إلى الزاب وتاهرت فشتت جوع البربر ومن انضم إليهم من الفرنج ثم تقدم إلى المغرب الاقصى فالتحق في أهله إلى أن وصل إلى البحر المحيط فكان عقبة رجاء الله أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الاقصى وهو قال ابن خلدون قد قدم عقبة بن نافع المغرب في ولايته الثانية سنة اثنتين وستين فاضطغن على كسيلة صحبته لابي المهاجر ونكبته وتقذم أبو المهاجر إلى عقبة في اصطناعه فلم يقبل ثم زحف إلى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوي فدوخه وأتى ملوك البربر ومن انضم إليهم من الفرنجة بالزاب وتاهرت فهزمهم واستباحهم وأذن له بليان أمير عمارة ولاطفه وهاداه ودله على عورات البربر ورأه بمدينة ويلي بلاد المصامدة والسوس وهو قال صاحب الجمان قد افتتح عقبة المغرب ونزل على طنجة فحاصرها واستنزل ملكها بليان الغماري وكان نصرانيا فقتل على حكمه بعد أن أعطاه أموالا جليلة ثم أراد عقبة اللحاق بالجزيرة الخضراء من عدوة الأندلس فقال له بليان أترك كفار البربر خلفك وترى بنفسك في بحبوحة المهلاك مع الفرنج ويقطع البحر بينك وبين المدد فقال عقبة وأين كفار البربر قال ببلاد السوس وهم أهل نجدة وبأس قال عقبة وما دينهم قال ليس لهم دين ولا يعرفون أن الله حق وانما هم كالبهايم وكانوا على دين المجوسية يومئذ توجه عقبة نحوهم فقتل على مدينة ويلي بازاء جبل زرهون وهي يومئذ من أكبر مدن المغرب فيما بين النهرين العظيمين سبوا وورقة وهذه المدينة هي المسماة اليوم في لسان العامة بقصر فرعون فافتتحها عقبة وغنم وسبي ثم توجه إلى بلاد درعة والسوس فلقيته جوع البربر فاقتلوا قتالا شديدا ثم انهزم البربر بعد حروب صعبة وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا واتبعوا آثارهم إلى صحراء اتونة لا يلقاهم أحد الا هزموه ثم عطف عقبة على ساحل البحر المحيط الغربي فالتحق إلى بلاد أسفي وأدخل قوائم فرسه في البحر ووقف ساعة ثم قال لأصحابه ارفعوا أيديكم ففسحوا وقال اللهم اني لم أخرج بطرا ولا أشرا وانك لتعلم انما اطلب السبب الذي طلبه عبدك ذوالقرنين وهو أن تعبدوا ولا يشرك بك شيء اللهم انما معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الاسلام فكان لنا ولا تكن علينا إذا الجلال والاكرام ثم انصرف راجعا وهو قال ابن خلدون أيضا وصل عقبة إلى جبال درن وقاتل المصامدة بها فكانت بينه وبينهم حروب وحاصروه بحبل درن فنهضت إليهم جوع زناتة وكانوا خالصا للمسلمين منذ اسلام مغراوة فافرجت المصامدة عن عقبة وأثخن فيهم حتى حلقهم على طاعة الاسلام ودوخ بلادهم ثم أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صناجة أهل اللثام وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية فالتحق فيهم وانتهى إلى تارودنت وهزم جوع البربر وقاتل مسوفة من وراء السوس ودوخهم وقتل راجعا وهو كان كسيلة الأوربي في جيش عقبة قد استعجبه في غزواته هذه وكان يستعين به ويمتته فأمره يوما بسخ شاة بين يديه فدفعها كسيلة إلى غلمانة فأراده عقبة على أن يتولاها بنفسه وانتهر فقام إليها كسيلة مغضبا وجعل كلمات يده في الشاة مسخ بلحيتة والعرب يقولون ما هذا يا ربري فيقول هو أجير فيقول لهم شيخ منهم ان البربري يتوعدكم وبلغ ذلك أباه المهاجر وهو معتقل عند عقبة فبعث إليه ينهاه ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب وأنت تهمد إلى رجل جبار في قومه وبادر عزه حديث عهد بالترك فتستفسده وأشار عليه بأن يتوثق منه وخوفه غائلته فتهاون عقبة بقوله فلما قفل من غزاته هذه وانتهى إلى طبنسة من أرض الزاب وكسيلة

أنشاء هذا كله في صحبته صرف العساكر إلى القيروان أفواجا فأتته عداق من البربر فأتوه من البربر حتى بقي في قليل من الجند فلما وصل إلى تهودة وأراد أن ينزل بها الحامية نظر إليه الفرنجية وطعمه وافيته فراسلوا كسيلة ودلوه على الفرصة فيه فانتزها وراسل بني عمه ومن تبعهم من البربر فاتبعوا أثر عقبة وأصحابه حتى إذا غشوهم تهودة ترجل القوم وكسروا أجفان سيموقهم ونزل الصبر واستلمهم عقبة وأصحابه فلم يفلت منهم أحد وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصر ع واحد وفيهم أبو المهاجر كان عقبة قد استعصبه في اعتقاله كما قلنا فابلى رضى الله عنه في ذلك اليوم البلاء الحسن يقول ابن خلدون رحمه وأجدات الصحابة رضى الله عنهم أولئك الشهداء أعنى عقبة وأصحابه بكمكانهم من أرض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبورهم أسمة ثم جصصت واتخذ على المكان مسجدا عرف باسم عقبة وهو في عداد المنارات ومطان البركات بل هو أشرف من ور من الأجدات في بقاع الأرض لما توفريه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه وأمر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الأنصاري وزيد بن خلف العبسي ونفر معهما ففقداهم ابن مصاد صاحب قصة وبعث بهم إلى القيروان ثم زحف كسيلة بعد الواقعة إلى جهة القيروان اذهى دار الامارة بالمغرب يومئذ وبها جهور العرب ووجوه الاسلام قبلهم ثم الخبر وعظم عليهم الأمر فقام زهير بن قيس البلوي فيهم خطيبا وقال يا معشر المسلمين ان أصحابكم قد دخلوا الجنة فاسلكوا سبلهم أو يفتح الله عليكم فخالقه حنش بن عبد الله الصنعاني لما علم أنه لا طاقة للمسلمين بعادهم من أمر البربر ورأى ان الفجاءة بين معه من المسلمين أولى ونادى في الناس بالرحيل إلى مشرفهم فاتبعوه الا قليلا منهم ومو ببق زهير في أهل بيته فاضطار إلى الخروج وسار إلى برقة فاقام بها مطلا على المغرب ومنتظرا للدم من الخلفاء واجتمع إلى كسيلة جميع أهل المغرب من البربر والفرنجية وعظم أمره وتقدم إلى القيروان فاستولى عليها في المحرم سنة أربع وستين وقر منها بقية العرب فلقوا بزهير ولم يقيم بها الا أصحاب الذراري والانتقال فاتمهم كسيلة ثبتت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي بها من العرب خمس سنين وقارن ذلك مهالك زيد بن معاوية وقتنة الضحاك بن قيس مع مروان بن الحكم بمرج راهط من أرض الشام وحووب آل زبير فاضطرب أمر الخلفاء بالمشرق واضطرب المغرب نارا وفشت الردة في زناتة والبرانس إلى ان استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة وأذهب آثار الفتنة من المشرق فالتفت إلى المغرب وتلاقي أمره إلى ما ذكره

يذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة أسماء وهم على حروف المعجم

نهم بلال بن حارث بن عاصم المزني أبو عبد الرحمن من أهل المدينة أقطعته النبي صلى الله عليه وسلم العقيق كان صاحب لواء منينة يوم الفتح ذكره صاحب الخلاصة النقية فيمن دخل المغرب * ومنهم جرهد بن بويلد الاسدي أو الاسمي ذكره صاحب الاشراف انه من جملة من دخل افريقية من أرض المغرب * ومنهم جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيد الأنصاري أخو أبي مسعود البدرى قال في الثجريد شهد أحدًا وشهد فتح صروصفين مع علي * وغزا افريقية مع معاوية بن حديج سنة خمس و كان فاضلا من فقهاء الصحابة وى ابن منده * ومحمد بن الربيع من طريق مالك بن أبي عمران عن سليمان بن يسار انه سئل عن النفل الغزو فقال لم أر أحدا يعطيه غير ابن حديج فقلنا في افريقية الثلث بعد الخس ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين ناس كثير فأبى جبلة بن عمرو والأنصاري أن يأخذ منه - يا * ومنهم الحسن بن رضى الله عنه ما ذكره ابن خلدون وهما سيدا شباب أهل الجنة ربحا نارا رسول صلى الله عليه وسلم لم أشهر من أن يعرف بهما * ومنهم الحرث بن حبيب بن خزيمة ثم شى العامري ذكره خليفة بن خياط فيمن نزل مصر من الصحابة قال وقتل بافريقية مع عبد بن

العباس بن عبد المطلب * ومنهم حمزة بن عمرو بن سمي ذكره في السير * ومنهم حميد بن باديس
ومحمد بن أبي جهم قال في الاصابة له ادراك قال ابن يونس بعثه عمر بن الخطاب الى أهل مصر
يفقههم وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال غيره مات بافريقية * ومنهم خالد بن ثابت الجهلاني
الفهمي قال ابن يونس شهد فتح مصر وولي بحرم مصر سنة احدى وخمسين وأغزاه مسلمة بن مخلد
افريقية سنة أربع وخمسين قال في الاصابة ذكره اعتمادا على انهم كانوا لا يأمررون في الفتوح الا
الصحابة * ومنهم ربيعة بن عباد الديلي ذكره الواقدي فبين دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب قال مالك
وأبوه بكسر المهملة وتخفيف الموحدة على الصواب ويقال بالفتح والتشديد ذكر خليفة وابن سعد أنه
مات في خلافة الوليد * ومنهم مرويع بن ثابت بن السكن الانصاري ثم التجاري ولاء معاوية على
طرابلس سنة ست وأربعين فغزا افريقية قال ابن يونس توفي ببرقة وهو أمير عاينها من قبل مسلمة
ابن مخلد سنة ست وخمسين * ومنهم زهير بن قيس البلوي أبو شداد الا تى ذكره بعد قال ابن يونس
يقال له حبة * ومنهم سفيان بن وهب الخولاني أبو أيمن له حبة ورواية شهيدة الوداع وفتح مصر
وافريقية وسكن المغرب مات سنة احدى وتسعين * ومنهم ساكن بن مالك قال محمد بن الربيع ذكره
الواقدي فبين دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب * ومنهم سلمة بن الاكوع الاسلمي الصحابي المشهور
ذكره الواقدي فبين دخل مصر لغزو المغرب مات بالمدينة سنة سبع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة وكان
شجاعا راءيا سابقا يسمي الفرس شدا على قدميه * ومنهم العبادلة الاربعة رضى الله عنهم * منهم عبد الله
ابن عباس ترجان القرآن أشهر من أن يعرف به وهو الذي قسم غنائم افريقية يوم الفتح * ومنهم عبد الله
ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ما من أعلام الصحابة وعبادهم وزهادهم والمتسكين بالسنة منهم رضى
الله عنه * ومنهم عبد الله بن الزبير بن العوام الشجاع المشهور والبطل المذكور وهو أول مولود ولد في
الاسلام بعد الهجرة وهو قاتل جري يوم الفتح كما مر * ومنهم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أحدا جواد
الدنيا وأبطلها ذكر ابن خلدون انه من دخل افريقية غازيا فهؤلاء اعبادلة الاربعة * ومنهم عبد الله
ابن سعد بن أبي سرح الأمير المعروف وقد تقدم ذكره * ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاصي الصحابي المشهور
أسلم قبل أبيه وهو أكثر الناس حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصواب أن يجعل أحد
العبادلة الاربعة بدل ابن جعفر والله أعلم قال أبو هريرة رضى الله عنه ما كان أحدا أكثر مني حديثا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب عنه ابن ناجي
فبين دخل المغرب مع ابن أبي سرح * ومنهم عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل بافريقية * ومنهم عبيد الله بن عمرو بن الخطاب ذكره
في الخلاصة النقية وكان صحابيا بالمولد قتل يوم صفين مع معاوية * ومنهم أخوه عاصم بن عمرو وحبيته
بالمولد ذكره صاحب الخلاصة أيضا * ومنهم عبد الله بن نافع بن الحصين وجهه عثمان رضى الله عنه مع
ابن أبي سرح لشدة بطشه واصابة رأيه * ومنهم عقبة بن نافع الفهري الأمير المشهور فاتح المغرب
الاقصى وهو صاحب الترجمة * ومنهم عثمان بن عوف المزني على خلاف فيه وأما عمرو بن العاصي
رضي الله عنه فقد تقدم انه انتهى الى طرابلس ولم يصل الى افريقية * ومنهم مروان بن الحكم بن أبي
العاصي الاموي ولد بعد الهجرة بستين ولم تحصل له رواية لانه خرج مع أبيه الى الطائف فأقام به ذكره
صاحب الخلاصة فبين دخل المغرب * ومنهم مسعود بن الاسود البلوي وقيل العدوي قال الذهبي
بايع تحت الشجرة بعدت في المصريين وغزا افريقية * ومنهم المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري له ولأبيه
حبة قال محمد بن الربيع دخل مصر لغزو المغرب مات سنة أربع وستين * ومنهم المسيب بن حزن بن أبي
وهب المخزومي والد سعيد بن المسيب له ولأبيه حبة ورواية ذكره الواقدي فبين دخل مصر لغزو المغرب

* ومنهم المطلب بن أبي وداعة القرشي السهمي له ولأبيه حبة وهما من مسلمة الفتح قال محمد بن الربيع دخل مصر لغزو المغرب فيما ذكره الواقدي * ومنهم معاوية بن حديج السكوني أحد الأمراء وقد تقدم ذكره * ومنهم معبد بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم قال الذهبي ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد بآفريقية شابا في زمن عثمان رضي الله عنه * ووحى المؤرخون * أن معاوية بن أبي سفيان أغزى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ومعه قثم بن العباس بن عبد المطلب فعبر سعيد النهر إلى سمرة فاستشهد قثم بها وكان أخوه الفضل بن عباس قد مات باجنادين من أرض الشام وعبد الله الترجمان مات بالطائف وعبيد الله الأصغر مات باليمن ومعبد بآفريقية فقال الناس لم ير مثله بنى أم واحدة أبعد قبورا من بنى العباس * ومنهم المقداد بن الأسود الكندي وليس الأسود أباه وإنما تبناه الأسود بن عبد يغوث وهو صغير فعرف به وإنما سمى أبيه عمرو بن ثعلبة الكندي كان المقداد أحد السابقين شهد بدرًا وأحدوا المشاهد كلها ولم يثبت أن أحدًا شهد بدرًا سواه غزا آفريقية مع ابن أبي سرح فلما رجعوا إلى مصر قال له ابن أبي سرح في دار بناها كيف ترى فقال له المقداد إن كان من مال الله فقد أفسدت وإن كان من مالك فقد أسرفت فقال ابن أبي سرح لولا أن يقال أفسدت مرتين لهدمتها * ومنهم المنذر الأسلمي قال ابن يونس له حبة وكان بآفريقية وقال عبد الملك ابن حبيب لم يدخل الأندلس من الصحابة إلا المنذر الآفريقي وأما المشتهرون بكنيتهم * فبنو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور واسمه خويلد بن خالد أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وقد قدم المدينة يوم وفاته فشهد السقيفة وبيعة أبي بكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه قال ابن كثير توفي غازيا بآفريقية في خلافة عثمان رضي الله عنه * قلت * وهلك له خمسة أولاد بمصر بالطاعون فقال قصيدته العينية يرثيهم وهي مشهورة * ومنهم أبورمثة البلوي قيل اسمه رفاعة بن يثرب وقيل بالعكس له حبة ورواية قال الذهبي سكن بمصر ومات بآفريقية * ومنهم أبوزمعة البلوي قال الذهبي اسمه عبد وقيل عبيد بن أرقم بايع تحت الشجرة ونزل بمصر وغزا آفريقية مع ابن حديج روى حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا وسأل هل من توبة مات بآفريقية ودفنت معه شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبا هو مشهور وهو صاحب المقام خارج القيروان * ومنهم أبو ضيف البلوي قال الذهبي له حبة وقال محمد بن الربيع الجيزي دخل مصر لغزو المغرب * ومنهم أبو المبتذل خلف له حبة ونزل آفريقية وقيل أبو المنذر كذا في التجريد وغيره ولا بمن لم يحضر ناذكرهم * أنخرج ابن عبد الحكم * عن سليمان بن يسار قال غزونا آفريقية مع ابن حديج ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار اه رضي الله عنهم ونفعنا بهم وحشرنا في زمرة هم آمين

يذكر اختلاف العلماء في أرض المغرب هل فكت عنوة أو صلحا أو غير ذلك *

قال الشيخ أبو الحسن القاسمي رحمه الله في شرح الموطأ في كتاب الجهاد منه اختلاف الناس في أرض المغرب هل فكت عنوة أو صلحا أو مختلطة أي البعض عنوة والبعض صلحا على ثلاثة أقوال * الأول * وهو الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك أنها فكت بالسيف عنوة لأنه جعل النظر في معادن اللامع ولو صح ذلك لم يجز لأحد بيع شيء منها كأرض مصر لأنها فكت بالسيف * الثاني * أنها فكت صلحا صالح أهلها عليها فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض * الثالث * أنها مختلطة هرب بعضهم عن بعض وتركوها فن بقي بيده شيء كان له وهو الصحيح والله أعلم * ويحكي * أن أحدهما المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس حين تغلب على أرض فاس قال لهم أخبروني عن أرضكم أصح هي أم عنوة فقالوا له لا جواب لنا حتى يأتي الفقيه يعنون الشيخ أباجيدة فجاء الشيخ المذكور فسأله العامل فقال ليست بصلح ولا عنوة وإنما أسلم أهلها عليها فقال خاتمكم الرجل وأبوجيدة هذا هو دفين باب بنى مسافر أحد أبواب

ولاية زهير بن قيس البلوي على المغرب ومقتل كسيلة وما يتبع ذلك

لما استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة كان زهير مقيما بيرة منذ مهلك عقبة بن نافع كما مر فبعث اليه عبد الملك بالمدد وولاه حرب البربر وأمره باستنقاذ القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتعاقب عليها وحضه على الطلب بدم عقبة فراجعته زهير يعلمه بكثرة الفرغ والبربر فأمدّه بالمال ووجوه العرب وفرسانه فزحف زهير إلى المغرب سنة تسع وستين في آلاف من المقاتلة وجمع له كسيلة البرانس وسائر البربر ولقيه عيس من نواحي القيروان واشتد القتال بين الفريقين ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة وقتل كسيلة ووجوه من معه من البربر ومن لا يحصى من عامتهم واتبعهم العرب إلى مرماجنة ثم إلى وادي ملوية وفي هذه الواقعة ذل البربر وفنت فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم واضمحلت أمر الفرنجة فلم يعد وخاف البربر من زهير والعرب خوفا شديدا فلبجوا إلى القلاع والحصون وكسرت شوكة أوربة من بينهم واستقرّ جهورهم بديار المغرب الأقصى وملكوا مدينة وليلي وكانت فيما بين موضع فاس ومكاسة بجانب جبل زرهون ولم يكن لهم بعد هذه الواقعة ذكر إلى أن قدم عليهم ادريس بن عبد الله رضى الله عنه فقاموا بدعوته على ما نذروا أن شاء الله **ولاية زهير** فانه لما رأى ما منحه الله من الظفر والنصر وساق إليه من العز والمالك خشي على نفسه الفتنة وكان من العباد المنجبتين فترك القيروان آمن ما كانت وارتحل إلى المشرق وقال انما جئت للجهاد في سبيل الله وأخاف على نفسي أن تميل إلى الدنيا فلما وصل إلى بركة وجد أسطول الروم على قتالهم في جوع عظيمة من قبل قيصر وبأيديهم أسرى من المسلمين فاستغاثوا به وهو في خوف من أصحابه فصد اليهم فيمن معه وقاتل الروم حتى قتل وقتل معه جماعة من أشراف أصحابه ونجا الباقون إلى دمشق فاخبروا الخليفة عبد الملك بما وقع فأسفه ذلك

ولاية حسان بن النعمان على المغرب وتخريبه قرطاجنة

لما رحل زهير بن قيس إلى المشرق واستشهد بيرة كما قد مرنا اضطربت بلاد المغرب بعده واضطربت بها نار الفتنة واقترب أمر البربر وتعدت سلطاتهم في رؤسائهم وكان من أعظمهم شوكة يومئذ الكاهنة داهيا الزناتية ثم الجراوية صاحبة جبل أوراس وكبيرة قومها جراوة والبتري فبعث عبد الملك بن مروان إلى عامله على مصر حسان بن النعمان الغساني وكان يقال له الشيخ الأمين يأمره أن يخرج إلى جهاد البربر وبعث إليه بالمدد فزحف إليهم سنة تسع وستين في أربعين ألف مقاتل ولما دخل القيروان سأل الافارقة عن أعظم ملوكهم فقالوا صاحب قرطاجنة وهي المدينة العظيمة قريبة رومة وضررتها واحد من عجايب الدنيا وكان بها يومئذ من جوع الفرغ أم لا تحصى فصعد إليها حسان وافتتحها وقتل أكثر من بها ونجا قلة في المراكب إلى صقلية والاندلس ولما انصرف حسان عنها دخلها أقوام من أهل الضواحي والبادية وتحصنوا بها فخرج إليهم وقتلهم أشد قتال فافتتحها عنوة وأمر بتخريبها واعفاء رعاها وكسر قنواتها فذهبت كأمس الدابر ولم يبق بها إلا آثار خفية تدل على ما كان بها من عجيب الصنعة واحكام العمل وبانقاضها همرت مدينة تونس كافي القاموس ثم بلغ حسان أن البربر والفرغ قد عسكروا في جوع عظيمة ببلاد طغورة وبتزرت فصعد إليهم وهزمهم وشردهم من خلفهم وانحاز قلة من باجة وبونة ورجع حسان إلى القيروان فأراح بها أياما ثم سأل عن بقية الملوك المخالفة فدلوه على الكاهنة داهيا وقومها جراوة وهم ولد جراوين الديديت بن زانا وزانا هو أبو زناتة وكان لهذه الكاهنة بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم واعتزت على قومها بهم وبما كان لها من الكهانة والمعركة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتبت إليها رياستهم ووقفوا عند أشارتها **ولاية** هاني بن بكور الضريدي ملك عليهم خمسًا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعًا وعشرين سنة وكان قتل

عقبة بن نافع وأصحابه في البسيط قبلة جبل أوراس باغرا ثم ابرة الزاب عليه وكان المسلمون يعرفون ذلك منها فلما قتل كسيلة وانقضت جوع البربر رجعوا الى هذه الكاهنة بعثت معها من جبل أوراس وقد انضم اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر البسترفسار اليها حسان حتى نزل وادي مليانة وزحفت هي اليه فاقتتلوا بالبسيط أمام جبلها قتالا شديدا ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وأسرى خالد بن يزيد القيسي في ثمانين رجلا من وجوه العرب ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حسان والعرب حتى أخرجوهم من عمل قابس ولحق حسان بعد عمل طرابلس فاقبضه هنالك كتاب عبد الملك بأمره بالمقام حيث يصله كتابه فاقام ببرقة وبنى قصوره المعروفة لهذا العهد بقصور حسان ثم رجعت الكاهنة الى مكانها من الجبل وأطلقت أسرى المسلمين سوى خالد فانها اتخذت عنده عهدا بارضاءه مع ولديها وصيرته أخا لهما وأقامت في سلطان افريقية والبربر خمس سنين بعد هزيمة حسان ونفت العرب عن بلاد المغرب وقالت لقومها انما تطلب العرب من المغرب مدنه وما فيها من الذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي قال أي أن نخرّب هذه المدن والحصون ونقطع أطماع العرب عنها قال ابن خلدون وكان في المدن والضياع من طرابلس الى طنجة ظلا واحدا في قرى متصلة تفربت الكاهنة ديار المغرب وعضدت أنصاره ومحت جماله وجاست بالفساد خلاله فشق ذلك على البربر واستأمنوا الى حسان وكان عبد الملك قد بعث اليه بالمدد فأقنهم ووجد السبيل الى تفريق أمرهم دس الى خالد بن يزيد يستعلمه أمرها فاطلعه على كنه خبرها واستخف فرحف الى المغرب سنة أربع وسبعين وبرزت اليه فاوقع بها وبجموعها وقتلها واحتز رأسها عند البئر المعروفة بهذا العهد من جبل أوراس ثم اقتحم الجبل عنوة واستلم فيه زهاء مائة ألف من البربر واستأمن اليه باقيهم على الاسلام والطاعة وشرط عليهم حسان أن يكون معه منهم اثنا عشر ألفا لا يفارقونه في مواطن جهاده فاجابوا وأسلموا وحسن اسلامهم وعقد دلا كبر من ولدي الكاهنة على قومه من جراوة وعلى جبل أوراس فقالوا قد لزمنا له الطاعة وسبقنا اليها وبايعناه عليه او كان ذلك بإشارة من الكاهنة لا نارة من علم كانت لديها بذلك من شياطينها وانصرف حسان الى القيروان مؤيدا منصورا وثبت ملكه واستقام أمره فدقن الدواوين وكتب الخراج على عجم افريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر ثم أوعز اليه الخليفة عبد الملك باتخاذ دار الصناعة بتونس لانشاء الآلات البصرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الاول من بني الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا وصاحب الامام ابن القاسم بعد ان كان معاوية ابن حديج أغراض صقلية أيام ولايته على المغرب فلم يفتح الله عليه وفتحت على يد ابن الأغلب وقائده ابن الفرات كما قلنا واستمر حسان واليساعلى المغرب الى ان عزله عبد الله بن مروان صاحب مصر وكان أمر المغرب اذ ذاك اليه فاستخلف حسان على المغرب رجلا من جنده اسمه صالح وارتحل الى المشرق بما جعده من ذريع المال ورائع السبي ونفيس الذخيرة فلما انتهى الى مصر أهدي الى عبد الله مائتي جارية من بنات ملوك الفرنج والبربر فلم يقنعه ذلك وانتزع كثيرا مما بيده ولما قدم على الخليفة بدمشق وهو يومئذ الوليد بن عبد الملك شكك اليه ما صنع به عمه عبد الله فغاظه ذلك وأنكره ثم أهدي اليه حسان من غريب النفائس التي أخفاها عن عبد الله ما استعظمه الوليد وشكره عليه ووعد برده الى عمله فخاف حسان أن لا يلي لبني أمية عملا أبدا فوجد كرايا بكرى أن حسان بن النعمان هذا هو فاتح تونس وقال غيره بل فاتحها زهير بن قيس البلوخي ولم تتوفر الدواهي على تحقيق ذلك لانهم لم تكن يومئذ قاعدة ملك وانما عظم أمرها في دولة الخفصيين فمن بعدهم والله تعالى أعلم

ولا ية موسى بن نصير على المغرب وفتحه الاندلس

لما رفل حسان بن النعمان الى المشرق اختافت أيدي البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب فكثرت

الفتن وخالت أكثر البلاد حتى قدم موسى بن نصير فقتل في أمرها ولم تشعن له قال الحافظ أبو عبد الله الحميدي في جذوة المقتبس **موسى بن نصير** أفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين وقال غيره سنة سبع وثمانين **موسى بن نصير** كان ملكاً كان **موسى بن نصير** من التابعين وروى عن نعيم الدار رضى الله عنه وكان عاقلاً كريماً شجاعاً ورعاً متقياً لله تعالى لم يهزم له جيش قط ولما قدم المغرب وجد أكرماً منه خالية لا اختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في فسطح شديد فامر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم إلى الصحراء معه سائر الحيوانات ففرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والتخبيج وأقام على ذلك إلى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقبيل له ألا تدعون لأمير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه غير الله عز وجل فسهقوا حتى رويوا **موسى بن نصير** قال ابن خلدون **موسى بن نصير** خليفة الوليد بن عبد الملك إلى عمه عبد الله بن مروان وهو على مصر ويقال عبد العزيز بن يعث بن موسى بن نصير إلى أفريقية وكان أبوه نصير من حرس معاوية فبعثه عبد الله فقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان فعزله ورأى أن البربر قد طمعت في البلاد فوجه البعوث في النواحي وبعث ابنه عبد الله في البحر إلى جزيرة ميورقة فغنم وسبأ وعاد ثم بعثه إلى ناحية أخرى وبعث ابنه مروان كذلك وتوجه هو إلى ناحية فتعموا وسبأ وعادوا وبلغ الخس من الغنم سبعين ألف رأس من السبي **موسى بن نصير** قال أبو شبيب الصديقي **موسى بن نصير** في الاسلام بمنزل سبأ **موسى بن نصير** ونقل الكاتب أبو اسحق إبراهيم بن القاسم القروي المعروف بابن الرقيق أن **موسى بن نصير** لما فتح سقوما كتب إلى الوليد بن عبد الملك أنه صار لك من سبي سقوما مائة ألف رأس فكتب إليه الوليد ويحك إنى أظنها من بعض كذباتك فإن كنت صادقاً فها هذا محرراً لامة ثم خرج **موسى بن نصير** غازياً أيضاً وتبع البربر وقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبأ سبباً عظيماً وتوغل في جهات المغرب حتى انتهى إلى السوس الأدنى ثم تقدم إلى سبتة فصانعه صاحبها يليان الغمارى بالهدايا وأذن للجزيرة وكان نصرانياً فاقمره عليها واسترهن ابنه وأبناء قومه على الطاعة فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا لموسى وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم **موسى بن نصير** طنجة واقتح درعة وصحراء تافيلالت وأرسل ابنه إلى السوس فاذعن البربر لسلطانه وأخذ رهائن المصامدة فأنزلهم بطنجة وذلك سنة ثمان وثمانين وولى عليها طارق بن زياد الليثي قال وأنزل معه سبعة وعشرين ألفاً من العرب واثني عشر ألفاً من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه قال ثم أسلم بقية البربر على يد اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سنة إحدى ومائة أيام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اهـ ولما استقرت القواعد لموسى بالمغرب كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو الاندلس فغزاها في اثني عشر ألفاً من البربر وخلق يسير من العرب وعبر البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء وصعد الجبل المنسوب إليه المعروف اليوم بجبل طارق يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة وذكر عن طارق أنه كان نائمًا وقت العبور في المركب فرأى النبي صلى الله عليه وسلم والطفاء الأربعة يمشون على الماء حتى صروا به فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ذكر ذلك ابن بشكوال **موسى بن نصير** قال ابن خلدون في أخبار الاندلس أن أمة القوط ملكوا جزيرة الاندلس نحو أربع مائة سنة إلى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمة ملوكهم بجر جر سمة ملوك صقلية وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدو الجنوبية خطوها من زقاق البحر إلى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى يليان وكان يدين بطاعتهم ويعلمهم وموسى بن نصير أمير العرب اذذاك عامل بأفريقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومثله بالقيروان وكان قد أغر ذلك العهد عساكر المسلمين ببلاد المغرب الأقصى ودوخ أقطاره وأوغل في جبال طنجة حتى وصل إلى خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف

مولاه طارق بن زياد واليا بطنجية وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط بالاندلس فعلمه فعلها زعموا
 يابنته الناشئة في داره على عاداتهم في بنات بطارقهم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق فاحدثا بنة منه
 فقلت يعني انه كان من عادة كبار الجهم بالاندلس ان يبعثوا أولادهم الذين يريدون التنويه بهم الى
 دار الملك الا كبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بآدابها وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا أنسج
 بعضهم بعضا وشغل صدقاتهم وتولى تجهيز اناتهم استخلافا لآبائهم فاتفق ان فعل ذلك يليان عامل لذريق
 على سبته وكان أهله انصاري فبعث يابنته له بارعة الجمال تكرم عليه الى دار لذريق فوقعت عينه عليها
 فاعجبته وأحبها ولم يقل ان استكرهها فافترضها فاحتالت حتى أعلمت أباهاسرا فاحفظه ذلك وحى
 أنفه وقال ودين المسيح لا يلق ملكه ولا حفرق ماتحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو
 السبب في فتح الاندلس مع سابق القدر ثم ان يليان عبر البحر من سبته في صبر قلب الشتاء وأصعب
 الاوقات فقدم طليطلة واجتمع بالملك فانكر مجيئه في ذلك الوقت وسأله عن السبب فذكر خيرا واعتل
 بان زوجته قد اشتد شوقها الى رؤية ابنتها وانه أحب اسعافها بطلبها وسأل الملك عما يمكنه منها وتجهيل
 سراحه الى عمله ففعل وأحسن جائزة الجارية وتوثق منها بالكتمان وأفضل على أبيها وانقابا راجعا
 وذكروا انه لما ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاسـتقره لنا من الشدة انقات التي لم تزل تطرقنا بها
 فانها أثرجوا رحنالدينا يعني بذلك طيور افارهة كانت تتخذ للاصطياد فقال له أيها الملك وحق المسيح لئن
 بقيت لا دخلت عليك شدة انقات ما دخل عليك مثلها قط يعرض له بما أضمره من ادخال العرب عليه
 ثم لحق يليان بطارق بن زياد وهو بطنجية فكشف له عورة القوط فانتزط طارق الفرصة لوقته وأجاز البحر
 سنة ثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلاثمائة من العرب واحتشد معهم
 من البربر زهاء عشرة آلاف وصيرهم عسكريين أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمى جبل طارق به
 والاخر على طريق بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينته طريف فسميت به وأداروا الاسوار على أنفسهم سم
 للتحصن وبلغ الخبر لذريق فنهض اليهم بجراًم الاعاجم وأهل ملة النصرانية في زهاء أربعين ألفا
 فالتقوا بفحص شريش فهزمه الله ونقلهم أموال أهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى بالفتح
 والغنائم فحركته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغيرائه ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق
 به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ونحو من
 القيروان سنة ثلاث وتسعين في عسكر ضخم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر فوافي خليج الزقاق
 ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فاجاز الى الاندلس وتلقاه طارق فانتقادوا تبع ويقال ان موسى لما سار
 الى الاندلس عبر البحر اليها من ناحية الجبل المنسوب اليه المعروف اليوم بجبل موسى وتنكب التزول
 على جبل طارق وعم الفتح وتوغل في الاندلس الى برشاونة في جهة المشرق وأر بونة في الجوف وصنع
 قادن في الغرب ودوخ أقطارها وجمع غنائمها وأجمع أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز
 الى الشام دروب الاندلس ودروبه ويخوض اليه ما بينهما من بلاد أعاجم وأمم النصرانية مجاهدا فيهم
 ومستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة من دمشق ونحو الخبر الى الخليفة الوليد فاشتد قلقه بمكان
 المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى تغير بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأسر
 الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع هو وكتب له بذلك عهد ففت ذلك في عزم موسى وقفل عن
 الاندلس بعد ان أنزل الرابطة والحامية بشعورها واستعمل ابنه عبد العزيز لصدوها وجهاد عدوها وأنزله
 بقرطبة فاتخذها دارا مارة واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست
 بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على الجمل والظهير يقال ان من جلته ثلاثين ألف رأس
 من السبي وولى على افريقية ابنه عبد الله واندرجت ولاية الاندلس يومئذ في ولاية المغرب فكان

صاحب القيروان ناظر في الجميع وقدم موسى على سليمان بن عبد الملك وقد ولي الخلافة بعد الوليد فحفظه ونسكبه وثارت عساكر الاندلس بانه عبد العزيز فقتلوه لستين من ولايته باغراء الخليفة سليمان وكان خيرا فاضلا واقتنع في ولايته مدائن كثيرة وكان الذي تولى قتله حبيب بن أبي عبيدة الفهري وكان سبب غضب سليمان على موسى انه لما توجه الى المشرق وانتهى الى مصر وصل اشرافها وفتحهاها وبلغه الخبر بعرض الوليد ووافاه كتابه يستحثه على القدوم ووافاه كتاب آخر من أخيه سليمان يشبطه فاسرع موسى للحاق بالوليد فقدم عليه قبل وفاته بثلاثة أيام ودفع اليه مائة من الذخائر والأموال فحافظ ذلك سليمان وأساء مكاناته حين أفضى الامر اليه فنسكبه ونسكب آل بيته أجمع وكانت وفاة موسى رحمه الله بالمدينة المنورة سنة ثمان وتسعين وقيل غير ذلك **وقال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد القيرواني** ارتدت البربر اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر اسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البصر الى الاندلس وأجاز معه كثيرا من رجال البربر برسم الجهاد فاستقر واهناك حينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذن البربر لحكمهم وتناسوا الردة ثم نبضت فيهم عروق الخارجية بعد علي ما نذكره

ولاية محمد بن يزيد على المغرب

لما ارتحل موسى بن نصير الى المشرق ونسكبه الخليفة سليمان كما قلنا عزل ابنه عبد الله عن المغرب وولى مكانه محمد بن يزيد مولى قريش ويقال مولى الانصار فقدم القيروان سنة سبع وتسعين وكان سليمان قد أمره باستئصال آل موسى بن نصير واصطلام نعمتهم فأتى على ذلك ثم لما قتل أهل الاندلس أميرهم عبد العزيز بن موسى ولوا عليهم أيوب بن حبيب اللخمي وهو ابن أخت موسى فوجه محمد بن يزيد الحر ابن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي واليا من قبله على الاندلس فقدمها واستقر أميراهما سنتين وثمانية أشهر قالوا وكان محمد بن يزيد هذا عادلا حسن السيرة قاتل المخالفين بشغور المغرب وغنم وسبا ولم يزل واليا عليه حتى مات سليمان فكانت ولايته سنتين وأشهرًا والله أعلم

ولاية اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على المغرب

لما توفي سليمان بن عبد الملك رحمه الله وولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه استعمل على المغرب اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم فقدم القيروان سنة مائة وكان خيرا أمير وخيرا وال لم يزل حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى تم اسلامهم على يده وبث فيهم من فقهم في دينهم وذكر أبو العرب محمد بن عليم في تاريخ افريقية ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في الدين منهم حبان بن أبي جبلة ولما توفي عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة وبيع يزيد بن عبد الملك وجه يزيد بن أبي مسلم الثقفي واليا على المغرب على ما نذكره

ولاية يزيد بن أبي مسلم على المغرب

هو يزيد بن أبي مسلم دينار مولى الحاجب بن يوسف الثقفي النظام المشهور وكان يزيد هذا كاتبه وصاحب سرطته **وقال ابن خلكان** كانت فيه كفاية ونهضة قدمه الحاجب بسبها وكان من خبره ان الحاجب لما حضرته الوفاة استخلف يزيد هذا على خراج العراق فافره الوليد بن عبد الملك واعتبط به وقال ما مثلي ومثل الحاجب وابن أبي مسلم بعده الا كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارًا ولما مات الوليد وولى بعده أخوه سليمان عزل ابن أبي مسلم وأمر به فاحضر بين يديه في جامعة وكان رجلا قصيرا دميما قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين فلما نظر اليه سليمان قال أنت يزيد بن أبي مسلم قال نعم أصلى الله أمير المؤمنين قال لعن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه قال لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتني والامر عني مدبر ولو رأيتني والامر على مقبل لاستعظمت ما استصغرت ولا استجلت ما احتقرت فقال سليمان قاتله

الله فأربط جأشه وأعضب لسانه ودارت بينه وبين سليمان محاورات غير هذه ثم كشف عنه فلم يجد عليه خيانتهم باستكابه فقال له عمر بن عبد العزيز أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحيى ذكر الحاج باستكاب كاتبه فقال انى كشفت عنه فلم أجده عليه خيانتها يا باحقص فقال عمر أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه فقال سليمان من هو قال أبلّس مامس دينار اولادهم اقط وقد أهلك هذا الخلق فتركه سليمان وحدث جويرية بن أسماء أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة بلغه أن يزيد بن أبي مسلم خرج في جيش من جيوش المسلمين فكتب الى عامل الجيش برده وقال انى لا كره ان أسنة نصر بجيش هو فيهم فلما توفى عمر رضى الله عنه وأفضت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك عزل اسمعيل بن عبيد الله عن المغرب وولى مكانه يزيد بن أبي مسلم فأساء السيرة قالوا ووجه عنبسة بن سحيم الكلبي واليامن قبله على الاندلس فاستقام على يده أمرها ثم نار أهل المغرب بآبى مسلم فقتلوه سنة ثنتين ومائة لشهر من ولايته فقال الطبرى وكان سبب ذلك انه كان قد عزم ان يسير في أهل المغرب بسيرة الحاج في أهل العراق فان الحاج كان وضع الجزية على رقاب الذين أسلموا من أهل السواد وأمر بردهم الى قراهم ورسائهم ثم على الحالة التي كانوا عليها قبل الاسلام فلما عزم يزيد على ذلك تأمر البربر فيه واجتمعوا على قتله فقتلوه وولوا عليهم محمد بن يزيد الذى كان قبله فيما ذكره الطبرى وكان غاز يابى صقلية فلما قدم بجناحه ولوه أمرهم وقال ابن عساکر ولوا بعده اسمعيل بن عبيد الله والله أعلم ثم كتب أهل المغرب الى الخليفة يزيد انالهم فخلع يدا من طاعة ولاكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله ورسوله فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد انى لم أرض ما صنع ابن أبي مسلم وأقر محمد بن يزيد على المغرب وذلك في سنة اثنتين ومائة كما قلنا وحدث الواضح بن أبي خيثمة وكان حاجب عمر بن عبد العزيز قال أمر في عمر بن عبد العزيز يعنى في مرض موته باخراج قوم من السجن وفيهم يزيد بن أبي مسلم فاخرجتهم وتركته فخذ على فلما مات عمر هربت الى افريقية خوفا منه قال فيدنا أنا بافريقية اذ قيل قدم يزيد بن أبي مسلم واليا فاختفيت فاعلم بكافى وأمر بنى فحملت اليه فلما رأى قال طالماسألت الله تعالى ان يعكفى منك فقلت وأنا والله طالماسألت الله أن يعيدنى منك فقال ما أعاذك الله والله لا قتلك ولوسابقى فيك ملك الموت لسبقته ثم دعا بالسياف والنطع فاتى بهما وأمر بالواضح فاقم عليه مكتوبا وقام السياف وراه ثم أقيمت الصلاة فتقدم يزيد اليها فلما سجد أخذته السيوف ودخل على الواضح من قطع كتافه وأطلقه فصبان اللطيف الخبير

ولاية بشر بن صفوان على المغرب

ما كتب أهل المغرب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك عما كان منهم الى ابن أبي مسلم وما اعتذر وابه في شأنه أقر عليهم محمد بن يزيد وأسمعيل بن عبيد الله على الخلاف المتقدم ما شاء الله ثم ولى عليهم بشر بن صفوان الكلبي وكان واليا على مصر فقدم القيروان سنة ثلاث ومائة فهد المغرب وسكن أرجاءه واستصفي بقايا آل موسى بن نصير ثم وفد على يزيد بن عبد الملك فوجه قدماءه وبيع هشام بن عبد الملك فردده هشام الى عمله من المغرب فاستقر بالقيروان واستدعى منه أهل الاندلس واليا يقوم بأمرهم وذلك بعد مقتل عنبسة بن سحيم الكلبي شهيدا في بعض غزوات الفرنج فولى عليهم يحيى بن سلمة الكلبي فقدم الاندلس آخر سنة سبع ومائة فاصح شأنهم غزاهم بشر بن صفوان صقلية بنفسه سنة تسع ومائة فاصاب سبيا كثيرا ورجع الى القيروان منصورا فكانت منيته عقب ذلك

ولاية عبيدة بن عبد الرحمن على المغرب

لما توفى بشر بن صفوان وانتهى الخبر الى الخليفة هشام بن عبد الملك ولى على المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمى وهو ابن أخى أبي الاعور السلمى وقيل ابن ابنه فقدم القيروان سنة عشر ومائة ونظر في أمر المغرب والاندلس معا وولى من قبله على الاندلس ولالة أربعة واحد واحد وهم عثمان بن أبي نسعة

الشمسي وحذيفة بن الاحوص القيسي والهيثم بن عبيد الكلبي ومحمد بن عبد الله الاشجعي وكان عبيدة بن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان قبيله وعذبهم فكتب بعضهم بذلك الى الخليفة هشام فعزله لاربعة سنين وستة أشهر من ولايته

ولاية عبيد الله بن الحجاب على المغرب

عبيد الله هذا هو مولى بني سـ اول وكان رئيسا نبيلاً وأميراً جليلاً وخطيباً مـ قـ ما ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب بعد عزل عبيدة بن عبد الرحمن عنه وأمره أن يرضى اليه من مصر فاستخاف عبيد الله على مصر ابنه أبا القاسم وسار الى المغرب فقدم القيروان في ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائة واستعمل عمر بن عبيد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى واستعمل ابنه اسمعيل بن عبيد الله معه على السوس وماوراء واستعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي فكانت له في القرنجة وقائع وأصيب جيشه في رمضان من السنة المذكورة في موضع يعرف بـ بلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة ثم ولي عبيد الله على الاندلس عبد الملك بن قطن الفهرى ثم بعده عقبة بن الحجاج الساسي فكان محمود السيرة وتمكن سلطان عبيد الله بالمغرب وبني جامع الزيتونة بتونس لكن صحح صاحب المؤنس ان أول مخطط للجامع المذكور حسان بن النعمان ونعمه عبيد الله هذا واتخذ بها دار صناعة لانشاء المراكب البحرية ثم بعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى غازياً بأرض المغرب فأنهى الى السوس الأقصى وقاتل مسوفة ثم تخطاهم الى تخوم السودان وأصاب من مغنايم الذهب والفضة والسبي شيئاً كثيراً ودوخ بلاد البربر وقاتلها ورجع ثم أغزاه ثانية جزيرة صقلية فركب البحر اليها سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب فنازل سر قوسة أعظم مدن صقلية وضرب على أهلها الجزية وأثخن في سائر الجزيرة وكان عمر بن عبيد الله في هذه المدة بطنجة قد أساء السيرة في براية المغرب الأقصى وأراد أن يخمس من أسلم منهم وزعم أنه انفي فقتلت قلوب البربر غنه وأحسوا بانهم طعمت للعرب وثقات عليهم وطأة عمال ابن الحجاب جملة بما كانوا يطالبونهم به من الوظائف البربرية مثل الادم العسلية الالوان وأنواع طرف المغرب فكانوا يتغالون في جمع ذلك وانتخابه حتى كانت الصرمة من الغنم تملك ذبيحاً لاتخاذ الجلود العسلية من سخاها ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه فكثرت عليهم بذلك في أموال البربر فاجتمعوا الانتقاض وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن أبي عبيدة الى صقلية فغروا هم ذلك على مرادهم وثار ميسرة المضغرى باحوار طنجة على ما ذكره وكانت بدعة الخارجية يومئذ قد سرت في البربر وتلقها رؤسهم عن عرب العراق الساقطين الى المغرب نزعوها الى الاطراف داعين أغما والام اليها عسى أن تكون لهم دولة فاستحكمت صبغتها في طعام البربر وشجبت فيهم عروقها فكان ذلك من أقوى البواعث والاسباب في خرق حجاب الهيبة على الخلفاء وانتقاض البربر على العرب ومن اجتمع لهم في سلطانهم ولندكر هنا أصل الخوارج وفرقهم على الجملة ثم نعود الى موضوعنا الذي كنا فيه فنقول قد تقدم لنا في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما كان من أمر التحكيم وما نشأ عنه من خروج طائفة من القراء عليه وقالوا حكمت الرجال في دين الله ولا حكم الا الله وان علياً رضي الله عنه استأصلهم بالنهر وان فقال له بعض أصحابه قد قطع الله ابرهم آخر الدهر فقال علي رضي الله عنه والذي نفسي بيده انهم لن ي أصلاب الرجال وأرحام النساء لا يخرج خارجة الا خرجت بعد هاهنا مثلاً فصدق الله قول علي ونبتت منهم طوائف بالعراق وغيره وتكرر نحو وجههم على الخلفاء وشري داوهم وأعبي داوهم وتعددت فرقهم ومذاهبيهم وقال ابن خلدون اقترفت الخوارج على أربع فرق (الاولى الازارقة) أصحاب نافع بن الازرق الحنفى وكان رأيه البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض بعنى القتل من غير سؤال عن حال أحد وقتل الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفاراً (الثانية النجدية) ويقال لهم النجدات أصحاب

تجدة بن عامر الحنفي وهم بخلاف الازارقة في ذلك كله (الثالثة الاباضية) أصحاب عبد الله بن ابياض التميمي ثم الصريحي وهم يرون ان المسلمين كلهم يحكم لهم يحكم المتأفقين فلا ينتهون الى الرأى الاول لا يقفون عند الثاني ولا يحرمون مناسحة المسلمين ولا موارتتهم وهم عندهم كالمتأفقين ومن هؤلاء اليهودية أصحاب أبي ييهس هيصم بن جابر الضبي (الرابعة الصفريه) وهم موافقون للاباضية الا في القعدة يعني الذين يقعدون عن القتال معهم فان الاباضية أشد على القعدة منهم ويرى ان شعيت هذه الراء بعد ذلك واختلف في تسمية الصفريه فقل نسبوا الى عبد الله بن صفار الصريحي وقيل اصفروا بما نهكتم العبادة وفي القاموس الصفريه بالضم ويكسر قوم من الحرورية نسبوا الى عبد الله بن صفار ككان أو الى زياد بن الاصفر أو الى صفرة ألوانهم أو خلطوهم من الدين انتهى وقد كانت الخوارج من قبل هذا الافتراق على رأى واحد لا يختلفون الا في الشاذ من الفروع وفي أصل افتراقهم مكاتبات بين نافع بن الازرق وأبي ييهس وعبد الله بن أباض ذكرهما المبرد في الكامل فلتنظر هنالك وكانت خوارج المغرب اباضية وصفريه فلما كانت ولاية عبيد الله بن الحجاب ونال عماله من البربر ما نالوا من الجور والعسف انتقضوا عليه وثار ميسرة المضغرى المعروف بالخنزير باحواز طنجة ومضغرة بطن من بني قاتن ابن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الابر وكافوا على رأى الصفريه وكان شيخهم ميسرة المذكور مقدما في ذلك المذهب فمل البربر على الخروج عن الطاعة وزحف الى عمر بن عبيد الله بطنجة فقتله سنة اثنتين وعشرين ومائة وولى عليه ما من قبله عبد الاعلى بن جويج الافريقى روى الاصل ومولى للعرب كان امام الصفريه في انتحال مذهبهم فقام بأمرهم مدة ثم تقدم الى السوس فقتله عامها اسمعيل بن عبيد الله وكان ميسرة لما استولى على طنجة والمغرب الاقصى قديا به البربر بالخلافة وخاطبوه بامير المؤمنين اذ الخوارج لا يشترطون في الامام الاعظم القرشية محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة وهو مؤول واضطرم المغرب ناراً وفتت تحلة الخارجية في جميع قبائله وانتقض أمره على خلفاء المشرق فلم يرجع طاعتهم بعد ثم ان ابن الحجاب دعى الى ميسرة خالد بن حبيب الفهرى فبين كان قد بقى عنده من الجيش واستقدم آياه حبيب بن أبي عبيدة من صفلية فقدم فبين معه من عساكر المسلمين وبعثه في اثر خالد ونهض اليهم ميسرة في جوع البربر فلقبهم باحواز طنجة فاقتلوا قتالا شديدا ثم تحاجزوا ورجع ميسرة الى طنجة فساعت سيرته في البربر وتقموا عليه ما جاء به فقتلوه ولوا عليهم مكانه خالد بن حميد الزناتى **وقال ابن عبد الحكم** هو من هتورة احدى بطون زناتة فقام بأمرهم واجتمع اليه البربر فزحف الى العرب وسرح اليه ابن الحجاب عساكر الخليفة هشام بن عبد الملك وعلى مقدمته خالد بن حبيب الفهرى فكان اللقاء على وادى شلف فانهمز المسلمون وقتل خالد بن حبيب ووجوه من معه من العرب فسميت الواقعة وقعة الاشراف وانتقض المغرب على ابن الحجاب من سائر جهاته وبلغ الخبر الى أهل الاندلس فعزلوا عامله عقبة بن الحجاج السلولى وولوا عليهم عبد الملك بن قطن الفهرى ومرج أمر الناس وانتهى الخبر بذلك كله الى الخليفة هشام بدمشق فعزل ابن الحجاب عن المغرب **وقال صاحب الخلاصة** لما اختلت الامور على ابن الحجاب اجتمع الناس وعزلوه فبلغ ذلك هشام فغضب وكتب الى ابن الحجاب بالقدوم فخرج في جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائة والله أعلم

ولاية كلثوم بن عياض على المغرب ومقتله

لما انتهى الى الخليفة هشام ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب والاندلس وخلعهم للطاعة شق ذلك عليه واستضعف ابن الحجاب فكتب اليه يستقدمه وولى على المغرب كلثوم بن عياض القشيري ووجه معه جيشا كثيرا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جوع البلاد التي مر بها سبعون ألفا على ما قيل

ولما انتهى كلثوم الى القيروان أساء السيرة في أهلها فكتبوا الى حبيب بن أبي عبيدة وهو يومئذ بتلمسان
مواقف للبربر يشكون منه اليه وكان لا ل عقبه بالمغرب وجاهة لم تكن لغيرهم فكتب اليه حبيب
ينهاه ويتوعده فاعتذر كلثوم وأغضى له عليها ثم استخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة وسار يوثم
المغرب في جوعه وعلى مقدمته ابن أخيه بلج بن بشر القشيري فر على طريق سيبة وانتهى الى تلمسان
فلقى حبيب بن أبي عبيدة فاقترلا ثم اصطلما وزحقا جميعا الى المغرب الاقصى فهضت اليهم البربر وكان
اللقاء على وادي سبوا من أعمال طنجة و قال ابن خلدون في أخبار البربر ان الخليفة هشام ولي كلثوم
ابن عياض على المغرب سنة ثلاث وعشرين ومائة وسرحه في اثني عشر ألفا من أهل الشام وكتب الى
ثغور مصر وبرقة وطرابلس أن يمدوه فزحف الى افريقية ثم الى المغرب حتى بلغ وادي سبوا فبرز اليه
خالد بن حيد الزناتي فمين معه من البربر وكانوا خلقا لا يحصون فلقوا كلثوم بن عياض بعد ان هزموا
مقدمته فاشتد القتال بينهم وقتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة وكثير من الجند وافتقرت العساكر فغضى
أهل الشام الى الاندلس مع بلج بن بشر ومضى أهل مصر وافريقية الى القيروان وما ذكره من ان
خالد بن حيد هو الذي هزم جيوش كلثوم في هذه الواقعة هو مقتضى ماسبق من ان ميسرة قتل في ولاية
عبيد الله بن الحجاب وجرم ابن حيان بان الذي هزم جيوش كلثوم هو ميسرة الخفير واقتصر عليه ابن
خلدون في أخبار بني فاتن قال انتهت مقدمة كلثوم بن عياض الى سبوا من أعمال طنجة فلقه البربر
هنالك مع ميسرة وقد فخصوا عن أواسط رؤسهم وتنادوا بشعار الخارجية فهزموا مقدمته ثم هزموه
وقتلوه وكان كيدهم في لقاءهم اياه ان ملؤا الشنان بالحجارة وربطوها في أذناب الخيل ثم أرساوها في
جيش العرب فكانت الحجارة تقع في شنانها وخيل العرب تنفر حتى اختل مصافهم وتمت الهزيمة عليهم
فاقتروا وذهب بلج مع الطلائع من أهل الشام الى سبتة ورجع أهل مصر وافريقية الى القيروان وظهرت
الخواريج في كل جهة واقتطع المغرب عن طاعة الخلفاء الى أن هلك ميسرة وقام برياسة مضجرة من بعده
يحيى بن حارث منهم اه كلام ابن خلدون فاضطرب النقل في هذه الواقعة كما ترى والله أعلم بالصواب
وقال ابن حيان في أن كلثوم بن عياض لما نهزم جيوشه فجاوهم الى سبتة في أهل الشام ومعه ابن
أخيه بلج بن بشر بن عياض وحاصرهم البربر بها ولما اشتد حصارهم بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات
وبلغوا من الجهد الغاية استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس فتناقل عنهم صاحب عبد الملك بن قطن
لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضررهم عند رجالات العرب أشفقوا عليهم فاغاثهم زياد بن عمرو
الخنمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكت من أوماقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضرب به سبعة مائة سوط
ثم اتهمه بعد ذلك بتضريب الجند عليه فعمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق في هذا
الوقت ان بربرة الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور بربرة العدو على العرب انتفضوا على عرب
الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم بالمغرب وتطعنوا لما كانوا غافلين عنه قبل ذلك من الخلاف على
العرب ومن اجتمع منهم في سلطانهم وأصل ذلك كله النزعة الخارجية فاستفحل أمرهم بالاندلس وكثر
ايقاعهم بجيوش ابن قطن فخاف ان يلقى منهم ما لقيه العرب بالمغرب من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا
على قصده فلم ير أجدى له من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموقورين بسبتة فكتب الى بلج
وقدمات عمه كلثوم فاسرعوا الى اجابته وكانت تلك أميتهم فاحسن اليهم وأسبغ النعمة عليهم وشرط
عليهم أن يقيموا عنده سنة واحدة حتى اذا فرغوا له من البربر انصرفوا الى مغربهم وخرجوا له عن
أندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه وأخذ منهم الرهائن عليه ثم قدم عليهم ابنه قطن وأمية والبربر في جوع
لا يحصيها غير رازقها فاقترلا وافتلأ صعب فيه المقام الى ان كانت الدبرة على البربر فقتلهم العرب باقطار
الاندلس حتى ألحقوا فاهم بالثغور وخفوا عن العيون فكروا الشاميون وقدامت آلات أيديهم من الغنائم

فأشـدت شوكتهم وثابت همهم وبطروا ونسوا اليهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الاندلس
فقتلوا عليه وذكروا صنيعة بهم أيام انحصارهم بسببته وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة فخاموه وقدموا
على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وأغروه بقتله فأبى فذارت الممانية وقالوا قد جيت
اضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر ابن قطن فأخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامه
قد شهد وقعة الحرة بالمدينة فجعلوا يسبون ويقلون له أقلت من سيوفنا يوم الحرة ثم طالبتنا تلك الترة
فمرضتنا لا كل الكلاب والجالود وحسبنا بسببته محبس الضمك حتى أمتنا جوارققتنا لوه وصلبوه
في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة وصلبوا عن عيـنه خـنـزيراً وعن يساره كلباً واستولى بلج على
الاندلس وكانت خطوب يطول ذكرها والله ولي العون والتوفيق

ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب

لما سمع الخليفة هشام بما جرى على كلثوم وأصحابه قامت قيامته فوجه حنظلة بن صفوان السكابي وهو
أخو بشر بن صفوان المتقدم واليالي على المغرب فقدم القيروان سنة أربع وعشرين ومائة فوجد هواردة
وهم ولدهواري بن أوريدغ بن برنس خوارج على الدولة ورئيساهم عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد
ابن يزيد الهواري وكانا على مذهب الصفرية فلما استقر حنظلة بالقيروان لم يلبث الا يسيراً حتى زحف
اليه عكاشة وعبد الواحد في هواردة ومن تبعهم من البربر فخرج اليهم حنظلة والتقوا على القرن من
ظاهر القيروان فهزمهم بعد قتال صعب واستلمهمهم وقتل عبد الواحد وأخذ عكاشة أسيراً ولما جئ الى
عكاشة في رقبته وبرأس عبد الواحد سجد شكرًا لله تعالى على ما منحه من الفتح وأمر بعكاشة فقتل
وأحـميت القتلى في ذلك اليوم فكانوا مائة وثمانين ألفاً وكتب حنظلة بذلك الى الخليفة هشام وسمعها
الليث بن سعد فقال ما غزوة كنت أحب أن أشهد هابعد غزوة بدر أحب الي من غزوة القرن والاصنام
ثم وجه حنظلة أبا الخطار حسام بن ضرار السكابي واليالي من قبله على الاندلس فركب اليها البحر من
تونس سنة خمس وعشرين ومائة فدان له أهل الاندلس واستقام أمرهم بها حينئذ من الدهر ثم ثار عليه
الصميل بن حاتم السكابي وخلفه في خبر طويل ولم يزل حنظلة على المغرب في أحسن حال الى ان طرق
الخلل الخلافة بالشرق وخفت صوته لما حدث في بني أمية من قتلة الوليد الفاسق وما كان من أمر
الشيعة والخوارج مع مروان الحمار آخر خلفائهم وأفضى الأمر الى الادالة منهم بنو العباس فجاز
عبد الرحمن بن حبيب الفهري من الاندلس الى المغرب وغلب حنظلة عليه سنة ست وعشرين ومائة
على ما نذكره

يؤذ كرم صالح بن طريف البرغواطي المتنبئ ومخرقته

وفي هذا التاريخ كان ظهور صالح بن طريف البرغواطي الذي ادعى النبوة بتامه من بلاد المغرب
الاقصى على ساحل البحر المحيط فيما بين سلا وآسفي وبرغواطة بطن من المصامدة على ما حققه ابن خلدون
وكان أبوه طريف يكنى أبا صبيح وكان من قواد ميسرة الخضير القائم بدعوة الصفرية ولما انقرض أمر
ميسرة بقي طريف قائماً بأمر برغواطة بتامه سناً ويقال انه تنبأ أيضاً وشرع لهمم الشرائع ثم هلك وولى
مكانه ابنه صالح هذا وقد كان شهد مع أبيه حروب ميسرة فيقال ابن خلدون في وكان من أهل العلم والخير
ثم انسح من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهمم الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي معروفة في
كتب المؤرخين فيقال في القرطاس في كان الضلال الذي شرع لهمم انهم يقررون بنبوته وانهم يصومون
شهر رجب ويأكلون شهر رمضان وفرض عليهم عشر صلوات تحسب بالليل وتحسب بالنهار وان الاضحية
واجبة على كل شخص في الحادي والعشرين من المحرم وشرع لهمم في الوضوء غسل السرة والخاضعتين
وأمرهم أن لا يغتسلوا من جنابة الا من حرام وصلاتهم ايما لاسجد فيها الكتفهم يسجدون في آخر ركعة

خمس سجدات ويقولون عند تناول الطعام والشراب باسمك يا كساي وزعم ان تفسيره بسم الله وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء ولا يتزوج من بنات عمه ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم فلا تحرم عليهم المرأة بشئ من ذلك وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم انه لا يطهره من ذنبه إلا السيف وان الدية تكون من البقر وحرم عليهم رأس كل حيوان والدباجة مكروه أكلها وقدوتهم في الاوقات الديكة وحرم عليهم ذبحها وأكلها ومن ذبح ديكاً أو أكله أعتق رقبة وأمرهم أن يلحسوا باصاق ولا تنهم على سبيل التبرك فكان يبعث في أكتفهم فيلحسونه ويحملونه الى مرضاهم يستشفون به ووضع لهم قرأنا يقرؤنه في صلواتهم ويتلون في مساجدهم وزعم انه نزل عليه وأنه وحى من الله تعالى اليه ومن شك في ذلك فهو كافر والقرآن الذي شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم باسماء النبيين وغيرهم منها سورة آدم وسورة نوح وسورة فرعون وسورة موسى وسورة هرون وسورة بني اسرائيل وسورة الاسباط وسورة أيوب وسورة يونس وسورة الجمل وسورة الديك وسورة الخجل وسورة الجراد وسورة هاروت وماروت وسورة ابليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحل وشرع وفصل وتسمى فيهم بصالح المؤمنين وقال أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في كتابه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم كما حكاه البكري عن زمور بن صالح الواقدي أنهم على الحكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم يومئذ أبي منصور عيسى بن أبي الانصار سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة وكان يترجم عنه بجميع خبره داود بن همر المسطاسي قال وكان ظهوره صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة وقد قيل ان ظهوره كان لا قول الهجرة وأنه انتحل ذلك عند ادوا محاكاة لما بلغه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم والاول أصح ثم زعم انه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان وأن عيسى يكون صاحبه ويصلي خلفه وان اسمه في اللسان العربي صالح وفي السرياني مالم وفي الهامي عالم وفي العبراني روييل وفي البربري وارباومعناه الذي ليس بعده نبي ثم خرج الى المشرق بعد ان ملكهم سبعة وأربعين سنة ووعدهم انه يرجع اليهم في دولة السابع منهم وأوصى بنيه بالتمسك بدينه فتوارثوا ضلالتهم من بعده الى أواسط المائة الخامسة وكان للدول فيهم ملاحم الى ان جاءت دولة المرابطين فحوا أثر بدعتهم وسنميد القول فيهم بإسقاط من هذا عند الوصول اليها ان شاء الله

الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم

كان عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه واليا على المغرب كما مر وهو الذي افتتح الاقصى منه ولما استشهد بالراب بقي بنوه به فكانت لهم وجاهة معروفة بين أهلها فكان أبيهم عقبة من جهاد العدو وما فتح الله على يده من الاقطار واختطاطه مدينة القيروان التي هي كرسى الامارة فكان ما منح الله أهل المغرب من الاسلام والدين كله في صحيفته فينالوا بذلك شرفا خاصا زيادة على شرف القرشمية وعز الفهرية فكان يكون لهم الشفوف في بعض الاحيان حتى على الولاة فضلا عن غيرهم وقد تقدم لنا في أخبار موسى ابن قيس يرانه استعمل ابنه عبد العزيز على الاندلس فتنازع عليه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وقتله بأغراء سليمان بن عبد الملك وتقدم أيضا ما كان منه الى كلثوم بن عياض عند قدومه القيروان من التوعد حتى أدى ذلك الى مقاتلتها ولما قتل حبيب هذا في وقعة كلثوم المتقدمة كان ابنه عبد الرحمن ابن حبيب صاحب الترجمة في جلة أصحاب بلج الناجين الى سبته ولما قتل أصحاب بلج عبد الملك بن قطن الفهري وصلبوه كما مر فارقهم عبد الرحمن هذا الماصنعوا بابن عمه وعزم على الطلب بدمه فاجتمع اليه نحو مائة ألف من عرب الاندلس وبربرها وعمد الى بلج فقتله في خبر طويل ثم حاول عبد الرحمن التغلب على الاندلس فلما قدم أبو الخطار واليا عليها من قبل حنظلة بن صفوان أيس منها وركب البحر الى المغرب فاحتل بتونس في جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وقد توفي هشام وولى الخلافة بعده الوليد بن

يزيد القاسق قد عابده الرجن أهل تونس الى نفسه فأجاوه وبلغ ذلك حنظلة صاحب القيروان فكره قتال المسلمين وسفك دماهم فبعث اليه جماعة من وجوه الجند يدعونه الى الطاعة فلما وصلوا اليه انتهز الفرصة وأوثقهم في الحديد وأقبل بهم الى القيروان فيمن اجتمع اليه وأرسل الى أوليائهم يحذرهم قتاله ويقول ان رميتهم ولو بجحر قتلتم من في يدي فأجبهوا عنه ضنا بأشرافهم عن القتل وعلم بذلك حنظلة فارتحل الى المشرق سنة سبع وعشرين ومائة ودخل عبد الرحمن القيروان وتمكن منها واستولى على المغرب وهو أول متغلب عليه قالوا ولما ولي مروان بن محمد المعروف بالجار الخلافة بعث اليه بعهدده وكان أمر البربر يومئذ قد تفاقم وداء الخارجية قد أعضل ورؤسها قد نبغت في كل جهة فانتقضوا من أطراف البقاع وتوالتبوا على الأمر بكل مكان داعين الى يدعهم وتولى كبر ذلك منهم صنهاجة فانهم التفوا على كبيرهم ثابت الصنهاجي وتغلبوا على باجة وثارت هواربة بطرابلس ملتفين على رئيسهم عبد الجبار والحارث وغير هؤلاء وكانوا على مذهب الاباضية فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسي لما خرج يدعوهم الى السلم وعظم الخطب فزحف اليهم عبد الرحمن بن حبيب سنة احدى وثلاثين ومائة فظفر بالصنهاجي والمواري وقتلهم ما وصل جوعهما ثم زحف الى عروبة بن الوليد الصفري وكان قد ثار بتونس فقتله واستأصل الثوار وانقطع أمر الخوارج من افريقية ثم زحف سنة خمس وثلاثين ومائة الى جوع من البربر كانوا قد تجمعوا بنواحي تلمسان فظفر بهم وقل جمعهم ورجع ثم أغزاجيشافي البحر الى اصقلية وآخر الى سردانية فانتحنوا في أم القرنج حتى أذعنوا للجزيرة ودوخ عبد الرحمن أرض المغرب وأذل المعاندين الى ان كان ما نذكره وهو أما أهل الاندلس ففانهم كانوا قد دخلوا أبا الخطار وولوا عليهم ثوبة ابن سلامة الجذامي فقال ابن بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب فكتب اليه بعهدده وذلك سلخ رجب سنة سبع وعشرين ومائة فضبط البلاد واستقر واليائستين أو نحوها ثم هلك وولى أهل الاندلس عليهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب وهو ابن صاحب الترجمة وهو ذكر الرازي أن مولده كان بالقيروان وأنه لما استولى أبوه على المغرب خرج يوسف هذام فاضباله لأمرا فقتل ذلك فقدم الاندلس واستوطنها وسادها فأقامه أهلها واليائ عليهم بعد أميرهم ثوبة وقد مكثوا فوضى أربعة أشهر وكان اجتماعهم عليه بأشارة الصميل بن حاتم الكلبي فاستبد يوسف بالاندلس وضبطها الى ان دخل عليه عبد الرحمن بن معاوية الأموي المعروف بالداخل فانتزعها منه وأورثها بنيه كاسيأتى ولما استقر قدم الدولة العباسية بالمشرق وانقرض أمر بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة وذهبوا في كل وجه أفلت عبد الرحمن بن معاوية هذا وقصد المغرب فاجتاز بالقيروان وبها عبد الرحمن بن حبيب صاحب الترجمة فارتاب به وعزم على قتله فنجبا الأموي الى الاندلس وكان من أمره ما كان وذكر ابن حيان أن عبد الرحمن بن معاوية الأموي سار حتى أتى افريقية فنزلها وقد سبقه اليها جماعة من فل بنى أمية وكان عند صاحبها عبد الرحمن بن حبيب يهودي حدثا في قد صاحب مسلمة بن عبد الملك فكان يتمكن له ويخبره بتغلب القرشي وملكه الاندلس ويرثها عقبه من بعده وان اسمه عبد الرحمن وهو ذو صفيرتين ومن بيت الملك فاتخذ القهري صفيرتين أرسلهما رجا أن تناله الرواية فلما جىء اليه بعبد الرحمن الأموي ورأى صفيرتيه قال لليهودي هو هذا وأنا قتاله فقال له اليهودي ان قتله فها هو به وان غلبت عليه فانه لهو وثقل فل بنى أمية على ابن حبيب فطرد كثير منهم خوفا على ملكه ثم تجنى على ابنه الوليد بن يزيد كانا قد استجارا به فقتلهم وأخذ ما لا كان مع اسمعيل بن أبيان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على أخته فترجها غصبا وطلب عبد الرحمن الداخل فاختفى كذا ابن حيان وعند ابن خلدون أن الاخت المذكورة زوجها عبد الرحمن من أخيه الياس بن حبيب ولما قتل ابن عمها امتعضت لذلك وأعرت زوجها واستفسدت على أخيه حتى قتله كما نذكر وذلك انه لما انتظم أمر الدولة العباسية بالمشرق

و يبيع السفاح ثم المنصور بعده كتب الى عبد الرحمن بن حبيب يدعو الى الطاعة والبيعة فاجابه ودعاه
وبعث اليه بمديية فيها بزة وكلاب وذهب قليل وذكر ان افريقية اليوم اسلامية وقد انقطع السبي
فغضب المنصور وكتب اليه يتوعده وبعث اليه مع ذلك بخلة الامارة فترع عبد الرحمن يده من الطاعة
ومزق الخلة على المنبر فوجد اخوه الياس بذلك السبيل الى ما كان يحاوله عليه ودخل وجوه الجند
في القتله واعدت الدعوة للخليفة المنصور وما لاه على ذلك اخوه عبد الوارث بن حبيب وأحسن
عبد الرحمن منهم ما بالشرق فامر الياس بالسير الى تونس فظهر الامتثال ثم جاء ليوذعه ومعه عبد الوارث
وكان عبد الرحمن مريضاً فدخل عليه وقتله على فراشه آخر سنة سبع وثلاثين ومائة لعشر سنين وسبعة
أشهر من تغلبه على المغرب

استيلاء الياس بن حبيب على المغرب

لما قتل الياس باخيه عبد الرحمن معتد اعليه بخلة طاعة الخليفة فرباه حبيب بن عبد الرحمن الى تونس
بعد ان طلبوه وضبطوا أبواب القصر لئلا يخذوه فلم يظفروا به وكان معه عمران بن حبيب واليا بتونس من
قبل أبيه فلحق به وتم الامر لالياس واستولى على القيروان ثم زحف اليه عمران وحبيب فيمن اجتمع
اليهم ما خرج الياس للقائهم فالتقوا واقتلوا اماليا ثم اصطلموا على أن يكون لحبيب قفصة وقسطيلة
وسائر بلاد الجريد ولعمران تونس وسطفورة والجزيرة ولا لالياس القيروان وسائر افريقية والمغرب وتم
هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين ومائة وسار حبيب الى عملة من بلاد الجريد وارحل الياس مع أخيه عمران
الى تونس ولما وصل اليها غدر الياس بعمران فقتله وقتل جماعة من الاشراف معه وقيل غربه الى
الاندلس وعاد هو الى القيروان فبعث بطاعته الى أبي جعفر المنصور مع قاضي افريقية عبد الرحمن بن
زياد بن أنعم وصفه له أمر المغرب وثقل عليه مكان حبيب فاحتال عليه حتى أركبه البحر الى الاندلس
وأركب معه أخاه عبد الوارث فردهم قاصف من الرمح الى طبرقة وكتبوا بخبرهم الى الياس فليج في
طردهم وتسامعت موالي عبد الرحمن وشيعته بآين مولا هم قسار عوا اليه وأنزلوا من السفين والتقوا
عليه وزحفوا به الى تونس فلكوها وخرج الياس لقتالهم فخالفوه الى القيروان وما لكوها عليه وقتلوا
السجون فرجع الياس لقتالهم وقد فرأ أكثر من معه الى حبيب ولما تراء الجمعان حول القيروان برز
حبيب فنادى يا عم لم تقتل أولياءنا ووصنائعنا وهم جنتنا فسلم للبراز فأنا غلب ملك فصاح الجيوشان
بتصويب رأيه فبرزوا وتضاربوا حتى عجب الناس من صبرهما ثم قتل حبيب الياس ودخل القيروان فلكها
آخر سنة ثمان وثلاثين ومائة فكانت ولاية الياس نحو سنة ونصف وفي هذه السنة استولى عبد الرحمن
ابن معاوية الاموي على جزيرة الاندلس انتزعها من يد أميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهري وهو أخو
حبيب المذكور آنفاً قال ابن حبان كان تغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك
بقرطبة يوم الاضحى لعشر خاؤون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة واستقام أمره بالاندلس وبني
المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه ودفن عليه جماعة من
أهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور العباسي ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثل بها الملك
العظيم لبني مروان وخرجت الاندلس من يومئذ عن نظر صاحب القيروان بل وعن نظر الخليفة بالمشرق
والله غالب على أمره

استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وقتنة عاصم بن جميل المتني ومقتله

لما قتل حبيب بن عبد الرحمن عمه الياس وتمكن من القيروان طلب عمه عبد الوارث لمشاركته في دم
أبيه كما أمر ففر عبد الوارث الى ورجومة احدى بطون نفزاو بن لوى من البرابرة البسترقنزل على كبيرهم
عاصم بن جميل وكان كاهناً يدعى النبوة فاجاره ثم نهض اليهم حبيب فاقعوا به وهزموه الى قابس

واستقبل أمر عاصم وشايعة على شأنه من رجالات نفراوة عبد الملك بن أبي الجعد الورنجوي ويزيد بن
سكوم الوهاصي وكانا على رأي الاباضية وانضمت اليهم سائر نفراوة واشتدت شوكتهم وكان قيامهم أولا
بدعوة الخليفة المنصور ولم يبق أهل القيروان فوضى بسبب فرار أميرهم إلى قابس كتب من بهامن
العرب إلى عاصم هذا يدعونه للقدوم عليهم والقيام بأمرهم بشرط الدعاء للمنصور فأقروا قاتلهم فهزمهم
ودخل القيروان عنوة واستباح أهلها وخرّب مساجدها وأهانها ثم سار إلى حبيب بقابس بعد أن
استخلف على القيروان ومن بقي بها من نفراوة عبد الملك بن أبي الجعد فقاتل حبيبا وهزمه فلقى حبيب
بجبل أوران وأجاره أهلهم ثم زحف إليهم عاصم فهزموه وقتلوه واستلموا جماعة من أصحابه وقام بأمر
ورنجومة والقيروان من بعده عبد الملك بن أبي الجعد وأهل القيروان أثناء هذا كله في غاية المذلة
والهوان مع البربر ثم زحف حبيب إلى القيروان فبرز إليه عبد الملك وهزم حبيبا وقتله في المحرم سنة
أربعين ومائة فكانت ولايته نحو ثلاث سنين وانقرض بعثته أمر آل عقبه من المغرب والبقاء لله وحده

استيلاء عبد الملك بن أبي الجعد على المغرب

لما قتل عبد الملك بن أبي الجعد الورنجوي حبيب بن عبد الرحمن الفهري رجع في جوع البربر إلى القيروان
فلما كانوا أمرهم وورنجومة واستطالوا على أهل القيروان وقتلوا من بهامن قريش وسائر العرب حيث
وجدوا وعاملوهم معاملة المكاسبين لآل أدريس واستحلوا من الحرمات ما لم يستحلها عاصم بن حنبل
قبلهم حتى لقد ربطوا دوابهم بالمسجد الجامع واشتد البلاء على أهل القيروان واقتربوا في النواحي فرارا
بأنفسهم وشاع خبرهم في الآفاق فحينئذ قام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري من رجالات
العرب وكان على رأي الاباضية بأحوال طرابلس منكر الفعلة وورنجومة ومغيرا عليهم حسبما ذكر

استيلاء عبد الأعلى بن السمع على المغرب وظهور الصفرية من آل مدرار المكاسبين وبنائهم مدينة سجلماسة

كان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري من وجوه العرب وكان على رأي الاباضية كما قلنا ولما
بلغه ما ارتكبه وورنجومة من أهل القيروان امتنع عن ذلك وقام محتسبا عليهم وشايعة على ذلك
برابرة طرابلس وتولى كبر ذلك هوارة منهم وهوارة إحدى بطون أوريقة من البرانس فاجتمعوا
إليه وتقدم بهم إلى طرابلس فلما كانوا زحف إلى القيروان سنة إحدى وأربعين ومائة تفرج إليه
عبد الملك بن أبي الجعد في جوعه فأنزل عنه أهل القيروان لما ناله من عسفه وعسف قومه فانهزم
وقتل واستولى أبو الخطاب على القيروان وأثنى في جوع عبد الملك من وورنجومة وسائر نفراوة ثم ولي
على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو من أبناء رستم أمير الفرس يوم القادسية كان عبد الرحمن
هذامن موالى العرب ومن رؤس هذه البدة فاستخلفه أبو الخطاب على القيروان ورجع هو إلى
طرابلس للقاء العساكر القادمة من جهة الخليفة المنصور على ما ذكره ولما حصل هذا الاضطراب
بالمغرب اجتمعت الصفرية من مكاسة بناحية المغرب الأقصى فنقضوا طاعة العرب ولوا عليهم عيسى
ابن يزيد الاسود من موالى العرب ورؤس الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة سنة أربعين ومائة من
الهجرة ودخل سائر مكاسة من أهل تلك الناحية في دينهم واقتطعوا سجلماسة وأعمالها عن نظر
الولاة بالقيروان ومن هذا الاجتماع نشأت دولة بني مدرار ملوك سجلماسة فان صفرية مكاسة
لما بايعوا عيسى بن يزيد أقام أميراً عليهم ثم نحو خمس عشرة سنة ثم سقطوا أمره ونقموا عليه بعض
أحواله فعمدوا إليه وأثقلوه وكنافوا وضعوه على قنة جبل إلى أن هلك سنة خمس وخمسين ومائة واجتمعوا
بعده على كبيرهم أبي القاسم بن سمكو ابن واسول المكاسبى الصفرى كان أبوه سمكو من حلة العلم ارتحل
إلى المدينة فأدرك التابعين وأخذ عن عكرمة مولى ابن عباس قاله غريب بن حميد القرطبي في تاريخه وكان

في ولاية عمر بن حفص هزار مردي على المغرب

لما بلغ الخليفة المنصور مقتل الاغلب بن سالم وجه مكانه عمر بن حفص من ولد قبضة بن أبي صفرة أخي المهلب بن أبي صفرة فقدم القيروان في خمسمائة فارس سنة احدى وخمسين ومائة فاستقامت أموره ثلاث سنين ثم خرج الى طبنة لادارة السور عليها واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبى فثار البربر بافريقية لما علموا من بعد الحامية عنها وغلبوا على من كان بها وزحفوا الى القيروان فخرج اليهم حبيب فهزموه وقتلوه وثار البربر الاباضية بطرابلس وولوا عليهم أباحاتم يعقوب بن ليث المغيلي مولى كندة وتسامعت به خوارج المغرب فانتقضوا من كل ناحية ونبغت رؤس الفتنة من كل وجه وعادت هيف الى أديانها وكانت هذه الفتنة هي زبدة الفتنة التي مخضتها الخوارج بالمغرب من لدن ميسرة الخفير الى الآن فانهم زحفوا الى عمر بن حفص وهو بطبنة من أرض الزاب في اثني عشر ألف عسكري فكان منهم أبو قرعة اليفري في أربعين ألفا من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت في خمسة عشر ألفا من الاباضية والمسور بن هاني الزناتي في عشرة آلاف من الاباضية أيضا وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي في ألفين من صنهاجة الصفرية وجرير بن مسعود المدبوني فيمن تبعه من مديونة وانضم اليهم غير هؤلاء من خوارج هواره وزناتة ممن لا يحصى كثرة ولما اشتد الحصار على عمر بن حفص عمل الحيلة في ايقاع الخلاف بينهم ودافعهم بالاموال وأرسل الى أبي قرعة على يد ابنه أبي نوران يعطيه أربعين ألفا ولا يثبته أربعة آلاف على ان يرتحل عنه فقبل وارتحل بقومه وانضم البربر عن طبنة ثم سار أبو حاتم يعقوب بن ليث الى القيروان وحاصرها ثمانية أشهر حتى أكل أهلها الميتة ولما اشتد الحصار على أهل القيروان خرج عمر بن حفص من طبنة يريد أباحاتم والاباضية الذين معه وبلغ أباحاتم وأصحابه وهم محاصرون القيروان مسير عمر بن حفص اليهم فسار والقائه فمال هو من الاربعين الى تونس ثم جاء الى القيروان فدخلها واستعد للحصار وتحصنها بالاقوات والرجال وأتبعه أبو حاتم والبربر وأبو قرعة معهم في قومه وكانوا في ثلاثمائة وخمسين ألفا انطلق منهم خمسة وخمسون ألفا والباقي رجالة وأحاطوا بالقيروان وعمر بن حفص داخلها واطال الحصار ثم بلغه الخبر ان المنصور وجهه لاستنقاذه ابن عمه يزيد بن حاتم المهلبى فانف من ذلك وقال لا خير في الحياة بعد ان يقال يزيد أخرجه من الحصار اغما هي رقدة ثم أبعث الى الحساب وخرج عمر فقاتل حتى قتل أو اسقط حجة سنة أربع وخمسين ومائة وكان عمر هذا بطلاس حمال يلقب هزار مردي وهو لفظ فارسي معناه ألف رجل ثم ولي الناس عليهم أخاه لأمه حميد بن صخر وانقضى الحصار وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان وثلم سورها وخرج أكثر الجند الى طبنة ودخل أبو حاتم القيروان فاستولى عليها ويقال ان ابن صخر وادعه على ما أحب والله تعالى أعلم

في ولاية يزيد بن حاتم على المغرب

لما بلغ المنصور انتفاض افريقية على عمر بن حفص وحصاره بطبنة أولا ثم بالقيروان ثانيا بعت اليه يزيد بن حاتم بن قبضة بن المهلب بن أبي صفرة في ستين ألفا وبلغ خبره عمر بن حفص فحمله ذلك على الاستماتة كما تقدم وبلغ أباحاتم وهو بالقيروان مسير يزيد بن حاتم اليه فخرج للقائه فلقبه يزيد بن حاتم بنواحي طرابلس واقتتلوا قتالا شديدا فانهم البربر وقتل أبو حاتم في ثلاثين ألفا من أصحابه وتبعهم يزيد بالقتل طلبا بدم عمر بن حفص ثم ارتحل الى القيروان فدخلها يوم الاثنين لعشر مضت من جادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائة فهدا ورتب أسواقها وأفراد كل صناعة مكانا وجدد بناء جامعها وضبط الامور أحسن ضبط وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهرى مع أبي حاتم فخلق بكامة فبعث يزيد في طلبه المخارق بن غفار فحاصره ثمانية أشهر ثم غلب عليه فقتل جاعة ممن معه وهرب الباقيون في كل ناحية ونجى هو الى الاندلس وبعث يزيد المخارق أيضا على الزاب فنزل طبنة وأثنى في البربر وأوقع

بهم وقائع عظيمة وكانت حروب الخوارج مع العرب منذ انتقضوا على عمر بن حفص الى انقضائهم اثلاثمائة وخمساوسبعين حربا قاله ابن خلدون ثم انتقضت ورجومة سنة سبع وخمسين وولوا عليهم رجلا اسمه أبو زرجونة فسرح اليهم يزيد بن حاتم من عشيرته يزيد بن مجزأة المهلبى فهزموه واستأذنه ابنه المهلب وكان على الزاب وطبينة في الزحف الى ورجومة فأذن له وأمدّه بالعسلاء بن سعيد بن مروان المهلبى من عشيرتهم أيضا فأوقع بهم وقتلهم أبرح قتل وانتقضت فتراوة من بعد ذلك في سلطنة ابنه داود بن يزيد فاستأصلهم قتلا أيضا فركدت ریح الخوارج من البربر حينئذ وتداعت بدعتهم الى الاضمحلال **وقال** ابن خلدون **لم يزل** أمر الخوارج بالمغرب يعني أيام يزيد هذا في تناقض الى ان اضمحلت ديانتهم وافتقرت جماعتهم وبقيت آثار فخلتهم في اعقاب البربر الذين كانوا بها في صدر الاسلام ففي بلاد زناتة بالعصراء منها أثر باق لهذا العهد وكذلك في جبال طرابلس أثر باق من تلك النحلة والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء واستقر يزيد بن حاتم ضابطا لأمير افريقية والمغرب الى ان توفي بها يوم الثلاثاء لاثنى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة في خلافة هرون الرشيد العباسى فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وولى الناس عليهم ابنه داود الى ان كان ما نذكره وكان يزيد رجه الله من السمماء الاجناد والفضلاء الاجناد وكل بنى المهلب كذلك وبهم ضرب المثل أبو محمد الحريرى في المقامات اذ قال وصار الادب أعلق بي من الهوى بينى عذرة والشجاعة بآل أبي صغرة وقال الشاعر الحماسي

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان في الزمن المحل

فأزال بي معروفهم وافتقادهم * وبرّهم حتى حسبتهم أهلى

وقد ما يزيد **ي** هذا من بينهم فخاله في الشجاعة وجودة الرأى كما رأيت وأما الجود والسخاء فهو فيهما المثل السائر كان ربيعة بن ثابت الرقى الشاعر مدح يزيد بن أسيد بالتصغير السلى وهو وال على أرمينية فقصر في حقه ثم مدح يزيد بن حاتم فبالغ في الاحسان اليه فقال ربيعة من قصيدة

لستان ما بين اليزيد بن الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد لا مال غير مسلم

فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

ولاية روح بن حاتم على المغرب

ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم وكان أخوه روح واليا على فلسطين وكان أسن من يزيد استقدمه وعزاه في أخيه وولاه على المغرب فقدم القيروان منتصف سنة احدى وسبعين ومائة وكان يزيد قبله قد أذل الخوارج ومهد البلاد كما قلنا فكانت أرض المغرب ساكنة أيام روح ورغب في موادعته عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت فوادعه **وقال** ابن خلدون **وفي** أيام روح انخفضت شوكة البربر واستكانوا للغلب وطاعوا للذين فضرّب الاسلام بجرانه وألقت الدولة المضربة على البربر بكلها **اه** كلام ابن خلدون * وفي أيام روح أيضا اجتاز الامام ادريس بن عبد الله ببلاد مصر وافريقية ناجيا من وقعة فخ التي كانت بمكة لآل العباس على آل على بن أبي طالب رضى الله عنهم ودخل مدينة ولىلى من المغرب الاقصى سنة ائنتين وسبعين ومائة كما سيأتى ان شاء الله **وقال** ابن خلدون **كان** روح بن حاتم من الكرماء الاجواد ولى خمسة من الخلفاء السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد ويقال انه لم يتفق مثل هذا الا لابي موسى الاشعري رضى الله عنه فانه ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضى الله عنهم **قال** وكان روح واليا على السند وولاه عليها المهدي بن المنصور فلما مات أخوه يزيد بالقيروان ودفن بباب سلم قال أهل افريقية ما أبعد ما يكون بين قبرى هذين الاخوين فان أخاه بالسند وهذا هنا فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل افريقية أول رجب

سنة احدى وسبعين ومائة ولم يزل واليا بها الى أن توفي بها الاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ودفن مع أخيه يزيد في قبر واحد فحبب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد وجههما الله (ثم ولي المغرب) من قبل الرشيد حبيب بن نصر المهلبى ثم عزله سنة سبع وسبعين ومائة وولى على المغرب الفضل بن روح بن حاتم وقتله عبد الله بن الجار ودمته صف سنة ثمان وسبعين ومائة وانقرضت بأقراضه دولة آل المهلب من المغرب ثم ولي الرشيد على المغرب هرثة بن أعين فبنى القصر الكبير بالمندستير وبنى السور على طرابلس من جهة البحر ولما رأى هرثة ما بالمغرب من كثرة الثوار والخلاف استعفى الرشيد من ولايته فأعفاه لستين ونصف من ولايته ثم ولي الرشيد على أفريقية محمد بن مقاتل العكي وكان رضياله فاضطربت عليه أفريقية وبلغ الرشيد ذلك وطلب أهل أفريقية من ابراهيم بن الاغلب وكان من عمال محمد بن مقاتل أن يكتب الى الرشيد في الولاية عليهم فكتب الى الرشيد في ذلك على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر الى أفريقية اعانة للولاية بها وعلى أن يحمل هو من أفريقية الى الخليفة أربعين ألفا وبلغ الرشيد غناؤه وكفايته فاستشار فيه أصحابه فأشار هرثة بن أعين بولايته فكتب له بالعهد على أفريقية منتصف أربع وثمانين ومائة فقام ابراهيم بالامر وضبط البلاد فسكنت واستراحت من الفتن وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل اليها بجمااته وأورث بأفريقية ملكا بنيه من بعده وفي هذه المدة انقسم المغرب الى ثلاث عمالك فكان بنو الاغلب بأفريقية والقيروان وبنو خزالمغراويون بالمغرب الاوسط وتلمسان وبنو ادريس بالمغرب الاقصى وقبل ان تغرد الكلام عليه نذكر فصولا نشير فيه الى مذاهب أهل المغرب ونحلهم على الجملة والله الموفق

في القول في مذاهب أهل المغرب أصولا وفروعا وما يتبع ذلك

قد تقدم لنا ما قاله الشيخ ابن أبي زيد رحمه الله من ان البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة وأنه لم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد موسى بن نصير وبعد فتحه الاندلس ثم كمل اسلامهم على يد اسمعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر وتقدم ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في دينهم فكان المغاربة في صدر الاسلام لذلك على مذهب جمهور السلف من الامة واعتقادهم وهو المذهب الحق الى ان حدثت فيهم بدعة الخارجية لاقول المائة الثانية من الهجرة تزع اليهم بها بعض أهل النفاق من خوارج العراق وبثوها فيهم فتلقوها منهم بالقبول وحسن موقعها لديهم بسبب ما كانوا يعانونه من ثقل وطأة الخلافة القرشية وجور بعض عمالها حسبما تقدمت الاشارة اليه فلحقهم أهل البدع ان الخلافة لا تشترط فيها القرشية بل ولا العربية وان كل من كان أتقى لله كان أحق بها ولو عبد احب شيئا على ظاهر الحديث ودسوا اليهم مع ذلك بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم وأروهم ما هم عليه من التصلب في دينهم فظهر للبربر يادى الرأى ان تعمقهم ذلك اغما هو أثر من آثار الخشية لله والخوف منه وان ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعا وغاب عنهم ان الدين يسر كما قال صلى الله عليه وسلم وان مله الاسلام عرفت من بين الملل بالحنيفية السمحة لذلك والله تعالى يقول ما جعل عليكم في الدين من حرج ومن أمعن نظره في نصوص الشريعة من الكتاب والسنة علم يقينا ان طريق النجاة اغما هي سلوك الوسط وان كلاما من التعمق والانحلال ضلال والى ذلك الاشارة بقوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية وقد قرر جمع من الامة المقتضى بهم كالفراغ الى الاحياء وغيره ان المأمور في أمور الديانات كلها اغما هو سلوك الوسط بين الافراط والتفريط وبه يتم مراد الله من خلقه وكلا طرفي قصدا الامور ذميمة وهذا مبحث طويل نفيس وقدر من نال اليه هذه النبذة اليسيرة والتوفيق بيد الله وقدر سخط هذه البدعة الخارجية في البربر زمانا طويلا الى ان اضمحلت في أواخر المائة الثانية وما بعدها ومع ذلك فقد بقيت منها آثار

في أعقابهم من أصحاب الاطراف كما ذكره ابن خلدون والناقد بصير ولما ظهر الخلفاء من بني العباس
 المغرب من هذه النزعة الشيطانية أخذ أهله بعدها بمذهب أهل العراق في الاصول والفروع لان ذلك
 المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق والناس على قدم امامهم **ع** قال عياض في المدارك **ع** ظهر
 مذهب أبي حنيفة بافريقية ظهورا كثيرا الى قرب أربع مائة سنة فانقطع منها ودخل منه شيء الى
 ما وراءها من المغرب قديما بمدينة فاس وبالاندلس **و** كذا ظهر بالاندلس أيضا مذهب عبد الرحمن
 الاوزاعي من أهل الشام واختلف الناس في السبب الذي انتقل به أهل المغرب عن مذهب أبي حنيفة
 وغيره الى مذهب الامام مالك بن أنس الذي هو مذهب السلف من أهل الحجاز فقال ابن خلكان في
 ترجمة المعز بن باديس الصنهاجي المتوفى في أواسط المائة الخامسة مانصه كان مذهب أبي حنيفة ورضي
 الله عنه بافريقية أظهر المذاهب فحمل المعز المذ **ك** وجميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك
 رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال من ذلك الوقت الى الآن **هـ** **ع** قلت **ع**
 كان المعز هذا أو أسلافه من صنهاجة بافريقية على مذاهب الرفض من الشيعة أخذوه عن خلفائهم
 العبيديين أيام استيلائهم على المغرب في صدر المائة الرابعة وجاؤا الناس عليه واحتنوههم وطارت
 بدعتهم في أقطار المغرب كله فلما أفضى الامر الى المعز بن باديس المذكور قطع دعوة الشيعة من افريقية
 ودعا لبني العباس وحمل الناس على التمسك بمذهب مالك عالم المدينة وامام دار الهجرة هذا والمعروف
 ان مذهب مالك ظهر أولا بالاندلس ثم انتقل منها الى المغرب الأقصى أيام الادارة وكذا ظهر بافريقية
 ظهورا يينا قبل وجود المعز بكثير بل قبل استيلاء صنهاجة والعبيديين على المغرب وذلك على يد أسد بن
 القرات وعبد السلام بن سعيد التتوخي المعروف بسحنون وغيرهما من أئمة المغاربة نعم لما ظهرت دولة
 الشيعة بافريقية حاولوا محوه فلم يتيسر لهم ذلك وكان فقهاء المالكية في ذلك العصر معهم في محنة
 عظيمة منهم ابن أبي زيد والقاسبي وأبو عمران الفاسي وطبقته ثم ولم يزل الامر على ذلك الى ان نصره المعز
 المذكور بخزاه الله خيرا قالوا وكان ظهوره بالاندلس على يد الفقيه زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبوطون
 فهو أول من أدخله بالاندلس وكانوا قبل ذلك يتفقهون على مذهب الاوزاعي امام أهل الشام لمكان
 الدولة الاموية منهم فلما ظهر مالك رضي الله عنه بالمدينة وعظم صيته وانتشرت فتاويه باقطار الارض
 رحل اليه جماعة من أهل الاندلس والمغرب كان من أمثلهم وأسبقهم شبوطون المذكور وقرعوس بن
 العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم أيام هشام بن عبد الرحمن الداخل فلما رجعوا وصفوا
 من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به ذكره بالاندلس فانتشر يومئذ علمه ورأيه بها
 وكان رائدا لجماعة في ذلك هو شبوطون كما قلنا وهو أول من أدخل كتاب الموطأ المغرب أتي به مكمل متقنا
 فأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي ثم رحل به كذلك الى مالك فقرأه عليه وصاد الى الاندلس فقام ما كان قد
 بقي من شهرة المذهب المالكي **ع** قال ابن خزم **ع** مذهب ابن انتشر في بدء أمرهم بالرياسة والسلطان
 مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي الرشيد أبا يوسف خطة القضاء كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق
 الى أقصى عمل افريقية ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول
 القول في القضاء وكان لا يلي قاض في أقطار الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا باحبابه ومن كان
 على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون به بلوغ أغراضهم على ان يحيى لم يل قضاء قط
 ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم **هـ** **ع** ورأيت **ع** في بعض
 التأليف في سبب ظهور مذهب مالك بالاندلس والمغرب ان حاج المغرب والاندلس قدموا على مالك
 رضي الله عنه بالمدينة فسألهم عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل فقيل له انه يأكل الشعير
 ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله فقال مالك آيت الله من حرمنا عليه فقدم عليه بنو العباس هذه

المقالة وكان ذلك سبب توصلهم الى ضربيه في مسئلة الاكراه كما هو مشهور وبلغت مقالته صاحب الاندلس فسرهم فوجع الناس على مذهبه فانتشر في اقطار المغرب من يومئذ والله أعلم بما يناسب هنما نقله المؤرخون ان ابا عبد الله محمد بن خيرون الاندلسي الاصل القيرواني الداروحي الى المشرق في صدر المائة الرابعة فآخذ عن علمائه وقرائه وعاد الى افريقية بقراءة نافع بن أبي نعيم وكان الغالب عليهم القراءة بعرف حمزة فشاع حرف نافع من يومئذ في اقطار المغرب بعد ان كان لا يقرأ به الا الخواص واستمر الحال على ذلك الى اليوم فهذا حال اهل المغرب في الفروع وأما حالهم في الاصول والاعتقادات فبعد ان طهرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أولا والرافضية ثانياً أقاموا على مذهب اهل السنة والجماعة مقلدين للمجهور من السلف رضي الله عنهم في الايمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر وهو والله أحسن المذاهب وأسلمها والله در القائل

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المراقب
ونركب للتسليم سقنا فانها * لتسلم دين المرء خيرا المراكب

واستمر الحال على ذلك مدة الى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة فرحل الى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الاشعري ومتأخري أصحابه من الجزم بعقيدة السلف مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة وتخريجه على ما عرف في كلام العرب من فنون مجازاتها وضروب بلاغاتها بما وافق عليه النقل والشرع ويسلمه العقل والطبع ثم عاد محمد بن تومرت الى المغرب ودعا الناس الى سلوك هذه الطريقة وجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره وسمى أتباعه الموحدين تعريضا بان من خالف طريقته ليس بموحد وجعل ذلك ذريعة الى الانتزاع على ملك المغرب حسبما اتفق عليه مفصلا بعد ان شاء الله لكنه ما أتى بطريقة الاشعري خالصة بل من جهاد شيء من الخارجية والشيعية حسبما يعلم ذلك بامعان النظر في أقواله وأحواله وأحوال خلفائه من بعده ومن ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على تعاطي مذهب الاشعري وتقريره وتحريره درسا وتأليفا الى الآن وان كان قد ظهر بالمغرب قبل ابن تومرت فظهورا ما والله أعلم وقد كان محمد بن عبد المؤمن بن علي وبنوه من بعده قد منعوا الناس من التقليد في الفروع وجعلوا الائمة على أخذ الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة على طريقة الاجتهاد المطلق وحرر قواشيا كثيرا من كتب الفروع الحديثية التصنيف ووقع ذلك من بعض علماء عصرهم موقع الاستحسان منهم الامام الحافظ أبو بكر بن العربي فذكر في كتاب القواصم والعواصم له ما يشهد بذلك قال بعد ذكره ما وقع بالمغرب من الفتن مانصه عطفنا عن القول الى مصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى لما كثرت البدع ومذهب العلماء وتعاطت المبتدعة من نصب الفقهاء وتعلقت أطماع الجهال به فنالوه بفساد الزمان ونفوذ وعد الصادق صلى الله عليه وسلم لم في قوله اتخذ الناس رؤسا جهالا فاستلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وبقيت الحال هكذا فانت العلوم الا عند آحاد الناس واستمرت القرون على موت العلم وظهور الجهل وذلك بقدره الله تعالى وجعل الخلف منهم يتبع السلف حتى آلت الحال الى أن لا ينظر في قول مالك وكبراء أصحابه ويقال قد قال في هذه المسئلة أهل قرطبة وأهل طلمنكة وأهل طليطلة وصار الصبي اذا عقل وسلك كوابه أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى ثم نقلوه الى الادب ثم الى الموطأ ثم الى المدونة ثم الى وثائق ابن العطار ثم يختموا له باحكام ابن سهل ثم يقال قال فلان الطليطلي وفلان المجريطي وابن مغيث لا أغاث الله ثراه فيرجع القهقري ولا يزال يعيش الى ورا ولولا ان الله تعالى صر بطائفة تفرقت في ديار العلم وجاءت بلباب منه كالتقاضى أبي الوليد الباجي وأبي محمد

الاصلي فرشوا من ماء العلم على هذه القلوب الميته وعطروا أنفاس الامة الذفرة لكان الدين قد ذهب
ولكن تدارك الباري تعالى بقدرته ضرر هؤلاء بنفع هؤلاء وربما سكنت الحال قليلا والحمد لله اه والله
تعالى ولي التوفيق

تتممة مهمة

قد ظهر ببلاد المغرب وغيرها منذ أعصار متطاولة لاسيما في المائة العاشرة وما بعدها بدعة قبيحة وهي
اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم عن يشار اليه بالولاية
والخصوصية ويخصونه بجزيد المحبة والتعظيم ويتمسكون بخدمته والتقرب اليه قدر ازا اذا على غيره من
الشيوخ بحيث يرسم في خيال جلهم ان كل المشايخ أو جلهم دونه في المنزلة عند الله تعالى ويقولون نحن
أتباع سيدي فلان وخدم الدار الفلانية لا يحولون عن ذلك ولا يزولون خلفا عن سلف وينادون باسمه
ويستغيثون به ويفزعون في مهماتهم اليه معتقدين أن التقرب اليه نافع والانحراف عنه قبيح شبر
ضار مع ان النافع والضار هو الله وحده واذا ذكر لهم شيخ آخر أو دعوا اليه حاصوا حصة جرا الوحش
من غير تبصر في أحواله هل يستحق ذلك التعظيم أم لا فصار الامر عصيا وصارت الامة بذلك طرائق
قددا في كل بلد أو قرية عدة طوائف وهذا الم يكن معروف في سلف الامة الذين هم القدوة لمن بعدهم
وغرض الشارع انما هو في الاجتماع وتعام الامة واتحاد الوجهة وقد قال تعالى لاهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية وقد تم قومافر قوادينهم وكانوا شيعا وانما الشأن في أهل الخصوصية
والدين أن يكونوا عند العاقل المحتاط لدينه كاسنان المشط بحيث يحبهم الله وفي الله ويستشفع بهم الى الله
ويسأله تعالى أن يكرمهم بما أكرمهم به من الخبز والهدى والدين وليحبهم حب التشريع لاحب التشيع
وليتأدب معهم ولا يقدم على مفاضلتهم بالهوى والرجم بالغيب فان ذلك متوقف على الاطلاع على منزلتهم
عند الله وذلك محبوب عنا واذا نزلت به حاجة فليفرع في قضائها الى مولاه الذي خلقه ورزقه مستشفعا
اليه بنبيه الذي هداه للايمان على يده ثم يخواس الامة الذين هم آباؤنا في الدين فان المطاوب من العبد
أن يصرف وجهته وقصده في جميع أمورهِ ويتعلق فيها بالله بحيث لا يطلبها الا منه ولا يتكلم فيها
الا عليه قاطعا للنظر عن كل ما سواه اللهم الاعلى سبيل التوسل والاستشفاع كما قلنا هذا هو التوحيد الذي
بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم واليه دعا وعليه قاتل وسواه شرك ومنا بدله جاء به ان هذا هو القصص
الحق وما من اله الا الله الآية ثم استرسل هؤلاء الطعام في ضلالهم حتى صارت كل طائفة تجتمع في أوقات
معلومة في مكان مخصوص أو غيره على بدعتهم التي يسمونها الحضرة فاشتت من ظست وطار وطبل
ومن مار وغناء ورقص وخبط بالرجل ولخص وربما أضافوا الى ذلك نارا أو غير هائش تعالونه على سبيل
الكرامة بزعمهم ويستغرقون في ذلك الزمن الطويل حتى يضي الوقت والوقت من أوقات الصلوات
وداعي الفلاح ينادي على رؤسهم وهم في حيرتهم يعمهون لا يرفعون به رأسا ولا يرون بما هم فيه من
الضلال بأسا بل يعتقدون ان ما هم فيه من أفضل القرب الى الله تعالى الله عن جهالاتهم علوا كبيرا
ولا تجد في هذه المجمع الشيطانية غالبا الا من باغ الغاية في الجفاء والجهل عن لا يحسن الفاتحة فضلا عن
غيرها مع ترك الصلاة طول عمره أو من في معناه من معتوه ناقص العقل والدين فسا أحوج هؤلاء
الفسقة الى محتسب يغير عليهم ما هم فيه من المنكر العظيم والبس المقيم وأعظم من هذا كله انهم يفعلون
تلك الحضرة غالبا في المساجد فانهم يتخذون الزاوية باسم الشيخ ويجعلونها مسجدا للصلاة بالحرب والمنار
وغير ذلك ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة فكما رأينا من عود ورياب ومن مار على أفخس الهيات في
محاريب الصلوات ويومون بدعتهم الشنيعة محكا كاتهم أضرحة الشيوخ ليبت الله الحرام من جعل
الكسوة لها وتحديد الحرم على مسافة معلومة بحيث يكون من دخل تلك البقعة من أهل الجرائم آمنا

وسوق الذبايح اليها على هبشة الهدى واتخاذ الموسم كل عام وهذا أمثاله لم يشرع الا في حق الكعبة
ثم يقع في ذلك الموسم ولا سيما مواسم البادية من المناكر والمفاسد العظام واختلاط الرجال بالنساء باديات
متبرجات شأن أهل الاباحة وشأن قوم نوح في جاهليتهم ماتصم عنه الاذان ولا منه كبر ولا منكر ولا منكر
ولا تمتعض للدين لابل الحسب فاما الدين عند هؤلاء فلا دين فان الله وانا اليه راجعون على ضيعة الدين
وغفلة أهله عنه وبالله وبالله المسلمين هؤلاء الهجج الرعاع الذين سلبوا المروءة والحياء والغيرة والعقل والدين
والانسانية جلة فليسوا في فطنة الشياطين ولا في سلامة صدور البهائم ولا في نخوة السباع فيغضبوا الدينهم
ومروءتهم ويومن جهالاتهم القبطية يجمعهم بين اسم الله تعالى واسم الولي في مقامات التعظيم كالقسم
والاستعطاف وغيرها فاذا أقسموا قالوا بحق الله وبحق سيدي فلان واذا عزموا على أحد قالوا دخلت
عليك بالله وسيدي فلان واذا سأوا قالوا من يعطينا على الله وعلى سيدي فلان فيعطفون اسم العبد على
اسم مولاه بالواو المقتضية للتشريك والتسوية التامة في مقام قد حذر الشارع أن يتجاوز فيه اسم الله الى
غيره وهذا هو صريح التبرك ويومن مناكرهم الجديرة بالتغيير يجمع اجتماعهم كل سنة للوقوف يوم
عرفة بصرح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ويسمون ذلك حج المسكين فانظر الى هذه
الطامة التي اخترعها هؤلاء العامة ويومن اختراعاتهم يسميتهم لبدعتهم بالحضرة كما قلنا أخذنا من اسم
حضرة الله تعالى في اصطلاح الأئمة العارفين من الصوفية كأهل رسالة القشيري ومن في معناهم
فأوهم هؤلاء الشياطين بهذه التسمية انهم يكونون في حال اشتغالهم بتلك البدعة في حضرة الله تعالى ثم
يذهبون فيسمون جنونهم وتخبطهم على تلك الطبول والمزامير بالحال أخذنا من الحال التي تعترى السالك
الى الله تعالى في حال ترقيه في درجات المعرفة والوصول وهذا هو المراد من أفجع الضلالات وأشنع
الجهالات الى غير هذا مما أغنى فيه العيان عن الخبر وعرفه الخاص والعام في حالي الورد والصدر ولستنا
نذكر على أولياء الله وأهل الخصوصية منهم أو على من يسلك سبيلهم على الوجه المقرر في كتب الأئمة
المقتدى بهم منهم وانما نشرح حال هؤلاء الجهلة الذين لم يأتوا الا من باب ولا أخذوه عن أربابهم وانما حالهم
ما رأيت وعلت وهذه نفثة مصدر صاحبها عند المنصف معذور فنسأل الله العظيم المولى الكريم أن
يحرك همة من له القدرة والتصرف الى حسم هذه الضلالات وقطعها عسى أن يرجئنا ربنا ويحبر كسرنا
ويكبت عدونا اذا نحن واجعون نادينا وسنة نبينا ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال * وقد آن أن نفرّد الكلام على المغرب الاقصى عند
ما استولى عليه المولى ادريس بن عبد الله وبنوه من بعده واقطعوه عن نظرات الخلفاء بالشرق وصيره
مملكة مستقلة اذ كان ذلك من شرط كتابنا هذا حسبما تقدمت الاشارة اليه مقدم من ذلك ما يجب
تقديمه من الاشارة الى أمر الخلافة وتنازع أهل الصدر الاول في استحقاقها ومن هو أولى بها ثم نتخلص
منه الى المقصود بالذات والله الموفق

والخبر عن دولة آل ادريس بالمغرب الاقصى وذكر السبب في أوليتها

اعلم انه قد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الامر في قریش لا يعاديهم أحد
الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين * وفيه أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر في قریش
ما بقي منهم اثنان وغير ذلك وقال الحافظ ابن حجر * لو فقد قرشي فكأن من بني اسمعيل ثم يعمى
على ما في التهذيب أو جرحى على ما في التمهة ثم رجل من بني اسحق وأن يكون شجاعا يغزو بنفسه ويعالج
الجوش ويقوى على فتح البلاد ويحمي البيضة وأن يكون أهلا للقضاء بأن يكون مسلما مكافرا أعدلا

ذكرنا مجتهدا ذارأي وسمع وبصر ونطق وتنطق الامامة بيعة أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه
الناس المتيسر اجتماعهم وباستخلاف الامام من يعينه في حياته ويشترط القبول في حياته ليكون
خليفة بعده موته وباستيلاء متغلب على الامامة ولو غير أهل لها كصبي وامرأة ان قهر الناس بشوكة
وجنده وذلك لينتظم أمر المسلمين اه ثم يقول قد تقدم لنا أمر الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم بعد
النبي صلى الله عليه وسلم وان السلف أطبقوا على ان ترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة
وتقدم لنا ايضا ما كان من علي ومعاوية رضى الله عنهما وان ما صدر منهما كان اجتهادا محضا وطلبا
للحق وان الصواب كان مع علي رضى الله عنه والكل مأجور ثم لما قتل علي رضى الله عنه بايع أهل
العراق ابنه الحسن رضى الله عنه وزحف اليه معاوية في أهل الشام ورأى الحسن ما في حق دماء
المسلمين وجع كلهم من الثواب عند الله والكرامة لديه فاختر الاخرى على الدنيا وقدم الاجل
على العاجل وسلم الامر الى معاوية على شروط معروفة وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
كما قال جده صلى الله عليه وسلم وحاز معاوية الخلافة وصفت له وتوارث ابنو أمية من بعده بعد
مقاتلات ومنازعات كانت من بني هاشم وغيرهم لم يطول جلوسها وكان السواد الاعظم من المسلمين
يروون ان بني هاشم أحق بالامر من بني أمية لان بني هاشم هم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعقبرته
الاقربون وهم أهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
فهم أحق بمنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم وهذا الرأي صواب غير ان ذلك ليس بطريق
الوجوب عند أهل السنة بل بطريق الاحقية والاولوية اذا توفرت الشروط فيهم وفي غيرهم من سائر
بطون قریش والا فنفردت به الشروط وجب المصير اليه وكان شيعة علي بن أبي طالب رضى الله عنه
يوجبون الخلافة لبنيه دون من عداهم ويرحمون ان ذلك كان بوصية من النبي صلى الله عليه وسلم لعلي
رضي الله عنه وهذه الوصية لم تثبت عند أهل السنة من طريق صحيح ومذاهب هؤلاء الشيعة في كيفية
سوق الخلافة في عقب علي رضي الله عنه متعددة لا حاجة لنا بدكرها وكان بنو علي رضي الله عنه في
الصدر الاول كثيرا ما يشورون في النواحي شرقا وغربا بالبين حقهم في الخلافة منازل عين فيها بنو أمية
اولا ثم لبني العباس من بعدهم ثانيا وخببرهم في ذلك معروف وجلبه بطول الى ان كان منهم عبد الله بن
الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم وكان من سادة أهل البيت يومئذ
وكان له عدة اولاد منهم محمد المعروف بالنفس الزكية وابراهيم ويحيى وسليمان وادريس وغيرهم ولما
صار أمر بني أمية الى الاختلال أيام مروان الحمار آخر خلفائهم اجتمع أهل البيت بالمدينة وتشاوروا
فمين يقدمونه للخلافة فوقع اختيارهم على محمد بن عبد الله النفس الزكية فبايعوا له بالخلافة وسلموا له
الامر باجمعهم وحضر هذا العقد أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو المنصور وذلك
قبل ان تنتقل الخلافة الى بني العباس فبايع للنفس الزكية فمين بايع له من أهل البيت واجمعوا على ذلك
لتقدمه فيهم لما علموا له من الفضل عليهم قال ابن خلدون ولهذا كان مالك وأبو حنيفة وجهما الله
يحتجان له حين خرج بالحجاز ويريان ان امامته أصح من امامة أبي جعفر المنصور لان عقاد هذه البيعة أولا
وكان أبو حنيفة يقول بفضل له ويحتج لحقه فتأدت الى الامامين الحنفة بسبب ذلك أيام أبي جعفر المنصور
حتى ضرب مالك رضى الله عنه على الفتيا في طلاق المكره وجلس أبو حنيفة رضى الله عنه على القضاء
ولما انقرضت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس وصار الامر الى أبي جعفر المنصور منهم سعي عنده
بالبيت وان محمد بن عبد الله يروم الخروج عليه وان دعائه قد ظهر وابخر اسان قاصر المنصور عامه
على المدينة فرباح بن عثمان المري بجس عبد الله بن حسن ومن اليه من آل الحسن بن علي بن أبي طالب
فحبسه في جماعة من بنيه واخوته وبنى عمه قال ابن خلدون في خمسة وأربعين من أكابرهم وقد

المنصور المدينة في حجة جهاد فاساقهم معه الى العراق وحبسهم بمصر ابن هبيرة من ظاهرا الكوفة حتى
 هلكوا في حبسهم وجدا المنصور في طلب محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه ابراهيم لكونهم ماتغييا
 فلم يجبسا في جلة من حبس من عشيرتهم * ثم لما كانت سنة خمس وأربعين ومائة وأربعين هجرا محمد بن عبد الله
 الطلب وأعييت عليه المذهب ظهر بالمدينة المنورة ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واستفتى أهل المدينة
 الامام مالكا رضى الله عنه في الخروج مع محمد بن عبد الله وقالوا في أعناقنا بيعتنا للمنصور فقال انما يا نعم
 مكرهين فتسارع الناس الى محمد وأجابوا دعوته ولزم الامام مالك بيته وخطب محمد بن عبد الله على منبر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المنصور بما تقدم عليه ووعدا الناس واستنصر بهم وتسمى بالمهدي
 ولم يتخلف عن بيعته من وجوه الناس الا القليل وبلغ المنصور خبر محمد بن عبد الله وما كان منه بالمدينة
 فأشفق من ذلك غاية الاشفاق وكتب الى محمد كتاب أمان ويعده الجليل ان هو راجع الطاعة فأجابه محمد
 بعدم قبول ذلك منه ودارت بينهما مكاتبات ومحاورات في الافضية واستحقاق الخلافة وقد ذكر
 مكاتبتهم ما المبرد في كامله وابن خلدون في تاريخه وآخر الامر أن المنصور بعث لحرب محمد المهدي ابن عمه
 عيسى بن موسى العباسي فاستعد المهدي للقتال وأدار على المدينة الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوم الاحزاب وقدمت جيوش العباسيين وتزلوا على المدينة وخرج اليهم محمد بن عبد الله فيمن بايعه
 واقتتل الناس قتالا شديدا وأبلى محمد المهدي في ذلك اليوم بلاء عظيمًا وقتل بيده سبعين رجلا ولما اشتد
 القتال وعان مخايل الاختلال انصرف فاعتسل وتحنط وجع بين الظهر والعصر ومضى فاحرق الديوان
 الذي كان فيه أسماء من بايعه وجاء الى السجن فقتل رباح بن عثمان عامل المنصور على المدينة وقتل معه
 جماعة كانوا مصحوبين عنده ثم عاد الى المعركة وقد تفرق عنه جل أصحابه ولم يبق معه الا نحو الثلاثمائة
 فقال له بعضهم نحن اليوم في عدة أهل بدر ثم تقدم فقاتل حتى قتل ضرب فسقط لركبته وطعنه جريد
 ابن قسطنطين في صدره ثم احتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى فبعث به الى المنصور وكان مقتل محمد المهدي
 رجه الله في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وقتل معه جماعة من أهل بيته وأصحابه ولحق
 ابنه علي بن محمد بالسند الى ان هلك هناك واختفى ابنه الآخر عبد الله الا شتر الى ان هلك أيضا في خبر
 طويل ثم خرج ابراهيم بن عبد الله أخو المهدي المذكور بالبصرة عقب ذلك فبعث اليه المنصور عيسى
 ابن موسى المذكور أنفاقا له آخر ذي القعدة من السنة فانهزم ابراهيم وقتل رجه الله بعد أن بايعه
 أكثر من مائة ألف ثم لما كانت سنة تسع وستين ومائة في أيام موسى الهادي ابن محمد المهدي ابن أبي جعفر
 المنصور خرج بالمدينة الحسين بن الحسين بن علي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط
 ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكان معه جماعة من أهل بيته منهم ادريس ويحيى وسليمان بنو
 عبد الله بن الحسن المثنى وهما أخوا محمد النفس الزكية فاشتد أمر الحسين المذكور بالمدينة وجرى بينه
 وبين عامل الهادي على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال
 فانهزم عمر المذكور وبايع الناس الحسين المذكور على كنانة الله وسنة نبية للرضى من آل محمد وكانوا
 يكونون بذلك عن الامام المستور الى ان يقدر على اظهار أمره وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة يتجهزون
 أياما ثم خرجوا الى مكة يوم السبت لست بقين من ذي القعدة فانهى الحسين الى مكة وانضم اليه جماعة
 من عبيدها وكان قد جئ تلك السنة جماعة من وجوه بني العباس وشيعتهم فنهض سليمان بن أبي جعفر المنصور
 ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وانضم اليهم من حج من قوادهم ومواليهم واقتتلوا مع
 الحسين المذكور يوم التروية الثامن من ذي الحجة فانهزم الحسين وأصحابه وقتل فاحتزوا رأسه
 وأحضره أمام بني العباس وهو مضر وب علي قفاه وجهته ثم جمعت رؤس أصحابه فكانت مائة ونيفا
 وكان فيهم رأس سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنى في قول واختلط المنهزمون بالحاج فذهبوا في كل وجه

وكان مقتلهم بوضع يقال له فُخ على ثلاثة أميال من مكة سنة تسع وستين ومائة كما قلنا وفي ذلك يقول بعض شعراء ذلك العصر
 فلا يكن على الحسين بعولة وعلى الحسن
 وعلى ابن عاتكة الذي * واروه ليس له كفن
 تركوا بفتح غـدوة * في غير منزلة الوطن

في آيات والحسن الذي ذكره في هذه الآيات هو الحسن بن محمد بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب وكان أسير في ذلك اليوم فضربت عنقه صبيرا وابن عاتكة الذي ذكره هو عبد الله ابن اسحق بن ابراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب ثم حمل رأس الحسين ومعه باقي الرأس الى الهادي فانكر عليهم حمل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضبا عليهم

﴿دخول ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاقصى﴾

قد تقدم لنا ان يحيى وادريس ابني عبد الله حضرا ووقعة فُخ مع الحسين بن علي المذكور آنفا فاما يحيى فانه فر من الوقعة المذكورة الى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته ثم ان الرشيد جهز اليه الفضل بن يحيى البرمكي في جيش كثيف فكاتبه الفضل وبذل له الامان وما يختاره فاجابه يحيى بن عبد الله الى ذلك وطلب عين الرشيد وان يكون بخطه ويشهد فيه الا كما بر فعل ذلك وحضر يحيى بن عبد الله الى بغداد فاكرمته الرشيد وأعطاه مالا كثيرا ثم حبسه حتى مات في السجن * واما ادريس فانه فر من الوقعة المذكورة ولحق بعصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنتصوا ويعرف بالمسكين وكان واضح يتشيع لآل البيت فعمل شأن ادريس وآنأه الى الموضع الذي كان مستخفيا به ولم ير شيئا أخا ص له من ان يحمله على البريد الى المغرب ففعل ولحق ادريس بالمغرب الاقصى هو ومولاه راشد فنزل بمدينة ويلي سنة ثنتين وسبعين ومائة وبها يومئذ اسحق بن محمد بن عبد الجبيل أمير اوربة من البربر البرانس فاجاروه وأكرموا وجع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع في ذلك وانتهى الخبر الى الرشيد بما فعله واضح في شأن ادريس فقتله وصلبه * وقال ابن أبي ذرع في كتاب القرطاس ان ادريس بن عبد الله لما قتلت عشيرته بفتح فريته نفسه مستترا في البلاد يريد المغرب فسار من مكة حتى وصل الى مصر ومعه مولى له اسمه راشد فدخلها والعامل عليها يومئذ لبني العباس هو علي بن سليمان الهاشمي فبينما ادريس وراشد يعيشان في شوارع مصر اذ مر ايدار حسنة البناء فوقفا يتأملانها واذا بصاحب الدار قد خرج فسلم عليهما وقال ما الذي تنظرانه من هذه الدار فقال راشد اعجبنا حسن بناهما قالوا انظرنا كما غريبين ليسا من هذه البلاد فقال راشد جعلت فداك ان الامر كما ذكرت قال فن أي الاقاليم انما قال من الحجاز قال فن أي بلاده قال من مكة قال واخالك ما من شيعة الحسينيين الفارين من وقعة فُخ فها بالانكار ثم توسع فيه الخير فقال راشد يا سيدي أرى لك صورة حسنة وقد توسعت فيك الخير أرايت ان أخبرناك من نحن أكنت تستر علينا قال نعم ورب الكعبة وأبذل الجهد في صلاح حالكم فقال راشد هذا ادريس بن عبد الله بن حسن وآنأه مولاه راشد ففررت به خوفا عليه من القتل ونحن قاصدون بلاد المغرب فقال الرجل لتطمئن نفوسكم كما فاني من شيعة آل البيت وأول من كتم سرهم فأنما من الآمنين ثم أدخلهم مامنزله وبالغ في الاحسان اليهما فاذهل خبرهما به علي بن سليمان صاحب مصر فبعث الى الرجل الذي هما عنده فقال له انه قد رفع الى خبر الرجلين الذين عندك وان أمير المؤمنين قد كتب الى في طلب الحسينيين والبحث عنهم وقد بث عيونهم على الطرقات وجعل الرصاة على أطراف البلاد فلا يمر بهم أحد حتى يعرف نسبه وحاله واني أكره ان أتعرض لدماء آل البيت فلك ولهم الامان فاذهب اليهم ما واعلمهم ما يحق الي وأمرهما بالخروج من عملي وقد أجلتهم ما تلا نافسار الرجل فاشترى راحلتين لادريس ومولاه واشترى لنفسه أخرى وصنع زاد ايلعهم الى افرقية وقال لراشد اخرج أنت مع الرفقة

على الجادة وأخرج أنادريس على طريق غامض لانسلكه الرفاق وموعدنا مدينة برقة فخرج راشد مع الرفقة في زى التجار وخرج ادريس مع المصري فسلكا البرية حتى وصلا إلى برقة وأقاما بها حتى لحق بهما راشد ثم جئنا المصري لهما زاداً ودعهما وانصرف وسار ادريس وراشد يجتازان السيرة حتى وصلا إلى القيروان فأقاما بها مدة ثم خرجا إلى المغرب الأقصى وكان راشد من أهل النجدة والحزم والدين والنصيحة لآل البيت فعمد إلى ادريس حين خرجا من القيروان فألبسه مدرعة صوف خشينة وعمامة كذلك وصيره كالتحامد له يأمره وينهاه كل ذلك خوفاً عليه وحياطة له ثم وصلا إلى مدينة تلمسان فأراحا بها أياماً ثم ارتحلنا نحو بلاد طنجة فسار حتى عبر وادي ملوية ودخل بلاد السوس الأدنى وتقدمنا إلى مدينة طنجة وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب الأقصى وأم مدنها فأقاما بها أياماً فلم يجد ادريس بها مراده خرج مع مولاه راشد حتى انتهى إلى مدينة وإيلي قاعدة جبل زرهون وكانت مدينة متوسطة حصينة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائيل يقال إنها المسماة اليوم بقصر فرعون فترجل بها ادريس على صاحبها ابن عبد الحميد الأوربي فأقبل عليه ابن عبد الحميد وبالغ في إكرامه وبره فعرفه ادريس بنفسه وأفضى إليه بسرّه فوافقه على مراده وأنزله معه في داره وتولى خدمته والقيام بشؤنه وكان دخول ادريس المغرب وتزوله على ابن عبد الحميد بدنية وإيلي غرة ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ومائة

فيبيعة الامام ادريس بن عبد الله رضي الله عنه

لما استقر ادريس بن عبد الله بمدينة وإيلي عند كبيرها اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي أقام عنده ستة أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم بنسب ادريس وقرباته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه فقالوا الحمد لله الذي أكرمنا به وشرّفنا بجواره وهو سيدنا ونحن الصبيد فآثر يد منا قال تبايعونه قالوا ما مننا من يتوقف عن بيعته فبايعوه بمدينة وإيلي يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومائة وكان أول من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم وكانت أوربة يومئذ من أعظم قبائل البربر بالمغرب الأقصى وأكثرها عدداً وتلتها في نصرة ادريس والقيام بأمره مغيلة وصدينة وهما معان ولدتا من بني زكريا وابو يع ادريس رحمه الله خطب الناس فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس لا تغذوا الاغناق إلى غيرنا فان الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناتة والبربر متبلي زواغة وزواوة وسدراتة وغيانة ومكاسة ونغمارة وكافة البربر بالمغرب الأقصى فبايعوه أيضاً ودخلوا في طاعته فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته ولحق به من اخوته سليمان بن عبد الله ونزل يارض زناتة من تلمسان ونواحيها كذا عند ابن خلدون في أخبار الادارسة والذي عنده في أخبار بني العباس وكذا عند أبي الفداء ان سليمان بن عبد الله بن حسن قتل بوقعة فخ وجمع رأسه مع رؤس القتلى والله أعلم

في غزو ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الأقصى وقصه إياها

ثم ان ادريس بن عبد الله رضي الله عنه اتخذه جيشاً كثيفاً من وجوه زناتة وأوربة ووصفها حاجة وهوارة وغيرهم وخرج غازياً لبلاد تامسة ثم زحف إلى بلاد تادلا ففتح معاقله وحصونها وكان أكثر أهل هذه البلاد لازلوا على دين اليهودية والنصرانية وانما الاسلام بها قليل فاسلم جميعهم على يده وقفل إلى مدينة وإيلي مؤيداً منصوراً فدخلها وأخوذي الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائة فأقام بها شهر محرم فآخ سنة ثلاث وسبعين وريثما استراح الناس ثم خرج برسم غزو ومن كان بقي من قبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية وكان قد بقي منهم بقية متحصنون في المعقل والجبال والحصون المنيع

فلما نزل ادريس رجه الله يجاهد في حصونه ويستتر لهم من معاقلم حتى دخلوا في الاسلام طوعا
وكرها ومن أبي الاسلام منهم أبياده قتلا وسبيا وكانت البلاد التي غزاها في هذه المرة حصون فندلاوة
وحصون مدبونة وبهلولة وقلاع غيابة وبلاد قازز ثم عاد الى مدينة ويلي فدخلها في النصف من جمادى
الآخرة من السنة المذكورة

وفات ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاوسط وفق مدينة تلمسان

لما قفل ادريس رضى الله عنه من غزو بلاد المغرب الاقصى سنة ثلاث وسبعين ومائة أقام بوليلى بقية
جمادى الآخرة ونصف رجب التالى لها ريثما استراح جيشه ثم خرج منتصف رجب المذكور برسم غزو
مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبنى يفرن فانتهى اليها ونزل خارجها فخرج اليه صاحبها محمد
ابن خور من ولد صولات المغراوي مستأما ومبايعا له فأمنه ادريس وقبل بيعته ودخل مدينة تلمسان
فأمن أهلها ثم أقمن سائر زناته وبنى مسجد تلمسان وأتقنه وأمر به مل منبر نصبه فيه وكتب عليه
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الامام ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم
وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة **وقال ابن خلدون** واسم ادريس مخطوط في صفحة المنبر
لهذا العهد اه ثم رجع ادريس رجه الله الى مدينة ويلي فدخلها مؤيدا منصورا

وفات ادريس بن عبد الله والسبب في ذلك

لما حصل لادريس رجه الله ما حصل من التمكن والظهور اتصل خبر ذلك بالخليفة ببغداد وهو هرون
الرشيد العباسي وبلغه ان ادريس قد استقام له أمر المغرب وأنه قد استخفى أمره وكثرت جنوده وقد فتح
مدينة تلمسان وبنى مسجدها وأنه عازم على غزو افرريقية تخاف الرشيد عاقبة ذلك وأنه ان لم يتدارك أمره
الآن ربما عجز عنه في المستقبل مع ما يعلم من فضل ادريس خصوصاً ومحبة الناس في آل البيت عموماً
فقلق الرشيد من ذلك واستشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال ان الرجل قد فتح تلمسان وهي باب
افريقية ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار وقد هممت أن أبعث اليه جيشاً ثم فكرت في بعد الشقة
وعظم المشقة فرجعت عن ذلك فقال يحيى الراى يا أمير المؤمنين ان تبعث اليه برجل داهية يحتال عليه
ويقتله وتستريح منه فاعجب الرشيد ذلك فوقع اختياره على رجل من موالى المهدي والد الرشيد واسم
الرجل سليمان بن جوير ويعرف بالشماخ فاحضره يحيى وأعلمه بما يريد منه ووعدته على قتل ادريس الرفعة
والمنزلة العالية عند الرشيد وزوده مالا وطرفاً يستعين به على أمره وأحسبه الرشيد كتاباً آمنه الى واليه على
افريقية ابراهيم بن الاغلب كذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وفيه ان ابن الاغلب لم يكن والياً على
افريقية في هذا التاريخ واغاوليه اسنة أربع وثمانين ومائة حسبما سبق فوصل الشماخ الى والى افريقية
بكتاب الرشيد فاجازه الى المغرب وقدم الشماخ على ادريس بن عبد الله فمظهر التزوع اليه فيمن ترع اليه
من وحدان العرب متبرئاً من الدعوة العباسية منتحلاً الدعوة الطالبية فاختره ادريس رجه الله
وحلى بعينه وعظمت منزلته لديه وكان الشماخ مملثاً من الادب والطرف والبلاغة عارفاً بصناعة الجدل
فكان اذا جلس الامام ادريس الى رؤساء البربر ووجوه القبائل تكلم الشماخ فذكر فضل أهل
البيت وعظيم بركتهم على الامة ويقرر ذلك ويحتج لامامة ادريس وأنه الامام الحق دون غيره فكان ذلك
يجب ادريس ويقع منه الموقع فاستولى الشماخ عليه حتى صار من ملازميه ولا يأكل الا معه وكان
راشداً كالثا لادريس ملازمه أيضاً قلما ينفر عنه لانه كان يخاف عليه من مثل ما وقع فيه لكثرة أعداء
آل البيت يومئذ وكان الشماخ يترصد الغرة من راشد ويترقب الفرصة في ادريس الى ان غاب راشد ذات
يوم في بعض حاجاته فدخل الشماخ على ادريس فجلس بين يديه على العادة وتحدثا ملياً ولما لم ير الشماخ
راشداً بالحضرة انتهز الفرصة في ادريس فقيل انه كانت مع الشماخ قارورة من طيب مسموم فخرجهما

وقال لادريس هذا طيب كنت استحضيت معي وهو من جيد الطيب فرأيت ان الامام أولى به مني وذلك من بعض ما يجب له على ثم وضع القارورة بين يديه فشكره ادريس وتناول القارورة ففتحها واشتم ما فيها فصعد السم الى خياشيمه وانتهى الى دماغه فغشي عليه وقام الشماخ للحين كأنه يريد حاجة الانسان فخرج وأتى منزله فركب فرس له عتيقا كان قد أعد له لذلك وذهب لوجهه يريد المشرق واقتصد الناس الامام ادريس فاذا هو مغشى عليه لا يتكلم ولا يعلم أحدا ما به وقيل ان الشماخ سمه في سنون والسنون بوزن صبور ما يستاك به وكان ادريس يشتكي وجع الاسنان واللثة وقيل سمه في الحوت الشابل وقيل في غيب أهده اليه في غير ابانه والله أعلم ولما اتصل خبر ادريس بولاه راشد أقبل مسرعا فدخل عليه وهو يحرك شفتيه لا يبين كلاما قد أشرف على الموت فجلس عند رأسه مشحرا لا يدرى ما دهاه واستمر ادريس على حاله تلك الى عشي النهار فتوفي في مهل ربيع الاخر سنة سبع وسبعين ومائة وتفقد راشد الشماخ فلم يره فعلم انه الذي اغتال ادريس ثم جاء الخبر بان الشماخ قد لقي على أميال من البلد فركب راشد في جمع من البربر واتبعوه وتقطعت الخيل في النواحي وطلبوه ليلتهم الى الصباح فلم يقهه راشد بوادي ملوية عابرا فشد عليه راشد بالسيف وضربه ضربات قطع في بعض ايماناه وشجبه في رأسه شحبا جاونجبي الشماخ بجريعاء الذقن وأعني فرس راشد عن اللحاق به فرجع عنه ويقال ان الشماخ رى بعد ذلك ببغداد وهو مقطوع اليد ولما رجع راشد الى منزله أخذ في تجهيز الامام رضى الله عنه وصلى عليه ودفنه بعصن رابطة عند باب وليمي لتبرك الناس بترتبه رحمه الله ورضي عنه

أمر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله رحمه الله

قالوا ان الامام ادريس لما توفي لم يترك ولدا الا حـ لـا من أمة له بربرية اسمها كنزة فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه جمع رؤساء البربر ووجوه الناس فقال لهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حـ لـا من أمة له كنزة وهي الآن في الشهر السابع من حملها فان رأيتم ان تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فان كان ذكر أحسن تربيته حتى اذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تمسكا بدعوة آل البيت وتبركا بذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان جارية نظرتكم لانفسكم فقالوا له أيها الشيخ المبارك ما لنا رأى الا ما رأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بامورنا كما كان ادريس يقوم بها وتصل بنا وتقضى بيننا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونصبر حتى تضع الجارية حملها ويكون ما أشرت به على انها ان وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الامر لفضلك ودينك وملكك فشكروهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا فقام راشد يا امر البربر تلك المدة ولما تمت للجارية أشهر حملها وضعت غلاما أشبه الناس بابيه ادريس فانخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كأنه لم يميت فسماه راشد ادريس ونشأ الصبي نشأة حسنة الى ان كان من أمره ما نذكره

الخبر عن دولة ادريس بن ادريس رحمه الله

كانت ولادة ادريس بن ادريس بن عبد الله يوم الاثنين ثالث رجب سنة سبع وسبعين ومائة فكنى له راشد مولى أبيه وقام بامرهم أحسن قيام فأقرأه القرآن حتى حفظه وهو ابن ثمان سنين ثم علمه الحديث والسنة والفقه في الدين والعربية ورأه الشعر وأمثال العرب وحكمها وأطلععه على سير الملوك وعرفه أيام الناس ودربه على ركوب الخيل والرمي بالسهم وغير ذلك من مكائيد الحرب فلم يمض له من العمر مقدار إحدى عشرة سنة الا وقد اضطلع بما جمل وترشح للامر واستحق لان يبايع قبايعه البربر وآتوه صفقتهم عن طاعة منهم واخلاص وقال ابن خلدون بايع البربر ادريس الا صغر جلائم رضى يعانم فصيلا الى ان شب قبايعوه بجامع مدينة وليمي سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن إحدى عشرة سنة وكان ابراهيم

ابن الاغلب صاحب افريقية قدس الى بعض البربر الاموال واستمالهم حتى قتلوا راشدا مولاه سنة ست
وثمانين ومائة وجلاوا اليه رأسه وقام بكفالة ادريس من بعده أبو خالد بن يدين الياس العبدى ولم يزل عا
ذلك الى ان بايعوا لادريس فقاموا بامره وجددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته وفي القرطاس
ان مقتل راشدا كان في السنة التي يبيع فيها ادريس بن ادريس قال وكانت بيعة ادريس يوم الجمعة غر
ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة بعد مقتل راشدا بعشرين يوما وادريس يوم ثمان احدي عشر
سنة وخمسة أشهر قاله عبد الملك الوراق في تاريخه وفيه بعض مخالفة لتاريخ الولادة المتقدم وفي قتل
راشدا يقول ابراهيم بن الاغلب في بعض ما كتب به الى الرشيد يعرفه بنصحه وكال خدمته
ألم ترفى بالكيد أريدت راشدا * وانى باخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزى على بعد داره * بمحتومة يحظى بها من يكاد
فناه أخوعك بمقتل راشدا * وقد كنت فيه شاهدا وهو راقدا

يريد باخرى عك محمد بن مقاتل العكي والى افريقية فانه لما حاول ابن الاغلب قتل راشدا وتم له ذلك كتب
العكي الى الرشيد يعلمه انه هو الذي فعل ذلك فكتب صاحب البريد الى الرشيد بحقيقة الامر وان ابن
الاغلب هو الفاعل لذلك والمتولى له فثبت عند الرشيد كذب العكي وصدق ابن الاغلب فعزل الرشيد
العكي عن افريقية وولى ابن الاغلب عليها وانما كان قبل ذلك عاملا للعكي على بعض كورها هكذا حكى
صاحب القرطاس هذا الخبر وفيه ان عزل العكي عن افريقية وتولية ابن الاغلب عليها كان في سنة أربع
وثمانين قبل وفاة راشدا بستين أو أربع سنين على الخلاف المتقدم وقال البكري والبرنسي ان راشدا لم يموت
حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب وان ادريس لما تم له من العمر احدى عشرة سنة ظهر من وفور عقله
ونباهته وفصاحته ما أذهل عقول الخاصة والعامة فاخذ له راشدا البيعة على البربر يوم الجمعة سابع ربيع
الاول من السنة المذكورة فصعد ادريس المنبر وخطب الناس فقال الحمد لله أحمدوه واستغفروه واستعين
به واتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله
المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آل بيته
الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أيها الناس اتاقدوا ولينا هذا الامر الذي
يضاعف فيه للحسن الاجر وعلى المسىء الوزر ونحن الحمد لله على قصد قلائد والاعناق الى غيرنا فان
الذى تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته
فحبب الناس من فصاحته وقوة جاشه على صغر سنه ثم نزل فتسارع الناس الى بيعته وازدجوا عليه
يقبلون يده فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له
البيعة وبعد بيعته بقليل توفي مولاه راشدا والله أعلم

وفود العرب على ادريس بن ادريس رجه الله

لما استقام أمر المغرب لادريس بن ادريس وتوطد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه وأتباعه وفدت
عليه الوفود من البلدان وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان فاستمر بيعة سنة ثمان وثمانين يصل
الوفود ويبدل الاموال ويستميل الرؤساء والاقبال ولما دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفدت عليه
وفود العرب من افريقية والاندلس نازعين اليه وملة فبين عليه فاجتمع لديه منهم نحو خمسة مائة فارس
من قيس والازد ومذحج ويحصب والصدف وغيرهم فسر ادريس بوفادتهم وأجزل صاتهم وأدنى منزلتهم
وجعلهم بطانة دون البربر فاعتز بهم وأنس بقربهم فانه كان غريبا بين البربر فاستوزر منهم عمير بن مصعب
الازدي المعروف بالمجوم من ضربته ضربها في بعض حربهم وسمته على الخرطوم وكان عمير من فرسان
العرب وسادتهم ولا يسه مصعب ما تربا فافريقية والاندلس ومواقف في غزو والفرنج واستغضى منهم

عاصم بن محمد بن سعيد القيسي وكان من أهل الورع والفقه والدين سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا وكان قد خرج إلى الأندلس برسم الجهاد ثم أجاز إلى العدو فوجد بها على ادريس فمين وقد عليه من العرب فاستقضاه واستكتب منهم أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر حتى كثرت الناس لديه وضافت بهم مدينة وليلى وانتهى إلى ابن الأغلب ما عليه أمر ادريس من الاستئصال فأرهم عزمه للتضريب بين البربر واستفسادهم على ادريس فكان منهم بهلول بن عبد الواحد المضيض فمضى من خاصة ادريس ومن أركان دولته فكانت بهلول الأغلب واستموا به بالمال حتى بايع الرشيد وانحرف عن ادريس واعتزله في قومه فصالحه ادريس وكتب إليه يستعطفه بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه وكان فيما كتب به ادريس إلى بهلول المذكور قوله

أبهلول قد جلت نفسك خطية * تبذلت منها ضلة برشاد
أضلك إبراهيم مع بعد داره * فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بكرا بن أغلب * وقدمارعي بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا * ومناك إبراهيم شوك قتاد

ثم أحس ادريس من اسحق بن محمد الأوربي بانحراف عنه وموالاة لابن الأغلب فقتله سنة ثنتين وتسعين ومائة وصفا له المغرب وتمكن سلطانه به والله غالب على أمره

بناء مدينة فاس

لما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على ادريس رجه الله وضافت بهم مدينة وليلى أراد أن يبني لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته فركب يوما في جماعة من حاشيته وخرج يتخير البقاع فوصل إلى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب هوائه وتربته فاخذت بسنده مدينة على الجوف وشرع في بنائها فبنى بهضامن الدور ونحو الثلث من السور فأتى السيل من أعلى الجبل في بعض الليالي فهدم السور والدور وحل ما حول ذلك من الخيام والزرع وألقاها في نهر سبوا فكف ادريس عن البناء واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ثم خرج ثانية يتصيد ويرتاد لنفسه موضعاً يبني فيه ما قد عزم عليه فأنتهى إلى نهر سبوا حيث هي اليوم حجة حولان فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولاجل الحمة التي هناك والحمة كافي القاموس كل عين فيها ماء حار ينبع منها ويستشفى به فمزم ادريس على أن يبني هناك مدينة وشرع في حفر الأساس وعمل الجيار وقطع الخشب وأبتدأ بالبناء ثم فكر في نهر سبوا وما يأتي به من المدود والسيول زمان الشتاء وما يحصل بذلك من الضرر والعظيم للناس فكف عن البناء ورجع إلى وليلى ثم بعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد له موضعاً يبني فيه المدينة التي عزم عليها فأسار عمير في جماعة يقص الجهات ويتخير البقاع وللتراب والمياه حتى انتهى إلى شخص سايس فأعجبه المحل فنزل هناك على عين ماء تطرد في مرج أخضر فتوضأ وصلى الظهر وهو وجاعة القوم الذين معه ثم دعا الله تعالى أن يسر عليه مطلبه ثم ركب وحده وأمر الجماعة أن ينتظروه حتى يعود اليهم فنسبت العين إليه من يومئذ ودعيت عين عمير إلى الآن وعمير هذا وجد بني الجحوم من بيوتات فاس وكبرائهم فأوغل عمير في قص سايس حتى انتهى إلى العيون التي ينبع منها وادى فاس فرأى بها من عناصر الماء ما ينيف على الستين عنصرا ورأى مياهها تطرد في فسج من الأرض وحول العيون شعراء من شجر الطرفاء والطنخيش والعسعار والكخن وغير ذلك فشرب من الماء فاستطابه ونظر إلى ما حوله من المزارع التي ليست على نهر سبوا فأعجبه فأنحدر مع مسيل الوادي حتى انتهى إلى موضع مدينة فاس اليوم فنظر فإذا ما بين الجبلين غيضة ماثقة الأشجار مطردة العيون والأنهار وفي جانب منها خيام من شعير يسكنها قوم من زواغة يعرفون ببني الخدير وقوم من زناتة يعرفون ببني يرغش وكان بنو يرغش على دين المجوسية وكان بيت

نارهم بالموضع المعروف بشيدوبة وكان البعض منهم على دين اليهودية والبعض على دين النصرانية وكان بنو الخير يتزلون بعدوة القرويين وبنو يرغش يتزلون بعدوة الاندلس وكانوا قداما يفترون عن القتال لاختلاف أهوائهم وتباين أديانهم فرجعهم سير الى ادريس وأعلمه بما رأى من الغيضة وساكنيها وما وقع عليه اختياره فيها فجاء ادريس لينظر الى البقعة فالتقى بنى الخير وبنى يرغش يقتتلون فأصلح بينهم وأسلموا على يده واشترى منهم الغيضة بستة آلاف درهم فرضوا بذلك ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك على يد كاتبه أبى الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى ثم ضرب أبنته بكر وَاوَة وشرع في بناء المدينة فأختط عدوة الاندلس غرة ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائة وفي سنة ثلاث بعدها اختط عدوة القرويين وبنى مساكنها وانتقل اليها وقد كان أولاد ادار السور على عدوة الاندلس وبنى بها الجامع المعروف بجامع الاشياخ وأقام فيه الخطبة ثم انتقل ثانيا الى عدوة القرويين كما قلنا ونزل بالموضع المعروف بالمقرمدة وضرب فيه قيطونه وأخذ في بناء جامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة أيضا ثم شرع في بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون التي يسكنها الشرفاء الجوطيون من ولده ثم بنى القيسارية الى جانب المسجد الجامع وأدار الاسواق حوله وأمر الناس بالبناء وقال لهم من بنى موضعا أو اغترسه قبل تمام السور فهو له فبنى الناس من ذلك شيئا كثيرا واغترسوا وودع عليه جماعة من الفرس من أرض العراق فانزلهم بغیضة هناك كانت على العين المعروفة اليوم بعين علون وكان علون عبدا أسود يأوى الى تلك الغيضة ويقطع الطريق بها على المارة فتحاضى الناس غيضته وتناذروها فأعلم ادريس رجه الله بشأنه فبعث في طلبه خيلا قبضوا عليه وجاؤا به اليه فأمر بقتله ووصلبه على شجرة كانت على العين فأضيفت اليه العين من يومئذ وقيل عين علون ثم أدار ادريس السور على عدوة القرويين وكانت من لدن باب السلسلة الى غدير الجوزاء فقال عبد الملك الوراق كان في مدينة فاس في القديم بلدان لكل بلد منها سور يحيط به وأبواب تخص به والنهر فاصل بينهم ما وسميت إحدى العدوتين عدوة القرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان بها وكانوا ثلاثمائة أهل بيت وسميت الاخرى عدوة الاندلس لنزول العرب الوافدين من الاندلس بها وكانوا جماعة غفيرة يقال أربعة آلاف أهل بيت وكان الحكم بن هشام الاموى صاحب الاندلس صدور منسه لاؤل امارته هنات أوجبت قيام جماعة من أهل الوريح عليه وكان فيهم يحيى بن يحيى الليثى صاحب مالكا وراوى الموطأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهم فخلعوا الحكم وباعوا بعض قرابته وكانوا بارض الغربى من قرطبة فقاتلهم الحكم وكثروه وكادوا يأتون عليه ثم أظفره الله بهم ووضع فيهم السيف ثلاثة أيام وهدم دورهم ومساجدهم وفر الباقون منهم فلقوا بفاس المغرب الاقصى وبلا سكندرية من أرض مصر فأما الللاحقون بفاس فانزلهم ادريس رجه الله بعدوة الاندلس فأضيفت اليهم وأما الللاحقون بلا سكندرية فثاروا بهم ابعدين فرحف اليهم عبد الله ابن طاهر الخزاعى صاحب مصر من قبل المأمون بن الرشيد فقاتلهم ونفاههم الى جزيرة اقريطش فلم يزالوا بها الى ان ملكها الفرنج من أيديهم بعد مدة فوذكرا بن غالب في تاريخه ان الامام ادريس لما فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الاولى سعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه في آخر الخطبة فقال اللهم انك تعلم انى ما أردت بيناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة وانما أردت أن تعبدوا ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعظم عليه وأكفهم مؤنة أعدائهم وادبر عليهم الارزاق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شئ قدير فأمن الناس على دعائه فكثرت الخيرات بالمدينة وظهرت بها البركات فوومن محاسن فاس ان نهرها يشقها بنصفين وتتشعب جداولها في دورها وجامعاتها وشوارعها واسواقها وتطحن به أرطافها ثم يخرج منها وقد جعل أقذارها وأزبالها

الى غير ذلك من عيون الماء التي تتبع بداخلها وتتفجر من بيوتها تتجاوز الحصر كثيرة وقد مدحها الفقيه الزاهد أبو الفضل ابن النحوي بقوله

يا فاس منك جميع الحسن مسترق * وساكنوك ليهنهم بمارزقوا
هذان سمك أم روح راحتنا * وماؤك السلسل الصافي أم الورق
أرض تخلصها الانم اداخلها * حتى المجالس والاسواق والطرق
وقال الفقيه الكاتب أبو عبد الله المغيلي يتشوق الى فاس وكان يلي خطة القضاء بمدينة أزمو
يا فاس حيا الله أرضك من ترى * وسعة لك من صوب الغمام المسبل
ياجنة الدنيا التي أربت على * حصن بمنظرها البهي الاجل
غرف على غرف ويجري تحتها * ماء ألد من الرحيق السلسل
وبساتين من سندس قد زخرت * بجداول كاليم أو كالقصل
وبجامع القروين تترف ذكره * أنس بذكره كراه بهج تامل
وبمحنة زمن المصيف محاسن * فجع العشي الغرب منه استقبل
واجلس ازاء النخلة الحسنة * واكرع بها عني فديتك وانهل

غزو ادريس بن ادريس المغربي واستيلاؤه عليهما

اسافر غ ادريس من بناء مدينة فاس وانتقل اليها بحجته واستوطنها بحاشيته وأرباب دولته واتخذها دار ملكه أقام بها الى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج غازيا ببلاد المصامدة فانتهى اليها واستولى عليها ودخل مدينة نفيس ومدينة اخمات وفتح سائر بلاد المصامدة وعاد الى فاس فأقام بها الى سنة تسع وتسعين ومائة فخرج في المحرم برسم غزو قبائل نفزة من أهل المغرب الاوسط ومن بقي هناك على دين الخارجية من البربر فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر في أحوالها وأصلح سورها وجامعها وصنع فيها منبرا يقول أبو عمرو ان عبد الملك الوراق دخل مدينة تلمسان سنة خمس وخمسين وخمسمائة فرأيت في رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هنالك مكتوبا فيه هذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومائة اه وقد تقدم لنا ما يخالف هذا والله أعلم وأقام ادريس بمدينة تلمسان وأحوالها يدبر أمرها ويصلح أحوالها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس يقول داود بن القاسم الاوربي شهد مع ادريس بن ادريس بعض غزواته مع الخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا فلما تقارب الجمع انزل ادريس قنوصا وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للاقتال قال فقتلناهم قتالا شديدا فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ويكر في هذا الجانب الاخر مرة ولم يزل كذلك حتى ارتفع النهار ثم رجع الى رايته فوقف بارأئهم والناس يقاتلون بين يديه فطفت أنا قله وأديم النظر اليه وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم فأعجبني ما رأيت من ثباته وقوة جاشه فالتفت نحوى وقال يا داود مالي أراك تديم النظر الى قال أيها الامام انه قد أعجبني منك خصال لم أرها اليوم في غيرك قال وما هي قلت أولاها ما أراه من ثبات قلبك وطلاقة وجهك عند لقاء العدو قال ذاك ببركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا ووراثته من أبينا علي بن أبي طالب قلت وأراك تبصق بصا قاحجة معا وأنا أطلب قليل الريق في غي فلا أجده قال يا داود ذاك لقوة جاشي واجتماع لي عند الحرب وعدم ريقك لطيش عقلك واقتراق قلبك قلت وأنا أيضا أتجيب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك عليه قال ذاك مني رجع الى القتال وصرامة فيه فلا تظننه رعبا وأنشأ يقول

أليس أبونا هاشم شذا زره * وأوصى بنيه بالطمان وبالضرب

فلسنا نخل الحرب حتى قلنا * ولا نتشكى ما يؤول من النصب

﴿ وفاة ادريس بن ادريس رحمه الله ﴾

﴿ قال ابن خلدون ﴾ انتظمت لادريس بن ادريس كلمة البربر وزناته وحكى دعوة الطوارج منهم واقتطع
المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى وادي شلف ودافع ابراهيم بن الاغلب عن حماه
بعد ما ضايقه بالمكائد واسد تفساد الاوياء حتى قتله واراشد امولاه وارتاب ادريس بالبربر فصالح ابن
الاغلب وسكن من غربه وضرب السكة باسمه وبجز الاغلبة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الادارسة
ودافعوا خلفاء بني العباس بالمعاذير الباطلة وصفا ملك المغرب لادريس واسم عمر يدار ملكه من فاس
ساكنوا اذ عام مقعدا اريكته مجتيا غرته الى ان توفاه الله ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين
وعمره نحو ست وثلاثين سنة ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقي منه ﴿ وقال البرنسي ﴾ انه توفي بمدينة
وليلي ودفن الى جنب آبيه وكان سبب وفاته انه اكل عنباً فشرق بحبته منه فمات لحينه وخلف من الولد
اثني عشر ذكراً اولهم محمد وعبد الله وعيسى وادريس وأحمد وجعفر ويحيى والقاسم
وعمر وعلي وداود وجزرة كذا في القرطاس وزاد ابن حزم الحسن والحسين وولى الامر منهم بعده
محمد وهو اكبرهم

﴿ الخبر عن دولة محمد بن ادريس رحمه الله ﴾

﴿ لما توفي ادريس بن ادريس رحمه الله قام بالامر بعده ابنه محمد بعده منه اليه ولما ولي قسم بلاد المغرب
بين اخوته وذلك بشاره جدته كنزة أم ادريس واختص القاسم منها بطنجة وسبتة وقصر موهودة وقنعة
بحر النسر وتطوان وما انضم الى ذلك من القبائل والبلاد واختص عمر منها بتيكساس وترغة وما بينهما
من قبائل صنهاجة وغمارة واختص داود ببلاد هوارة وتسول وتازا وما بين ذلك من قبائل مكاسة
وغياثة واختص يحيى بآصيلا والعرايش والبصرة وبلاد ورغة وما الى ذلك واختص عيسى بسلا
وشالة وآزمور وتامسنا وما انضم الى ذلك من القبائل واختص جزرة بمدينة وليلي وأعمالها واختص
أحمد بمدينة مكاسة ومدينة تادلا وما بينهما من بلاد فازان واختص عبد الله باغمات وبلد نفيس وجبال
المصامدة وبلاد مطلة والسوس الاقصى وأبقى الآخرين في كفالته وكفالة جدتهم كنزة لهم وهم بقبيل
تلمسان لولد عمه سليمان بن عبد الله فان ادريس بن ادريس لما غزا تلمسان وأقام بها ثلاث سنين كما سبق
ودوخ بلاد زناتة واسد توسقت له طاعتهم عقد عليها النبي عمه سليمان بن عبد الله فلما توفي ادريس واقتسم
بنوه أعمال المغرب كانت تلمسان في سهم عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله واستمرت بأيديهم
الى ان تلاشي أمرهم بدخول العبيديين عليهم قاله ابن خلدون وأقام محمد بن ادريس بدار ملكه من
فاس مقعده اريكته واخوته ولاة على بلاد المغرب قد ضبطوا أعمالها وسدوا ثغورها وأمنوا سبلها
وحسنت سيرتهم في ذلك الى ان كان ما ذكره

﴿ حدوث الفتنة بين بني ادريس ﴾

ثم خرج على محمد بن ادريس أخوه عيسى بن ادريس بمدينة آزمور وبند طاعته وطلب الامر لنفسه فكتب
محمد الى أخيه القاسم صاحب طنجة يأمره بحرب عيسى فامتنع من ذلك فكتب محمد الى أخيه عمر
صاحب تيكساس بمثل ما كتب به الى القاسم فامتنع مثل أمره وزحف الى عيسى في قبائل البربر وأمدّه محمد
بألف فارس من زناتة فأوقع عمر بعيسى وهزمه وطرده عن محله وكتب الى الأمير محمد بالفتح فشكره
على ذلك وولاه على ما فتحه من عمل عيسى وأمره مع ذلك بالسير الى قتال القاسم الذي عصى أمره أولا

فرحف عمر الى القاسم ونزل عليه بظاهر طنجة فخرج اليه القاسم ودارت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم واستولى عمر على ما بيده من البلاد فصار الى ريف البصري كله في عمل عمر من تيكديساس وبلاد غمارة الى سبتة ثم الى طنجة وهذا ساحل البحر الى روى ثم ينقطع الى آصيل والعرايش ثم الى سلا ثم آزمور وبلاد تامنا وهذا ساحل البحر المحيط وتزهد القاسم بعد هذه الحرب فبنى مسجداً بساحل البحر قرب آصيل بموضع يعرف بتاهارت على ضفة النهر هناك وأعرض عن الدنيا وأقام يعبد الله الى ان مات رحمه الله واتسعت ولاية عمر بن ادريس وخلصت طويته لآخيه محمد الامير الى ان توفي عمر بموضع يعرف بشج الفرس من بلاد صنهاجة في دولة آخيه محمد سنة عشرين ومائتين فحمل الى فاس وصلى عليه الامير محمد ودفن مع آبيه وعمر هذا هو جد الاشراف الموحدين المالكين للاندلس بعد بني أمية وعقد الامير محمد على عمه لولده علي بن عمر الى ان كان من أمره ما ذكره وأما عيسى فيقال انه توفي بآيت عتاب وله بها ذرية والله أعلم

﴿ وفاة محمد بن ادريس رحمه الله ﴾

وأقام الامير محمد بن ادريس بعد وفاة آخيه عمر سبعة أشهر وتوفي بمدينة فاس في ربيع الثاني سنة احدى وعشرين ومائتين ودفن بشارقي جامعها مع آبيه وأخيه بعد ان عهد بالامر لابنه علي بن محمد المعروف بجيدرة على ماسياتي

﴿ الخبر عن دولة علي بن محمد بن ادريس ﴾

لما توفي محمد بن ادريس بايع الناس لابنه علي بن محمد بعد مده منه اليه وبايع علي هذا بجيدرة على لقب علي ابن أبي طالب رضى الله عنه وهو جد الاشراف العلبيين أهل جبل العلم ومنهم المشيشيون أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه والوازيون أولاد مولانا عبد الله الشريف وينتهي نسب هؤلاء الى المولى علي بن مشيش أخى المولى عبد السلام بن مشيش وكان سقى على جيدرة يوم يوع تصع سنين وأربعة أشهر فقام بأمره الاولياء والحاشية من العرب والبربر وأحسنوا كفالاته وطاعته وكانت أيامه خيراً أيام ﴿ وقال ابن أبي زرع ﴾ ظهر لعلّي هذا من الذكاء والفضل ما يقتضيه شرفه وسار بسيرة آبيه وجده في العدل فكان الناس في أيامه في أمن ودعة الى ان توفي في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وعهد بالامر لآخيه يحيى بن محمد على ماسياتي

﴿ الخبر عن دولة يحيى بن محمد بن ادريس ﴾

﴿ قال ابن خلدون ﴾ قام يحيى بن محمد بن ادريس بالامر وامتد سيطرته وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستبحر عمران فاس وبنيت بها الجماعات والقنادق للتجار وبنيت خارجها الارياض ورحل اليها الناس من الثغور القاصية ﴿ وقال ابن أبي زرع ﴾ قصد اليها الناس من الاندلس وافريقية وجميع بلاد المغرب

﴿ بناء مسجد القرويين بفاس ﴾

﴿ قال ابن أبي زرع ﴾ كان موضع مسجد القرويين أرضاً يضاء لرجل من هواره كان والده قد حازها أيام بناء فاس ولما قدم وفد القيروان على ادريس الأصغر حسبما تقدم كان فيهم امرأة اسمها فاطمة بنت محمد الفهري وتكنى أم البنين فنزلت في أهل بيتها بالقرب من موضع المسجد المذكور ثم مات زوجها

واخوتها فورثت منهم مالا جسيما وكان من حلال فأرادت أن تنفق في وجوه الخير وكانت لها نية
صالحة فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه عند الله فاشترت البقعة من ربهما وشرعت في حفر أساس المسجد
وبناء جدرانها وذلك يوم السبت فاتح رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين فبنته بالطابية والكثان
وكانت الطريقة التي سلكتها في بنائه انها التزمت ان تأخذ التراب وغيره من مادة البناء من نفس البقعة
دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها فخفرت في أعماقها كهوفا وجعلت تستخرج منها التراب الجيد
والخمر الكذان وتبني به وأنبتت بها بئرا يستقي منها الماء للبناء والشرب وغير ذلك وكان ذلك كله فخر يامنها
أن لا تدخل في بناء المسجد شبهة فعادت بركة نيتها وورعها على المسجد المذكور حتى كان منه ما ترى
قالوا ولم تزل فاطمة المذكورة صامخة من يوم شرع في بنائه الى ان تم وصلت فيه شكرا لله تعالى وكانت
مساحة المسجد يوم بني أربع بلاطات ومخناص غير او جعلت محرابه في موضع الثريا الكبرى وجعلت
طوله من الغرب الى الشرق مائة وخمسين شبرا وبنت به صومعة غير مرتفعة بموضع القبلة التي على
رأس العترة اليوم واستمر الحال على ذلك الى ان انقرضت دولة الادارسة وجاءت دولة زناتة من
بعد هاروا دار والسور على العدو وتين معا القرويين والاندلس وزادوا في مسجد بهما زيادة كثيرة
فقتلوا الخطبة من مسجد الشرفاء الى مسجد القرويين ومن مسجد الاشياخ الى مسجد الاندلس
وذلك صدر المائة الرابعة ثم لما استولى عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس على قاس وبلاد
العدوة استعمل على قاس عاملا له اسمه أحمد بن أبي بكر الزناتي ثم اليفرقي فاستأذن الناصر في
اصلاح مسجد القرويين والزيادة فيه فاذن له وبعث اليه جمال من خمس الفناثم فزاد فيه زيادة بينة
وأزال الصومعة القديمة عن موضعها وبنى الصومعة الموجودة الآن وكتب على بابها في أربعة بالجص
واللازورد هذا ما أمر به أحمد بن أبي بكر الزناتي هداه الله وفقه ابتغاء ثواب الله وجزيل احسانه وأبتدأ
العمل في هذه الصومعة يوم الاثنين غرة رجب سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وفرغ من بنائها في
شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وركب في أعلا المنارة سيف الامام ادريس بن
ادريس تبركاه وذلك ان بعض حفدة ادريس رحمه الله تنازعوا في السيف المذكور وأراد كل أن
يحوزه لنفسه فقال لهم الامير أحمد بن أبي بكر هل لكم في ان تبيعوني هذا السيف قالوا وما
تصنع به قال أجعله في أعلى المنارة فقالوا اما اذا أردت هذا فنحن نبيعه لك مجانا فهو هبوه له فركبه في أعلى
المنارة وكانت مبنية من الحجر المنجور وفيها ثقب يعشش فيها الطير من الحمام والزور وغيرهما ويتأذى
المسجد والناس بها واستمر الحال على ذلك الى ان كانت سنة ثمان وثمانين وسبعمائة أيام السلطان يوسف
ابن يعقوب بن عبد الحق المربني فاستأذن القاضي أبو عبد الله ابن أبي الصبر السلطان يوسف المذكور
في تلييس المنارة وتبييضها فاذن له فلبسها وبيضا ودلكها حتى صارت كالمرآة الصقيلة وهو قال
ابن خلدون ثم أوسع في خطة المسجد المذكور المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس وأعد له السقاية
والسلسلة بباب الحفاة ثم أوسع في خطته على بن يوسف اللتوني ثم ملوك الموحد بن وبنى مرين واستمرت
العمارة به وانصرفت مهمهم الى تشييده والمنافسة في الاهتبال به فبلغ الاحتفال فيه ما شاء حسبيما هو
مذكور في تواريخ المغرب اه وفي أيام يحيى بن محمد صاحب الترجمة وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين
قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعى النبوة وتناول القرآن على غير وجهه فاتبعه خلق كثير من الغوغاء
وكان من بعض شرائعه انه ينهى عن قص الشعر وتقليم الاظفار وتنقف الاطمين والاستحداد وأخذ الزينة
ويقول لا تغيب عن خلق الله فامر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسى هنين الى
الاندلس فشاع بها أيضا خبره وتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة فبعث اليه ملك الاندلس فاستتابه
فلم يتب فقتله وصلبه وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله

﴿الخبر عن دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس﴾

لما توفي يحيى بن محمد الذي بنى مسجد القرويين في أيامه ولي الأمر من بعده ابنه يحيى بن يحيى بن محمد ابن ادريس فأساء السيرة وكثر عيته في الحرم ودخل على جارية من بنات اليهود في الحمام وكانت بارعة الجمال فراودها عن نفسها فاستغاثت وبادر الناس اليه بالانكار وثابت العامة عليه وتولى كبر ذلك عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي وكانت زوجة يحيى المذكور وهي عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس صاحب الريف والسواحل أشارت عليه بالاختفاء بعد وفاة الاندلس ريثما تسكن الفتنة فتوارى بها هات من ايلته أسفا على ما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار واستولى عبد الرحمن بن أبي سهل على فاس وقام بأمرها فكتب عاتكة بنت علي إلى أبيها سلمة بالخبر واستدعاه مع ذلك أهل الدولة من العرب والبربر والموالي فجمع جيشا وبقيته وجاء إلى فاس فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعده ذاتارة يكون في عقب عمر بن ادريس صاحب الريف وذاتارة يكون في عقب القاسم بن ادريس الزاهد على ما ذكره

﴿الخبر عن دولة علي بن عمر بن ادريس﴾

لما دخل علي بن عمر مدينة فاس واستقر بها يابيه الناس ودخلت الكافة في طاعته وخطب له على جميع منابر المغرب واستقام له الأمر إلى أن ثار عليه عبد الرزاق الفهري وكان من الخوارج الصفرية وأصله من وشقة بلد بالاندلس فقام بجبال مديونة من أعمال فاس على مسيرة يوم ونصف منها فتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغياثة وغيرهم فبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقة باسم بلده وقال ابن أبي زرع ﴿وهي باقية بتلك الناحية حتى الآن﴾ ثم زحف إلى قرية صفرون فدخلها وبايعه كافة البربر الصفرونية ثم زحف بهم إلى فاس فخرج اليه علي بن عمر بن ادريس في عسكر ضخم فكانت بينهم حرب شديدة كان الظفر في آخرها لعبد الرزاق فانهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده وفر بنفسه إلى بلاد اوربة فدخل عبد الرزاق مدينة فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها وامتنع منه أهل عدوة القرويين وبعثوا إلى يحيى بن القاسم الزاهد وكان ما ذكره

﴿الخبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس﴾

لما فرغ علي بن عمر من فاس واستولى عبد الرزاق الصفري على عدوة الاندلس بعث أهل فاس إلى يحيى بن القاسم بن ادريس ويعرف يحيى هذا بالعوام فوصل اليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم ويحيى العوام هذا هو جد الاشراف الجوطيين بفاس فانهم أولاد يحيى الجوطي ابن محمد بن يحيى العوام واغافل له الجوطي نسبة إلى جوطه بضم الجيم وبالطاء المهملة قرية كانت على نهر سبوا بالعدوة الجنوبية منه نزلها يحيى ابن محمد فنسب إليها وقبره معروف بها إلى الآن ولما استقل يحيى بن القاسم بالأمر قاتل عبد الرزاق حتى أخرجه من عدوة الاندلس فدخلها وبايعه أهلها وجميع من نزل بها من أهل الاندلس الرضيين ورض قرطبة واستعمل يحيى بن القاسم عليهم ثعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي من ولد المهلب بن أبي صفرة وهو وبني أيضا فلم يزل واليا على عدوة الاندلس إلى أن توفي فاستعمل يحيى مكانه ولده عبد الله ابن ثعلبة المعروف بعبود إلى أن توفي أيضا فاستعمل الأمير يحيى مكانه ولده محارب بن عبود بن ثعلبة وخرج الأمير يحيى بن القاسم إلى قتال الصفرية فكانت له معهم حروب وقائع كثيرة ولم يزل أميراً على

فاس وأعمالها إلى أن اغتاله الربيع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت في أيام هؤلاء الأمراء أحداث نذكرها في سنة ثلاث وخمسين ومائتين كان ببلاد العدو والاندلس قطع شديد فاضربت منه المياه واستمر إلى سنة ستين وفي سنة أربع وخمسين كسف القوم مركله من أول الليل حتى أصبح ولم ينجل وفي سنة ستين ومائتين عم القحط والغلاء جميع بلاد الاندلس والمغرب وأفريقية ومصر والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام ولم يبق بها إلا نفر يسير مع سدة الكعبة ثم كان بالمغرب والاندلس وبأعظم مع غلاء في الأسفار وعدمت الأقوات فهلك خلق كثير وفي سنة ست وستين ومائتين كانت بالسما جرة شديدة من أول الليل إلى آخره لم يهد قبلها مثلها وذلك ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة وفي سنة سبع وستين ومائتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال منها كانت زلزلة عظيمة لم يسمع بمثلا ثم دمت منها القصور وانحطت منها الصخور من الجبال وفرت الناس من المدن إلى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقطت السقوف والحيطان وفرت الطيور عن أوكارها وما جت في السماء زمانا حتى سكنت الزلزلة وحمت هذه الرجفة جميع بلاد الاندلس وسهلها وجبالها وجميع بلاد العدو من تلسان إلى طنجة ومن البحر إلى أقصى المغرب إلا أن المميت فيها أحد لطفان الله تعالى بخلقه وفي سنة ست وسبعين ومائتين طبقت الفتنة جميع آفاق الاندلس والمغرب وأفريقية وفي سنة خمس وثمانين ومائتين كانت المجاعة الشديدة التي حمت جميع بلاد الاندلس وبلاد العدو حتى أكل الناس بعضهم بعضا ثم عقب ذلك وباء ومرض وموت كبير هلك فيه من انطلق ما لا يحصى فكان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة وأمر الله وحده

في الخبر عن دولة يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس

لما قتل يحيى القوام في التاريخ المتقدم ولما أمر من بعده يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس فبايعه أهل عدوق فاس وخطب له بهما وأما مملوكه على جميع أعمال المغرب وخطب له على سائر منابر وكان يحيى هذا واسطة عقد البيت الادريسي أعلاهم قدرا وأبعدهم ذكرا وأكثرهم عدلا وأغزروهم فضلا وأوسعهم مالا وكان فقيها حاقظا للحديث ذافصاحا وبيان بطلا شجاعا طارما ذا صلاح ودين وورع قال ابن خلدون لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان إلى أن طمعا على ملكه عباب العبيدين القاطنين بأفريقية فاغرقه

في استيلاء العبيدين من الشيعة على المغرب الأقصى وقدم قائدهم مصالة بن حبوس إلى فاس

قد قدمنا عند ذكر ولاية المغرب ابن ابراهيم بن الاغلب كان أخوه وأورث بأفريقية مملوكا لبنيه فاستمرت دولتهم إلى أواخر المائة الثالثة وانقرضت على يد أبي عبد الله المحتسب داعية العبيدين من الشيعة فإن المحتسب حج في بعض السنين واجتمع بكهنة بجناح كتامة من أهل المغرب فتعرف إليهم ووعدهم بظهور المهدي من آل البيت على يدهم ويكون لهم به الملك والسلطان فتبعوه على رأيه وصحبهم إلى بلادهم ورأس فيهم رياسة دينية وقرروا لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتمسكوا به ثم بايعوا مولا عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيدين فاستولى على أفريقية في خبر طويل ثم هتمت إلى تلك المغرب الأقصى فاغزاه قائده مصالة بن حبوس المكنى صاحب تاهرت والمغرب الأوسط فزحف مصالة إلى المغرب الأقصى سنة خمس وثلاثمائة وانتهى إلى فاس فبرز إليه يحيى بن ادريس لمداقفته في جوع العرب والبربر والموالي والتقوا بقرب مكاسة فانهمز يحيى وعاد مولا إلى فاس ثم تقدم مصالة إلى فاس وحاصرها إلى أن صالحه

يحيى على مال يؤديه اليه وعلى البيعة لعبيد الله المهدي فقبل يحيى الشرط وخرج عن الامر وانفذ بيعة
الى المهدي وأبقى عليه مصالة في سكنى فاس وعقد له على عملها خاصة وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية
المكاسي على ماسوي ذلك من بلاد المغرب وكان موسى هذا صاحب تسول وبلاد تازا وكان كبير مكاسة
بالمغرب الاقصى على الاطلاق وكان قد خدع مصالة حين قدم المغرب وتعرف اليه وهاداه وقاتل معه في
جميع حروبه بالمغرب فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدى فاسا واعمالها فانه تركها للامير
يحيى كما قلنا وصار المغرب الاقصى في ملكة العبيديين واندرجت دولة الادارسة في دولتهم فكان موسى
ابن أبي العافية بعد ذهاب مصالة كلها أراد الظهور بالمغرب والاستبداد به فمهره يحيى بن ادريس بحسبه
ونسبه وفضله ودينه فطع به كلها كان يريد فاس فكان على قلب موسى منه جل ثقل فلما قدم مصالة المغرب
في كرمته الثانية وذلك سنة تسع وثلاثمائة سعى موسى بن أبي العافية عنده يحيى بن ادريس حتى أوغر
صدره عليه فلما قرب مصالة من فاس خرج اليه يحيى للقائه والسلام عليه في جماعة من وجوه دولته
فقبض مصالة عليهم وقيد يحيى بالحديد وتقدم الى فاس فدخلها ويحيى بين يديه موثقا على جبل ثم عذبه
بأنواع العذاب حتى استصفى أمواله وذخائره ثم نفاه الى نواحي أصيلا وقد ساءت حاله وانقض جمعه فاقام
عند بني عمه ببلاد الريف مدة فاعطوه مالا ووصلوه بما يقيم به أوده ويستعين به على أمره فلم يرض ذلك
وارتحل عنهم يريد افريقية فعرض له موسى بن أبي العافية في طريقه فقبض عليه وسجنه بمدينة الكاي
قربا من عشرين سنة ثم أطلقه بعد ذلك قالوا وكان أبوه ادريس بن عمر قد دعا عليه أن يعيته الله جائعا
غريبا فاستجيب له فيه فخرج يحيى من سجن ابن أبي العافية الى افريقية وهو في فقر وذلة قد بلغ سوء الحال
منه كل مبلغ فوصل الى المهدي على تلك الحال فوافق بما فتنة أبي يزيد بخلدن كيداد اليفري وحصاره
اياها فأتى بها جاتعا غريبا سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة رحمه الله

✽ عود المغرب الاقصى الى الادارسة وظهور الحسن الحجام ابن محمد بن القاسم بن ادريس ✽

لما قبض مصالة على يحيى بن ادريس واستصفى أمواله كما قلنا استعمل على فاس ريمان الكماي وعاد الى
القيروان فأقام ريمان عاملا على فاس وأحوارها نحو ثلاثة أشهر ونار عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن
ادريس المعروف بالحجام وعرف بذلك لانه كان بينه وبين عمه أحمد بن القاسم بن ادريس حرب فعمل
الحسن على فارس من أصحاب عمه فطعن في موضع المحاجم ثم فعل ذلك بثان وثالث لا يطعنهم الا في موضع
المحاجم فقال عمه أحمد ان ابن أخي الحجام فازمه ذلك اللقب وفي ذلك يقول بعضهم

وسميت حجاما ولست بمحاجم * ولكن لطعن في مكان المحاجم

وكانت ثورة الحجام على ريمان سنة عشر وثلاثمائة أتي الى فاس في جمع من شيعته وأنصاره وكان مقدما
شجاعا فدخلها على حين غفلة من أهلها فاستولى عليها وقتل ريمان وقيل نفاه عنها واجتمع الناس على
بيعته ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر بالمغرب وملك عدة مدن مثل مدينة لواتة وصغرون ومدن
ومدائن مكاسة والبصرة واستقام له الامر بالمغرب الى ان كان منه مع موسى بن أبي العافية ما ذكره

✽ خروج الحسن الحجام الى قتال موسى بن أبي العافية ✽

✽ قال في القوطاس ✽ وفي سنة احدى عشرة وثلاثمائة خرج الامير الحسن الحجام الى قتال موسى بن أبي
العافية فالتقى معه بخص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس وتازا فوقع الحجام بين أبي
العافية وقعة عظيمة لم يقع في دولة الادارسة مثلهما قتل فيها من عسكر ابن أبي العافية نحو ألفين وثلاثمائة
من جلهم ابنه منال بن موسى بن أبي العافية وقتل من عسكر الحجام نحو السبع مائة ثم كانت العافية
لموسى على الحجام فانقض عسكر الحجام وعاد مغلولا الى فاس فجهل الحجام ودخل فاسا وحده وترك عسكره
خارج المدينة فتدبر به عامله عليها حامد بن جدان الحمداني ويقال الاوربي من قرى افريقية دخل عليه

لما في داره فقيده وأخذ به وأغلق المدينة في وجه الجند وطير إلى موسى بن أبي العافية يستدعيه إلى فاس وكان ما ذكره

✽ الخبر عن دولة آل أبي العافية المكاسيين الناصخة لدولة آل ادريس بفاس وأعمالها ✽

كان موسى بن أبي العافية متمسكاً في هذه المدة بدعوة العبيديين من الشيعة فلما قبض حامد بن جدان على الحسن الحجام واستدعى ابن أبي العافية بادر نحوه فدخل عدوة القرويين واستولى عليها ثم قاتل أهل عدوة الاندلس حتى ملكها فلما ملك المدينتين معاطب حامد بن جدان باحضر الحسن الحجام وقال أقتله بولدي منال وكان حامد قد ندم على فعلته تلك فدافع موسى وسوفه وكره المجاهرة بسفك دماء آل البيت ولما جئ الليل خالف حامد إلى الحسن ففك عنه قيده وأرسله فقتل الحسن من السور فسقط وانكسرت ساقه فتحامل حتى انتهى إلى عدوة الاندلس فاختفى بها إلى أن مات لمضي ثلاث من سقطته رحمه الله وذلك سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وأراد ابن أبي العافية قتله حامد بن جدان لعدم تمكنه إياه من الحجام ففر إلى المهديّة وكانت دولة الحسن الحجام بفاس نحو سنتين وانقرضت دولة آل ادريس من فاس وأعمالها وتداول المغرب الأقبى العبيديون أصحاب إفريقية والمروانيين أصحاب الاندلس مرة لمولاء ومرة لمولاء وتجدت للدراصة دولة أخرى ببلاد ألبانيا فندكرها عن قريب إن شاء الله وصفت فاس وأعمالها لابن أبي العافية وملك معها كثيراً من أعمال المغرب وبايعته القبائل والأشياخ وهو في ذلك كله متمسك بدعوة الشيعة كما قلنا فكان كالثائب عنهم بالمغرب والله غالب على أمره

✽ طرد موسى بن أبي العافية آل ادريس من أعمال المغرب وحصره إياهم بحجر النسر ✽

لما استولى موسى بن أبي العافية على فاس والمغرب شمر طرد الأدارسة عنه فخرجهم من ديارهم وأجلاهم عن بلادهم من شالة وأصيلة وغيرهما من البلاد التي كانت في أيديهم ولجؤا بآبائهم إلى قلعة حجر النسر مغلوبين على ملكهم مطرودين عن دار عزهم التي أسسها أسلافهم وكانت قلعة حجر النسر حصناً منيعاً بناه محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس شامخاً في عذان السحاب فنزل عليهم موسى بن أبي العافية وشدّ عليهم الحصار وأراد استئصالهم وقطع ديارهم فعذله على ذلك أكارب دولته وقالوا له أتريد أن تقطع ديار أهل البيت من المغرب وتخليهم منهم هذا شيء لا نوافقك عليه ولا نتركك له فاستصيا عند ذلك وارتحل عنهم إلى فاس وخلف على حصارهم قائده أبا الفتح التسولي في ألف فارس ينعوهم من التصرف وكان ذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة

✽ استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان وأعمالها ✽

لما ارتحل موسى بن أبي العافية عن حجر النسر سار إلى فاس فاقام بها أياماً وقتل عامله على عدوة الاندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود الأزدي وولى مكانه أخاه محمد بن ثعلبة ثم عزله وولى مكانه طوال بن أبي يزيد فلم يزل عاملاً عليها إلى أن خرجت فاس عن يد ابن أبي العافية واستعمل موسى على المغرب الأقبى ولده مدين بن موسى بن أبي العافية وأنزله بعد عدوة القرويين ثم نهض إلى تلمسان سنة تسع عشرة وثلاثمائة فملكها وأعمالها وكانت بيد الحسن بن أبي العيش من أعقاب سليمان بن عبد الله أخي ادريس الأكبر وفر الحسن إلى مدينة مابيلة من جزائر ملوية وبني هناك حصناً وتحصن به ثم زحف ابن أبي العافية إلى مدينة نكور فملكها أيضاً وحاصر الحسن في حصنه مدة ثم عقده سماً على حصنه وكان ذلك في شعبان سنة عشرين وثلاثمائة ثم عاد إلى فاس وقد دقخ البلاد والاقطار وانتظم المغربان الأقبى والأوسط في ملكه

﴿ انحراف موسى بن أبي العافية عن الشيعة الى بني مروان وما نشأ عن ذلك ﴾

كان عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب الاندلس قد سعى له أمل في التملك على المغرب الأقصى لما بلغه من تراجع أمر بني ادريس به وانحراف دولتهم على الهرم فلك سبته من يدي بني عصام القاطنين بها بالدعوة الادريسية ولما استولى موسى بن أبي العافية على المغرب خاطبه الناصر في القيام بدعوته ووعدده الجليل على ذلك وأتاه من بين يديه ومن خلفه حتى أجابه الى مراده وتقص طاعة الشيعة وخطب للناصر على منابر عمله فاتصل الخبر بعبيد الله المهدي صاحب افريقية فسرّح اليه قائده حميد بن يصيلت المكناسي صاحب تاهرت في عشرة آلاف فارس وهو ابن أخي مصالة بن حبوس المتقدم الذكر فالتقى حميد وموسى بن يفضل مسون فكانت بينهم حرب سجال ثم ان حميد ابيت موسى ليلة فضرب في عسكره فانهمز موسى وأصحابه ومضى الى عين اسحاق من بلاد تسول فحصن بها وتقدم حميد الى فاس فلما شارفها فر عنها مدين بن موسى ولحق بابيه فدخلها حميد واستعمل عليها حامدا مدين حمدان الحمداني وكان في جلته ثم عاد الى افريقية وقد قضى أربه من المغرب وكان ذلك سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ولما اتصل ببني ادريس المحمورين بحجر النسر خبر هزيمة موسى بن أبي العافية وفرار ابنه عن فاس وولاية حامدا مدين حمدان عليها قويت نفوسهم وتظاهروا على أبي الفتح التسولي فنزّلوا اليه وقتلوه وهزموه ونهبوا معسكره وخرجوا الى القضاء بعد ان حصارهم بالقلعة المذكورة أربع سنين

﴿ ثورة أحمد بن بكر الجذامي بدعوة المروانيين بفاس وما نشأ عن ذلك ﴾

وأقام حامدا مدين حمدان واليساعلى فاس من قبل الشيعة الى ان ثار عليه أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي وذلك عقب وفاة عبيد الله المهدي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فقتل حامدا مدين حمدان وبعث برأسه وبولده الى موسى بن أبي العافية فبعث به موسى الى عبد الرحمن الناصر بقرطبة واستولى على المغرب وعادت الدعوة به الى بني مروان ولما اتصل الخبر بصاحب افريقية أبي القاسم بن عبيد الله المهدي المتولى بعده سرح قائده ميسور الخصى الى المغرب فقدمه ميسور سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وخام ابن أبي العافية عن لقائه واعتصم بحمصن الكاوي وتقدم ميسور الى فاس فحاصرها أياما الى ان خرج اليه أحمد بن بكر مبايعا وقدم بين يديه هدية نفيسة ومالا جليلا فقبض ميسور الهدية والمال ثم تقبض على أحمد بن بكر وقيده وبعث به الى المهديّة ولما نذر أهل فاس بغدره امتنعوا عليه وأغلّقوا أبوابهم دونة وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصروهم ميسور سبعة أشهر ولمّا طال عليهم الحصار رغبوا في السلم فصالحهم على ان اعطوه ستة آلاف دينار وأنطاغا ولبودا وقر بالباء وأثانا وكتبوا يبيعهم الى أبي القاسم الشامي وكتبوا اسمه في سكتهم وخطبوا له على منابرهم فقبل ميسور ذلك منهم وأقر عليهم حسن بن قاسم اللواتي وارتحل عنهم واستمر حسن عاملا على فاس الى ان قدم أحمد بن بكر من المهديّة مطلقا مكرما فتخلّى له عن ما كان بيده وذلك في سنة احدى وأربعين وثلاثمائة فكانت ولاية حسن بن القاسم على فاس ثمان عشرة سنة قاله في القرطاس ﴿ وقال ابن خلدون ﴾ ان أحمد بن بكر الجذامي قدم من افريقية سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فسار الى فاس وأقام بها متذكرا الى ان وثب بعاملها حسن بن قاسم اللواتي فتخلّى له عن العمل والله أعلم

﴿ حرب ميسور مع موسى بن أبي العافية ﴾

لما صالح ميسور أهل فاس نهض الى حرب ابن أبي العافية فدارت بينهم حروب كان الظهور في آخرها لميسور وأسرا البوري بن موسى بن أبي العافية وغرّبه الى المهديّة وطرده موسى عن أعمال المغرب الى نواحي مـاوية ووطاط وماوراءها من بلاد الصحراء ثم قفل القيروان ﴿ وقال ابن أبي زرع في كتاب

القرطاس بن أبي إدريس تولوا معظم الحروب التي دارت بين ميسور وابن أبي العافية وانهم قاتلوا ابن أبي العافية حتى فرأى ما همهم إلى الصحراء قال وتلك الإدارة أكثر ما كان بيد ابن أبي العافية قاعين بدعوة الشيعة فلم يزل ابن أبي العافية شريدا في الصحراء وأطراف البلاد التي بقيت بيده وذلك من مدينة أكر سيف إلى مدينة نكور إلى أن قتل ببعض بلاد ملوية وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وقيل أنه قتل سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة قاله البرنسي اه كلام ابن أبي زرع **و** وقال ابن خلدون **و** أن موسى ابن أبي العافية رجع من الصحراء إلى أعماله بالمغرب فأسكنها وولى على عدوة الأندلس أبا يوسف بن محارب الأزدي قال وهو الذي مدّن عدوة الأندلس وكانت حصونا ثم زحف إلى تلمسان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فاستولى عليها قال واستفحل أمر ابن أبي العافية بالمغرب الأقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزم ملك مغراوة وصاحب المغرب الأوسط وبثوا دعوة الأموية في أعمالها والله أعلم

بقيّة أخبار آل أبي العافية بالمغرب

قال ابن أبي زرع لما هلك موسى بن أبي العافية ولى بعده ابنه إبراهيم إلى أن توفي سنة خمس وثلاثمائة فولى بعده ابنه عبد الله ويقال عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية إلى أن توفي سنة ستين وثلاثمائة فولى عمله من بعده ابنه محمد وعليه انقضت دولة آل أبي العافية سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (وذكر بعض المؤرخين لا يأمهم) انه لما توفي محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية ولى بعده ابنه القاسم بن محمد المحارب للتونة فكانت بينه وبينهم حروب إلى أن غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستأصل شافة ذرية موسى بن أبي العافية بالمغرب وكانت دولتهم مائة وأربعين سنة من سنة خمس وثلاثمائة إلى سنة خمس وأربعين ومائة اه ولكن دولتهم بفاس انتهت إلى قدوم ميسور النخعي كما مر وبقيت رياستهم بأطراف إلى دولة اللتونيين والله أعلم وكان في هذه المدة من الأحداث ما نذكره **و** في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شوال سنة تسع وتسعين ومائتين كسفت الشمس كسوفاً كلياً وكان ذلك بعد صلاة العصر فتاب القمر من كله وظهرت النجوم وأذن أكثر الناس بالمساجد للمغرب ثم تجلبت مضئنة بعد ذلك ومكثت مقدار ثلث ساعة ثم غربت **و** في سنة ثلاث وثلاثمائة كان بافريقية والمغرب والأندلس فتن كثيرة ومجاعة عظيمة أشبهت مجاعة سنة ستين ومائتين ثم وقع الموت في الناس حتى هجر وامن دفن موتاهم **و** في سنة خمس وثلاثمائة أحرقت النار أسواق مدينة فاس وأسواق تاهرت قاعدة زناتة وأحرقت أسواق قرطبة وأرباض مكاسة من بلاد جوف الأندلس وكان ذلك كله في شوال من السنة المذكورة فسميت سنة النار **و** في سنة سبع وثلاثمائة كان بافريقية والمغرب والأندلس رخاء مفرط وطاعون ووباء كثير وفيها كانت الريح السوداء الشديدة المهبوب التي قلمت الاتجار وهدمت الدور بفاس فتاب الناس ولزموا المساجد وارتدعوا عن كثير من الفواحش **و** في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ظهر حاميم المتنبئ بجبال غمارة **و** قال ابن خلدون **و** كانت غمارة غريقة في الجهالة والبعده عن الشرائع بسبب البداوة والانتباذ عن مواطن الخير وتنبا فيهم من قبيلة يقال لها محكسة حاميم بن من الله يكنى أبا محمد ويكنى أبوه من الله أبا يخلف وكان ظهوره بجبل حاميم المشتهر به قريبا من تطوان واجتمع إليه كثير من غمارة وأقروا بنبوته وشرع لهم شرائع وعبادات وصنع لهم قرآنا كان يتأوه عليهم بلسانه فحما شرع لهم صلاتان في كل يوم واحدة عند طلوع الشمس والأخرى عند غروبها ثلاث ركعات في كل صلاة ويسجدون وبطون أيديهم تحت وجوههم ومن قرأهم الذي كانوا يقرؤنه بعد تهليلهم للون به بلسانهم خفي من الذنوب يأمن خلى النظر ينظر في الدنيا أخرجني من الذنوب يأمن أخرج يونس من بطن الحوت وموسى من البحر ثم يقول في ركوعه آمنت بحاميم وبأبيه أبي يخلف من الله وآمن رأسي وعقلي وما يكنه صدرى وما أحاط به دى ولجى وآمنت بتأليه عمسة حاميم

أخت أبي يخلف من الله ثم يسجد وكانت نالبة هذه امرأة كاهنة ساحرة وكان حاميم يلقب المغتري وكانت أخته دبوا كاهنة ساحرة أيضا وكانوا يسمنغيثون بها في الحروب والقحوط وفرض عليهم صوم الاثنين وصوم الخميس إلى الظهر وصوم الجمعة وصوم عشرة أيام من رمضان ويومين من شوال ومن أظفر في يوم الخميس عمدا فكفارته أن يتصدق بثلاثة أثور ومن أظفر في يوم الاثنين فكفارته أن يتصدق بشورين وفرض عليهم في الزكاة العشر من كل شيء وأسقط عنهم الحج والوضوء والغسل من الجنابة وأحل لهم أكل الاتي من الخنزير وقال انما حرم قرآن محمد الخنزير بالذكر وأمر أن لا يؤكل الحوت الا بذكاة وحرم عليهم أكل البيض وأكل الرأس من كل حيوان فبعث اليه عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس عسكرا فالتقوا بقصر مسمودة من أحواز طنجة فقتلوه وقتلوا أتباعه وصلبوا شاوله بالقصر المذكور وبعثوا برأسه إلى الناصر بقرطبة ورجع من بقي من أتباعه إلى الاسلام وذلك سنة خمس عشرة وثلاثمائة **في** قال ابن خلدون **في** وكان لابنه عيسى بن حاميم من بعده قدر جليل في غماره **في** وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة **في** ظهر ببلاط المغرب غمام كثيف دام خمسة أيام لم ير الناس فيها شمساً وكان الشخص لا يرى من الأرض فيه الاموضع قدميه قباب الناس وأخرجوا الصدقات فكشف الله عنهم ما بهم وسميت سنة الغمام **في** وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة **في** نزل برد عظيم الواحدة منه ترن رطلا وأكثر قتل الطير والوحش والبهائم وكثيرا من الناس وكسر الاشجار وأفسد الثمار وكان ذلك بآثر قحط شديد وغلاء عام **في** وفي سنة اثننتين وأربعين وثلاثمائة **في** نزل أيضا برد كثير لم يعهد مثله كثرة قتل المواشي وأفسد الثمار وجاءت السيول العظيمة بجميع بلاد المغرب وكان بهار عودا قاصفة وبروق خاطفة ودام ذلك أياما واستقى الناس واستعموا في هذه السنة وفيها أيضا كانت ريح شديدة هدمت المباني **في** وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة **في** كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس هلك فيه أكثر الخلق وفي هذه المدة كان الشيخ أبو سعيد المصري المعروف بابي سلهامة موجودا وهو من كبار صلحاء المغرب وقبره شهير قرب مخرج الحضرة على ساحل البحر وعليه قبة عجبية الصنعة محكمة العمل بالنقش والاصباغ الزليج الملائون **في** قال أبو عبد الله محمد العربي القاسمي في مرآة المحاسن **في** كان علي وأسن قبر الشيخ أبي سلهامة لوح مذهب مكتوب عليه هذه القبور الثلاثة التي أخفى الله تعالى فيها قبر الشيخ أبي سعيد المكنى بابي سلهامة وكانت وفاته سنة ثمانين وأربعين وثلاثمائة قال أبو عبد الله المذكور ثم إن النصاري نزلوا امرأة هناك فاقتلوا الروح وذهبوا به قال وكان النيف الزائد على الأربعين مسمى في اللوح ولكن أنسيته ومع ذلك فهو لا يزيد على السبع والله تعالى أعلم

في الخبر عن الدولة الثانية للدلالة على بلاد الريف

هذه الدولة التي كانت للدلالة على بلاد الريف لم تكن لهم على سبيل الاستقلال والاستبداد كما كانت لهم أولا بفاس والمغرب انما كانوا فيها تحت نظرها تحت طمر المتغلب على بلاد المغرب امامن الشيعة أصحاب افريقية وامامن الروانيين أصحاب الاندلس كما استغف عليه واعلم اننا قد قدمنا ان بني ادريس كانوا قد اقتسموا أعمال المغرب بعد وفاة أبيهم م ادريس وجه الله وذلك باشارة جنتهم كنزة وان بلاد الريف منها كانت في سهم عمر بن ادريس وانه قاتل أخويه عيسى والقاسم وأضاف أعمالهما إلى عمله فبقيت بلاد الريف بيد بني عمر بن ادريس يتوارثونها خلفا عن سلف فلما انقرضت دولة آل ادريس بفاس على يد موسى ابن أبي العافية انحاز والي بني عمهم وعشيرتهم ببلاد الريف وتحصنوا بقاعة حجر النمر كما سبق ولما قدم ميسور الخصى من افريقية وأجلى موسى بن أبي العافية إلى الصحراء أقام بنو ادريس بريفهم يتداولون رياسته تحت نظرها الشيعة تارة وتحت نظرها الروانيين أخرى إلى ان انقرضت دولتهم وذهب رياستهم

من المغرب بالسكاية والله غالب على أمره

✽ الخبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس ✽

لما فرم موسى بن أبي العافية أمام القائد ميسور إلى الصمراء صارت الرياسة في المغرب بعده لابن محمد بن القاسم بن ادريس وهما القاسم الملقب بكنون وشقيقه ابراهيم وهما معا أخوان للحسن الحجام الذي تقدم ذكره فاجتمع بنو ادريس وبايعوا القاسم المذكور فلك أكثر بلاد المغرب الا فاسا فإنه لم يملكها وكان سكناه بقاعة حجر النسر واستمر على امارته مقيما الدعوة الشيعية الى ان توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فولى بعده ابنه أبو العيش

✽ الخبر عن دولة أبي العيش أحمد بن القاسم كنون ✽

كان أبو العيش هذافقيه اورعا حافظا للسياسة عارفا بخبار الملوك وأيام الناس وأقسام قبائل العرب والبربر شجاعا جوادا وكان يعرف في بني ادريس بأحمد الفاضل وكان مائلا إلى بني مروان ولما ولى بعده أبيه قطع دعوة العبيد بن زياد في جميع عمله وبايع لعبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس وخطب له على جميع منابر عمله وبايع أبا العيش كافة أهل المغرب إلى سجد لماسية وكان السواد الاعظم من أهل المغرب الاقصى لهم محبة في جانب آل ادريس وايتار لهم لا ينفون بهم بدلا مهما وجدوا إلى ذلك سبيلا

✽ تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب ومضايقته لابي العيش بها ✽

لما بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر وخطب له اقترح عليه أن ينزل له عن طنجة ليضيفها إلى سبته التي كان استولى عليها من قبل فامتنع أبو العيش من ذلك فبعث إليه الناصر بالاسطول والمقاتلة فحاصره وضيق عليه ولما رأى أبو العيش أنه لا طاقة له بحربه أجابه إلى ما سأل وتزل له عن طنجة وبقي أبو العيش مع اخوته وبني عمه من الادارسة بمدينة البصرة وأصيلا تحت بيعة الناصر وفي كنفه متمسكين بدعوته وكانت قواد الناصر وجيوشه تهيض من الاندلس إلى العدو يقاتلون من خالف الادارسة من البربر ويستألفونهم والناصر محمد بن عزم منهم برجاله مقولون ضعف بماله حتى ملك أكثر بلاد المغرب وبايعته قبائله من زناتة والبربر وخطب له على منابرهم من تاهرت إلى طنجة ما عدا سجد لماسية فإنه قام بها في ذلك الوقت منادرا البربر وبايع الناصر أهل فاس فبين بايعه من بلاد العدو فولى عليهم محمد بن الخير المغراوي وكان من أبسط ملوك زناتة يدا وأعظمهم شأنا وأحسنهم إلى ملوك بني أمية انجاشا وأخلصهم طوية وكان لبني يفرن ومغراوة من زناتة ولاية لامويين وتشيع لهم وذلك بولاية عثمان ابن عفان رضي الله عنه لجدتهم صولات بن وزمار المغراوي الذي وفد عليه وأسلم على يده كما سبق في أخبار الفتح والله أعلم فسرت تلك الولاية في عقب زناتة اللامويين عموما كما كان لاحتياجهم من البربر بولاية آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأقام محمد بن الخير والياعلى مدينتي فاس نحو سنة وارتحل عنها إلى الاندلس برسم الجهاد واستخلف عليها ابن عمه أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الزناتي وهو الذي بنى صومعة مسجد القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثمائة كما سبق وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ولى الناصر على مدينة طنجة وأحوازها يعلى بن محمد اليفرنى فتر لها في قبائل يفرن وأمضى أمره ونهيه فيها

✽ هجرة أبي العيش إلى الاندلس بقصد الجهاد ✽

لما رأى أبو العيش غلبة الناصر على بلاد العدو هانت عليه رياسته فكتب اليه بقرطبة يستأذنه في
الجهاد فأذن له وأمر أن يبني له في كل منزل ينزله قصر وذلك من الجزيرة الخضراء إلى الثغر وأن يجري له
فيها ألف دينار في كل يوم ضيافة له ومن الفرش والاثاث والطعام والشراب ما يقوم بالقصر فلم يزل على
ذلك حتى وصل إلى الثغر فكانت منازل من الجزيرة إلى الثغر ثلاثين منزلا ومات أبو العيش رحمه الله
شهيدا في جهاد الفرنج سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

في الخبر عن دولة الحسن بن كنون

لما خرج أبو العيش إلى الأندلس برسم الجهاد استخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون وهو القاسم بن
محمد بن القاسم بن إدريس وهو آخر ملوك الأدارسة بالمغرب ولم يزل مواليا للروانيين متمسكا بدعوتهم
إلى أن كان ما ذكره

في قدوم القائد جوهر الشيعي من إفريقية إلى المغرب واستيلائه عليه

لما اتصل بخليفة الشيعة وهو المعز لدين الله محمد بن اسمعيل العبيدي غلبة الناصر على بلاد العدو
وأن جميع من به من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا في دعوة بني أمية عظم الأمر عليه
وبعث قائده جوهر بن عبد الله الرومي المعروف بالكاتب في جيش كثيف يشتمل على عشرين ألف
فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم وأمره أن يطأ بلاد المغرب ويذلها ويستتزل من به من
التوار و يشدوطاته عليهم فخرج جوهر من القيروان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة يؤم بلاد المغرب
فاتصل خبره يعلي بن محمد اليغري صاحب طنجة وخليفة الناصر على بلاد العدو فحشد قبائل زناتة
ونمض إلى القائد جوهر فكان اللقاء على تاهرت فالتحمت الحرب بين الفريقين فاتخرج القائد جوهر
الأموال وبذلها في قواد كتامة فضعفوا له قتل أمير زناتة يعلي بن محمد فلما اشتد القتال صممت عصاة
من قواد كتامة وأضجها وقصدوا إلى يعلي بن محمد فقتلوه واحتزوا رأسه وأتوا به إلى جوهر فبذل لهم مالا
جليلا بشارة عليه وبعث بالرأس إلى مولاه المعز فطيف به بالقيروان ووذكر ابن خلدون أن يعلي بن
محمد بادرا إلى لقاء جوهر عند قدومه وأذن له وبأدبه فظهر جوهر القبول ثم دس إليه من اغتاله وتفرق
بنو يفرن وزناتة بعد مقتل أميرهم وبعدهم مدة التأم ملكهم على ولده يدوابن يعلي بن محمد اليغري ثم تقدم
جوهر إلى سجلماسة وكان قد قام بها محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بالشاكر لله وقد تقدم لنا
أنه ادعى الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وضرب السكة باسمه وكتب عليها تقيتست عزة الله وكانت سكوته
تعرف بالشاكرية وكانت في غاية الطيب وكان سنيما إلى المذهب فدخل سلفه في مذهب الصفرية
فتزل عليه جوهر وحاصره بسجلماسة ثم اقتحمها عنوة بالسيف وأقلت الشاكر ثم عاد بعد يومين أو ثلاثة
فدخل سجلماسة متنكرا فعرف وقبض عليه وأتى به إلى جوهر فاوثقه في الحديد وساقه أسيرا بين يديه
حتى نزل على فاس بعد أن أفتى جماعة الصفرية ورجاله بالسيف وكان نزوله على فاس سنة تسع وأربعين
وثلاثمائة فحاصرها وأدار بها القتال من كل جهة قريبا من نصف شهر ثم اقتحمها عنوة بالسيف على يد
زيري بن مناد الصنهاجي فانه تسنم أسوارها ليللا ودخلها فقتل بها خلقا كثيرا وقبض على أميرها آجدين
أبي بكر الزناتي الذي ولاه الناصر عليها ونهب المدينة وقتل جاتها وشيوخها وسب أهلها وهدم أسوارها
وكان الحادث بها عظيما وكان دخول جوهر أياها خصوة يوم الخميس الموافق عشرين من رمضان سنة تسع
وأربعين وثلاثمائة ثم سار جوهر في بلاد المغرب يقتل أولياء الروانيين ويسبي ويفتح البلاد والمعقل
وخافقه البربر وفرت أمامه قبائلها فانفذ الأمر في المغرب الأقصى ثلاثين شهرا وانتهى إلى البصر المحيط

وصاد من سمكه وجعله في قلال الماء وأرسله الى مولاه المعز ثم انصرف راجعا بعد ان دقخ البلاد وأثنى فيها
وقتل جثامهم واقطع دعوة المروانيين منها ووردها الى العبيديين فخطب لهم على جميع منابر المغرب وانتهى
القائد جوهر الى المهديّة داو المعز لدين الله وقد جعل معه أحد بن أبي بكر اليفرقى أمير فاس وخمسة عشر
رجلا من أشياخها وجل أيضا محمد بن أبي الفتح أمير سجلماسة ودخل بهم أسارى بين يديه في أقفاص
من خشب على ظهور الجمال وجعل على رؤسهم قلائس من لبد مستطيلة منبثة بالقرون فطيف بهم
في بلاد إفريقية وأسواق القيروان ثم ردوا الى المهديّة وحبسوا بها حتى ماتوا في سجنها

بوقدوم بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الشيعي من إفريقية الى المغرب

كان الأمير الحسن بن كنون قد بايع العبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب فلما انصرف
جوهرا الى إفريقية أو آخر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة نكث الحسن بن كنون ببيعة العبيديين وعاد الى
المروانيين فمكث بدعوة الناصر ثم بدعوة ابنه الحكم المستنصر خوفا منهم لأحبة فيهم لقرب بلاده
من بلادهم وأقام على ذلك الى ان قدم الأمير بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي من إفريقية الى المغرب
لاخذ ثار أبيه فقتل زناته واستأصلهم ومكث المغرب بأسره وقطع أيضا منه دعوة الأمويين وقتل
أولياءهم وأخذ البيعة على جميع أهل المغرب للمعز معد بن اسمعيل كما فعل جوهر قبله فكان أول
من سارع الى بيعته ونصرته وقتل أولياء المروانيين معه الحسن بن كنون صاحب مدينة البصرة
وكشف وجهه في ذلك وأعمل فيه جهده فاتصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه لذلك فلما انصرف
بلكين بن زيري الى إفريقية بعث الحكم المستنصر صاحب الأندلس قائده محمد بن القاسم بن طماس
في جيش كثيف الى قتال الحسن بن كنون فاجاز اليه من الجزيرة الخضراء الى سبتة في عدد كثير وعدة
كاملة وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فزحف الحسن الى قتاله في قبائل البربر
فكان اللقاء باحواز طنجبة بموضع يعرف بقصص بني مصرخ فكانت بينهما حرب شديدة قتل فيها محمد
ابن القاسم قائد الحكم المستنصر وقتل معه خاق كثير من أصحابه وفر الباقون فدخلوا سبتة وتحصنوا بها
وكتبوا الى الحكم يستغيثون به فبعث اليهم صاحب حروبه غالب مولاه البعيد الصيت المعروف بالشهامة
والنجدة والدهاء وأعطاه الحكم أموالا جلييلة وجيوشا كثيرة وعددا وافر وأمره بقتال آل ادريس
واستنزاهم من معاقلهم وقال له عند دواعه يا غالب سر مسير من لا اذن له في الرجوع الا حيا منصورا
أو ميتا معذورا ولا تشع بالمال وابسط يدك به يتبعك الناس

بوقدوم غالب الاموي الى المغرب وتغريب آل ادريس الى الأندلس

ثم خرج غالب من قرطبة في آخر شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فاتصل خبر قدومه بالحسن بن كنون
نفق منه وأخذ الى مدينة البصرة وجعل منها حرمه وأمواله وذخائره الى قلعة حجر النسر القريبة من سبتة
واتخذها مقلا يتحصن بها وأجاز غالب البحر من الجزيرة الخضراء الى قصر مصمودة فلقية الحسن
ابن كنون هناك في جوع البربر وقتله أيا ما وسرّب غالب الأموال الى رؤساء البربر الذين مع الحسن
ابن كنون ووعدهم ومناهم فانقضوا عن الحسن حتى لم يبق معه الا خاصته ورجاله فلما رأى ذلك سار
الى حجر النسر فحصره به واتبعه غالب فحاصره به ونزل عليه بجميع جيوشه وقطع عنه المواد وأمدّه
الحكم بعرب الدولة الذين بالاندلس ورجال الثغور فوصل المدد الى غالب غرة المحرم سنة ثلاث وستين
وثلاثمائة فاشتد الحصار على الحسن بن كنون فطلب من غالب الامان على نفسه وأهله وماله ورجاله
وينزل اليه فيسير معه الى قرطبة فيكون بها فاجابه غالب الى ذلك وعاهده عليه فقتل الحسن بأهله وماله
ورجاله وأسلم الحصن الى غالب فذاكه واستنزل غالب جميع العلويين الذين بارض العدو من معاقلهم
وأخرجهم عن أوطانهم ولم يترك بالعدو رئيسا منهم وسار الى مدينة فاس فذاكها واستعمل عليها محمد

ابن أبي علي بن قسوش بعدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة بعدوة والاندلس فلم تزل فاس بيد بني أمية إلى أن غلب عليها زيري بن عطية المغربي وانصرف غالب إلى الاندلس وساق معه الحسن بن كنون وجميع ملوك الأدارسة وقد وطأ جميع بلاد المغرب وفرق العمال في نواحيه وقطع دعوة بني عبيد من جميع آفاقه وورد الدعوة إلى الأموية فخرج بهم غلب من فاس آخر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ووصل إلى سبتة فركب البحر منها واستقر بالحضراء وكتب إلى مولاه الحكم المستنصر بالله يعلمه بقدمه وعن قدم معه من العلويين فلما وصل كتابه إلى الحكم أمر الناس بالخروج إلى لقاءهم وركب هو في جمع عظيم من وجوه دولته فتلقاهم فكان يوم دخولهم قرطبة يوماً مشهوراً وذلك أول يوم من المحرم سنة أربع وستين وثلاثمائة وسلم الحسن بن كنون على الحكم فأقبل عليه وعفا عنه ووفى له بعهده وأوسع له ولرجاله في العطاء وأجرى عليهم الجرايات الكثيرة وخلع عليهم الخلع الرفيعة وأثبت جميع أهله ورجاله في ديوان العطاء وكانوا سبعة مائة رجل أنجاد يعتنون بسبعة آلاف وأسكنه قرطبة وأقام الحسن وعشيرته في كنف الحكم في أمن وطمينة إلى أن كان ما ذكره

﴿ حدوث النفرة بين الحكم والحسن والسبب في ذلك ﴾

لما استقر الحسن بن كنون وعشيرته بقرطبة تحت كنف الحكم المستنصر بالله الأموي على ما وصفناه استمر الحال على ذلك إلى سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان للحسن قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الحرم ظفريها في بعض سواحلها من بلاد العدو أيام ملكه بها فسقواها منشورة يتوسدها ويرتفق بها فبلغ أمير المؤمنين الحكم خبرها فسأله جلها إليه وضمها إلى ذخائره على أن له حكمه مسقطاً فامتنع الحسن من ذلك وأبى أن يسلمها إليه فنكبه عليها وسلبه جميع أمواله وسلبه القطعة أيضاً فبقيت في خزنة الأمويين إلى أن غلب ابن جود الادريسي على ملك الاندلس ودخل قرطبة واستقر بالقصر منها قال في تلك العنبرة لازالت قاعة العين قد عقبها الأيام حتى صارت إلى أيدي العلوية أربابها ولما كتب الحكم الحسن أمر بالخواجه وأخرج عشيرته من قرطبة وأجلائهم إلى المشرق فركبوا البحر من المرية إلى تونس سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان قصد الحكم بتغريبهم التخفيف منهم والراحة من نفقاتهم مع ما كان قومه يعذلونهم عليهم فسار الحسن بن كنون وعشيرته إلى مصر فزلوا بها على خليفة الشيعة وهو العزيز بالله نزار بن المعز العبيدي وكان العبيديون قد ملكوا مصر يومئذ فوعدوا كرمي خلافتهم إليها فاقبل العزيز نزار على الأدارسة وبالغ في إكرامهم ووعده الحسن النصر ولا أخذ بثأره ممن غلبه على ملك سلفه

﴿ عود الحسن بن كنون إلى المغرب وما كان من أمره إلى مقتله وانقراض دولته ﴾

لما استقر الحسن بن كنون بمصر عند العزيز نزار أقام عنده مدة طويلة إلى أن دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة في أيام هشام المؤيد بالله الأموي فكتب نزار للحسن بعهده على المغرب وأمر عام له على إفريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أن يقويه بالجيش فسار الحسن إلى بلكين فأعطاه عسكراً يشتمل على ثلاثة آلاف فارس فأقحمهم بلاد المغرب فسارعت إليه قبائل البربر بالطاعة فشرع في إظهار دعوته واتصل خبره بالمنصور بن أبي عامر حاجب هشام المؤيد والقائم بملكه فبعث إليه ابن عمه الوزير أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر المعروف بعسكارة في جيش كثيف وقلده أمر المغرب وسائر أعماله وأمره بقتال الحسن بن كنون فنفذ لوجهه وركب البحر إلى سبتة وخرج إلى حرب الحسن فأحاط به وحاصره أياماً ثم أجاز المنصور بن أبي عامر ولده عبد الملك في أثر الوزير أبي الحكم في جيش كثيف محذاه فلما رأى ذلك الحسن بن كنون سقط في يده ولم يجد حيلة فطلب الأمان على نفسه على أن يسير إلى الاندلس كمثل حالته الأولى فأعطاه الوزير أبو الحكم من ذلك ما وثق به وكتب إلى ابن عمه المنصور يخبره

بذلك فامر بتجهيله الى قرطبة موكل به اليه ولما انتهى الخبر الى المنصور بقدم الحسن لم يحض
 أمان ابن عمه وأنفذ اليه من قتلته في طريقه وأثناء برأسه ودفن شلوه بمكان مقتله وذلك في جمادى الاولى
 سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ووركدت ريح العلوية بالمغرب وتفرق جمعهم وانقرضت دولتهم وتفرقت
 الادارة في قبائل المغرب ولا ذوا بالاختفاء الى ان خلعوا الشارة ذلك النسب الشريف واستحالت صيغتهم
 منه الى البداوة واستمر الحال الى ان أشرفت دولة بني أمية بالاندلس على الانقراض وكان بالاندلس
 رجلا من آل ادريس دخلوها في جملة البربر الذين كانوا هناك وهم على القاسم ابن جود بن ميمون
 ابن أحمد بن علي بن عميد الله بن عمر بن ادريس قطار لهم اذ كرفي الشجاعة والاقدام ثم تفرقت بهم الاحوال
 الى ان ورثوا خلافة الاندلس من يد الامويين بها في خبر طويل ولما قتل الحسن بن كعون هبت ريح
 عاصف احتملت وداءه فلم يوجد بعد قالوا وكان الحسن هذا قاطعا غليظا قاسي القلب كان اذا نظربعدو
 أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من ذروة قلعة تسمى المسماة بسجرا النسر في هوى منها الى الارض مدة
 البصر يدفع الرجل بخشبة تغد اليه فلا يصل الى الارض الا وقد تقطع وقال ابن أبي زرع كان مدة ملك
 الادارة بالمغرب من يوم بويع ادريس بن عبد الله وذلك يوم الخميس السابع من ربيع الاول سنة اثنتين
 وسبعين ومائة الى ان قتل الحسن بن كعون وذلك في جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة مائتي
 سنة وثلاث سنين سوى شهرين تقريبا وكان عملهم بالمغرب من السوس الاقصى الى مدينة وهران
 وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة وكانوا يكبدون دولتين عظيمتين دولة العبيديين بأفريقية ودولة
 بني أمية بالاندلس وكانوا يراخون الخلفاء الى ذروة الخلافة ويقعد بهم عنها ضعف سلطانهم وقلة ما لهم
 فكان سلطانهم اذا امتدت قوى ينتهي الى مدينة تلمسان واذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لا يجاوز
 سلطانهم البصرة وأصملا وجرا النسر الى ان انقضت أيامهم وانقرضت مدتهم والبقاء لله وحده وكان
 في هذه المدة من الاحداث انه في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة كانت ريح شديدة قلع الأشجار
 وهدمت الديار وقتلت الرجال (وفي ليلة الثلاثاء الثامن عشر من رجب منها ظهر في البحر شهاب ناقب
 مائل كالعمود العظيم أضاء الليل لسطوع نوره وأشبعت تلك الليلة ليلة القدر وقارب ضوءها ضوء النهار
 (وفي هذا الشهر أيضا) كسف النيران فحسف القمر ليلة أربع عشرة منه وطلعت الشمس كاسفة في اليوم
 الثامن والعشرين منه وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة كان الجراد بالمغرب وفي سنة اثنتين
 وستين بعدها دخل مغراوة المغرب وملكوه وتعرف هذه السنة بسنة لقمان المغراوي وفيها
 توفي الشيخ الفقيه الصالح الفاضل أبو ميمونة دراس بن اسمعيل وهو أول من أدخل مدونة صحنون مدينة
 فاس وذكر الرشاطي ان وفاته كانت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ولعله أصح وفي سنة سبع وسبعين
 وثلاثمائة عم الجراد بلاد المغرب كلها وفي سنة ثمان وسبعين بعدها كان الفيض الذي فاضت منه
 جميع أودية المغرب وفي سنة تسع وسبعين بعدها كانت الريح الشرقية بالمغرب ودامت ستة أشهر
 فاعقبت وباء عظيما وأمرضا كثيرة وفي سنة ثمانين وثلاثمائة تدارك الله عباده وكان الرخاء المفرط
 بالمغرب فكان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثرة وكان الفلاحون وأصحاب الحرث يتركونه قائما في
 محافلهم لا يحصدونه لخصه

الخبر عن دولة زناتة من مغراوة وبني يفرن بفاس والمغرب

ينبغي أن نقدم هنا كلاما يكون كالتوطئة لاخبار هذه الدولة المغراوية فتقول ان هذه الدولة لم يكن لها
 استقلال بالمغرب وفاس وانما كانت رياستها تحت نظر الامويين بالاندلس ثم ان مغراوة وبني يفرن
 قبيلتان من أعيان قبائل زناتة وكان مغراو وفرن أخوين شقيقين وهما ابنا صليتين بن مسري بن زاكيا

ابن ورسيلك بن الديديت بن زانا وهو أبو زناتة وقد تقدم لنا في أخبار الفتح ان العصاية رضى الله عنهم
أسروا صولات بن وزمار كبير مغراوة لذلك العهد وبعثوا به الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فاسلم على يده
وولاه على قومه وقيل ان صولات هاجر الى عثمان رضى الله عنه طائعا من غير أسرفا كرمه وولاه فكان
بيت صولات بسبب هذه المزية نبيا في قومه مغراوة وسائر زناتة ولما مات صولات ورث رياسته
من بعده ابنه حفص بن صولات ثم من بعده خزي بن حفص بن صولات ثم ابنه محمد بن خزي وهو الذي
غزاه ادريس بن عبد الله عدينة تلمسان وانقاد له وأجاب دعوته ودخل ادريس معه تلمسان وأصلح شأنها
وبنى مسجد هاشميا تقدم الخبر عن ذلك مستوفي ثم لم تزل ذرية محمد بن خزي هذا تتوارث رياسة سلفهم
من بعدهم الى ان كان منهم في صدر المائة الرابعة أربعة أخوة وهم محمد بن خزي وعبد الله بن خزي ومحمد
ابن خزي وقليل بن خزي وكلهم رئيس شريف في قومه ولهم أخبار مع خلفاء الشيعة بافريقية والمر وانيين
بالاندلس يطول ذكرها مع انها ليست من موضوعنا ولما كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة زحف بلكين
ابن زيري بن مناد الصنهاجي صاحب افريقية بعد العبيديين الى المغرب الاقصى وأناخ على مدينتي فاس
وقتل عاملها محمد بن أبي علي بن قشوش صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة
الاندلس واستعمل عليها محمد بن عامر المكاسي وأجفلت ملوك زناتة من بني خزي والمغراويين وبني محمد
ابن صالح اليفرنيين أمامه وانحازوا جميعا الى سبته وعبر محمد بن الخير من آل خزي البحر الى المنصور بن أبي
عامر صريخا فخرج المنصور في عساكره الى الجزيرة الخضراء بمكة المسمى بنفسه وعقد له مقرب بن علي
ابن جدون على حرب بلكين الصنهاجي وأجاز له البحر وأمدته بمائة رجل من المال فاجتمعت اليه ملوك
زناتة وضمروا مصافهم بساحة سبته وجاء بلكين الصنهاجي حتى صعد جبال تطوان وتسلم هضابها وأطل
على عساكر زناتة وأهل الاندلس بساحة سبته فرأى ما لا قبل له به ويقال انه لما عين ذلك قال هذه
أففى فغرت الينا فاهها وكررت اجمع على عقبه فاجتاز على مدينة البصرة وكان بها حامية أهل الاندلس
وبها يومئذ هامة عظيمة فهدمها ثم صعد الى برغواطية بلاد تامسان فاجاهدتهم وقتل ملكهم عيسى بن أبي
الانصار واستولى على المغرب أجمع وعفى دعوة بني أمية من فواحيه ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعين
وثلاثمائة وقدم الحسن بن كنون الادريسي من مصر الى المغرب يطلب ملك سلفه انضم اليه يدوان يعلى
ابن محمد بن صالح اليفرني في قومه وشايعة على مراده وسرح المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس اليه
ابن عمه أبا الحكم الملقب بعسكلاجة وانضم اليه آل خزي والمغراويون وهم محمد بن الخير الأصغر وخزيون
ابن قفل بن خزي ومقاتل وزيري ابتاع طيبة بن عبد الله بن خزي وانضم اليهم سائر مغراوة وظاهروا
أبا الحكم عسكلاجة على شأنه في حصار الحسن بن كنون حتى طالب الامان لنفسه حسبا استوفينا خبره
أنفاهم تقدم عسكلاجة الى فاس فدخلها واستولى على عدوة الاندلس سنة خمس وسبعين وثلاثمائة
وخطب بها البني أمية وبقي محمد بن عامر المكاسي عامل الشيعة بعدوة القرويين الى سنة ست وسبعين
وثلاثمائة فأتى أبو ياش فدخل عدوة القرويين بالسيف وقبض على محمد بن عامر المكاسي فقتله
وخطب بها البني أمية أيضا هكذا في القرطاس ووقال ابن خلدون ان المنصور بن أبي عامر عدا على
المغرب بعد انصراف عسكلاجة عنه للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي وأطاق يده في الاموال
والرجال وأرسله اليه سنة ست وسبعين وثلاثمائة وأوصاه بالاحسان الى مغراوة ولا سيما مقاتل وزيري
ابتاع طيبة لحسن أنحياتهم الى المر وانيين وصدق طاعتهم لهم واغراه بيدوان يعلى اليفرني لتريضه في
الطاعة وقيامه مع الحسن بن كنون فنفذ الوزير حسن بن عبد الودود عمله ونزل بفاس وضبط المغرب
أحسن ضبط واجتمعت عليه مغراوة ثم هلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين ورث رياسته على بادية
قومه أخوه زيري بن عطية وحسنت صحبته للوزير حسن بن عبد الودود ومعاملته له ثم ان المنصور

ابن أبي عامر استدعى زيري بن عطية للوفادة عليه بقرطبة فوفد عليه وأحسن المنصور إليه ورفع منزلته ثم عاد إلى المغرب وأمره بقتال يدو بن يعلى اليفرقي فاجتمع عليه هو والوزير ابن عبد الودود فقاتلوه فانتصر عليهم يدو بن يعلى وقتل الوزير ابن عبد الودود ثم عقد المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية من بعده على المغرب وفاس وكان ذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة هذا ملخص ما عند ابن خلدون في هذا الخبر ثم حكى بعده ما يخالفه مما تذكره مبسوطا عن قريب وتوقف في أيهما الصواب والله أعلم

في الخبر عن دولة زيري بن عطية المغربي بفاس والمغرب

هو زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغربي وعبد الله المذكور هو أحد الأخوة الأربعة من بني خزر يقال في القرطاس ملك على زناتة سنة ثمان وستين وثلاثمائة فقام في المغرب بدعوة هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور بن أبي عامر وذلك بعد انقراض دولة الأدارسة منه وبني أبي العافية المذكسين فغلب زيري أولاً على جميع بوادي المغرب ثم ملك مدينتي فاس بعد عسكلاجة وأبي يياش دخلها سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فاستوطنها وصيرها دار ملكه واستقام له أمر المغرب فعلا قدره وقوى سلطانه وارتفع شأنه وهو في ذلك متمسك بدعوة بني مروان أصحاب الأندلس والله غالب على أمره

في حديث أبي البهار الصنهاجي مع المنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك

كان أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي قد خالف على ابن أخيه منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أمير إفريقية وظهير الدولة العبيدية وخلع دعوة الشيعة ومال إلى دعوة المرأتين وغلب على المهدية وتونس وشلشال وتلمسان وهران وشلف وكتير من بلاد الزاب وخطب للمؤيد وحاجبه المنصور ابن أبي عامر وبعث يبيعه اليهم وذلك في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فلما وصلت بيعته إلى المنصور بن أبي عامر بعث إليه بعهدته على ما بيده من البلاد وهدية وخلع وباربعين ألف دينار فلما قبض أبو البهار المال والهدية أقام على بيعتهم نحو الشهرين ثم خلعه وعاد إلى العبيديين فبلغ ذلك المنصور فغاضبه وكتب إلى زيري بن عطية بعهدته على بلاد أبي البهار وأمره بقتاله عليها فصار إليه زيري بن عطية من فاس في جيوش لا تحصى من قبائل زناتة وغيرهم ففر أبو البهار أمامه ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين وترك له البلاد فلما زيري بن عطية تلمسان وسائر أعمال أبي البهار فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الأقصى إلى الزاب وكتب بالفتح إلى المنصور بن أبي عامر وبعث له بهدية عظيمة فيها ما ثافرس من عتاق الخيل وخمسون جلامهرياً سابقة وألف درقة من جلود اللط وأجال كتيرة من قسي الزان وقطوط الغالية والزرافة وأصناف الوحوش الصراوية كاللوط وغيره وألف جل من التمر الجيد في جنسه وأجال كتيرة من ثياب الصوف الرقيقة فسرهم المنصور وكافأه عليها وكتب له بتجديد عهده على المغرب وذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وأقام زيري بن عطية بفاس وأسكن قبيسة بأحماها وبالقرب منها في قباطينهم ودفع بني يفرن عن فاس وأحوازها إلى فواحي سلا فاستولوا عليها كما سيأتي

في وفادة زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر بالأندلس

لما كانت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة استدعى المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية أن يقدم عليه بقرطبة فاستخلف على المغرب ولده المعز بن زيري وأمره بسكنى تلمسان واستخلف على عدوة الأندلس من فاس عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة وعلى عدوة القرويين منها على بن محمد بن أبي علي بن قشوش وولى قضاء المدينتين الفقيه الفاضل أبا محمد قاسم بن عامر الأزدي وسار إلى الأندلس وقدم بين يديه هدية عظيمة من جلته طائر فصيح يتكلم بالعريسة والبربرية ودابة من دواب المسك ومهارة وحشية تشبه الفرس وحيوانات غريبة وأسدان عظيمان في قفه من حديد وشمع كثير من التمر في غاية الكبر

الواحدة منه تشبه الخيارة عظما وجل معه من قومه وعبيده ثلاثمائة فارس وثلاثمائة راجل فاحتفل المنصور لقدمه احتفالا عظيما وبرز الخاصة والعامة للقائه وأنزله بقصر جعفر الحاجب وتوسع له في الجرايات والاكرام ولقبه باسم الوزير وأفاض عليه أموالا جسيمة وخلعنا نفيسة وعجل بسراجه الى عمله بعد ان جدّده عهده على المغرب وعلى جميع ما غلب عليه منه فعبر البحر واحتل مدينة طنجة فلما استقر بها وضع يده على رأسه وقال الآن علمت انك في فاستقل ما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذي سماه به ولقد خاطبته به بعض رجاله فنهاه عن ذلك وقال وزير من يالكع لا والله الا أمير بن أمير وأعجبنا لابن أبي عامر ومخرقته لان نسمع بالمعيدى خير من أن تراه والله لو كان بالاندلس رجل متركه على حاله وان له منالي وما بلغت مقالته المنصور فصرّ عليها أذنه وزاد في اصطناعه الى ان كان ما ذكره

❦ استيلاء يدو بن يعلى اليفرنى على قاس ومقتله ❦

تقدم لنا ان بني يفرن من أعيان قبائل زناتة وكان يدو بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى قد قام بأمر بني يفرن بعد مقتل أبيه يعلى بن محمد حين قتله جوهر الكاتب قائد الشيعة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة فملك يدو كثيرا من وادى المغرب واتصلت رياسته الى هذا التاريخ وتقدم لنا ان مغراوة دفعوا بني يفرن الى سلا وأحوازها فاستولوا عليها وكان الأمير يدو بن يعلى مضاهيا ليزي بن عطية في الحسب والفضل والمال ولما استدعى المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية للوفادة المتقدمة أراد أن يفعل بيدو بن يعلى مثل ذلك وكان قصده أن يكرهه لانه كان لا يطمئن اليه اطمئنان زيري بن عطية فأساء يدو بن يعلى اجابة المنصور وقال متى عهد المنصور جرح الوحش تنقاد ليليا طرة فاقصر عنه المنصور وكانت بين زيري ويدو بن يعلى منافسات ومنازعات على الرياسة بالمغرب فكان يدو بن يعلى اذا غلب على زيري دخل مدينة قاس واستولى عليها واذا غلب عليه زيري أخرجه عنها وملكها وكانت الحرب بينهما سجالا وسبغت الرعية بفاس كثرة تعاقبهم عليها ثم لما سافر زيري بن عطية الى الاندلس انتهز يدو بن يعلى الفرصة في غيبته فزحف الى قاس ودخل منها عدوة الاندلس بالسيف في ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وقتل بها خلقا كثيرا من مغراوة فلما نزل زيري بن عطية بطنجة اتصل به خبر يدو بن يعلى واستيلائه على قاس فامرع السير نحو حتى نزل قريبا من قاس فكانت بينهما حرب شديدة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبني يفرن الى ان هزمه زيري واقتحم عليه فأساعته فقتله ومثله به وبعث برأسه الى المنصور بن أبي عامر بقرطبة وذلك سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

❦ بناء مدينة وجدة ❦

لما قتل زيري بن عطية يدو بن يعلى صفاه أمر المغرب ولم يبق له به منازع وهابته الملوك وبقي الامر مستقيما بينه وبين المنصور في الظاهر فسمت هتته الى بناء مدينة تكون خاصة به وبقومه وأرباب دولته فبنى مدينة وجدة وشيّد أسوارها وأحكم قصبها وركب أبوابها وسكنها بأهلها وحشمه ونقل اليها أمواله وذخائره وجعلها قاعدة ملكه لكونها واسطة البلاد وتقرأ للعمالتين المغرب الاقصى والاوسط وكان اختطاطه اياها في شهر رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ولم يزل زيري بن عطية في علو سلطان وارتفاع شان الى سنة ست وثمانين وثلاثمائة ثم حدث ما ذكره

❦ حدوث النفرة بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك ❦

ثم فسد ما بين المنصور وبين زيري بن عطية واتصل بالمنصور أن زيري يتنقصه ويعرض في شأنه ويحججه على المؤيد ويتكلم فيه بالقبيح فقطع المنصور عنه رزق الوزارة الذي كان يجري به عليه في كل سنة ومضى اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه فغرم زيري على خلافه فقطع ذكره من الخطبة واقتصر على ذكر

هشام المؤيد وطرد عماله من المغرب وألجأهم إلى سبتة فأنفذ إليه المنصور بن أبي عامر مولاه واضحا
الفتى في جيش عظيم وأمدّه بالحجارة من سائر الطبقات وأزاح علالهم وأفاض عليهم أموال اللنعات
وأفادهم السلاح والكسب فعبروا بوضوح البحر واستقر بمدينة طنجة فانضم اليه بعض قبائل البربر من غمارة
وصنهاجة وغيرهم وبايعوه على قتال زيري بن عطية ومن معه من قبائل زناتة فأفاض عليهم الخلع
والأموال ثم أمدّه المنصور بمن كان معه بالاندلس من ملوك البربر النازعين عن زيري بن عطية إليه
فتكاملت جيوشه وخرج بهم ووضح من طنجة يؤتم فاسا فاقبل خبره بزيري بن عطية فخرج إليه من فاس
في عساكر زناتة فالتقى الجمعان بوادي زادات فكانت بينهما حرب وبعد العهد بمثلها مدة من ثلاثة أشهر
إلى أن انهزم واضح وقتل أكثر جيشه وفر واضح إلى طنجة فدخلها منهزما وكتب إلى المنصور يطلب منه
المدد وقال ابن خلدون رحمه الله أن واضح حين برز من طنجة وزحف إلى زيري بن عطية تواقفا ثلاثة أشهر
ثم تناول واضح أصيلة لاونكور فضبطهما وأتصلا الوقائع بينهما وبين زيري ثم يث واضح معسكر زيري
بنواحي أصيلة وأولاهم غارتون فوقع بهم وخرج المنصور من قرطبة فوصل إلى الجزيرة الخضراء ثم أجاز ابنه
عبد الملك المظفر بجميع عسكر الاندلس وقوادها حتى بقي المنصور وحده وأمره بحرب زيري بن عطية
فركب المظفر البحر من الجزيرة الخضراء إلى سبتة وأتصل بحسب المظفر بزيري بن عطية فخافه وأخذ في
الاستعداد للافاته وكتب إلى جميع قبائل زناتة يستصرخهم فأتته الوفود من بلاد ملوية وتلمسان
والزاب وسائر بوادي زناتة فنهض بهم إلى قتال عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبرز عبد الملك من
طنجة ومعه واضح الفتى في جيوش لا تحصي والتقى الجمعان بوادي منى من أحواز طنجة فكانت بينهم
حرب أعظم من الأولى ودام القتال بينهم يوما إلى الليل وكان في عسكر زيري بن عطية غلام أسود اسمه
سلام كان زيري قد قتل أخاه فوجد القرصة إليه فانتزها وضربه بسكين في نحره ثلاث ضربات فاشواه
أي لم يصب مقتله ومصر الأسود يشد نحر المظفر وبشره بقتل زيري فاستكذبه ثم سقط إليه الخبر الصحيح
بان زيري قد أثبت فشده عليهم عبد الملك وهم في حال دهشة من جرح أميرهم فهزمهم واستمرت الهزيمة
على زيري وأصحابه وأثنى فيهم عبد الملك بالقتل وملاك محلة زيري بأسرها واحتوى على جميع ما فيها من
المال والسلاح والكرع والأبل والعدة فاستولى من ذلك على ما لا يأخذ هذه الحصر ومضى زيري على
وجهه حتى انتهى إلى موضع يعرف بمضيق الحية بالقرب من مكاسة فحسب كربه واجتمع إليه الفيل من
قومه وعزم على الرجوع لئلا يجزأ المظفر فاتصل الخبر بالمظفر فانتخب من عسكره خمسة آلاف فارس
وقدم عليهم وأخا الفتى ونهضوا إلى زيري بن عطية فحاربوا في محلة ليلا بمضيق الحية وهم آمنون
فاوقعوا بهم وقعة عظيمة أسرف فيها من أشرف مغرارة نحو ألفي رجل وذلك في منتصف رمضان سنة سبع
وثمانين وثلاثمائة فامتنع عليهم عبد الملك المظفر وأركبهم معه فكانوا من جنده وفرز زيري بن عطية
في شردمة من أصحابه وبني حمه فأنتهى إلى فاس فأغلق أهلها الأبواب ودونه فساء لهم أن يخرجوا إليه عياله
وأولاده فانخرجوهم إليه وأعطوه مع ذلك الزاد والدواب فأخذهم وانصرف إلى الصحراء فنزل بلاد
صنهاجة وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى

وقدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر مدينة فاس وما كان من شأنه بها

لما انهزم زيري بن عطية من مضيق الحية إلى الصحراء نهض عبد الملك المظفر من معسكره يؤتم فاسا
فدخلها يوم السبت منسج شوال سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فاستقبله أهلها مستبشرين به فأحسن
لقاءهم وكتب إلى أبيه المنصور بالفتح فقرأ الكتاب على منبر جامع الزهراء من قرطبة وعلى منابر مساجد
الاندلس كلها شرقا وغربا وأعتق المنصور ألفا وخمسمائة مملوك وثلاثمائة مملوك تشكرا لله تعالى وفرق
أموالا كثيرة على الفقراء وذوي الحاجات وكتب إلى ولده المظفر بهدده على المغرب وأوصاه بحسن

السيرة والعدل فقرئ كتابه على منبر مسجد القرويين وذلك يوم الجمعة آخر ذي القعدة من السنة المذكورة وانصرف واضح الى الاندلس واستوطن عبد الملك مدينة فاس وعدل فيها عدلا لم يعهده من أحد قبله وأقام بها ستة أشهر ثم صرفه والده عنها الى الاندلس وبعث اليها عوضا منه عيسى بن سعيد صاحب الشرطة فأقام واليا عليها الى صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة فعزل المنصور عنها وبعثها كان ولاء من بلاد العدو وولى عليها وأخا الفتى وانصرف عيسى بن سعيد الى الاندلس من السنة المذكورة

بقية أخبار زيري بن عطية

لما نزل زيري بن عطية ببلاد صنهاجة وجدهم قد اختلفوا على ملكه - مباديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد صاحب افريقية فارسل زيري بن عطية في قبائل زناتة حاشرين فأتى منهم - مخلق كثير من مغراوة وغيرهم فاغتنم زيري تلك الفرصة من صنهاجة فزحف اليهم وأوغل في بلادهم وهزم جيوشهم ودخل مدينة تاهرت وجلة من بلاد الزاب وملك مع ذلك تلمسان وشلف والمسيلة وأقام بها الدعوة للتوحيد وحاصر مدينة أشير قاعدة بلاد صنهاجة وكتب الى المنصور بن أبي عامر بذلك يسترضيه ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان أعيد الى ولايته وبينما هو محاصر لا تشير بيا كرها ويرأوها بالقتال انتقضت عليه جراحاته التي كان جرحه الاسودغات منها سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

الخبر عن دولة المعز بن زيري بن عطية المغربي

لما هلك زيري بن عطية اجتمع آل خزر وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيري فبايعوه ووضبط أمرهم وأقصر عن محاربة صنهاجة وصالح المنصور بن أبي عامر وقام بدعوته ورجع الى طاعته ولم يزل على ذلك الى ان توفي المنصور وولى ابنه بعده عبد الملك المظفر فبايعه المعز أيضا ودعاه على منابر فعزل المظفر وأخا الفتى عن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الاندلس وكتب الى المعز بن زيري بهده على فاس وسائر أعمال المغرب حواضره وبواديه وذلك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وشرط له المعز ان يؤدي اليه في كل سنة مالا معلوما وخيلا ودرقا يصل ذلك الى قرطبة وأعطاه مع ذلك ولده معنصر بن المعز رهنا وكانت نسخة كتاب العهد بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله من الحاجب المظفر سيف الدولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الى كافة أهل مدينتي فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله (أما بعد) أصح الله شأنكم وسلم أنفسكم وأديانكم فالله عمام الغيوب وغفار الذنوب ومقلب القلوب ذي البطش الشديد المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا اراد لامره ولا معقب لحكمه بل له الملك والامر ويده الخير والشر اياه نعبد واياه نستعين واذ قضى أمرا فاعنا يقول له كن فيكون وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وجميع الانبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين وان المعز بن زيري ابن عطية أكرمه الله تابع رسله لدينا وكتبه متصلا من ههنا دفعته اليها ضرورات ومستغفر من سيئات خطئنا من توبته حسنات والتوبة ممحاة الذنوب والاستغفار منقذ من العيب واذا أذن الله بشئ يسره وعسى أن تكرهوا شيئا ولم يكن فيه خيرة وقد وعد من نفسه استتسعار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة وحسن المعونة وخفة المؤنة فولينا ما قبلكم وعهدنا اليه ان يعمل بالعدل فيكم وأن يرفع أعمال الجور عنكم وأن يعمر سبلكم وأن يقبل من محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم الا في حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى بالله شهيدا وقد وجهنا الوزير أبا علي بن حذيم أكرمه الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ بشأنه ويؤكدها فيه عليه بذلك وأمرناه بأشراككم فيه ونحن بامركم معتنون ولا حوالكم مطلقون وأن يقضى على الاعلى للدني ولا يرضى

فيكم بشي من الادنى فثقوا بذلك واسكنوا اليه وليعض القاضي أبو عبد الله أحكامه مشدودا ظهره بنا معقودا سلطانه بسلطاننا ولا تأخذه في الله لومة لائم فذلك ظنتابه اذوليناه وأملنا فيه اذ قلدناه والله المستعان وعليه التكلان لا اله الا هو ولتبلغوا مناسلا ما طيبا جزيلا ورحمة الله وبركاته ولما وصل الى المعز بن زيري العهد بولايته على المغرب ما عدا كورة سجلماسة فانها كانت لبني خزرون بن فلفل ضم نشره وثاب اليه نشاطه وبث عماله في جميع كور المغرب وجبا خراجها ولم تزل ولايته متسقة وطاعة رعاياه منتظمة الى ان افترق أمر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة بها فاضطرب أمر المغرب على المعز وأقام على ذلك الى ان هلك سنة سبع عشرة وأربعمائة كذا عند ابن خلدون وفي القرطاس لم تزل بلاد المغرب أيام المعز في غاية الهدنة والعافية والرخاء والامن الى ان توفي في جادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة والله أعلم * وأما ابنه معنصر فانه أقام بقرطبة الى ان قامت الفتنة بالاندلس وانقرضت الدولة العامرية فانصرف معنصر الى أبيه وعشيرته بفاس ووحى في القرطاس انه لما كانت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وتوفي عبد الملك المنصور وولى بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور ابن أبي عامر بعث اليه المعز بن زيري بهدية نفيسة فيها خسون فرسا وكان ولده معنصر مرتهنا عنده بقرطبة كما قلنا فأحضر الحاجب عبد الرحمن معنصر بن المعز حين وصلت اليه هدية أبيه فخلع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه بالهدية وبعث به الى أبيه مكرما فجمع المعز كل فرس كان عنده وبعث به الى قرطبة وكان مبلغ عدد الخيل تسعمائة فرس ولم تصل من المغرب الى الاندلس هدية أعظم منها

الخبر عن دولة جماعة بن المعز بن عطية المغراوي

لما توفي المعز بن زيري بن عطية ولى بعده ابن عمه جماعة بن المعز بن عطية وليس يابن له كما زعم بعض المؤرخين وانما هو ابن عمه وقع الاتفاق في بعض الاسماء فنشأ الغلط واستولى جماعة على عمل فاس والمغرب واستفحل ملكه وقصده الامراء والعلماء وآتته الوفود ومدحه الشعراء وكانت الدولة بالاندلس قد تداعت الى الاختلال فكان ذلك من أسباب استئصال الدولة المغراوية بفاس والمغرب واستقلالها بالامر فكان لجماعة من الظهور ما ذكرناه الى ان أصابته عين السكال بمنازعة أبي السكال على ما نذكره

الخبر عن ثورة أبي السكال بن زيري اليفرنى واستيلائه على فاس وأعمالها

قد تقدم لنا ان بني يفرن كانوا قد تحيزوا الى نواحي سلا فاستولوا عليها وعلى مدينة شالة ثم ملكوا تادلا وما والاها من البلاد ثم لما كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة كان الأمير على بني يفرن أبا السكال بن زيري بن زيري بن علي بن محمد بن صالح اليفرنى فزحف من سلا الى فاس في قبائل بني يفرن ومن انضم اليهم من زناتة وبرزاليه جماعة في جوع مغراوة ومن اليهم فكانت بينهم حرب شديدة أجلت عن هزيمة جماعة ومات من مغراوة أمم واستولى بنو زيري على فاس وأعمال المغرب ودخلها في جادى الاخرة من السنة لمذ كورة واستباح يهود فاس فقتل منهم أكثر من ستة آلاف يهودى وسباحهم واصطلم نعمتهم بالمرّة ولحق جماعة بوجدة فاستمد من كان هنالك من قبائل مغراوة وزناتة وانجاد قبائل ملوية وانتهى الى فاس فاستنفر من هنالك من زناتة وبعث الحاشدين في قبايطينهم الى جميع بلاد المغرب الاوسط وكاتب من بعدهم من رجالهم فاجتمع له من ذلك جم غفير ثم زحف الى فاس سنة تسع وعشرين وأربعمائة فأفرج عنها أبو السكال ولحق ببلده ومقر ملكه من شالة وأقام بها الى ان هلك سنة ست وأربعين وأربعمائة كانت مدة استيلائه على فاس وأعمالها خمس سنين وقيل سبع سنين وكان أبو السكال اليفرنى يغلب عليه الجفاء والجهل ومع ذلك فقد كان صابما في دينه مستقيما فيه مولعا بجهاد برغواطة كان يغزوهم مرتين في السنة الى ان توفي ولما كانت سنة اثنتين وستين وأربعمائة وقتل ابنه في حرب لتونة جاؤا به ليدفنوه في جانب قبر أبيه أبي السكال فسمعوا من قبره تكبيرا وتشهدا كثيرا فنبشوا قبره فالفوه لم يتغير منه شيء

ثم رآه بعض قرابته في النوم فقال له ما هذا التكبير والتشهد الذي سمعناه من قبرك قال تلك الملائكة وكلهم الله يقبري يكبرون ويهللون ويسبحون ويكون ثواب ذلك لي الى يوم القيامة قال وبم نلت ذلك قال بجهادي برغواطة حكي هذا الخبر في القرطاس والله على كل شيء قدير وأقام حمامة في سلطان فاس والمغرب الى ان توفي سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقيل غير ذلك

الخبر عن دولة دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي

لما توفي حمامة بن المعز ولي بعده ابنه دوناس بن حمامة ويكنى أبا العطف واستولى على فاس وسائر ما كان لآبيه من مدن المغرب وأعماله وخرج عليه لأول دولته ابن عمه جاد بن معنصر بن المعز بن عطية فحزرت له معه حروب وخطوب وكثرت جوع حاد وغلب على ضواحي فاس وحاصرها حصارا شديدا وقطع عن عدوة القرويين جرية الوادي واحتفر السياج المعروف بسياج جاد ويقال ان دوناس خندق به على نفسه واستمر جاد محاصر الفاس الى ان هلك سنة خمس وثلاثين وأربعمائة فاستقامت دولة دوناس وانفسحت أيامه وصار الناس في هدنة ودعة ورخاء كثير وفي أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحي فأدار دوناس السور على أرباضها وبني بها المساجد والحمامات والفنادق واستبحر عمرانها فصار حاضرة المغرب من يومئذ ولم يشغل دوناس من يوم ولي الى ان توفي بالابناء والتشديد وكانت وفاته في شوال سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

الخبر عن دولة فتوح بن دوناس المغراوي

لما توفي دوناس بن حمامة ولي بعده ابنه الفتوح بن دوناس ونزل بعد دولة الاندلس ونازعه الامر أخوه الاصغر واسمه عجيصة وكان شهما محريا فاستولى على عدوة القرويين واستبد على أخيه وافترق أمر فاس وأعمالها بافتراقهما وقامت الحرب بينهما ما على ساق وبني الفتوح بعد دولة الاندلس قصة منيعة بالموضع المعروف بالمكنان وبني عسيجة أيضا قصة مثلها برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين وكثرت العداوة بينهما واستحكمت فكانا لا يفتران عن القتال ليل لاونهار وأعظم الخوف بالمغرب وكثرا المخرج وغلت الاسعار واشتدت المجاعة وظهرت لمتونة على أطراف البلاد فلكوها والامر لازال والحال ماحال وليس لاهل فاس شغل الا القتال واستمر الامر على ذلك ثلاث سنين الى ان بيت الفتوح عسيجة فاقصم عليه عدوة القرويين ليلا فقتله واستولى على العدوتين معا والفتوح بن دوناس هذا هو الذي بني باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلي وبه عرف الى الآن وأخوه عسيجة هو الذي بني باب عسيجة برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين من ناحية الجوف وبه عرف أيضا الى الآن فلما ظفر الفتوح بعجيصة وقتله أمر بتغيير اسم الباب المنسوب اليه فاسقط الناس العين من عجيصة وعوضوا عنها بالالف واللام فقالوا باب العجيصة قاله في القرطاس وهو قال ابن خلدون خففوه لكثرة الاستعمال ولم يزل الفتوح مستوليا على فاس الى ان دهم المغرب مادهم من أمر المرابطين من لمتونة وخشي الفتوح مغبة لك فافرج عن فاس وتخلى عنها وزحف صاحب القلعة بلكين بن محمد بن جاد المصنهاجي الى المغرب سنة أربع وخمسين وأربعمائة ودخل فاسا واحتمل من أكسارها وأشرافها عددًا رهنا على الطاعة فغل الى قلعته

الخبر عن دولة معنصر بن جاد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوي

اتخذ الفتوح بن دوناس على ملك فاس وأعمالها أقام بالامر بعده قرييها معنصر بن جاد بن معنصر بن المعز بن عطية فبايعته قبائل مغراوة الذين بفاس وأحوازها وذلك في رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة وكان معنصر ذا خرم ورأى وشجاعة واقدام وشغل بمسألة كانت له عليهم الوقعة

المشهوره ثم غلب يوسف بن تاشفين على فاس وخلف عليها عام له وارتحل الى غماره وفتح الكثير من بلادها حتى أشرف على طنجة ثم رجع الى حصار قلعة فازاز فحالفه معنصر الى فاس وملكها وقتل العامل ومن معه من لمتونة ومثل بهم بالحرق والصلب واتصل الخبير بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة فازاز فاستدعى مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مكاسة ليستجيش به على فاس فاستعرضه معنصر في طريقه قبل أن تتصل أيديهم بها وناجزه الحرب ففرض جوعه وقتله وبعث برأسه الى وليه الحاجب سكوت البرغواطى صاحب سبتة واستصرخ أهل مكاسة بيوسف بن تاشفين فسرح عساكر لمتونة الى حصار فاس فأخذوا بمخنقها وقطعوا المرافق عنها وألحوا بالقتال عليها حتى اشتد بها لها الحصار ومسهم الجهد وبرز معنصر لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه وفقد في المحمة ذلك اليوم سنة ستين وأربعمائة فلم يدرك ما فعل الله به سبحانه وتعالى

في الخبر عن دولة تميم بن معنصر المغراوي

لما فقه معنصر بن حماد في المحمة التي كانت بينه وبين المتونيين بايع أهل فاس من بعده لابنه تميم ابن معنصر فكانت أيامه أيام حصار وقتنة وجهد وغلا وشغل يوسف بن تاشفين عنهم بفتح بلاد غماره حتى اذا كانت سنة اثنتين وستين وفتح من فتح غماره صمد الى فاس فحاصرها أياما ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكاسة وغيرهم وهلك تميم بن معنصر في جملتهم حتى عجز الناس عن مواراتهم فرادى فاتخذوا لهم الاخاديد وقبر واجاعات وخلص من نجاة من القتل منهم الى تلمسان قاله ابن خلدون (وقال في القرطاس) دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس الدخلة الثانية الكبرى فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن في أزقتها وجوامعها ما يزيد على العشرين ألف رجل وذلك سنة اثنتين وستين وأربعمائة وانقرضت دولة مغراوة من المغرب والبقاء لله وحده وكانت مدة دولتهم نحو مائة سنة وفي دولتهم عظم شأن فاس وبنيت الاسوار على أرباضها وحصنت أبوابها وزيد في مسجد بها القرويين والاندلس زيادة كثيرة واتسع الناس في أيام مغراوة في البناء فعظمت فاس واستبحر عمرانها وكثرت خيراتها واتصل الأمن والرخاء جل أيامهم الى ان ضعفت أحوالهم وجاروا على رعيتهم بأخذ أموالهم وسفك دماهم والتعرض لحرمهم فانقطعت عنهم المواد وكثر الخوف في البلاد وغلت الاسعار وبلا الله عباده بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانس والثمار وذلك في دولة الفتوح ابن دوناس ومن بعده فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يلجئون على الناس دورهم فيأخذون ما يجدون بها من الطعام ويتعرضون لنساءهم وصبيانهم ويأخذون أموال التجار فلا يقدر أحد أن يصددهم عن ذلك وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على قنة جبل العرض فينظرون الى الدور التي بالمدينة فاذا رأوا دارا بها دخان قصدها وأخذوا ما وجدوا بها من طعام أو غيره ومن قمرض لهم في ذلك قتلوه فلما ارتكبوا هذه العظائم سلمهم الله ملكه وغير ما بهم من نعمه والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فسلط الله عليهم المرابطين فحوا آثارهم من المغرب ونفروهم عنه بالكيفية وطهروهم من جورهم وفي أيامهم اتخذ أهل فاس المطامير في بيوتهم للطبخ لئلا يسمع دوى الرحى فتقصدهم سفهاؤهم مغراوة (وفيها أيضا) اتخذوا غرالا مرأى لها حتى اذا كان عشى النهار صعد الرجل باهله وعباله اليها بسلم ثم رفع السلم معه لئلا يدخل عليه فجأة وكان من هذا شئ كثير * وكان من الاحداث في هذه المدة انه في ليلة الخميس الثالث والعشرين من رجب سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ظهر نجم في السماء كان في رأى العين مثل الصومعة العظيمة طلع من جهة المشرق ونهافت جريا فبما بين المغرب والجوف وتطير منه شرر عظيم فزع الناس منه واستغاوا ربهم في صرف مكر وهه عنهم * وفي سنة اثنتين وثمانين بعدها كان الكسوف الكلى الذي أذهب جميع القرص * وفي سنة خمس وثمانين

وثلاثمائة كانت الریح المائلة التي تظفر الناس فيها الى البهاثم تحريين السماء والارض نعوذ بالله من
سخطه * وفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة طلع الكوكب الوقاد وهو نجم عظيم ضخم الجرم كثير الضياء
* وفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة طلع نجم عظيم من ذوات الاذنان شديد الارتعاد * وفي سنة سبع
وأربع مائة انقرضت دولة بني أمية بالاندلس وقامت بهادولة بني حوود فكانت مدتها نحو سبع سنين
وانقرضت أيضا وافترق أمر الجماعة بالاندلس وصار الملك بها طوائف الى ان نسخ ذلك يوسف بن
تاشفين * وفي سنة إحدى وعشرة وأربع مائة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تاهرت الى سجلماسة
وكثر القناء في الناس نسأل الله العافية * وفي سنة خمس عشرة وأربع مائة كانت الزلزلة العظيمة بالاندلس
اضطربت لها الارض وانهدمت الجبال * وفي سنة سبع عشرة وأربع مائة توفي الفقيه ابن الجوز
يفاس * وفي سنة ثلاثين وأربع مائة توفي الشيخ الفقيه أبو عمران الفاسي قال في التشوف أبو
عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي أصله من مدينة فاس ونزل بالقيروان فأخذ عن أبي الحسن
القاسبي ثم رحل الى بغداد فحضر مجلس القاضي أبي بكر بن الطيب ثم عاد الى القيروان وبها مات لثلاث
عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاثين وأربع مائة وكان مائة في الفضل والامانة اهـ

في الخبر عن الدولة الصنهاجية المتوالية المرباطية وأوليتها

قد تقدم لنا عند الكلام على نسب البربر وشعوبها أن صنهاجة إحدى قبائل البرانس من البربر وانهم
أعظم قبائلها بالمغرب لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيف حتى زعم كثير
من الناس انهم ثلاث البربر وتقدم لنا ان النسايين من العرب زعموا ان صنهاجة وكثارة من حير خلفهم
الملك افريقيش بالمغرب فاستحالت لغتهم الى البربرية والتحقيق خلاف ذلك وانهم من كنعان بن حام
كسائر البربر وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي الى السبعين منهم مأتونة وكذالة ومسوفة ومسراتة
ومداسة وبنو وارث وبنو دخير وبنو زيا وبنو موسى وبنو فشتال وغير ذلك وتحت هذه القبائل بطون
وأفخاذ تغوت الحضر وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان احدهما دولة بني زيري بن مناد الصنهاجيين
بافريقية ورؤا ملكها من يد الشيمية العبيديين والاخرى دولة الملقين بالمغرب الأقصى والوسط
والاندلس كاسياتي وموطن هؤلاء الملقين أرض الصمراء والمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد
السودان ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولاً في أربعة عرضاً وفيهم قوم لا يعرفون حوثاً ولا زرعاً
ولا فاكهة وانما أموالهم الانعام وعيشهم اللحم واللبن يقيم أحدهم حمرة لا يأكل خبزاً الا أن يمر ببلادهم
التجار فيمتصونهم بالخبز والدقيق وانما قتلهم الملقون لا هم يتلقون ولا يكشفون وجوههم أصله
يقول ابن خلدون في اللثام سنة لهم يتوارثون خلعاً عن سلف وسبب ذلك على ما قيل ان حير كانت تنتم
لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم فكثير ذلك حتى صار تفعله عامة م - وقيل كان سببه ان قوماً من
أعدائهم كانوا يقصدون غلبتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحى فيأخذون المال والحريم فأشار
عليهم بعض مشائخهم ان يبعثوا النساء في زى الرجال الى ناحية ويقعدوهم في البيوت متلثمين في زى
النساء فاذا آتاهاهم العدو وظنواهم نساء من جوارعهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيف فقتلواهم
فلزموا اللثام تبركاً به بما حصل لهم من الظفر بالعدو ويقول عز الدين ابن الاثير في كامله ما مثاله ويقيل
ان سبب تلثمهم ان طائفة من لتون تنسجوا مغيرين على عدوهم فخالقهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها
الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو وأمر النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن
ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهم واستداروا النساء
بالبیوت فلما أشرف العدو رأى جماعاً عظيماً فظنهم رجالاً وقالوا هؤلاء عند حريمهم يقتالون عنهن قتال
الموت والرأى ان نسوق النعم وغضى فان اتبعونا قاتلناهم - خارجاً عن حريمهم فيمتاهاهم في جمع النعم من

المراعي اذا قبل الرجال الى الحى فبقى العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو خاقا كثيرا وكان من قتل النساء أكثر في ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزلونه ليللا ولا نهارا وفي ذلك يقول أبو محمد بن حامد الكاتب

قوم لهم شرف العلى من حير * واذا اتقوا صنهجة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم قتلتموا

وقال ابن خلدون كان دين صنهجة أهل اللثام المجرسية شأن برابرة المغرب ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات الصراوية حتى كان اسلامهم بعد فتح الاندلس وكانت الرياسة فيهم للثونة واستوسق لهم ملك ضخم عند دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس توارثه ملوك منهم من بنى ورتنطوا وطالت أعمارهم فيه الى الثمانين ونحوها ودقوا تلك البلاد الصراوية وجاهدوا من بهامن أمم السودان وجاهدوهم على الاسلام فدان به كثير منهم واتقاهم آخرون بالجزيرة فقبلاوها منهم ثم افترق أمرهم من بعد ذلك وصلو ملكهم طوائف ورياستهم شيعا واستمر وأعلى ذلك مائة وعشرين سنة الى ان قام فيهم الامير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت اللثوني فاجتمعوا عليه وأحبوه وبايعوه وكان من أهل الفضل والدين والجهاد والنج فلبث فيهم ثلاث سنين ثم استشهد في بعض غزواته

والخبر عن رياسته يحيى بن ابراهيم الكدالى وما كان من أمره مع الشيخ أبي عمران الفاسي رحمه الله

ما توفي أبو عبد الله بن تيفاوت قام بأمر صنهجة من بعده يحيى بن ابراهيم الكدالى وكذا للثونة اخوان يجتمعان في أب واحد وكل منهما قبيل كبير يسكنون الخضراء التي تلي بلاد السودان ويليه من جهة المغرب البحر المحيط فاستمر الامير يحيى بن ابراهيم على رياسته صنهجة وحربهم لاعدائهم الى ان كانت سنة سبع وعشرين وأربع مائة فاستخلف على صنهجة ابنه ابراهيم بن يحيى وارتحل الى المشرق برسم الحج فلما قضى حجه وزيارته قفل الى بلاده فمر في عوده بالقيروان فلقى بها الشيخ الفقيه أبا عمران الفاسي وحضر مجلس درسه وتأثر بوعظه فراه الشيخ أبو عمران محبا في الخير فأعجبه حاله وسأله عن اسمه ونسبه وبلده فأخبره بذلك كله وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق فقال له الشيخ وما ينتحلون من المذاهب قال انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كبير علم فاخبره الشيخ وسأله عن فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيئا الا انه حريص على التعلم صحيح النية والعقيدة فقال له الشيخ وما يمنعك من تعلم العلم قال يا سيدي عدم وجود عالم بارى وليس في بلادى من يقرأ القرآن فضلا عن العلم ومع ذلك فأهل أوضى يحبون الخير ويرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن ويدرس لهم العلم ويفقههم في دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الاسلام فلورغبت في الثواب من الله تعالى لبعثت معي بعض طلبتك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين فينتفعون به ويكون لك وله الاجر العظيم عند الله تعالى اذ كنت سبب هدايتهم فندب الشيخ أبو عمران تلامذته الى ذلك فاستصعبوا دخول أرض الخضراء وأشفقوا منها فقال الشيخ أبو عمران ليحيى بن ابراهيم اني أعرف ببلد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقا ورعا أخذ عنى علما كثيرا واسمه واجاح بن زلوا اللطى من أهل السوس الاقصى اكتب له كتابا لينظر في تلامذته من يبعثه معك فسر اليه لعلك تجد حاجتك عنده فكتب اليه الشيخ أبو عمران كتابا يقول فيه أما بعد اذا وصلك حامل كتابي هذا وهو يحيى بن ابراهيم الكدالى فابعث معه من طلبتك من تثق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الاسلام ويفقههم في دين الله ولك وله في ذلك الثواب والاجر العظيم والله لا يضيع أجر من أحسن عملا وأبو محمد واجاح هذا من رجال التشوف قال فيه ومنهم واجاح بن زلوا اللطى من أهل السوس الاقصى رحل الى القيروان وأخذ عن أبي عمران الفاسي ثم عاد الى السوس فبنى دار اسمها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراء القرآن وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه

وإذا أصابهم قحط استسقوا به اه فسار يحيى بن ابراهيم بكتاب الشيخ أبي عمران حتى وصل الى الفقيه واجاح بمدينة نفيس فسلم عليه ودفع اليه الكتاب وكان ذلك في رجب سنة ثلاثين وأربعمائة فنظر الفقيه واجاح في الكتاب ثم جمع تلامذته فقرأ عليهم وندبهم لما أمر به الشيخ أبو عمران فانتدب لذلك رجل منهم يقال له عبد الله بن ياسين الجزولي وكان من حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والورع والسياسة مشاركا في العلوم فخرج مع يحيى بن ابراهيم الى الصحراء وكان من أمره ما نقصه عليك

الخبر عن دخول عبد الله بن ياسين أرض الصحراء وابتداء أمره بهم

لما انتهى يحيى بن ابراهيم الى بلاده ومعه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي تلقاه قبائل كدالة وملتونة وفرحوا بقدومهما وتغنوا بالفقيه وبالغوا في اكرامه وبره فشرع يعلمهم القرآن ويقيم لهم رسم الدين ويسوسهم باداب الشرع وألفاهم يتزوجون أكثر من أربع حرائر فقال لهم ليس هذا من السنة وإنما سنة الاسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حرائر فقط وله فيما شاء من ملك اليمين سعة وجعل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وكبهم عن كثير من مألوفاتهم الفاسدة وشد في ذلك فاطر حوه واستصعبوا عمله وتركوا الأخذ عنه لما جشمهم من مشاق التكليف فلما رأى عبد الله بن ياسين اعراضهم عنه واتباعهم لاهوائهم عزم على الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا في دين الاسلام يومئذ فلم يتركه يحيى بن ابراهيم لذلك وقال له انما أتيت بك لا تتفع بملك في خاصة نفسي وما على فيمن ضل من قومي وكان قومه ليس عندهم من الاسلام الا الشهادة دون ما عداها من أركان الاسلام وشرائعه ثم قال يحيى بن ابراهيم لعبد الله بن ياسين هل لك في رأى أشير به عليك ان كنت تريد الاخرة قال وما هو قال ان ههنا جيزة في البحر قال ابن خلدون هو بحر النيل يحيط به من جهاتها يكون خجضا حيا في المصيف يخاض بالاقدام وغمر في الشتاء يعبر بالزوارق قال يحيى بن ابراهيم وفيها الحلال المحض من شجر البرية وصيد البر والبحر ندخل فيها ونقتات من حلالها ونعبد الله تعالى حتى نموت فقال عبد الله بن ياسين ان هذا الرأى حسن فهلم بنا فلندخلها على اسم الله فدخلها ودخل معهم سبعة نفر من كدالة وابتقى عبد الله وابطة هناك وأقام في أصحابه يعبدون الله تعالى مدة من ثلاثة أشهر فقام مع الناس بهم وانهم اعتزلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثروا وردون عليهم والتواؤن لديهم فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الخير ويرغبهم في ثواب الله ويحذرهم ألم عقابه حتى تمكن حبه من قلوبهم فلم تمر عليه الامدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل وكان من أمرهم ما سمعته عن قريب

شروع عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه بالدعوة وما كان من أمره في ذلك

لما اجتمع الى عبد الله بن ياسين من أشرف صنحاجة نحو ألف رجل سماهم المرابطين للزومهم رابطة ولما تفقهوا ورشح فيهم الدين قام فيهم خطيبا فوعظهم وشوقهم الى الجنة وخوفهم من النار وأمرهم بتقوى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخبرهم بما في ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم جزائه ثم ندبهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنحاجة وقال لهم معشر المرابطين انكم اليوم جع كثير ونحو ألف رجل ولن يغلب ألف من قلة وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد أصحكم الله تعالى وهذاكم الى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم بأن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده فقالوا له أيها الشيخ المبارك من نأبأ شئت تجدنا سامعين لك مطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لعلنا فقال لهم انرجوا على بركة الله وانذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وابغزوهم حجة فان تابوا انخلوا وسيلهم وان أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنوا بالله تعالى عليهم

وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيره فوعظهم
 وأنذرهم ودعاهم الى الاقلاع عما هم بسبيله فلم يرفعوا بذلك رأسا فخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه
 وجع اشياخ قبائلهم وجووها وقرأ عليهم حجة الله ودعاهم الى التوبة ورغبهم في الجنة وخوفهم من
 النار وأقام ينذرهم سبعة أيام وهم في ذلك كله لا يلتفتون الى قوله ولا يزدادون الافسادا فلما يشئ منهم
 قال لاصحابه قدأ باغتنا في الحجة وأنذرنا وأعذرنا وقد وجب علينا الآن جهادهم فاغزوهم على بركة الله فبدأ
 أولا بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المراتبين فانهم نزلوا بين يديه وقتل منهم خلقا كثيرا
 وأسلم الباقيون اسلا ما جديدا وحسنت حالهم وأدوا ما يلزمهم من كل ما فرض الله عليهم وكان ذلك
 في صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ثم سار الى قبيلة لمتونة فنزل عليها وقتلهم حتى أظهره الله عليهم
 وأذعنوا الى الطاعة وبايعوه على اقامة الكتاب والسنة ثم سار الى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى أذعنوا له
 وبايعوه على ما بايعته لمتونة وكدالة فلما رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا الى التوبة والمبايعة وأقرؤا له
 بالسمع والطاعة فكان كل من أتاه نائباً منهم يطهره بان يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع
 الاسلام وكان يأمرهم بالصلاة والزكاة وأداء العشر واتخذ لذلك بيت مال يجمع فيه ما يرفع اليه من ذلك
 ثم أخذ في اشتراء السلاح واركاب الجيوش من ذلك المال وجعل يغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد
 الصحراء وذل قبائلها ثم جمع أسلاب القتلى في تلك المغازي وجعلها فئسا للرباطين وبعث بعالم دثرعما اجتمع
 لديه من الزكوات والاعشار والخراج اس الى طلبة العلم لاداء المصامدة فاشتهر أمره في جميع بلاد الصحراء
 وما والاها من بلاد السودان وبلاد القبيلة وبلاد المصامدة وسائر أقطار المغرب وانه قام رجل بكدالة
 يدعو الى الله تعالى والى الصراط المستقيم ويحكم بما أنزل الله وانه متواضع زاهد في الدنيا وطاؤه ذكر
 في العالم وتمكن ناموسه من القلوب وأحبه الناس ثم توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي على أثر ذلك وحكى
 ابن خلدون ان وفاة يحيى بن ابراهيم كانت قبل اعتزال عبد الله بن ياسين واصحابه في الجزيرة والله أعلم

الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكلاد كين اللتوني

لما توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي عزم عبد الله بن ياسين على تقديم رجل يقوم بأمر الرباطين في حربهم
 وجهادهم لعدوهم وكانت قبيلة لمتونة من بين قبائل صنهاجة أكثر طاعة لله تعالى ودينا وصلا فاختار
 عبد الله بن ياسين بكرهم ويقدمهم على غيرهم وذلك لما أراد الله تعالى من ظهور أمرهم وتلاكمهم على
 الخلق فجمع عبد الله بن ياسين رؤس القبائل من صنهاجة وولى عليهم يحيى بن عمر اللتوني وعبد الله بن ياسين
 هو الأمير على الحقيقة لانه هو الذي يأمر وينهى ويعطى ويمنع وعن رأيه يصدر ون فكان يحيى بن عمر
 يتولى النظر في أمر الحرب وعبد الله بن ياسين ينظر في أمر الدين وأحكام الشرع ويأخذ الزكوات
 والاعشار وكان يحيى شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين واقفا عند أمر مؤنبيه فن حسن طاعته له انه قال
 له يوما قد وجب عليك أدب قال يحيى فيما ذا يا سيدي قال لا أعرفك به حتى آخذ منه فكشف له يحيى
 عن بشرته فضربه عشرين سوطا ثم قال له اغاضرتك لانك باشرت القتال واصطليت بنار الحرب بنفسك
 وذلك خطأ منك فان الأمير لا يقاتل وانما يقف ويحرض الناس ويقوى نفوسهم فان حياة الجند بحياة
 أميره وهلاكه بهلاكه واستقام الأمر ليحيى بن عمر وملك جميع بلاد الصحراء وغزى بلاد السودان ففتح
 كثيرا منها وكان من أهل الزهد والدين والصلاح

الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر مجلماسة والسبب في ذلك

ند تقدم لنا عند الكلام على بني مدرار المكاسيين أصحاب مجلماسة ان انقراض دولتهم كان على يد
 خرون بن قفل بن خزالمغراوي وانه زحف الى مجلماسة سنة ست وستين وثلاثمائة وبرز اليه صاحبها

أبو محمد المعتز بالله آخر ملوك بني مدرار الصغرى فنهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيره وبعث برأسه إلى قرطبة وكان ذلك لا قبل بحجابه المنصور بن أبي عامر واستمر خزرون بن فلفل والياعلى سبجلماسة إلى أن هلك وولى بعده ابنه وانودين بن خزرون إلى أن هلك أيضا وولى بعده ابنه مسعود بن وانودين ولما انقرضت الدولة الاموية بالاندلس واسترق أمر الجماعة بها وصار الملك طوائف استبدت أمراء الاطراف وملوك زناتة بالمغرب كل بما في يده وعدم الوازع وتصرفوا في الرعايا بقتضى أغراضهم وشهواتهم فنال قاسا وأعمالها من جور بنى عطية المغراويين ما حكي بنا بعضه قبيل ونال أهل سبجلماسة ودرعة من بنى خزرون بن فلفل المغراويين مثل ذلك أو أكثر فلما كانت سنة سبع وأربعين وأربعمائة وقد انتشر ذكر عبد الله بن ياسين وأصحابه المرابطين في العالم اجتمع فقهاء سبجلماسة ودرعة وكتبوا إلى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبون اليهم في الوصول إلى بلادهم ليظهر وهابهم فيهم من المنكرات وشدة العسف من الأمراء وعرفوهم بما هم فيه أهل العلم والدين وسائر المسلمين من الذل والصغار مع أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي فلما وصل الكتاب إلى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم وشاورهم في الأمر فقالوا أيهم القوي هذا بما يلزمنا ويلزمك فسر بنا على بركة الله فدعاهم بخير وحضهم على الجهاد وخرج بهم في عشرين من صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة في جيش كثيف من المرابطين وقيل كان خروجه سنة خمس وأربعين وأربعمائة فسار حتى وصل إلى بلاد درعة فوجد بها عامل مسعود بن وانودين فنفاه عنها ووجد بها خمسة آلاف ناقة لسعود المذكور وكانت ترى في حياها لها هنالك فاكتسبها عبد الله بن ياسين واتصل الخبر بسعود فجمع جيوشه وخرج نحوه فالتقى الجمعان في مابين درعة وسبجلماسة فكانت بينهما حرب عظيمة منح الله فيها المرابطين النصر على مغراوة فقتل أميرهم مسعود وأكثر جيشه وقرت الباقيون واستولى عبد الله بن ياسين على دوابهم وأسلحتهم وأموالهم مع الابل التي كان اكتسبها في درعة فخرج الخمس من ذلك كله وفرقه على فقهاء سبجلماسة ودرعة وصلحتهم ما وقسم الاربعة أخماس على المرابطين وأرسل من فوره إلى سبجلماسة فدخلها وقتل من وجد بها من مغراوة وأقام بها حتى أصلح شأنها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو وأحرق الدور التي كانت تباع بها الخور وأزال المكوس وأسقط المغارم الخزنية ومحي ما أوجب الكتاب والسنة يحوه واستعمل على سبجلماسة عاملا من لتونة وانصرف إلى الصحراء ثم توفي الأمير أبو زكرياء يحيى بن عمر في بعض غزواته ببلاد السودان سنة سبع وأربعين وأربعمائة

الخبر عن رياسة أبي بكر بن عمر اللتوني وفتح بلاد السوس

لما توفي الأمير يحيى بن عمر اللتوني ولى عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر وذلك في محرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وقلده أمر الحرب والجهاد ثم ندب المرابطين إلى غزو بلاد السوس والمصامدة قرحف إليها في جيش عظيم في ربيع الثاني من السنة المذكورة وكان أبو بكر بن عمر رجلا صالحا ورعا فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللتوني ثم سار حتى انتهى إلى بلاد السوس فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة يقال لهم البجلي نسبة إلى علي بن عبد الله البجلي الرافضي كان سقط إلى بلاد السوس أيام قيام عبيد الله الشيعي بأفريقية فاشاع هذا المذهب الرافضة فتوارثوه عنه جيلا بعد جيل وعضوا عليه فكانوا لا يرون الحق إلا ما في أيديهم فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا مدينة تارودانت عنوة وقتلوا بها خلقا كثيرا ورجع من بقي منهم إلى مذهب السنة والجماعة وحاز عبد الله بن ياسين أسلاب القتلى منهم فجعلها فتيلا وأظهر الله المرابطين على من عاداهم ففتحوا معقل السوس وخضعت لهم قبائله وفرق عبد الله بن ياسين عماله بنواحيه وأمرهم بإقامة العدل وإظهار السنة وأخذ الزكوات والأعشار وأسقاط ما سوى ذلك

فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطية وفتح بلادهم

ثم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بلاد المصامدة ففتح جبل درون وبلاد رودة ومدينة شفشاية بالسيف ثم فتح مدينة نفيس وسائر بلادهم كدمية ووفدت عليه قبائل رجاجة وحاجة فبايعوه ثم ارتحل الى مدينة أغمات وبها يومئذ أميرها القوط بن يوسف بن علي المغراوي فقتل عليها وحاصرها حصارا شديدا ولما رأى القوط ما لا طاقة له به أسلمها وفر عنها ليلها هو وجيعة حشمة الى تادلا فاستجار ببني يفرن ملوك سلا وتادلا ودخل المرباطون مدينة أغمات سنة تسع وأربعين وأربعمائة فاقام بهم لعبد الله بن ياسين نحو الشهرين ريثما استراح الجند ثم خرج الى تادلا ففتحها وقتل من وجد بها من بني يفرن ملوكها وظفر بالقوط المغراوي فقتله وكان للقوط هذا امرأة اسمها زينب بنت اسحق النفزاوية **فتح** قال ابن خلدون **فتح** وكانت من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف ابن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ وريكة فلما قتل المرباطون لقوط بن يوسف المغراوي خلفه أبو بكر ابن عمر علي امرأته زينب بنت اسحق المذكورة الى ان كان من أمرها ما نذكره ثم تقدم عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا ففتحها واستولى عليها ثم أخبر بان بساحل تامسنا قبائل برغواطية في عدد كثير وجمع عظيم ولندكر هذا كلاما ملخصا في برغواطية ودولتهم ثم رجع الى ما نحن بصدده فنقول اختلاف الناس في نسب برغواطية هؤلاء الى أي شيء يرجع فبعضهم يلحقهم بزناة وبعضهم يقول في متنبهم صالح بن طريف البرغواطى انه يهودى الاصل من سبط شمعون بن يعقوب عليه السلام تشابها برباط حصن من عمل شذونة من بلاد الاندلس ثم رحل الى المشرق وقرأ على عبيد الله المعتزلى واشتغل بالسحر وجمع منه فتونا وقدم المغرب فقتل بلاد تامسنا فوجد بها قبائل جهالا من البربر فأظهر لهم الصلاح والزهد وموّه عليهم وخطبهم بلسانه وسحرهم بنيرانه فصداقوه واتبعوه فادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآنا حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى فكان يقال لمن تبعه ودخل في دينه برباطى ثم عربته العرب فقالوا برغواطى فسموا برغواطية **فتح** قال ابن خلدون **فتح** وهذا من الاغاليط البينة وضح ان القوم من المصامدة بشهادة الموطن والجوار وغير ذلك والتحقيق ان برغواطية قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد وانما هم انحلاط من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف الذى ادعى النبوة بتامسنا سنة خمس وعشرين ومائة من الهجرة في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وتسمى بصالح المؤمنين وشرع لاتباعه الديانة التى أخذوها عنه وكان صالح قد شهد مع أبيه طريف حروب مبصرة المدكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه طريف يكنى أبا صبيح ومن كبار أصحاب مبصرة المدكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه الشرائع ثم هلك سنة سبع وعشرين ومائة وقام بامره ابنه صالح بن طريف المذكور ففعلت مخارقه على مخارق أبيه وكان أولا من أهل العلم والدين ثم انسلخ من آيات الله واتحل دعوى النبوة وأتى من البهتان بما أوحى الله قبل في ولاية حنظلة بن صفوان الكلابى على المغرب ثم خرج صالح بن طريف الى المشرق سنة أربع وسبعين ومائة بعد ان ملك أمرهم سبعا وأربعين سنة ووعدهم انه يرجع اليهم في دولة السابع منهم وأوصى بشريعته الى ابنه الياس بن صالح ولم يزل الياس مظهر الاسلام مصرعا على ما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم وكان متظاهرا بالعفاف والزهد الى ان هلك سنة أربع وعشرين ومائتين لمضى نحسين سنة من ولايته ثم ولى من بعده ابنه يونس بن الياس فظهر دينهم ودعا الى كفرهم وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرق مدائن تامسنا وما والاها يقال انه حرق منها ثلاثمائة وثمانين مدينة واستسلم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه وقتل منهم بموضع يقال له تاملو كالات وهو حجر عال ثابت وسط الطريق سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين نفسا **فتح** قال زمر بن صالح ثم رحل يونس بن الياس الى المشرق ورجع ولم ينجح أحد

من أهل بيته قبله ولا بعده وهلك سنة ثمان وستين ومائتين لاربعم وأربعين سنة من ملكه وانتقل الأمر عن بيته إلى غيرهم من قرابته فولى أمرهم أبو غنير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف فاستولى على ملك برغواطية وأخذ بدين آبائه واشتدت شوكته وعظم أمره وكانت له في البربر وقائع مشهورة وأيام مذكورة أشار إلى شيء منها سعيد بن هشام المصمودي في أبيات منها قوله

وهذي أمة هلكوا وضلوا * وعاروا لاسقوا ماء معينا

يقولون النبي أبو غنير * فانخرى الله أم الكاذبين

سيعلم أهل تامسنا إذا ما * أتوا يوم القيامة مقطعين

هناك يونس وبنو آيسه * يقودون البرابر حارثينا

واتخذ أبو غنير من الزوجات أربعا وأربعين لأنهم يبيعون في ديارهم الحديدة أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء وكان له من الولد مثل ذلك أو أكثر وهلك أو آخر المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه ثم ولي بعده ابنه أبو الانصار عبد الله بن أبي غنير فاقضى سنته وكان كبير الدعوة مهيبا عتد ملوك عصره بهادونه ويدافعهونه بالمواصلة وكان يلبس الخف والسراويل ويلبس الخيط من الثياب ولا يعم أحدى بلاده إلا الغرياء وكان حاقظا للجار وأفيا بالعهد وتوفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة لاربعم وأربعين سنة من ملكه ودفن بتاسلاخت وبها قبره وولى بعده ابنه أبو منصور عيسى بن أبي الانصار وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فسار سيرة آبائه وادعى النبوة واشتد أمره وعلا سلطانه وذات له قبائل المغرب (قال زمر بن صالح) كان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطية وعشرة آلاف من سواهم وقد كان ملوك العدوتين في غزو برغواطية هؤلاء وجهادهم آثار عظيمة من الإدارة والاموية والشيعية وغيرهم ولما زحف بالكين بن زيري بن متاد الصنهاجي إلى المغرب زحفه المشهور وأجفلت قبائل زناتة وملوكها بين يديه وانحازوا إلى سبته وأطاعهم من جبل تطوان وعين جعهم الكثيرة فرجع عنهم إلى جهاد برغواطية فأوقع بهم وقتل أميرهم أبا منصور عيسى بن أبي الانصار وبعث بسبيهم إلى القيروان وذلك سنة تسع وستين وثلاثمائة ثم حاربهم أيضا جنود المنصور بن أبي عامر لما عقد ابنه عبد الملك المظفر مولاه واضح على جهاد برغواطية فغظم أثره فيهم بالقتل والسبي ثم حاربهم أيضا بنو يفرن لما استقل بنو يعلى بن محمد بن صالح منهم بناحية سلا وقتلوهما عن زيري بن عطية المغربي صاحب فاس وكان لابي الكمال عيسى بن زيري اليفري فيهم جهاد كبير حسمه الله ثم التبت به عليه وذلك أعوام العشرين وأربعمائة فغلبهم على تامسنا رولى عليها من قبله بعد أن اتخن فيهم سبيها وقتلهم تراجعوا من بعده إلى أن جاءت دولة المرابطين ودخلوا أرض المغرب دخلتهم الثانية وفتحوا بلاد المصامدة وبلاد تادلا وتامسنا فأخبر عبد الله بن ياسين بأن بسا حاقبائل برغواطية في عدد كثير وجمع عظيم وانهم مجوس أهل ضلالة وكفر وأخبرهم بمسكوأبه من ديارهم الخبيثة وقيل له أن برغواطية قبائل كثيرة وأخلاق شتى اجتمعوا في أول أمرهم على صالح بن طريف المتنبئ الكذاب واستمر حالهم على الضلالة والكفر إلى الآن فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطية وما هم عليه من الكفر رأى أن الواجب تقديم جهادهم على جهاد غيرهم فسار إليهم في جيوش المرابطين والأمير يومئذ على برغواطية هو أبو حفص عبد الله من ذرية أبي منصور عيسى بن أبي الانصار عبد الله بن أبي غنير محمد بن معاذ بن اليسع ابن صالح بن طريف فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين ملاحم عظام مات فيها من الفريقين خلق كثير وأصيب فيها عبد الله بن ياسين الجزولى مهدي المرابطين فكان فيها شهيد هادته وجهه الله ولما حضرته الوفاة قال لهم يا معشر المرابطين اني ميت من بومي هذه الاحماله وانكم في بلاد عدوكم فاياكم ان تقيموا أوتناز عواقبهم لو اوتنازهم ربحكم وكونوا أعوانا على الحق واخوانا في ذات الله واياكم والتحاسد على

إلى ياسة فإن الله يوفى ما له من يشاء من خلقه ويستخلف في أرضه من أراد من عباده في كلام غير هذا وتوفي عبد الله بن ياسين عشية ذلك اليوم وهو يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وأربع مائة ودفن بموضع يعرف بكريغلة وبني على قبره مسجد وهو مشهور به إلى الآن وكان عبد الله بن ياسين رحمه الله شديد الورع في المطعم والمشرع اغما يتعيش من لحوم الصيد ونحوها لم يأكل شيئا من لحوم صنهاجة ولا من ألبانها مدة إقامته فيها. وكان مع ذلك كثير الذكاح يتزوج في كل شهر عددا من النساء ثم يطلقهن ولا يسمع بأمرأة جيلة إلا خطبها ومن حسن سياسته أنه أقام في صنهاجة السنة والجماعة حتى أنه ألزمهم أن من فاتته صلاة في جماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط ومن كراماته أن المرابطين خرجوا معه في بعض غزواته ببلاذ السودان فنقد ما معهم من الماء حتى أشرفوا على الهلاك فقام عبد الله فقيم وصلى ركعتين ودعا الله تعالى وأمن المرابطون على دعائه فلما فرغ من الدعاء قال لهم احفروا تحت مصلاي هذا فحفروا فصادفوا الماء على نحو شهر من الأرض عذبا باردا فشربوا واستقوا وملثوا وأعيتهم ومن تقواه وورعه أنه لم يزل صائما من يوم دخل بلاد صنهاجة إلى أن توفي رحمه الله واستمر الأمير أبو بكر بن عمر على سياسته وحدثت له البيعة بعد وفاة عبد الله بن ياسين فكان أول ما فعله بعد تجهيزه إياه ودفنه أن زحف إلى برغواطة مصعما في حريمهم متوكلا على الله في جهادهم فأتخن فيهم قتلا وسبيًا حتى تفرقوا في المكامن والغياض واستأصل شافتهم وأسلم الباقون أسلا ما جديدا وحى أبو بكر بن عمر أئودعوتهم من المغرب وجمع غنائهم وقسمها بين المرابطين وعاد إلى مدينة أنجمات

✽ غزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وقته إياها ✽

لما استقر الأمير أبو بكر بن عمر باجمعات أقام بها إلى صفر من سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة وخرج غازيا بلاد المغرب في أم لا تحصي من صنهاجة وجزولة والمصامدة ففتح جبال فازاز وسائر بلاد زناتة وفتح مدائن مكاسة ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها حتى اقتحمها عنوة بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بني يفرن ونحوها فلم تعمر بعد إلى الآن وكان تخريبه إياها في آخر يوم من ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم رجع إلى مدينة أنجمات

✽ عود أبي بكر بن عمر إلى بلاد الصحراء والسبب في ذلك ✽

كان الأمير أبو بكر بن عمر المتوفى قد تزوج زينب بنت اسحق النفاوية وكانت بارعة الجمال والحسن كما قلنا وكانت مع ذلك حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأي متين ومعرفة بإدارة الأمور حتى كان يقال لها الساحرة فأقام الأمير أبو بكر عندها باجمعات نحو ثلاثة أشهر ثم ورد عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال أمر الصحراء ووقوع الخلاف بين أهلها وكان الأمير أبو بكر رجلا متورا فاعظم عليه أن يقتل المسلمون بعضهم بعضا وهو قادر على كفهم ولم ير أنه في سعة من ذلك وهو متولى أمرهم ومسؤول عنهم فعزم على الخروج إلى بلاد الصحراء ليصلح أمرها ويقم رسم الجهاد بها ولما عزم على السفر طلق أمراته زينب وقال لها عند فراقه إياها يا زينب اني ذاهب إلى الصحراء وأنت امرأة جيلة لبسة لا طاقة لك على حرارتها وانى مطلقك فاذا انقضت عدتك فأنكحى ابن عمي يوسف بن تاشفين فهو خليفتي على بلاد المغرب فطلقها ثم سافر عن أنجمات وجعل طريقه على بلاد نادلا حتى أتى سجلماسة فدخلها وأقام بها أياما حتى أصحح أحوالها ثم سافر إلى الصحراء ونقل ابن خلكان ✽ عن كتاب المغرب ✽ عن سيرة ملوك المغرب في سبب رجوع الأمير أبي بكر بن عمر إلى الصحراء ما مثاله قال كان أبو بكر بن عمر رجلا ساذجا خيرا لطباع مؤثرا بالبلاذ على بلاد المغرب غير ميل إلى الرفاهية وكانت ولاية المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا للمقيم

فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط فلما حصلت البلاد لابي بكر بن عمر سمع
ان يجوز في الصحراء ذهب لها ناقة في غداة فيكت وقالت ضيعنا أبو بكر بن عمر يدخوله إلى بلاد المغرب
فعمله ذلك على ان استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع إلى بلاده
الجنوبية اه وكان سفر أبو بكر بن عمر إلى الصحراء في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ولما وصل
إليها أصح شأنه وأرتب أحواله وأوجع جيشا كثيفا وغزاه بلاد السودان فاستولى منها على نحو تسعين
مرحلة وكان يوسف بن تاشفين قد استعمل أمره أيضا بالمغرب واستولى على أكثر بلاده فلما سمع الأمير
أبو بكر بن عمر بما آل إليه أمر يوسف بن تاشفين وما منحه الله من النصر أقبل من الصحراء ليخبر أحواله
ويقال انه كان مضمر العزلة وتولية غيره فأحس يوسف بذلك فساور زوجته زينب بنت اسحق وكان
قد تزوجها بعد أبي بكر بن عمر فقالت له ان ابن عمك متورع عن سفك الدماء فاذ القيتة فترك ما كان
يعهده منك من الأدب والتواضع معه وأظهر أثر الترفع والاستبداد حتى كأنك مساو له ثم لطفه مع ذلك
بالحدايا من الأموال والخلع وسائر طرف المغرب واستكثر من ذلك فانه بارض صحراء وكل ما جلب إليه من
هنا فاهو مستطرف لديه فلما قرب أبو بكر بن عمر من أعمال المغرب خرج إليه يوسف بن تاشفين فلقبه
على بعد وسلم عليه وهو راكب سلا ما مختصرا ولم ينزل له ولا تأدب معه الأدب المعتاد فنظر أبو بكر إلى كثرة
جيوشه فقال له يا يوسف ما تصنع بهذه الجيوش قال أستعين بها على من خالفني فارتاب أبو بكر به ثم نظر
إلى ألف بعير قد أقبلت موقرة فقال ما هذه الأبل الموقرة قال أيها الأمير اني قد جئت بك كل ما مضى من مال
وأثاث وطعام وأدام لتستعين به على بلاد الصحراء فازداد أبو بكر تعروفا من حاله وعلم انه لا يتخلى له عن الأمر
فقال له يا ابن عم انزل أو صديق فتزلا معا وجلسا فقال أبو بكر اني قد وليتكم هذا الأمر واني مسؤول عنه
فاتق الله تعالى في المسلمين واعتقني واعتق نفسك من النار ولا تضيع من أمور وعيتك شيئا فانك مسؤول
عنه والله تعالى يصليكم ويعذك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك وهو خليفتي عليك وعليهم
ثم ودعه وانصرف إلى الصحراء فأقام بها مواظبا على الجهاد في كفار السودان إلى ان استشهد من سهم
مسموم أصابه في شعبان سنة ثمانين وأربعمائة بعد ان استقام له أمر الصحراء كافة إلى جبال الذهب من
بلاد السودان والله غالب على أمره

في الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الملقب بالمتوفى

لما غزم الأمير أبو بكر بن عمر على السيف إلى بلاد الصحراء دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين بن ابراهيم الملقب
فعقد له على بلاد المغرب وقوض إليه أمره وأمره بالرجوع إلى قتال من به من مغراوة وبني يفرن وسائر
زناة والبربر واتفق على تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدة وعدله
وورعه وسداد رأيه وعين تقيته فعاد يوسف من هجماسة بنصف جيش المرابطين بعد ارتحال أبي بكر
ابن عمر بالنصف الآخر وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ولما انتهى يوسف بن تاشفين
إلى ملوية ميز جيوشه فوجدها أربعين ألفا من المرابطين فاختر منهم أربعة من القواد وهم سير بن
أبي بكر الملقب ومحمد بن عجم الكدالي وعمر بن سليمان المسوفي ومدر ك التاكاني وعقد لكل قائد منهم
على خمسة آلاف من قبيلته وجعلهم مقدمة بين يديه لقتال من بالمغرب من مغراوة وبني يفرن وسائر
قبائل البربر القاطنين به ثم سار هو في أثرهم يتقرى المغرب ببلاد اوديت مع أهله قبيلة قبيلة فقوم يقاتلون ثم
ينظرونهم وقوم يفررون بين يديه وقوم يلحقون اليه السلم ويذلون الطاعة حتى دقخ بلاد المغرب ثم سار حتى
دخل مدينة اغمات ولما استقر بها تزوج زينب بنت اسحق النضرانية التي كانت تحت أبي بكر بن عمر
فكانت عنوان سعدة والقائمة بملكه والمدة لا أمره والقائمة عليه بحسن سياستها لاكثر بلاد المغرب ومن

ذلك اشارت عليه في امر أبي بكر بن عمرو وكيفية ملاقاته حسبما ذكرناه آنفاً وهكذا كان أمرها في كل ما تحاوله رجعها الله ﷻ ومما يستطاب من حديثه ما حكاه ابن الأثير في كامله وقد تكلم على يوسف بن تاشفين هذا فقال كان حسن السيرة خيراً عادلاً يعيل إلى أهل العلم والدين بكرهم ويحكمهم في بلاده ويصـدر عن رأيهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام من ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فقتلوا أحدهم ألف دينار يتجربها وتغني الآخر عما لا يعمل فيه لا مير المسلمين وتغني الآخر زوجته وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى مئة ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذي غنى زوجته يا جاهل ما جلت على هذا الذي لا تعمل اليه ثم أرسله إلى زوجته فتركته في خيمة ثلاثة أيام ثم أمرت بان يحمل اليه في كل يوم طعام واحد ثم أحضرته وقالت له ما أكلت في هذه الثلاثة الايام قال طعام واحد اذ قالت له كل النساء شيء واحد وأمرت له بمال وكسوة وسرخته إلى حال سبيله وكانت وفاتها سنة أربع وستين وأربعمائة

بناء مدينة مرا كش

لما دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة كان امر يوسف بن تاشفين قد استغفل بالمغرب جدة اورمخت قدمه في الملك وعظم صيته فسمت همة إلى بناء مدينة يأوي إليها بحشمه وجنده وتكون حصناً ولا رباب دولته فاشترى موضع مدينة مرا كش عن كان يملكه من المصامدة وقال صاحب المغرب كان ملكاً لبحر ومنهم ثم نزل الموضع المذكور بجنيام الشعرو بنى به مسجد الصلوات وقصبة صغيرة لا خزان ماله وسلاحه ولم يبن على ذلك سورا وقال أبو الخطاب بن دحية في كتاب التبراس أن موضع مدينة مرا كش كان مزرعة لأهل نفيس فاشترى يوسف منهم بماله الذي خرج به من الصغراء وفي كتاب المغرب أن يوسف بن تاشفين اختط مدينة مرا كش بموضع كان يسمى بذلك الاسم ومعناه بلغة المصامدة أمش مسرعاً وكان ذلك الموضع مكماً للصوم فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة فعرف الموضع بها وضبط هذه الكلمة بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعدها ألف كلف مكسورة ثم شين مججمة ويقال كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاخططها يوسف وبنى بها القصور والمسكن الانيقة وهي في مرج فسيح وحولها جبال على فراع منها بالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعتدل من اجها وحرها وقال ابن خلدون في اتخاذ يوسف بن تاشفين مدينة مرا كش لنزوله ونزول عسكره ولتتمس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن اذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جماعاً وفي القرطاس في الماشرح يوسف ابن تاشفين في بناء مسجد مرا كش كان يحترم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعاً منه لله تعالى قال والذي بناء يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مرا كش جوفاً من جامع الكتبيين منها ويعرف اليوم بالسجينة ولم يكن بالموضع ماء فحفر الناس آباراً فظهر لهم الماء على قرب فاستوطنوها وبنوا بها قالوا ولم تزل مدينة مرا كش لا سورها إلى ان توفي يوسف بن تاشفين رحمه الله وولي بعده ابنه علي بن يوسف ومضى معظم دولته فأدار عليها السور سنة ست وعشرين وخمسمائة يقال كان ذلك بإشارة القاضي أبي الوليد محمد بن رشد الفقيه المشهور فإنه كان قد قدم على السلطان عمراً كش فأشار عليه بذلك عند ما نبغ محمد بن تومرت مهدي الموحدين بجبال المصامدة وكانت مدة البناء ثمانية أشهر وكان الاتفاق على السور سبعين ألف دينار وبنى علي بن يوسف أيضاً الجامع الأعظم المنسوب إليه إلى اليوم والمنار الذي عليه وأنفق عليه ستين ألف دينار أخرى ورأيت في كتاب ابن عبد العظيم الأزرق في الموضوع في مناقب بني امغار رضي الله عنهم ان أمير المسلمين علي بن يوسف التوفي لما عزم على ادارة السور على مرا كش شاور الفقهاء وأهل الخير في ذلك فنهض منهم من ثبطه

كذا ضبطها صاحب كشف
الظنون الامام القسطنطيني
رحمه الله

من نذبه اليه وكان من جملة من نذبه القاضي أبو الوليد بن رشد ثم شاور أبا عبد الله محمد بن اسحق المعروف بامغار صاحب عين الفطر فأشار بينائه وبعث له من ماله الحلال وأمره أن يجعله في صندوق صائر البناء ويتولى الاتفاق في ذلك رجل فاضل فقبل السلطان اشارته وعمل برأيه فسهل الله أمر البناء ثم لما جاءت دولة الموحدين وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذي كراعتني بمدينة مراکش واحتفل في تشييدها وبالغ في تفيق مساجدها وتحييد مصانعها ومعاهدها على ما نذ كرا البعض منه في محله ان شاء الله ولم تزل مراکش دار ملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم سائر أيامهم ثم لما جاءت دولة بني مرين من بعدهم اتخذوا كرسى على مدينتهم بمدينة فاس وبناوها المدينة البيضاء ثم جاءت الدولة السعيدية من بعدهم ففعلوا الكرسى الى مراکش وبناوها قصر البديع المشهور ثم جاءت الدولة الشريفة العلوية فاتخذوا المولى اسمعيل بن الشريف كرسى ملكه بمكاسة الزيتون واحتفل في بنائها احتفا لا عظيما على ما نذ كره ان شاء الله ثم لما كانت دولة المولى محمد بن عبد الله رد كرسى الملك الى مراکش وبني بها قصوره ومصانعها واستمرت كرسى المملوكية الى الآن وفضل مراکش أشهر من أن يذكر لاسيما ما اشتملت عليه من مزارات الاولياء ومسدفن الصالحين الكبار والائمة الاخيار حتى قال الوزير ابن الخطيب في مقامات البلدان عند ذكره مدينة مراکش هي تربة الولي وحضرة الملك الاول وعبر عنها أبو العباس المقرئ في فتح الطيب ببغداد المغرب حرسها الله وعانها من ريب الزمان وطوارق الحدثان

فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة المذكورة جند يوسف بن تاشفين الاجناد واستكثر القواد وفتح كثيرا من البلاد واتخذ الطبول والبندود ورتب العمال وكتب العهود وجعل في جيشه الاغزاز والرماة كل ذلك ارهابا للقبائل المغرب فأكمل له من الجيش في تلك السنة أكثر من مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة والاغزاز والرماة فخرج بهم من حضرة مراکش قاصدا مدينة فاس فلقته قبائلها من زواغة ولماية ولواتة وصدينة وسدارنة ومغيلة وبهاولة ومديونة وغيرهم في خلق عظيم فقاتلوه فكانت بينه وبينهم ملاحم عظام انهزموا فيها من بين يديه وانحصروا بمدينة صدينة فدخلها عليهم بالسيف عنوة فهدم أسوارها وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف ثم رحل الى فاس فنزل بها بعد ان فتح جميع أحوازها وذلك في آخر سنة أربع وخمسين وأربعمائة وفتح وقال ابن خلدون في ان يوسف بن تاشفين نازل أولا قلعة فازاز وبها مهدي بن تولى الجفشي وبني يحفش بطن من زناتة وكان أبوه تولى صاحب تلك القلعة وليها هو من بعده فنزل به يوسف بن تاشفين ثم استجاش به على فاس مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مكاسة لانه كان عدوا لمنصر المرغراوي صاحب فاس فزحف في عساكر المرابطين الى فاس وجعل اليه معنصر فرفض جوعه اه والله أعلم ثم أقام يوسف على فاس أياما فظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله وارتحل عنها الى مدينة صقر وافدخلها من يومه عنوة وقتل ما لو كها أولادهم سعد بن وافود بن المرغراوي صاحب سجلماسة وكانوا قد استولوا عليها ثم رجع يوسف الى فاس فحاصرها حتى فتحها وهو الفتح الاول وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة فاقام بها أياما واستعمل عليها عاملا من لمتونة وخرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى أشرف على طنجة وبها يومئذ الحاجب سكوت البرغواطي من موالى بني جود ثم رجع الى منازل قلعة فازاز فالفه بنو معنصر بن حماد المرغراوي الى فاس فدخلوها وقتلوا عامل يوسف الذي كان بها وكان مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب بلاد مكاسة قد بايع يوسف ابن تاشفين ودخل في طاعة المرابطين فافتره يوسف على عمله وأمره أن يخرج بين يديه بجيشه لفتح بلاد المغرب فجمع مهدي بن يوسف جيشه وخرج من مدينة عومجة يريد الاجتماع بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة فازاز فسمع بذلك عثم بن معنصر المرغراوي صاحب فاس فعاجله في انجاء مغراوة وقبائل زناتة

وأدركه ببعض الطريق وناجزه الحرب ففض جوعه وقتله وبعث برأسه الى الحاجب سكوت صاحب
سبته وطنجة ولما قتل مهدي بن يوسف بعث أهل مدائن مكاسة الى ابن تاشفين بالخبر وبذلوا له الطاعة
فلما بلادهم ثم توالى عساكر المرابطين على عيم بن معنصر بالغارات والنهب واشتد عليه الحصار وعدمت
الاقوات بفاس فلما رأى ما نزل به من المرابطين جمع مغراوة وبنى يفرن وخرج اليهم لاحتين
فكانت عليه الهزيمة فقتل عيم وجاعة من عسكره وتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن
ابراهيم بن موسى بن أبي العافية المكناسي فجمع قبائل زناتة وخرج بهم الى المرابطين فالتقى معهم على
وادي صيفير فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من فرسانهم واتصل الخبر
بيوسف بن تاشفين وهو على قلعة فازاز فارتحل عنها وخاف جيشا من المرابطين لخصارها فاقاموا عليها
تسع سنين ثم دخلوها لخمسة وخمسين وأربعمائة ولما رحل يوسف عن قلعة فازاز وذلك سنة ست
وخمسين سار الى بني مراسن وأميرهم يومثدي علي بن يوسف فغزاهم وقتل منهم خلقا وفتح بلادهم ثم سار
الى بلاد فندلاوة فغزاهم وفتح جميع تلك الجهات ثم سار منها الى بلاد ورغة ففتحها وذلك في سنة ثمان
وخمسين وأربعمائة وفي سنة ستين فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة وفي سنة اثنتين
وسنتين أقبل الى فاس فنزل عليها بجميع جيوشه بعد ان فرغ من جميع بلاد المغرب سوى سبته وشدد
الحصار على فاس حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكاسة وغيرهم خلقا كثيرا
حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الاتدلس ما يزيد على
ثلاثة آلاف وفرن من بقي منهم الى احواز تلمسان وهذا هو الفتح الثاني لمدينة فاس وكان يوم الخميس
ثاني جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وأربعمائة وفي هذا الخبر بعض مخالفة لما قد مناه في أخبار
مغراوة وذلك نقلناه عن ابن خلدون وهذا عن ابن أبي زرع وربك أعلم عن هوأهدى سبيلا فلما دخل
يوسف بن تاشفين مدينة فاس أمر بهدم الاسوار التي كانت فاصلة بين المدينتين عدوة القرويين وعدوة
الاتدلس وصيرهما مصر واحد وحصنها وأمر ببنائها الحمامات والقنادق والارحاء وأصلح بناءها ورتب أسواقها وأقام بها الى
صفر سنة ثلاث وستين وأربعمائة ثم خرج الى بلاد مالاوية ففتح حصون وطاط وفي سنة أربع وستين
بعدها استدعى يوسف أمراء المغرب وأشياخ القبائل من زناتة وغمارة والمصامدة وسائر قبائل البربر
فقدموا عليه وبايعوه وكساهم ووصلهم بالاموال ثم خرج للطواف على أعمال المغرب وتفقدا حوال
الرعية والنظر في سيرة ولاته وعماله فيها وهم في صحبته فصلح على يده الكثير من أمور الناس وفي سنة
خمس وستين بعدها غزا يوسف مدينة الذممة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان وفي سنة
سبع وستين وأربعمائة فتح يوسف جبال غيابة وبنى مكود وبنى رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها
فرق عماله على بلاد المغرب فولى سير بن أبي بكر على مدائن مكاسة وجلا دمكادنة وفازاز وولى عمر بن
سليمان على فاس وأحوازها وداردين عائشة على سجلماسة ودرعة وولى ابنه عيم بن يوسف على مدينة
مراكش واغمت وبلاد السوس والمصامدة وتادلا وتامسنا وصفا ملك المغرب ليوسف بن تاشفين
سوى سبته وطنجة وكان من خبرهما ما نذكره

بفتح سبته وطنجة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس

كانت سبته وطنجة لبني جود الادريسيين من لدن دولة الامويين بالاندلس ولما انقرضت دولتهم
وخلفهم بنو جود المذكورون بها استتابوا على سبته وطنجة من وثقوا به من موالهم الصقلية ولم يزل
أمر المدينتين الى نظرها لولا النواب واحدا بعد واحد الى ان استقل بها الحاجب سكوت البرغواطى
وكان عبدا الشيخ حداد من موالى اليهوديين اشتراه من سبي برغواطية في بعض أيام جهادهم ثم صار الى على

ابن جود فاخذت التجاية بضبعيه الى ان استقل بالامر واقتعد كرسي عماله بطنجة وسبته وأطاعته قبائل
 غمارة واتصلت أيام ولايته الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب ونازل
 بلاد غمارة فدعا الحاجب سكوت الى مظاهرتة عليهم فمهم بالاجلاب معه ومظاهرتة على عدوه ثم ثناه
 عن ذلك ابنه الفائل الرأى فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أهل الدمنة وانقاد المغرب لطاعته صرف
 عزمه الى الحاجب سكوت وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية قد كتب الى يوسف بن تاشفين يستدعيه
 للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد فأجابه يوسف بقوله لا يمكنني ذلك الا اذا ملكت طنجة وسبته فراجع
 ابن عباد يشير عليه بان يسير هو اليها بعساكره في البر فينازلها ويبعث ابن عباد قطائع في البحر
 فينازلوها أيضا حتى يملكها فأخذ يوسف في محاولة ذلك وصرف عزمه اليه ثم دخلت سنة سبعين
 وأربعمائة فجهز اليها قائد صالح بن عمران في اثني عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من
 سائر قبائل المغرب فلما قربوا من طنجة برز اليهم الحاجب سكوت بجسمه وعه وهو شيخ كبير قد ناهز
 التسعين سنة وقال والله لا يسمع أهل سبته طبول المتونى وأنا حي أبدا فالتقوا الجمعان بوادي منى من
 أحواز طنجة والتحم القتال فقتل سكوت وقضت جوعه وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها واستولوا
 عليها ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبته فاعتصم بها وكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف
 وفي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدي بن تيان كان اللتوني لغزو تلمسان
 والمغرب الاوسط فسار اليها في عشرين ألفا من المرابطين وكان تلمسان يومئذ العباس بن بختي من ولد
 دعلي بن محمد بن الخبير بن محمد بن خور المغراوي قد توخا المغرب الاوسط وتقرى بالادرناتة وظفر وايي على
 ابن الامير العباس بن بختي فقتلوه وانكفأ وارجعهم الى يوسف فألقوه بمراكش ثم دخلت سنة ثلاث
 وسبعين فيها غير يوسف بن تاشفين السكة في جميع عمله وكتب عليها اسمه وفيها فتح مدينة آكر سيف
 ومدينة مليلة وجميع بلاد الريف وفتح مدينة نكور ونجوها فلم تعمر بعد ثم دخلت سنة أربع وسبعين
 وأربعمائة فيها زحف يوسف بن تاشفين الى مدينة وجدة ففتحها وفتح بلاد بني يزناسن وما والاها ثم سار
 الى تلمسان ففتحها واستلم من كان بها من مغاوة وقتل أميرها العباس بن بختي المغراوي وأزل بها
 عامله محمد بن تينغمر المسوفي في عساكر المرابطين فصارت تلمسان ملكته واختط بها مدينة تاكلار
 فكان محامته وهو اسم المحلة بلسان البربر ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وانشر يس وجميع أعمال
 شلف الى الجزائر وانكفأ راجعا الى المغرب فدخل مراكش في ربيع الآخر سنة خمس وسبعين
 وأربعمائة ثم ورد عليه بها كتاب المعتمد بن عباد يعلمه بحال بلاد الاندلس وما آل اليه أمرها من تغلب
 العدو على أكثر ثغورها ويسأله النصر والاعانة فأجابه يوسف بقوله اذا فتح الله على سبته اتصلت بكم
 وبذلت جهدي في جهاد العدو وكان الفتن قد تحرك في هذه السنة في جيوش لا تحصى من
 الأفرنج والبشكنس والجلالقة وغيرهم فشق بلاد الاندلس شقا يقف على كل مدينة منها فيفسدها
 ويخرب ويقتل ويسبي ثم يرتحل الى غيرها ونزل على اشبيلية فاقام عليها ثلاثة أيام فافسدها وخرب وكذلك
 فعل في شذونة وأحوازها ونزح بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فدخل
 قواثم فرسه في البحر وقال هذا آخر بلاد الاندلس قد ووطئته ثم رجع الى مدينة سرقسطة فزحل عليها
 وحاصرها وحلف أن لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت دونها وأراد ان يقدمها بالفتح على غيرها
 فبذل اليه أميرها المستعين بن هود مالا عظيما فلم يقبله منه وقال المال والبلاد لي وبعث الى كل قاعدة
 من قواعد الاندلس جيشا لحصارها والتصديق عليها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر
 ابن ذي النون سنة سبع وسبعين وأربعمائة فكان ذلك من أقوى الأسباب المحركة لغزائم المسلمين
 بالاندلس والمغرب على الجهاد

في الخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من أرض الاندلس

لما انقرضت دولة بني أمية بالاندلس صدر المائة الخامسة بعد نزاع بين أعيانها شديدا وقتل منهم عريض مديد ونحلتها الدولة الجودية فلم يطل أمدها حتى اقتسمت رؤساء الاندلس مملكتها ووزعوا أهمها وصارت الحال الى ما قال ابن الخطيب

حتى اذا سلك الخلافة انتثر * وذهب العين جميعا والائر

قام بكل بقعة مليك * وصاح فوق غصن ديك

فوجد العدو والسبيل الى الاستيلاء على ثغور المسلمين وانتهاز الفرصة فيها بالتضريب بين ملوكها واغراء بعضهم ببعض وكان منهم ابن عباد باشبيلية وابن الافطس بطليوس وابن ذي النون بطليطلة وابن هودب سرقسطة ومجاهد العامري بدانية وغير هؤلاء وكلهم يداري الطاغية ويتقيه بالجزية الى ان كان من أمر الادفونش ما كان من تخريب بلاد المسلمين واستيلائه على طليطلة بعد حصاره اياها سبع سنين ثم حصاره سرقسطة فلما رأى رؤساء الاندلس ما نزل بهم من مضايقة العدو الذين واستطالته على ثغور المسلمين أجمع رأبهم على اجازة يوسف بن تاشفين فكتبه أهل الاندلس كافة من الخاصة والعامة يستصرخونه في تنفيس العدو عن مخنقهم ويكونوا معه يد او احدى عليه فلما تواترت رسلهم وكتبهم عليه بعث ابنه المعز بن يوسف في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فزار لها برا وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بجرا فاقصموها عنوة في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقبض على صاحبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت البرغواطي وجيء به الى المعز أسير افاقته صبرا وبعث بكتاب الفتح الى أبيه وهو بفاس ينظر في أمر الجهاد ويستعذله ففرح يوسف بفتح سبتة وخرج من حينه قاصدا نحوها ليعبر منها الى الاندلس ولما سمع المعتمد بن عباد بفتح سبتة وكب البحر الى المغرب لاستنقار يوسف الى الجهاد فاقبضه مقبلا ببلاد طنجة بموضع يعرف ببليطة على ثلاث مراحل من سبتة وهو قال ابن خلدون * لقيه بفاس فأخبره بحال الاندلس وما هي عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب وما يلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والاسر والحصار كل يوم فقال له يوسف ارجع الى بلادك وخذ في أمرك فاني على أثرك ورجع ابن عباد الى الاندلس ونزل لبوس ف عن الجزيرة الخضراء لئلا يكون رباطا للجهاد ودخل يوسف سبتة فنظر في أمرها وأصلح سبيلها وقدمت عليه بها جنود الله من المغرب والعصر والقبلة والزاب فشرع في اجازتها الى الاندلس ولما تكاملت بساحل الخضراء عبر هو في أثرها في موكب عظيم من قواد المرابطين وانجدهم وصلحائهم فلما استوى على ظهر السفينة رفع يديه وقال اللهم ان كنت تعلم ان في جوازنا هذا صلاحا للمسلمين فسهل علينا هذا البحر حتى نعبده وان كان غير ذلك فصعبه حتى لا نعبده فسهل الله عليهم العبور في أسرع وقت وكان ذلك يوم الخميس عند الزوال منتصف ربيع الاول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ونزل بالخضراء فصلى بها الظهر من يومه ذلك ولقيه المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس واتصل الخبر بالادفونش وهو محاصر لسرقسطة فارتحل عنها وقصد نحو أمير المسلمين وبعث الى ابن ردمير والبرهانس وغيرهما من كبار النصرانية واستنفر أهل قسالة وجليقية وسائر المجاورين له من أمم النصرانية فاجتمع له منهم ما يفوت الحصر وصعد الى ابن تاشفين والمسلمين هكذا وقع مساق هذه الغزوة عند ابن خلدون وابن أبي زرع وغيرهما وساقها ابن الاثير وابن خلكان وابن عبد المنعم الجيري مساقا غير هذا ولندكر به بعض ما نقلوه من ذلك فتنقلوا لملك يوسف بن تاشفين المغرب وبني مراکش وتلمسان الجديدة وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة وتمهدت له الاقطار العريضة المديدة تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ في انشاء السفن والمراكب ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس

كرهوا المأثم بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد الا انهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته وكرهوا
أن يصحوا بين عدوين الفرخ عن شمالهم والمثمين عن جنوبهم وكانت الفرخ قد اشتدت وطأتهم اعليهم
فتغير وتذهب ورعما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرخ مع ذلك ترهب
جانب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره ونقله دولة زناته وملك
المغرب اليه في أسرع وقت مع ما ظهر لا بطل المثلثين ومشايخ صنهجة في المعارك من ضربات السيوف
التي تقدر الفارس والطعنات التي تنظم الكلى فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم
وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظل يوسف ويحذرونه خوفا على ملكهم مهماعبر اليهم وعان بلادهم
فلما رأوا عزيمته متوفرة على العبور راسل بعضهم بعضا يستجدون آراءهم في أمره وكان فرعهم في ذلك
الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم عاكة فوقع اتفاقهم على مكابته وقد تحققوا انه يقصدهم
يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس يقول أما بعد فانك
ان أعرضت عما نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبناد اعيانك نسبنا الى عقل ولم تنسب الى وهن
وقد اخترنا لانفسنا أجل نسبنا فاخترنا نفسك أكرم نسبتيك فانك بالمثل الذي لا يجوز ان تسبق فيه
الى مكرمة وان في استبقائك ذوى البيوت ماشئت من دوام لأمرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب
مع تحف وهدايا وكان يوسف لا يعرف اللسان العربي لكنه كان ذكي الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له
كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك
فيه ويعترفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم في منزلة الاعادي
فانهم مسلمون وهم من ذوى البيوتات فلا تغيرهم وكفهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلد هم
ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض عنهم اعراضك عن أطاعتك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين
لكاتبه فأتري أنت فقال أيها الملك اعلم ان تاج الملك وبهجه وشاهده الذي لا يردبانه خليف بعاصم
في يده من الملك أن يعفو اذا استعفى وأن يهب اذا استوهب وكلما وهب جزيل كان أعظم لقدره فاذا
عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم
يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لا آخرته واعلم ان بعض الملوك الا كابر والحكام
البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قادم من قادم ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا
الكلام على السلطان يوسف فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرأ
على كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
تحية من سالمكم وسلم اليكم وحكمه التأييد والنصر فيمن حكم عليكم وازكم عما بأيديكم من الملك في أوسع اباحة
مخصوصون من اكرام ايثار وسماحة فاستدعوا واءاءا بوفائكم واستصلحوا اخاءا باصلاح اخائكم
والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن
به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللط مما لا يكون الا في بلاده وأنفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرأوا
كتابهم فرحوا به وعظموه واعتزوا بولايته وتفقوت نفوسهم على دفع الفرخ وأزمعوا ان رأوا من الفرخ
ما يريدون ان يجيزوا اليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه عليه فتأق ليوسف بن تاشفين برأى
وزير ما أراد من محبة أهل الاندلس له وكفاه حرجهم وقال ابن الاثير في الكامل كان المعتمد بن عباد
أعظم ملوك الاندلس ومتملكا كبر بلادهم مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدي الضريبة الى
الدفونش كل سنة فلما ملك الادفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم
يقبلها منه ثم أرسل اليه يتهتده ويتوعده بالمس ير الى قرطبة وتغلبها من يده الا أن يسلم اليه جميع
الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسة مائة فارس فأنزله

المعتمد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر القواد أن يقتل كل منهم من عنده وأحضر الرسول فصفه
 حتى برزت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فمادوا إلى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها إلى
 قرطبة ليحاصرها فلما بلغه هذا الخبر رجع إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويستعد استعدادا غير الذي
 سبق وعاد المعتمد إلى أشبيلية وأقام بها وترك قرطبة بدون مدافع يدافع عنها وقال ابن عبد المنعم الحميري في
 كتابه الروض المعطار ما ملخصه به أن المعتمد بن عباد آخر في سنة من السنين الضريبة التي كان يدفعها
 للاذفونش عن وقتها ثم أرسلها إليه بعد دفع غضب الاذفونش واشتتط وطلب بعض الحصون زيادة على
 الضريبة وأمر في التجني حتى طلب أن تأتى زوجته إلى الجامع الأعظم بقرطبة فتلقاه إذ كانت حاملا
 وكان بالجانب الغربي من المسجد المذكور موضع كنيسة قديمة بنى المسلمون عليها المسجد فأشار عليه
 الأطباء والقسيسون أن تكون زوجته ساكنة قرب ولادتها بمدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن
 الناصر لدين الله وأبدع في تشييدها وتجيدها وتتردد المرأة مع ذلك إلى الجامع المذكور حتى تكون
 ولادتها بين طبيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة وكان الرسول في ذلك يهوديا وكان وزيراً
 للاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجع اليهودى وأغلظ له في القول ولسعه بكلمة أسفته فأخذ
 ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودى فانزل دماغه في حلقه وأمر به فصل منكوسا
 بقرطبة ولما كان غضبه استفتى الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودى فبادره الفقيه محمد بن الطلاع
 بالرخصة في ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة إلى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء
 انما بادرت بالفتوى خوفا ان يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله ان يجعل في
 عزيمته للمسلمين خيرا وبلغ الاذفونش ما صنع ابن عباد فاقسم بالله انه ليغزونه بأشبيلية وليحاصرنه
 في قصره ثم زحف في عسكرين أحدهما عليه والآخر على بعض قواده حتى نزل على ضفة النهر الأعظم
 بأشبيلية قبالة قصر ابن عباد وفي أيام مقامه هنالك كتب إلى ابن عباد زاريا عليه كثر بطول مقامى
 في مجلسي هذا على الذباب واشتد الحرقا تحفنى من قصرك بمروحة أروح بها على نفسي وأطرد بها
 الذباب عن وجهي فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيالك وإعجابك
 وسأنتظرك في مراوح من جلود اللط تروح منك لأعليك ان شاء الله فلما وصلت رسالة ابن عباد
 الاذفونش وقرئت عليه وفهم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا في الاندلس توقيع
 ابن عباد وما أظهر من العزيمة على اجازة يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس
 وفرحوا بذلك وانفتحت لهم أبواب الآمال وأمام أولئك طوائف الاندلس فلما تحققت قوا عزم ابن عباد
 وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه فنهض منهم من كاتبه ومنهم من شافهه وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم
 والسيوفان لا يجتمعان في غداة جابههم ابن عباد بكامته التي صارت مثلا وعي الجمال خير من رعى الخنازير
 ومعناه ان كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين أسير ابرعى جاله في الصحراء خير من كونه ممزقا للاذفونش
 أسيراله برعى خنازيره وقال لمن لاهه يا قوم انى من أمرى على حالتين حالتي يقين وحالة شك ولا بد لي من
 احداهما أما حالة الشك فاني ان استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الاذفونش فاني الممكن أن يفي لي ويبقى
 على وفائه ويمكن أن لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فاني ان استندت إلى ابن تاشفين فاني أرضى
 الله وان استندت إلى الاذفونش أسخط الله فاذا كانت حالة الشك فيهما عارضة فلاى شئ أدع ما يرضى
 الله وأتى ما يخطئه فحينئذ أقصر أصحابه عن لومه ولما عزم ابن عباد على رأيه أمر صاحب بطليوس
 المتوكل على الله عمر بن الافطس وصاحب غرناطة عبد الله بن حبوس الصنهاجى أن يبعث إليه كل منهما
 قاضى حضرته ففعلا واستحضر قاضى الجماعة بقرطبة عبد الله بن محمد بن أدهم وكان أعقل أهل زمانه
 فلما اجتمع عند ابن عباد القضاة بأشبيلية أضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسله

الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف وترغيبه في الجهاد وأسند الى الوزير
 ما لا بد منه من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تغد عليه وفود تغور الاندلس
 مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستتجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع
 اليهم ويصغي لقولهم وترقى نفسه لهم ولما انتهت رسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثنواهم وجرت
 بينه وبينهم مراضات ثم انصرفوا الى مرسلهم ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء
 فخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوفا جابوا اليه ما عندهم من سائر
 المرافق وأذفوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلات المساجد والرحاب بالمطوعة وتواصوا بهم
 خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار وهو قال ابن الاثير لما رجع المعتمد بن عباد الى اشبيلية وترك
 قرطبة بدون مدافع وسمع مشائخها يجري من قتل ابن عباد لئلا يهودى وراوا قوة الفرنج وضعف
 المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها
 الفرنج ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما ترى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى
 القاضي أبي بكر عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنتظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطاهم
 الجزيرة بعد ان كانوا يأخذونها وقد رأينا أن تعرضه عليك قال ما هو قالوا كتب الى عرب افريقية
 ونشترط لهم اذا وصلوا اليها فاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله قال أخاف اذا وصلوا
 اليها ان يخرجوا ببلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الفرنج ويبدؤا بنا والمرابطون أصح منهم وأقرب اليها
 قالوا له فكاتب يوسف بن تاشفين وأرغب اليه في العبور اليها أو يرسل بعض قواده وبيناهم يتفاوضون
 اذ قدم عليه ثم ابن عباد واهم في ذلك فعرض عليه القاضي وانما أراد ان يرى نفسه من تهمة تلحقه فألح عليه المعتمد فسير
 القاضي البحر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من
 الاذفونش وكان أمير المسلمين يومئذ بمدينة سبتة في الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس
 وأرسل الى مراکش في طلب من بقي من عساكره فأقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده
 عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل
 قرطبة عسكرا كبيرا وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع
 عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبته له
 بعض غواة أدباء المسلمين يغالط له في القول ويصف مامعه من القوة والعدد وبالغ في ذلك فلما وصل وقرأه
 يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبه مغلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين
 قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب على ظهره الذي يكون ستره وأرسله اليه فلما
 وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم انه بلى برجل له دهاء وعزم فهوذا كرا بن خلدون ثم أن يوسف بن تاشفين
 أمر بعبور الجبال فعبور منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا
 جلاقط ولا خيلاهم رأوا فاصارت الخيل تجمع من رؤية الجبال ووغائرها وكان ليوسف في عبورها
 رأى مصيب فكان يمدق بها عسكره ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تجمع منها وقدم يوسف بن
 تاشفين بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول في الاسلام أو الجزيرة أو الحرب كما هي السنة
 ومن جملة ما في الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الله في الاجتماع بنا ونعميت أن تكون لك سفن
 تعبر عليها البحر اليها فقد عبرناه اليك وقد جمع الله تعالى في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعاك
 وما دعاه الكافرين الا في ضلال فلما سمع الاذفونش ما كتب اليه يوسف جاش بمرغبطه وزاد في طغيانه
 وأقسم أن لا يبرح من موضعه حتى يلقاه (ولنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار) قال رحمه الله فلما عبر

يوسف وجميع جيوشه البحر الى الحضرة انهمض الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا
بعد أمير وقبيل بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجناب الاقوات والضيافات
ورأى يوسف ماسرهم من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على اشبيلية وخرج المعتمد الى لقاء
يوسف من اشبيلية في مائة فارس من وجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف ركض نحوهم وركضوا نحوه
ثم برز اليه يوسف وحده والتقى منفردين وتصافحا وتعاثقا وأظهرا كل منهما صاحبه المودة والخلوص
وشكرا نعم الله وتواصيا بالصبر والرجة وبشرا أنفسهم بما استقبلاه من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله
في أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه وافترقا فعاد يوسف لمحله وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد
ما كان أعذه من هدايا وتحف وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين وباقواتك الليلة فلما
أصبحوا وصاوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ورأى الناس
من عزة سلطانهم ماسرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من يادرأوأعان وكذلك فعل
العصراويون مع يوسف أهل كل صقع من أصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش لما رأى اجتماع
العزائم على مناجزته علم انه عام نطاح فاستنفر الفرنجة للخروج ورفع القسيسون والزهبان والاساقفة
صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالة والافرغ ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق
تردد من الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى بالجبي من بلاده وخوض
البحر وأنا كفيه العناء فيما بقي ولا أكلفكم تعباً أمضى اليكم وألقاكم في بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم
وقال لخاصته وأهل مشورته اني رأيت اني أمم كنتهم من الدخول الى بلادى فناجزوني فيها وبين
جدرها وربما كانت الدائرة على يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكني أجعل
يومهم محي في حوز بلادهم فان كانت على أكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الا بعد أهبة أخرى
فيكون في ذلك صون لبلادى وجبر لكاسرى وان كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفي بلادهم ما خفت
أن يكون في وفي بلادى اذا ناجزوني في وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأتجاذ جوعه على باب دربه
وترك بقية جوعه خلفه وقال حين نظرا الى ما اختاره منهم هؤلاء أقاتل الجن والانس وملائكة السماء
فالقليل يقول المختارون أربعون ألف دارع ولكل واحد اتباع وأما النصرارى فيحبون من يزعم ذلك
ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل ان عدد المسلمين كان أقل من عدد الكفار ورأى
الاذفونش في نومه كأنه راكب فيلا وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقصر رؤياه على القسيسين فلم
يعرفوا تأويلها فأحضر رجلا مسلما عالما بتفسير الرؤيا فقصها عليه فاستغفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال
تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر
السورة وقوله تعالى فاذا انقرض في الناقر فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وذلك يقتضي
هلاك هذا الجيش الذي تجمعه فلما اجتمع جيشه ورأى كثرتة أعجبه فأحضر ذلك المعبر وقال له بهذا
الجيش ألقى الله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه
وذكر الحديث ثلاث مهلكات وفيه وأعجاب المرء به ثم خرج الاذفونش الى بلاد الاندلس وتقدم
السلطان يوسف نحوه أيضا وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج يقفوا أثره بجيش فيه حاة الثغور
ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وساووه وينشد متغا ئلا بيت سائر مجيزا له بأبيات
من شعره

لا بد من فرج قريب * يأتيك بالحب الجيب غزو عليك مبارك * سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه * نكس على دين الصليب لا بد من يوم يكو * ن له أخا يوم القليب
ووافى الجيوش كلها بطليوس فأنأخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس

فلقبهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل المجهود ثم جاءهم الخبر بشخص الاذفونش اليهم وهو قال
 ابن أبي ذرع **رحم** ارتحل يوسف بن تاشفين من الحضراء قاصدا نحو الاذفونش وقدم بين يديه قائده
 أباسليمان داود بن عائشة وكان بطلامن الابطال في عشرة آلاف فارس من المرباطين بعد ان قدم أمامه
 المعتمد بن عباد مع أمراء الاندلس وجيوشهم منهم ابن صمادح صاحب المربة وابن حبوس صاحب
 غرناطة وابن مسلمة صاحب الثغر الاعلى وابن ذى النون وابن الافطس وغيرهم فأمرهم يوسف ان
 يكونوا مع المعتمد فتكون محلة ملوك الاندلس واحدة ومحلة المرباطين أخرى فتقدم بهم ابن عباد فكانوا
 اذا ارتحل ابن عباد من موضع نزله يوسف بمحله فلم يزلوا كذلك حتى نزلوا مدينة طرطوشة فأقاموا بها
 ثلاثا وكتب منها يوسف الى الاذفونش يدعوهم الى الاسلام أو الجزية أو الحرب وكان جواب الاذفونش
 ما تقدم ثم ارتحل يوسف وارتحل الاذفونش حتى نزلا معا بالقرب من بطليموس وكان نزول يوسف بموضع
 يعرف بالزلاقة وتقدم المعتمد فنزل ناحية أخرى تجزيته وبين يوسف ربة وبين المسلمين والقرمق نهر
 بطليموس حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء فأقاموا ثلاثة أيام والرسل تختلف بينهم الى ان وقع اللقاء على
 ما نذكره ولما زلزل بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عينونه في محلات الصمراوين خوفا عليهم من مكانه
 الاذفونش اذهم غرباء لا علم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصمراوين
 كان لا يخرج الى طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه مطيقا بالمحلة بعد ترتيب الخيل
 والرجال على أبواب المحلات ثم قامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على
 الموت وعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون في الناس مقام الوعظ وحضوهم على
 الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار وجاءت الطلائع تخبران العدو مشرف عليهم صبيحة
 يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكعب الاذفونش ورجع الى أعمال المكر
 والخديعة فعاد الناس الى محلاتهم وياتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول
 غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والا حد عيدنا فليكن لقاءنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان
 يوسف وأعلمه انه احب له منه وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم
 الجمعة كل النهار ويقال ان الاذفونش واعد لهم ليوم الاثنين وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس
 كما أشار ابن عباد وبعد مضي جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن وميلة القرطبي وكان
 في محلة ابن عباد فرحامس ورايقول انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في النوم فبشره بالفتح
 والموت على الشهادة في صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن
 عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر العدو والكافر ثم جاء بالليل فارسان من طلائع
 المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعوا ضوضاء الجيش وخشخشة السلاح ثم تلاحق ببقية
 الطلائع محققين لشرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلاتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا
 الاذفونش يقول لأصحابه ابن عباد مع هذه الحروب وهؤلاء الصمراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى
 بصائر في الحرب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاهجموا عليه واصبروا له فان انكشف
 لكم هان عليكم الصمراويون بعده ولا أراه يصبر لكم ان صدقتموه المحلة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب
 أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش ويستحث نصرته فضى ابن القصيرة
 يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجاية الامر فقال له قل له اني سائر اليك ان شاء الله وأمر
 يوسف بعض قواده أن يعضي بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا مادام الاذفونش
 مشغولا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيت جنود الطاغية قصدهم ابن
 عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحى

الوطيس واستخر القتل في أصحاب ابن عباد وصبر صبر الم يعهد مثله واستبطأ السلطان يوسف وهو
يلاحظ طريقه وعضته الحرب واشتد عليه وعلى أصحابه البلاء وساءت الظنون وانكشف اليه بعض منهم
وفيهما ابنه عبد الله بن المعتمد وأثنى هو جراحات في رأسه وبدنه وعقرت تحته في ذلك اليوم ثلاثة أفراس
كلها هلك واحد قدّم له آخر وتذكر في تلك الحالة ابنه صغيرا يكتفى أباهاشم وكان قد تركه بأشبيلية
عليه لا فقال أباهاشم هشتفتني الشفار * قلله صبري لذلك الاوار

ذكرت شخصيك تحت الجحاح * فلم يثنى ذكره للفراير

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد يوسف بن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا شهما قنص بجيشه على
ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله قدملاّت أصواتها الجوفلا أبصره الاذفونش وجه جلته اليه
وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصدّمهم صدمة ردتهم الى مركزهم وانتظم به شمل
ابن عباد واستنشق الناس ريح الظفر وتباشروا بالنصر ثم صدقوا جميعا الحلة فزلزلت الارض من حوافر
الخييل وأظلم النهار بالجحاح وخاضت الخيل في الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى
يوسف وحمل معه جملة جاء معها النصر وتراجع المهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتمام الفتيين
وصدقوا الحلة فانكشف الطاغية ومرّ هارباً منهزماً وقد طعن في إحدى ركبتيه طعنة بقي يجمع بها بقية
عمره قالوا وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على فرس يومئذ أنثى يعربين ساقات المسلمين وصفوفهم
يحرّضهم ويقوّ نفوسهم على الجهاد ويحضهم على الصبر فقاتل الناس في ذلك اليوم قتال من يطلب
الشهادة ويرغب في الموت ويؤجج على سياق ابن خلد كان في ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر
العدو في يوم الاربعاء وكان الموعد بالناجزة يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر فلما كان صبر يوم الجمعة
منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم في أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبت
الخيل في العساكر فاجتبا أهلها ورجفت الارض وصارت الناس فوضى على غير تعمية ولا أهبة ودهمت
خيل العدو فمرت ابن عباد وحطمت ماتعرض لها وترك الارض حصيدة اخلفها وصرع ابن عباد
وأصابه جرح أشواه وفرّ رؤساء الاندلس وأسلموا محلاتهم وظنوا انه وهي لا يرقع ونازلة لا تدفع ونطق
الاذفونش ان أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم ان العاقبة للفتين فتقدّم أمير المسلمين وأحدقت به أنجاد
خياله ورجاله من ضهاجة ورؤساء القبائل وقصداً والحلة الاذفونش فاقصموها وقتلوا حاميتها وضربت
الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والافاق وتراجع الروم الى محالهم بعد ان
علموا ان أمير المسلمين فيها فقصده فافرج لهم عنها ثم كرّ عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فأفرج لهم
عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان أمر أمير المسلمين حشمة السودان فترجل منهم زهاء أربعة
آلاف ودخلوا المعتكز بدرق اللط وسيف الهند ومن أريق الزان فخالطوا الخيل وطعنوها فمحت
بفرسانها وأجمت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش بأسود نفدت من أريقه فاهوى ليضربه بالسيف
فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنجره كان متمنطقاً به فأنبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك
فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع وسبعين وأربع مائة وهبت
ريح النصر فأنزله الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحلة على الاذفونش وأصحابه
فأخرجوهم عن محلاتهم فلولوا ظهورهم وأعطوا ألقاهم والسيوف تصدّعهم والراح قطعهم الى ان
لحقوا برؤة لجوا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انسأب الاذفونش وأصحابه من
الرؤة وأقاتوا من بعد ما نشبت فيهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلاتهم من الاناث
والآنية والمضارب والاسلحة وغير ذلك وأمر ابن عباد بضرم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم
يؤو قال صاحب الروض المعطار في لجأ الاذفونش الى تل كان يلي محلاته في نحو خمسة مائة فارس ما منهم

الامكالم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابه وعمل المسلمون من رؤسهم ما ذن يؤذون عليها
 والمخذول ينظر الى موضع الوقعة ومكان الهزيمة فلا يرى الانكالا يحيط به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على
 السلطان يوسف وصاحبه وهناه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبرا بن عباد ومقامه وحسن بلائه
 وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهم زامهم عنه فقال له هاهم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليضربوك
 وكتب ابن عباد الى ابنه باشيلية كتابا مضمونه كتابي هذا اليك من المحلة المنصورة يوم الجمعة منتصف
 رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وقطع لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب
 الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسنائه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في
 تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلا الله نكال الجيم ولا أعده الوبال
 العظيم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل بجميع أبطاله وجناته حتى اتخذ المسلمون من
 هاهم صوامع يؤذون عليها فله الحمد على جيل صنعته ولم يصنني والحمد لله الاجرات يسيرة آلمت
 لكنها قرحت بعد ذلك فله الحمد والمنة والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء مثل
 ابن ربيعة صاحب الرويا المذكورة وقاضي مراکش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحم الله
 الجميع ووحى لي ان موضع المعترك كان على اتساعه ما فيه موضع قدم الاعلى ميت أودم وأقامت
 العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف ففعل عنها وأثر بها
 ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصوده الجهاد والاجوال العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما
 رأته ملوك الاندلس اثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له صنعه وأمر أمير المسلمين
 بقطع رؤس القتلى وجعلها فقطعت وجعل بين يديه منها أمثال الجبال فبعث منها الى اشيلية عشرة آلاف
 رأس والى قرطبة مثل ذلك والى بلنسية مثلها والى سرقسطة ومرسية مثلها وبعث الى بلاد العدو
 أربعين ألف رأس فقسمت على مدن العدو ليراها الناس فيشكروا الله على ما منحههم من النصر
 والظفر العظيم وقال ابن أبي زرع وفي هذا اليوم تسمى يوسف بن تاشفين بأمر المسلمين ولم يكن يدعى به
 قبل ذلك وأظهر الله تعالى الاسلام وأعز أهله وكتب أمير المسلمين بالفتح الى بلاد العدو والى عجم بن المعز
 الصنهاجي صاحب افريقية فعملت المفترحات في جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس واجتمعت كلمة
 الاسلام وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل
 عن أصحابه وأبطاله ففقدهم ولم يسمع الانواح الشكالي عليهم اغتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك أسفا ونحما
 وراح الى أمه الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فحصنت بطليطلة ورجل المعتمد الى
 اشيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام يوسف بظاهر اشيلية ثلاثة أيام وورد عليه الخبر بوفاة
 ولده أبي بكر بن يوسف وكان قد تركه مريضا بسببة فاغتم لذلك وانصرف راجعا الى العدو وذهب معه ابن
 عباد يوم ما ولي له فعزم عليه يوسف في الرجوع الى منزله وكانت جراحاته قد تورمت عليه فسير معه ولده
 عبد الله الى ان وصل البصر وعبر الى المغرب وكان أمير المسلمين عند مجيئه الى بلاد الاندلس وقصده ملاقاته
 الاذفونش قد تحركت السير بالمرء من غير ان يمر بمدينة اورستاق حتى نزل الرلاقة تجاه الاذفونش
 وهناك اجتمع بعساكر الاندلس قاله ابن خلدكان ولما فرغ من الوقعة رجع عوده على بدنه كل ذلك
 نورع منه وتكرّم وتخفيف عن الرمايا رجه الله ورضى عنه ولما رجع ابن عباد الى اشيلية جلس للناس
 وهنى بالفتح وقرأت القرءاء وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه وقال عبد الجليل بن وهبون في حضرت
 ذلك اليوم وأعدت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأها في الانتصروه فقد نصره الله فقلت بعد الى ولشعري
 والله ما أبقت لي هذه الآية معنى أحضره وأقوم به اه ومن هنا اختلفت أقوال المؤرخين في حال أمير
 المسلمين في الجهاد فقيل لانه لم يرجع الى بلاد الاندلس بعد هذه المرة لكنه ترك قواده فيها ورسم لهم

بالجهاد وشن الغارات على بلاد العدو وقيل انه عاد اليها ثانية والثا على هذا القول فاختلصوا في زمان ذلك العود وتاريخه والله تعالى أعلم

ببقية أخبار أمير المسلمين في الجهاد وما اتفق له مع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عباد

اعلم ان أقوال المؤرخين اختلفت في أمر يوسف بن تاشفين بعد غزوة الزلاقة فحكى ابن خلكان وغيره ان أمير المسلمين لما عزم على النهوض الى بلاد المغرب ترك قائده سير بن أبي بكر المتوفى بارض الاندلس وخلف معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح سير بن أبي بكر أياما قلائل ثم دخل بلاد الازفونش وشن الغارات قهبا وقتل وسبأ وفتح الحصون المنيعه والمعقل الصعبة وتوغل في بلاد العدو وحصل على أموال جليلة وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا في جميع ما استولى عليه وأرسل الى السلطان يوسف بجميع ما حصل له وكتب اليه يعرفه ان الجيوش الثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال في أضيق عيش وأنكده وملوك الاندلس في بلادهم وأهلهم في أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدو في فعل فذلك ومن أبي فاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدأ بن والى الثغور منهم ولا تعرض لابن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول عليه أمير من عسكرك فامتل سـير بن أبي بكر أمره واستقر لهم واحد بعد واحد حتى كان آخرهم ابن عباد فالحقه بهم ونظمه في سلكهم على ما ذكره ووقال ابن أبي زرع كلما كانت سنة احدى وعشرين وأربعمائة جازأه أمير المسلمين الى الاندلس الجواز الثاني برسم الجهاد قال وسبب جوازه ان الازفونش لعنه الله لما هزم وجرح وقتل جوعه همد الى حصن لبيط الموالى له حمل ابن عباد فشحنه بالخيول والرجال والرماة وأمرهم ان يكونوا ينزلون من الحصن المذكور فيغيرون في أطراف بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الاندلس اذ كان السبب في جواز أمير المسلمين الى الاندلس فكانوا ينزلون من الحصن في الخيل والرجال فيغيرون ويقتلون ويأسرون قد جعلوا ذلك وظيفة عليهم في كل يوم فساء ابن عباد ذلك وضاق به ذرعا ثم عبر البحر الى العدو مستنغرا لا أمير المسلمين فلقية بالمعمورة من حلق وادى سبوا وهذه المعمورة هي السماعة اليوم بالمهدية من أحواز سلا فشنى الى حصن لبيط وما يلقاه المسلمون من أهله فوعده الجواز اليه فرجع المعتمد دوسار يوسف في أثره فركب البحر من قصر المجاز الى الخضراء فلقاه ابن عباد بها بالغ دابة تحمل الميرة والضيافة فلما نزل يوسف بالخضراء كتب منها الى أمراء الاندلس يدعوهم الى الجهاد وقال لهم الموعد بيننا وبينكم حصن لبيط ثم تحرك يوسف من الخضراء وذلك في ربيع الاول من السنة المذكورة فنزل على حصن لبيط وفي القاموس له طييط كزنبيل بلد بالجزيرة الخضراء الاندلسية ولعله هو هذا فلما نزل أمير المسلمين لم يأت به من كتب اليه من أمراء الاندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية وابن عباد صاحب أشبيلية فنازلا معه الحصن وشرعوا في القتال والتضييق عليه وكان يوسف رحمه الله يشن الغارات على بلاد الفرنج كل يوم ودام الحصار على الحصن أربعة أشهر لم ينقطع القتال فيها يوما واحدا الى ان دخل فصل الشتاء ووقع بين ابن عبد العزيز وابن عباد نزاع وشنان فشنى المعتمد الى أمير المسلمين ابن عبد العزيز فقبض عليه أمير المسلمين وأسلمه الى ابن عباد فاقتل أمر المحلة بسبب ذلك وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ووقع بها الغلاء ولما علم الازفونش بذلك حشد أم النصرانية وقصد الى حامية الحصن في أم لا تحصي فلما قرب من الحصن انصرف له يوسف عنه الى ناحية لورقة ثم الى المرية ثم جاز الى العدو وقد تغير على أمراء الاندلس لكونهم لم يأت به منهم أحد عند ما دعاهم الى الجهاد ومنازلة الحصن ولما أفرج أمير المسلمين عن الحصن المذكور قبل الازفونش حتى نزل عليه فاخلاه مما كان فيه من آلة الحصار ومادته وأخرج من كان فيه من بقية النصاري المتغلبين من مخالف المنية وعاد الى طليطلة فاستولى ابن عباد عليه بعد خلافه وقتل جميع جماته بالقتل والجوع سوى

تلك الصبابة المنفصلة وكان فيه عند ما نازله أمير المسلمين اثنا عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية قاتل
عليهم القتل والجوع حتى لم يبق فيه سوى نحو المائة وهم المنقلتون منه عند اخلائه ثم لما كانت سنة
ثلاث وثمانين وأربعمائة جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثالث برسم الجهاد فسار حتى نزل على
طليطلة وحاصرها الأذقونش وشرق الغارات باطرافها فاكنتسحها واتسفت عمارها وزروعها وغرب
عمرانها وقتل وسبوا ولم يأتها من ملوك الأندلس أحد ولا عرج عليه منهم معرج فغاضه ذلك ولما قفل
من غزو طليطلة عمده إلى غرناطة فنازلها وكان صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس قد صالح
الأذقونش وظاهره على أمير المسلمين وبعث إليه بعال واشتغل بتحصين بلده وفي ذلك يقول بعض شعراء
عصره يبنى على نفسه سقاها * كأنه دودة الحرير دعوه يبنى فسوف يدري * اذا أتت قدرة القدير
ولما انتهى أمير المسلمين إلى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلكين وأغلق أبوابها ودونه فحاصره
أمير المسلمين نحو شهرين ولما اشتد عليه الحصار أرسل يطلب الأمان فأقننه أمير المسلمين وتسلم منه
البلاد فملكها وبعث بعبد الله وأخيه عليم بن بلكين صاحب مالقة إلى مراکش مع حريمها وأولادها
فأقام بها وأجرى عليهما الاتفاق إلى أن ماتا بها ولما خلع أمير المسلمين بني باديس وملك غرناطة ومالقة
وما أضيف إليهما خاف منه المعتمد بن عباد وانقبض عنه ويقال إن ابن عباد طمع في غرناطة وإن أمير
المسلمين يعطيه أياها فعرض له بذلك فاعرض عنه أمير المسلمين تخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عليه
ثم سعى بينهما الوشاة فتغير عليه أمير المسلمين وعبر إلى العدو في رمضان سنة ثلاث وثمانين المذكورة
ولما انتهى إلى مراکش ولي على الأندلس قائده سير بن أبي بكر اللتوني وقوض إليه جميع أمورها كلها
ولم يأمره في ابن عباد بشئ فسار سير بن أبي بكر نحو اشبيلية وهو يظن إن ابن عباد إذا سمع به يخرج إليه
ويتلقاه على بعد ويحمل إليه الضيافات على العادة فلم يفعل وتحصن منه ولم يلتفت إليه فراسله سير
ابن أبي بكر أن يسلم إليه البلاد ويدخل في طاعة أمير المسلمين فامتنع ابن عباد فعند ذلك تقدم سير إلى
حصاره وقتاله وبعث بعض قواده إلى قرطبة ليحاصرها وبها يومئذ المأمون بن المعتمد بن عباد فنازلها في
عساكر المرابطين حتى فتحها يوم الأربعاء ثالث صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة وقتل صاحبها المأمون
ابن المعتمد ثم فتح ياسة وأبدع وحصن البلاط والمدور والخصيرة وشقورة ولم ينقض شهر صفر المذكور
حتى لم يبق لابن عباد بلد الاوقدم ملكه المرابطون ماء داقرمونة واشبيلية ثم ارتحل سير بن أبي بكر إلى
قرمونة فنازلها حتى دخلها عنوة واليوم السبت السابع عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة
فاشتد الأمر على ابن عباد وطال عليه الحصار فبعث إلى الأذقونش لعنه الله يستغيث به على لمونة ويعدده
باعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد إن هو كشف عنه ما هو فيه من الحصار فبعث إليه الأذقونش
قائده القومس في جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل فلما علم سير بقدم الفرغخ إليه
انتخب من جيشه عشرة آلاف فارس من أهل الشجاعة والنجدة وقدم عليهم إبراهيم بن اسحق اللتوني
وبعته للقاء الفرغخ فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور فكانت بينهما حرب شديدة مات فيها خلق
كثير من المرابطين ومنعهم الله النصر فهزموا الفرغخ وقتلواهم حتى لم يفلت منهم الا القليل ثم شد سير
ابن أبي بكر في الحصار والتضييق على اشبيلية حتى اقتحمها عنوة وقبض على المعتمد وجاعة من أهل بيته
فقيدهم وحملهم في السفين بنهر اشبيلية وبعث بهم إلى أمير المسلمين عراكش فامر أمير المسلمين بإرسال
المعتمد إلى مدينة اغمت فسجن بها واستمر في السجن إلى أن مات به لاحد عشر ليلة خلت من شوال
سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وكان دخول سير بن أبي بكر مدينة اشبيلية يوم الاحد الثاني والعشرين
من رجب سنة أربع وثمانين ثم ملك المرابطون بعد ذلك ما بقي من بلاد الأندلس إلى أن خلصت لهم
ولم يبق ملوك الطوائف بها ذكر وهذه الاخبار نقلناها عن ابن أبي زرع محمودة بالسير من كلام غيره

واعتمدنا كلامه لانه موضوع بالقصة الاول لاخبار المغرب فيكون أعنى به من غيره وفي تاريخ
ابن خلدون بعض مخالفة لما مر في قولهم أجاز يوسف بن تاشفين البحر الى الاندلس الجواز الثاني سنة ست
وثمانين وأربعمائة وتشاغل أمراء الطوائف عن لقائه لما أحسوا من تكبره عليهم لم يلبسوا من به
رعاياهم من الظلامات والمكوس وتلاحق المغارم فوجد عليهم وعهد برفع المكوس وتحري المعدلة (وقال
أيضا) ان الفقهاء بالاندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى
ملوك الطوائف فاجابوه بالامتنال حتى اذا رجع عن بلادهم رجعوا الى حالهم فلما أجاز ثانية انقبضوا
عنه الا ابن عباد فانه باذنه الى لقائه وأغراه بالكثير منهم فتقبض على ابن رشيق البناء وأمكن ابن عباد منه
للعداوة التي بينهم ما وبعث جيشا الى المرية ففر عنها صاحبها ابن صمادح ونزل بجاية من أرض إفريقية
وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكر أمير المسلمين ومحلاته فساء ظروهم وأفتاه الفقهاء وأهل
الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم وصارت اليه بذلك فتاوى أهل
المشرق الاعلام مثل الغزالي والطرطوشي وغيرهما فعمد الى غرناطة واستنزل صاحبها عبد الله بن بلكين
وأخاه عيسى عن مملكة بعد ان كان منهم ما مد اخلة للطاغية في عداوة يوسف بن تاشفين وبعثهم ما الى
المغرب فخاف ابن عباد عنه ذلك منه وانقبض عن لقائه وفشت السعايات بينهم ما ونهض أمير المسلمين الى
سبته فاستقر بها وعقد لأمير سير بن أبي بكر على الاندلس وأجازته فانتفى اليها وقعد ابن عباد عن تلقيه
وميرته فاحفظه ذلك وطالبه بالطاعة لأمير المسلمين والنزول عن الأمر ففسد ذات بينهم ما ثم غلبه على جميع
عمله ثم صمد الى اشبيلية فحاصره بها واستجد الطاغية فعمد الى استنقاذه من هذا الحصار فلم يفس عنه شيئا
وكان دفاعا متونة عما فت في عضده واقصم الرابطين اشبيلية عنوة سنة أربع وثمانين وأربعمائة
وتقبض سير على المعتمد وقاده أسيرا الى مراکش فلم يزل في اعتقال يوسف بن تاشفين الى أن هلك
في محبسه من انغمات سنة تسعين وأربعمائة ثم عمد الى بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الافطس
فقتله وابنيه يوم الاضحى سنة تسع وثمانين وأربعمائة بما صرح عنده من مداخلتهم الطاغية وأن يملكوه
مدينة بطليوس ورتاهم الاديب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون بقصيدة المشهورة التي يقول في أولها

الدهر يجمع بعد العين بالآثر * فلما البكاء على الاشباح والصور

وهي قصيدة غريبة في منوالها وموضوعها عتد فيها أهل النكات ومن عثر به الزمان بما يبكي منه الجواد
وتستشرف لسماعه الانجاد والوهاد ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث الى الاندلس سنة تسعين
وأربعمائة وزحف اليه الطاغية فبعث أمير المسلمين عساكر الرابطين لنظر محمد بن الحاج اللتوني فانهزم
النصارى أمامه وكان الظهور للمسلمين ثم أجاز الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث
وتسعين وانضم اليه محمد بن الحاج وسير بن أبي بكر فافتقروا عامة الاندلس من أيدي ملوك الطوائف
ولم يبق منها الا سرقسطة في يد المستعين بن هود معتمدا بالنصارى وأغزى الأمير مزدي صاحب
بلنسية الى بلاد برشلونة فانتخ فيها وبلغ الى حيث لم يبلغ أحد قبله ورجع وانتظمت بلاد الاندلس
في مملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن واستولى أمير المسلمين على
المدونتين معا واتصلت هزائم الرابطين على الفرخ مرارا والله غالب على أمره فهذا كلام ابن خلدون
في سياقه هذه الاخبار وعلم انه قد يوجد هنا لبعض المؤرخين حظ من رتبة أمير المسلمين وغض عليه
اما في كونه كان بربريا من أهل الصحراء بعيدا عن مناحي الملك والادب ورقة الحاشية واما في كونه تعامل
على ملوك الاندلس حتى فعل بهم ما فعل وذلك حيث عين حسن بلادهم ورفاهية عيشهم واعلم ان هذا
الكلام جدير بالرد وأصله من بعض أدباء الاندلس الذين كانوا ينادون ملوكها ويسخطون بظلمهم
ويغمدون ويروحون في نعمتهم فحين فعل أمير المسلمين بسادتهم ورؤسائهم ما فعل أخذهم من ذلك

ما يأخذ النفوس البشرية من الذب عن الصديق والمحاماة عن الغريب حتى باللسان والافق كان أمير المسلمين رحمه الله من الدين والورع على ما قد علمت ومن ركوب الجادة وتحري طريق الحق على الوصف الذي سمعت وهذا ابن خلدون امام الفقه ومتهجري الصدق قد نقل أن ملوك الاندلس كانوا يظلمون رعياهم بضرب الدكوس وغيرها ثم وصلوا أيديهم بالطاغية وبذلوا الاموال في مظاهرتهم اياهم على أمير المسلمين ثم لم يقدم على قتالهم واستنزاهم عن سرير ملكهم حتى تعددت لديه فتاوى الائمة الاعلام من أهل المشرق والمغرب بذلك فافهم هذا واعرفه والله تعالى يقابل الجميع بالعرف والصنع الجليل عنه وكرمه

بقية أخبار أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سوى ما تقدم

وقال ابن خلدون كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حاز ما ساءت أساللام ورضا بط المصالح مما كتبه مؤثرا لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم قال وبلغني أن الامام حجة الاسلام أبا حامد الغزالي رحمه الله لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة وميله الى أهل العلم عزم على التوجه اليه فوصل الى الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج اليه فجاء اليه الخبر بوفاته فرجع عن ذلك العزم قال وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب وقد ذهب عني في هذا الوقت من أين وجدته (وكان أمير المسلمين يوسف) معتدل القامة أسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت وكان يخطب لبني العباس وهو أول من تسمى بأمير المسلمين ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه الى ان توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمس مائة وعاش تسعين سنة ملك منها مدة خمسين سنة رحمه الله وقال ابن خلدون تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين وخطب الخليفة لعهد بيغداد وهو أبو العباس أحمد المستظهر بالله العباسي وبعث اليه عبد الله ابن محمد بن العربي المعافري الاشيلي وولده القاضي أبا بكر بن العربي الامام المشهور فقلطفا في القول وأحسن في الابلاغ وطلب من الخليفة أن يبعده قدامير المسلمين بالمغرب والاندلس فعهده قدامير المسلمين ذلك مكتوب من الخليفة منقول في أيدي الناس وانقلبا اليه بتقليد الخليفة وعهده على ما الى نظره من الاقطار والاقاليم وخطبه الامام الغزالي والقاضي أبو بكر الطرطوشي يحضانه على العدل والتمسك بالخير ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع الى الاندلس سنة سبع وتسعين وأربعمائة اه كلام ابن خلدون وانما احتاج أمير المسلمين الى التقليد من الخليفة المستظهر بالله مع انه كان بعيدا عنه وأقوى شوكة منه لتكون ولايته مستندة الى الشرع وهذا من ورعه رحمه الله وانما تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أدبامع الخليفة حتى لا يشاركه في لقبه لان لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة والخليفة من قريش كما في الحديث فافهم ومن أخبار يوسف بن تاشفين أيضا ما نقله غير واحد من الائمة أن أمير المؤمنين طلب من أهل البلاد المغربية والاندلسية المعونة بشئ من المال على ما هو بصدد من الجهاد وانه كتب الى قاضي المرية أبي عبد الله محمد بن يحيى عرف بابن البراء يأمره بفرض معونة المرية ويرسلها اليه فامتنع محمد بن يحيى من فرضها وكتب اليه يخبره بانه لا يجوز له ذلك فاجابه أمير المسلمين بان القضاة عندي والفقهاء قد أباحوا فرضها وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فرضها في زمانه فراجعته القاضي عن ذلك بكتاب يقول فيه الحمد لله الذي اليه ما بينا وعليه حسابنا وبعد فقد بلغني ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أقتوه بان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها فالتقضاة والفقهاء الى الناردون زبانية فان كان عمر اقتضاها فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيره وضييعه في قبره ولا يشك في عدله وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بوزيره ولا بضييعه في قبره ولا بمن لا يشك في عدله فان كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلة في العدل فالتعالى سائلهم وحسيهم عن تقادهم فيك

وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم وحلف ان ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم واحد ينفقه عليهم فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع محضرة من هناك من أهل العلم وليحلف أن ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم وحيثما تجب معونته والله تعالى على ذلك كله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته فلما بلغ كتابه إلى أمير المسلمين وعظه الله بقوله ولم يعد عليه في ذلك قولا والاعمال بالنيات وكان أمير المسلمين حين ورد عليه التقليد من الخليفة ضرب السكة باسمه ونقش على الدينار والدينار الله محمد رسول الله وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب على الدائرة ومن يتبع غير الاسلام دينافان يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وكتب على الصفحة الاخرى عبد الله أحمد أمير المؤمنين العباسي وعلى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكنه وكان ملكه قد انتهى إلى مدينة افراغة من قاصية شرق الاندلس وإلى مدينة أشبونة على البحر المحيط من غرب الاندلس وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا وفي العرض ما يقرب من ذلك وملك بعدد المغرب من جزائر بني مرغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبال الذهب من بلاد السودان ولم يرق في بلد من بلاده ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا خراج لافي حاضرة ولا في بادية الا ما أمر الله به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكوات والاعشار وجزيات أهل الذمة وأخماس الغنائم وقد جني في ذلك من الاموال على وجهها ما لم يحبه أحد قبله يقال انه وجد في بيت ماله بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربيع من الورق وخمسة آلاف وأربعون ربعيا من مطبوع الذهب وكان وجهه الله زاهدا في زينة الدنيا وزهرته اورعامة تشغى لباسه الصوف لم يلبس قط غيره وماأكله الشهيير ولحوم الابل والبانها مقتصر على ذلك لم ينقل عنه مدة عمره على ما مضى من سعة الملك وخوله من نعمة الدنيا وقدره أحكام البلاد إلى القضاة وأسقط ما دون الاحكام الشرعية وكان يسير في أعماله بنفسه فيتنقذ أحوال الرعية في كل سنة وكان محبا للفقهاء وأهل العلم والفضل مكرما لهم صادرا عن رأيهم يجري عليهم أرزاقهم من بيت المال وكان مع ذلك حسن الاخلاق متواضعا كثير الحياء جامعا لخصال الخير رحمه الله تعالى ورضي عنه

في الخبر عن دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين التتويج

لما توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في التاريخ المتقدم بايع الناس ابنه علي بن يوسف المذكور عيرا كش بعهد من أبيه إليه وتسمى بأمير المسلمين وكان سنه يوم بوع ثلاثا وعشرين سنة وملك من البلاد ما لم يملكه أبوه لانه صادف البلاد ساكنة والاموال وافرة والرايا آمنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة وسلك طريقة أبيه في جميع أموره واهتدى بهديه

في خروج يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين على عمه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين

لما توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سجد ابنه علي بن يوسف بثوبه وخرج إلى المرابطين ويده في يد أخيه أبي الطاهر تميم بن يوسف فبنى لهم أباه ثم وضع أبو الطاهر يده في يد أخيه علي بن يوسف فبايعه ثم قال المرابطين قوموا فبايعوا أمير المسلمين فبايعه جميع من حضر من لمتونه وسائر قبائل صنهاجة وبايعه الفقهاء وأشياخ القبائل فتمت له البيعة عيرا كش ثم كتب إلى سائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد القبلة يعلمهم بوفاة أبيه واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة فأنته البيعة من جميع البلاد وأقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة الا أهل مدينة فاس فان ابن أخيه يحيى بن أبي بكر بن يوسف كان أمير عليها من قبل جده يوسف فلما انتهى إليه الخبر بعوت جده وولاية عمه عظم عليه ذلك وأنف من مبايعة عمه فخرج عليه وواقعه على ذلك جماعة من قواد لمتونه فزحف اليه علي بن يوسف من مرا كش حتى اذا دنى من فاس خاف يحيى بن أبي بكر على نفسه وعلم أنه لا طاقة له بحرب عمه فأسلم فأسلم فأسلم فخرج منها خائفا

يتربق قد دخلها على بن يوسف يوم الأربعاء الثامن من ربيع الآخر سنة خمس مائة واستقام له الأمر وقيل
أن علي بن يوسف لما دنا من فاس نزل بمدينة مغيلة من أحوازها ثم كتب إلى ابن أخيه يعاتبه على
ما ارتكبه من الخلاف ويدعوه إلى الدخول في الطاعة كما دخل الناس وكتب كتابا آخر إلى أشياخ البلد
يدعوهم فيه إلى بيعته ويتهددهم ويتوعددهم فلما وصل الكتاب إلى يحيى وقرأه جمع أهل البلد
واستشارهم في المقاتلة والحصار فلم يوافقوه فلما يش منهم خرج فارا إلى مرزوقي بن تيلكان وكان عاملا
على تلمسان فلقية مرزوقي بوادي مابوية مقبلا برسم البيعة لعلي بن يوسف فاعلمه يحيى بما كان من شأنه
فضمن له مرزوقي عن عمه العفو والمصفح فرجع معه حتى إذا وصل إلى فاس دخل مرزوقي على أمير المسلمين
علي بن يوسف ونزل يحيى مستخفيا بحومة وادي شردوع ولما اجتمع مرزوقي بأمير المسلمين وسلم عليه
ورأى منه أكراما وقبولا أعلمه بخبر يحيى وما ضمن له من العفو فأجابته إلى ذلك وعفا عنه وأمنه ثم جاء يحيى
قبايعة وخبره أمير المسلمين بين أن يسكن بجزيرة ميورقة بشرق الأندلس أو ينصرف إلى بلاد الصغرى
فاختار الصغرى فانصرف إليها ثم سافر منها إلى الحجاز فحج البيت ورجع إلى عمه فاستأذنه أن يكون في جلته
ويكون سكناه معه بحضرة مراکش فاذن له في ذلك فسكنها مدة ثم أتته مع عمه بالتشغيب عليه فثقفه
وبعث به إلى الجزيرة الخضراء فاستمر بها إلى أن مات

في أخبار الولاية بالمغرب والأندلس

لما بيع أمير المسلمين علي بن يوسف عزل عن قرطبة الأمير أبا عبد الله محمد بن الحاج اللتوني وولى مكانه
القائد أبا عبد الله محمد بن أبي زلفي فغزى طليطلة وأوقع بالنصارى فقتلهم قتلا ذريعا باب القنطرة أخذهم
على غرة وفي سنة إحدى وخمسمائة عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف بن تاشفين عن بلاد المغرب وولى
مكانه أبا عبد الله بن الحاج فاقام واليا على فاس وسائر أعمال المغرب نحو ستة أشهر ثم عزله وولاه بالنسبية
وأعمالها من بلاد شرق الأندلس ولما عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولاه غرناطة
وأعمالها من بلاد الأندلس فكانت له على النصارى وقعة أفليج وذلك أنه خرج غازيا لبلاد الفرنج سنة
اثنين وخمسمائة فنزل حصن أفليج وبه جمع عظيم من الفرنج فحاصروهم حتى اقتحم عليهم حصن الحصن فارز
النصارى إلى القصبة فتحصنوا بها وانتهى خبرهم إلى الفتن فاستعد للخروج لا غائتهم فمما شارته عليه
زوجته أن يبعث ولده عوضا منه لأن تميم بن يوسف ابن ملك المسلمين وسانحة ابن ملك النصارى فامتثل
أشارتها وبعث ولده سانحة في جيش كثيف من زعماء الفرنج وأنجادهم فصار حتى إذا دنا من أفليج
أنحبر تميم بن يوسف بجمعه فحزم على الإفراج عن الحصن وأن لا يلقى الفرنج فاشار عليه قوادلتونة
منهم عبد الله بن محمد بن فاطمة ومحمد بن عائشة وغيرهم بالمقام وشجعوه وهو نوا عليه أمرهم فقالوا انما
قدموا في ثلاثة آلاف فارس وبيننا وبينهم مسافة فرجع إلى رأيهم فلم يكن إلا عشي ذلك اليوم حتى
وافتهم جيوش الفرنج في ألف كثيرة فهم تميم بالقرار فلم يجد له سبيلا ثم صمم قوادلتونة على مناجرة العدو
وصعدوا إليه فكانت بينهم حرب عظيمة بعد العهد بمثلها فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين وقتل ولد
الفتن وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف ودخل المسلمون أفليج بالسيف عنوة واستشهد في
هذه الواقعة جماعة من المسلمين رجعهم الله واتصل الخبر بالفتن فأنعم لقتل ولده وأخذ ببلده وهلاك جنده
فرض ومات أسفا لعشرين يوما من الواقعة وكتب تميم بن يوسف إلى أمير المسلمين بالفتح (واعلم) أنه يقال في
ملوك الجلالة الذين نسميهم اليوم الاصبيول الأذقونش ويقال الفتن فقال ابن خلكان الأذقونش
بضم الهمزة وسكون الذال المجمة وضم الفاء وسكون الواو بعد هاتون ثم شين مجمة هو اسم لا كبير ملوك
الأفرنج وهو صاحب طليطلة وقال ابن خلدون بنواذقونش هم ولداذقونش بن بطرة أول ملوك
الجلالة اه وأما قولهم الفونش فهو اسم علم لبعض ملوكهم وليس لقبيا لجميعهم وكان محمد بن الحاج

رحمه الله مدة مقامه ببلنسية قد ضيق على النصاري تضييقا فاحشا بالفتارات والنهب فخرج في غزاة له ذات مرة فأخذ على طريق البرية فغنم وسبأ وكان معه جماعة من قوادلتونة فبعث بالمغنم على الطريق الكبير وأخذ هو على برية تقرب من بلاد المسلمين وكان أكثر الناس مع المغنم وكان طريق البرية الذي أخذ عليه محمد بن الحاج لا يسلك الا على سرب واحد اصعوبته وشدة وعورته فلما توسطه محمد بن الحاج وأخذته الاوعار والمضايق من بين يديه ومن خلفه وجد النصاري قد كنوا له في جهة من تلك الجهات فقاتلهم قتال من أيقن بالموت واعتنم الشهادة اذ لم يجد متغذيا خلاص منه فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة في نفر يسير بجيلة عمالها واتصل خبر الواقعة بأمير المسلمين فأسفه موت أبي عبد الله بن الحاج وولى مكانه أبا بكر بن ابراهيم بن تافلوت وهو محمد دوح ابن خضاجة ومخدوم أبي بكر بن باجة الحكيم المعروف بابن الصائغ وكان عاملا على مرسية فوصل اليه العهد الولاية على بلنسية وطرطوشة وما والاها وهو بمرسية ثم خرج بجيش مرسية الى بلنسية فاجتمع اليه من كان به من الجند ثم زحف بهم الى برشالونة فنازلها وأقام عليها عشرين يوما فانتصف ما حولها وقطع ناراها وخرّب قراها فأتاه ابن وذمير من قرابة الاذقونش في جيوش كثيرة من حشود بسيط برشالونة وبلادارونة فكانت بينهم حرب عظيمة مات فيها خلق كثير من الفرنج واستشهد فيها من المسلمين نحو سبعة مائة رحمه الله تعالى

في أخبار أمير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد وجوارحه الاقل الى بلاد الاندلس

لما دخلت سنة ثلاث وخمسمائة جاز أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى الاندلس برسم الجهاد فعبر البحر من سبتة منتصف المحرم من السنة المذكورة في جيوش عظيمة تزيد على مائة ألف فارس فأنتهى الى قرطبة فأقام بها شهرا ثم خرج منها غازيا الى مدينة طلائوت ففتحها عنوة بالسيف وفتح من أعمال طلائطة سبعة وعشرين حصنا وفتح مجريط ووادي الحجارة وانتهى الى طلائطة فحاصرها شهرا وانتصف ما حولها وبالغ في النكابة ثم قفل الى قرطبة بعد ان دقخ البلاد وفي سنة أربع وخمسمائة فتح لا ميرسير بن أبي بكر شنترين وبطليوس وياوورة وبرتقال واشبونة وغير ذلك من بلاد غرب الاندلس وكان ذلك في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وكتب بالغنم الى أمير المسلمين فيوفي سنة سبع وخمسمائة فيوفي الاميرسير بن أبي بكر باشيلية ودفن بها وولى اشيلية عوضا منه أبو عبد الله محمد بن فاطمة فلم يزل عليها الى ان توفي سنة عشر وخمسمائة فيوفي سنة سبع المذكورة غزى الامير من دلي طلائطة وأعمالها ندوخها وفتح حصن أرجنة عنوة فقتل المقاتلة وسبأ النساء والذرية واتصل الخبر بالبرهانس كبير الفرنج فأقبل انصرتهم واستنقذاهم فصد القائد من دلي للقاتل ففرأما مهلب لا وعاد من دلي الى قرطبة ظافرا غائبا ثم كانت له في الفرنج وقائع أخرى الى ان توفي رحمه الله غازيا بسلا الفرنج سنة ثمان وخمسمائة فولى أمير المسلمين مكانه على قرطبة ابنه محمد بن من دلي فأقام واليا عليها ثلاثة اشهر ثم توفي شهيدا في بعض غزواته أيضا

في استيلاء العدو على سرقسطة

كانت سرقسطة وأعمالها من شرق الاندلس بيد بني هود الجذامين تغلبوا عليها في صدر المائة الخامسة أيام الطوائف وتوارثوها الى ان كان منهم أحد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله فزحف اليه ابن رذمير سنة ثلاث وخمسمائة فخرج اليه المستعين فالتقوا وبظاها سرقسطة فانهزم المسلمون واستشهد منهم جماعة منهم المستعين بن هود ثم لما كانت سنة اثنتي عشرة وصاحب سرقسطة يومئذ عبد الملك بن المستعين بن هود الملقب بعماد الدولة زحف ابن رذمير اليها فنازلها وزحف الغنم أيضا في أمم من النصرانية الى لاردة من بلاد الجوف فنازلها واتصل الخبر بأمير المسلمين فكتب الى أمير غرب الاندلس

يأمرهم بالمسير إلى أخيه عقيم بن يوسف وكان يومئذ والياً على شرق الأندلس فيسيرون معه لاستنقاذ
سرقسطة ولاردة فقدم على عقيم عبد الله بن مرزدي وأبو يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة بعساكرهم
فخرج عقيم بن يوسف من بلنسية مع أمراء الأندلس فصدوا لاردة وكان بينه وبين الفتح قتال عظيم
أزجمه عن لاردة خاسراً فبعث بعد أن بذل جهده في حصارها وأقدم من جيوشه عليها ما يزيد على العشرة
آلاف فارس ورجع عقيم إلى بلنسية ولم أر أي ابن رزمير ذلك بعث إلى طوائف الأفرنج يستصرخهم على
سرقسطة فأتوا في أمم كالمحل حتى نازلوا هامة وشرعوا في القتال وصنعوا أبراجاً من خشب تجري على
بكرات وقرتوبها منها ونصبوا فيها الرعادات ونصبوا عليها عشرين من منجنيقاً وقوى طعمهم فيها فاشتدت
الحصار واستمر حتى فنت القوات وهلك أكثر الناس جو عافراً ل المسلمين الذين بها ابن رزمير على أن
يرفع عنهم القتال إلى أجل فان لم يأتهم من ينصرهم أدخلوا البلد وأسلموه إليه فعاهدهم على ذلك فتم
الأجل ولم يأتهم أحد فدفعوا إلى المدينة وخرجوا إلى مرسية وبلنسية وذلك سنة اثنى عشرة وخمسمائة
وبعد استيلاء النصارى عليها وصل من بلاد الدولة جيش فيه عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين
لاستنقاذها فوجدوها قد فرغ منها ونفذ حكم الله فيها وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة في تغلب ابن
رزمير على بلاد شرق الأندلس ومالك قلعة أيوب التي ليس في بلاد شرق الأندلس أمانع منها وألح
بالغارات على بلاد الجوف فاتصلت هذه الأخبار بأمر المسلمين وهو عراكش فجاز إلى الأندلس برسم
الجهاد وضبط الثغور وهو جواز الثاني فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناته
والمصامدة وسائر قبائل البربر فوصل بجيوشه إلى قرطبة ونزل خارجها وأتته وفود الأندلس للسلام عليه
فسألهم عن أحوال بلادهم ونغورهم بلباد فمدوا فوه بما كان وعزل القاضي أبا الوليد بن رشد عن قضاء
قرطبة وولى مكانه أبا القاسم بن جدين ويقال إنهما عزل ابن رشد لأنه استعفاء وكان قد اشتغل بتأليف
البيان والتحصيل ثم سار أمير المسلمين حتى نزل على مدينة شنتورية ففتحها عنوة وسار في بلاد الفرج يقتل
ويسبي ويقطع الثمار ويخرب القرى والديار حتى دقخ بلاد غرب الأندلس وقرأ أمامه الفرج وتحصنوا
بالمعاقل المنيعه وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة عاد أمير المسلمين إلى بلاد العدو بعد أن ولى أخاه عقيم
ابن يوسف على جميع بلاد الأندلس فلم يزل عليها إلى أن توفي سنة عشرين وخمسمائة

في ولاية الأمير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الأندلس وأخباره في الجهاد

لما توفي الأمير عقيم بن يوسف في التاريخ الممتدة دمولى أمير المسلمين على بلاد الأندلس ابنه تاشفين بن علي
ابن يوسف ما عدا الجزائر الشرقية فانه قد عقد عليها للمجددين على المسوفى المعروف بابن غانية فعبر الأمير
تاشفين البحر إلى الأندلس في خمسة آلاف من الجنود وبعث إلى أجناد البلاد فأثوه فخرج بهم غازياً
طليطلة ففتح بعض حصون أبي السيف وانسحب ما حولها وفي السنة المذكورة أعنى سنة عشرين
وخمسمائة هزم الأمير تاشفين النصارى بفتح عن الصواب وقتلهم قتل لا ذريعا وفتح ثلاثين حصناً من حصون
غرب الأندلس وكتب بالفتح إلى أبيه وفي سنة ثلاثين وخمسمائة هزم الأمير تاشفين جوع الفرج
فحص عطية وأتت منهم خلقاً كثيراً بالسيف وفي سنة إحدى وثلاثين بعدها دخل الأمير تاشفين
مدينة كركي بالسيف فلم يبق بها بشراً وفي سنة اثنتين وثلاثين بعدها جاز الأمير تاشفين من الأندلس
إلى المغرب بعد أن غزى مدينة أشكونية ففتحها عنوة وجل معه من سبيها إلى العدو ستة آلاف سبية
انتهى إلى مراکش وخرج أمير المسلمين للقائه في زى عظيم وسرور كبير وفي سنة ثلاث وثلاثين
مدها أخذ أمير المسلمين البيعة لولده تاشفين وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة كانت وفاة أمير
المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المتوفى رحمه الله وذلك لسبع خلون من رجب من السنة المذكورة
وقال ابن خلدون كان أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين رجلاً حليماً وقوراً صالحاً عادلاً منقاداً

الى الحق والعلماء تجيى اليه الاموال من البلاد ولم يزعرعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه
 فقلت قد طاف به في آخر دولته أعظم مكروه وذلك محمد بن تومرت النابغ تحت ابطه بجبال المصامدة
 كما يأتي خبره ان شاء الله

الخبر عن دولة أبي المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللخوني

لما توفي أمير المسلمين علي بن يوسف في التاريخ المتقدم ولي بعده ابنه أبو المعز تاشفين بن علي بعده من أبيه
 اليه وأخذ بطاعته وبيعتة أهل العدوتين معا كما كانوا في عهد أبيه وكان أمير المؤمنين بن علي يومئذ
 قد استغفل بتغلغل وسائر بلاد المصامدة أهل جبل درن وقال ابن الخطيب كان تاشفين بن علي قد
 استخلفه أبوه علي بلاد الاندلس ثم استقدمه لمداغة أصحاب محمد بن تومرت مهدي الموحدين فلم ينجح
 أمره بخلاف ما عوده الله في بلاد الاندلس من النصر لما قضاه الله من الدبار على دولتهم ولما خرج
 عبد المؤمن بن علي من تغلغل يريد فتح بلاد المغرب وكان مسيره على طريق الجبال سيرا أمير المسلمين علي بن
 يوسف ابنه تاشفين المذكور معارضاه على طريق السهل وأقاموا على ذلك مدة توفي أمير المسلمين علي بن
 يوسف في أثناءها وأفضى الأمر الى ابنه تاشفين وهو في الحرب وقدم أهل مراکش اسحق بن علي بن
 يوسف نائباً عن أخيه تاشفين بمراكش وأعمالها ومضى تاشفين بعد البيعة له متبعاً لعبد المؤمن حتى
 انتهى الى تلمسان فنزل عبد المؤمن بكهف الضحاك بين الصخرتين من جبل تيطرى المطل عليها ونزل
 تاشفين بالبيضا على الصفصاف ووصله هناك مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية مع
 قائده طاهر بن كباب لعصية الصنهاجية وفي يوم واصله أشرف على عسكر الموحدين وكان يدل بأقدام
 وشجاعة فقال لجيش لتونة أغاجتكم لا تخلصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومي فامتعض
 تاشفين لكلمته وأذن له في المناجزة فحمل على القوم فركبوا وصعدوا للقائه فكان آخر العهد به وبعسكره
 وكان الموحدون قد قتلوا قبل ذلك الروبرق قائد تاشفين على الروم وقتلوا عسكره في بعض الغارات ثم
 فتكروا بعسكر ثالث من عساكر تاشفين ونالوا منه أعظم النيل وفي القرطاس زحف المرابطون
 لقتال الموحدين فهاهم تاشفين فلم ينتهوا وتعلقوا في الجبل لقتالهم فهبط عليهم الموحدون فهزمهم
 هزيمة شنعاء ولما تالت هذه الوقائع على تاشفين أجمع الرحلة الى وهران فبعث ابنه ابراهيم ولي عهده
 الى مراکش في جماعة من لتونة وبعث كتابا معه أحمد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين
 وخمسمائة فأقام عليها شهرا ينتظر قائد اسطوله محمد بن ميمون الى ان وصل اليه من المرية بعشرة أساطيل
 فأرسل قريبا من مراكش وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى
 فقدموا وهران وفضوا جموع المرابطين الذين بها ولجأ تاشفين الى راية هناك فأحسد قواها وأضرموها
 النيران حولها حتى اذا غشيهم الليل خرج تاشفين من الحصن راكبا على فرسه فتردى من بعض حافات
 الجبل وهلك السبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ونجا فل العسكر الى وهران
 فانحصروا مع أهلها حتى جهدهم العطش وزلوا جميعا على حكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة
 المذكورة فأتى عليهم القتل رجهم الله وقال في القرطاس ان تاشفين بن علي خرج ذات ليلة وهو
 بوهران ليضرب في محلة الموحدين فكثر عليه الخيل والرجل ففرا ما همهم وكان بجبل عال مشرف على
 البحر فظن ان الأرض ممتدة به فأهوى من شاطئ بارابطة وهران فأتى الله وكان ذلك في ليلة
 مظلمة ممطرة وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة آنفا فوجد من الغديزاء
 البصر ميتا فاحترأسه وحمل الى تغلغل فعلق على شجرة هناك وذلك بعد ملازمة الحرب مع الموحدين في
 البيداء لم يأت الى ظل قط من يوم يبيع الى ان مات وكانت مدة ولايته سنتين وشهرا ونصف شهر وقال
 ابن خلكان لما تيقن تاشفين بن علي ان دولتهم ستروى أنى مدينة وهران وهي على البحر وقصد أن

بجعلها مقرة فان غلب على الامر ركب منها الى الاندلس وكان في ظاهروهران ربوة على البحر تسمى صلب
الكلب وباعلاها رباط يأوي اليه المتعبدون وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع
وثلاثين وخمسمائة صعد تاشفين الى ذلك الرباط ليحضر الختم في جماعة يسيرة من خواصه وكان
عبد المؤمن يجتمع في تاركرات وهي وطنه واتفق انه ارسل منسرا من الخليل الى وهران فوصلوها في
اليوم السادس والعشرين من رمضان ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدي فكمنوا
عشية وأعلموا بانفراد تاشفين في ذلك الرباط فقصده وأحاطوا به وأحرقوا باباه فأيقن الذين فيه بالهلاك
فخرجوا كباقرسه وشدة الرخص عليه ليثبت الفرس النار وينجوا فترامى الفرس نازيالا وعنه ولم يملكه
اللبام حتى تردى من جرف هذا الك الى جهة البحر على بحارة في محل وعرفت كسر الفرس وهلاك تاشفين في
الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه وكان عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى في ذلك الليل وجاء
الخبر بذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ومن ذلك
الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل الى السهل ثم توجه الى تلمسان وهي مدينةان قريبة وحادثه بينهم ماشوط
فرس ثم توجه الى فاس فحاصرها واستولى عليها سنة أربعين وخمسمائة ثم قصدهمرا كش سنة إحدى
وأربعين بعدها فحاصرها أحد عشر شهرا وفيها اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وجماعة من مشايخ
دواتهم فقدموه بعد موت أبيه علي بن يوسف نائبا عن أخيه تاشفين فاستولى عليها وقد بلغ القحط من
أهلها كل مبلغ وأخرج اليه اسحق بن علي ومعه سيرب الحاج وكان من الشجعان ومن خواص دواتهم
وكانا مكتوفين واسحق دون بلوغ فمزم عبد المؤمن أن يعفوعن اسحق لصغره سنة فلم يوافق خواصه وكان
لا يخالفهم فخلى بينهم وبينهم ما فقتلوهما ثم نزل عبد المؤمن القصر وذلك سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة
وقال ابن خلدون رحمه الله أقام الموحدون على مرا كش تسعة أشهر وأمير الملمتين يومئذ اسحق بن علي بن
يوسف يابعه صبيبا صغيرا عند بلوغ خبر أخيه ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى
مدافعة الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون باقتل واقتصموا عليهم المدينة في آخريات شوال سنة
إحدى وأربعين وخمسمائة وقتل عامة الملمتين ونجى اسحق في جلته وأعيان قومه الى القصبه حتى
نزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم وتولى كبر ذلك
أبو حفص عمر بن واكاش منهم وانحى أمر الملمتين واستولى الموحدون على جميع البلاد والله غالب على أمره
وقال ابن جنون رحمه الله كانت اتونة أهل ديانة وصدق ونية خالصة وصحة مذهب ملكوا بالاندلس من بلاد
الافرنج الى البحر الغربي المحيط ومن بلاد العدو من مدينة بجاية الى جبال الذهب من بلاد السودان
وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر بالثنية وكانت أيامهم أيام دعة ورعاية ورخاء متصل وعافية وأمن
تساهى القمح في أيامهم الى ان يسع أربعة أوسق بنصف مثقال ويبيع الثمار ثمانية أوسق بنصف
مثقال والقطاني لا تباع ولا تشتري وكان ذلك مصموبا بطول أيامهم ولم يكن في عمل من أعمالهم خراج ولا
معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف الخزنية حاشي الزكاة والعشر وكثرت الخيرات في دولتهم
وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع طريق ولا من يقوم عليهم وأحبه
الناس الى ان خرج عليهم محمد بن تومرت مهدي الموحدين سنة خمس عشرة وخمسمائة وهو أما الاحداث
الواقعة في أيامهم ففي شهر ذي الحجة من سنة سبع وستين وأربع مائة ظهر النجم المكف بالمغرب
وفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة كسفت الشمس الكسوف الكلي الذي لم يهد قب له مثله
وكان ذلك يوم الاثنين عند الزوال في اليوم الثامن والعشرين من الشهر وهو في سنة اثنتين وسبعين
بعدها كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس مثلاً بالمغرب انه دمت منها الابنية ووقعت الصوامع
والمنازل ومات فيها خلق كثير تجت الهدم ولم تزل الزلزلة تتعاقب في كل يوم وليلة من أول يوم من ربيع

الاول الى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة
ولد الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي صبيح المعروف بابن المناصف صاحب الأرجوزة توفي سنة
سبع وتسعين وأربعمائة توفي الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن الطلاع توفي سنة ثلاث عشرة
وخمسائة توفي أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي بقلعة جاد صاحب أبا الحسن
اللخمي وغيره من المشايخ وكان أبو الفضل من أهل العلم والدين على هدى السلف الصالح وكان محجبا
الدعوة ولما أفتى فقهاء المغرب بأحراق كتب الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه وأمر أمير المسلمين
على بن يوسف بحرقها انتصر أبو الفضل هذا لأبي حامد رجه الله وكتب الى أمير المسلمين في ذلك وحدث
صاحب التشوف وهو أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المراكشي الدار عوف بابن الزيات بسنده عن
أبي الحسن على بن حزم قال ما وصل الى فاس كتاب أمير المسلمين على بن يوسف بالتصريح على كتاب
الاحياء وأن يحلف الناس بالآيمان المغلطة ان كتاب الاحياء ليس عندهم ذهب الى أبي الفضل أستغثيه
في تلك الآيمان فأقتاني بانها لا تلزم وكانت الى جنبه أسفار فقال لي هذه الاسفار من كتاب الاحياء ووددت
اني لم أنتظر في عمري سواها وكان أبو الفضل قد انتسخ كتاب الاحياء في ثلاثين جزأ فاذا دخل شهر
رمضان قرأ في كل يوم جزأ ومناقبه كثيرة وجهه الله بولت لم يقع في دولة المرابطين أشنع من هذه النازلة
وهي احراق كتاب الاحياء فانه لما وصلت نسخة الى بلاد المغرب تصفحها جماعة من فقهاء منهم القاضي
أبو القاسم بن جدين فانتقدوا فيها أشياء على الشيخ أبي حامد رضى الله عنه وأعلموا السلطان بأمرها
وأفتوه بانهم يجب احراقها ولا تجوز قراءتها بحال وكان على بن يوسف واقفا كأيامه عند اشارة الفقهاء
وأهل العلم قدر جميع الاحكام اليهم فلما أفتوه بأحراق كتاب الاحياء كتب الى أهل عملا كنه في سائر
الامصار والاقطار بان يصح عن نسخ الاحياء بحثا كيدا ويحرق ما عثر عليه منها لجمع من نسخها عدد
كثير ببلاد الاندلس ووضعت بصحن جامع قرطبة وصب عليها الزيت ثم أوقد عليها بالنار وكذا فعل بما
الفي من نسخها برا كش وتولى الاحراق عليها في سائر بلاد المغرب ويقال ان ذلك كان في حياة الشيخ
أبي حامد رجه الله وانه دعا بسبب ذلك على المرابطين أن يعزق ملكهم فاستجيب له فيه ثم فان كان كذلك
فتاريخ الاحراق يكون فيما بين الخمسمائة والخمس بعد هذا لان بيعة على بن يوسف كانت على رأس الخمسمائة
وفاته الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه كانت يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس
وخمسائة توفي سنة ست وثلاثين وخمسائة توفي الفقيه الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى
ابن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف كان متناهما في الفضل والدين والزهد في الدنيا منقطعا
الى الخير يقصده الناس ويألفونه فيحمدون محبته وسعى به الى أمير المسلمين على بن يوسف فأمر
بأنحصره الى حضرة مرا كش فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة الثالث والعشرين من صفر من السنة
المذكورة واحتفل الناس بجنائزته وندم أمير المسلمين على ما كان منه له في حياته وظهرت له كرامات
رجه الله ودفن بقرب الجامع القديم الذي بوسط مرا كش في روضة القاضي موسى بن أحمد الصنهاجي
توفي وقبره الآن مشهور بسوق العطارين من مرا كش عليه بناء حقل وفي هذه السنة أيضا
أعني سنة ست وثلاثين وخمسائة توفي أبو الحكم بن برجان وقال ابن خلكان هو أبو الحكم عبد السلام
ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي عرف بابن برجان بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وبعد هذا
جيم وبعد الالف ون وكان عبدا صالحا وله تفسير القرآن الكريم وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب
الاحوال والمقامات اه (وقال في التشوف) لما شخص أبو الحكم بن برجان من قرطبة الى حضرة مرا كش
وكان فقهاء العصر انتقدوا عليه مسائل قال أبو الحكم والله لا عشت ولا عاش الذي شخصني بعد موق
بعني أمير المسلمين على بن يوسف فبات أبو الحكم فأمر أمير المسلمين أن يطرح على المنزلة ولا يصلي

عليه وقد فيه من تكلم فيه من الفقهاء وكان أبو الحسن علي بن حزم يومئذ بمراكش قد دخل عليه وجعل أسود كان يخدمه ويحضر مجلسه فأخبره بما أمر به السلطان في شأن أبي الحكم فقال له أبو الحسن ان كنت تبغ نفسك من الله فاعمل ما أقول لك فقال له مرفى بما شئت أفعله فقال له تنادي في طرق مراكش وأسواقها تقول لكم ابن حزم احضروا جنازة الشيخ الفقيه الصالح الزاهد أبي الحكم بن برجان ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله ففعل ما أمره فبلغ ذلك أمير المسلمين فقال من عرف فضله ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله فقال ابن عبد الملك في كتاب الذيل والتكملة أبو الحكم بن برجان مدفون بمراكش برحبة الخنطة منها قال وهو الذي تقول له العامة سيدي أبو الرجال وكان الشيخ أبو ينور المشتري موجودا في هذه المدة الا اني لم أقف على تاريخ وفاته فقال في التشوف هو أبو ينور عبد الله بن واكريس الدكالي من مشترية من أشياخ أبي شعيب أبو السارية كبير الشأن من أهل الزهد والورع حدثوا عنه انه مات أخوه قترزج امرأته فقذمت اليه طعاما يأكله فوق في نفسه ان فيه نصيب الايتام الذين هم أولاد أخيه فأمسك عنه وبات طاويا وجاء رجل من أشياخ مشترية فقال له ان عامل علي بن يوسف تهدي بالقتل والصلب وقد خرج من مراكش متوجها الى دكالة فقال له أبو ينور رده الله عنك فسار الى ان بقي بينه وبين قرية يليسكاون وهي التي تسميها العامة بوسكاون نصف يوم فأصاب العامل وجع قضى عليه من حينه وفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة هـ ثار القاضي أبو القاسم بن جدين بقرطبة مع العامة على المرابطين فقتلهم والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الخبر عن دولة الموحدين من المصامدة وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف بالمهدي

وقال ابن خلدون كان للمصامدة في صدر الاسلام بجبال درن عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لآخوانهم برغواطة في نخلة كفرهم وكان منهم قبل الاسلام ملوك وأمراء ولهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب وقتن سائر أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم بدعوته فكانت لهم دولة عظيمة أدالت من لمتونة بالعدوتين ومن منهاجة بافريقية حسمها هو مشهور وياقي ذكره ان شاء الله تعالى وقال وأصل المهدي من هرغة من بطون المصامدة يسمى أبو عبد الله وتومرت وكان يلقب في صغره أيضا مغار وزعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت فبعضهم ينسب به الى سليمان بن عبد الله الكامل ابن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب وبعضهم ينسب به الى العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب والله أعلم بحقيقة الامر وكان أهل بيته أهل نسك ورباط وكانت ولادته على ما عند ابن خلدون يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة وشب المهدي قارئاً محباً للعلم ثم ارتحل في طلبه الى المشرق على رأس المائة الخامسة ومرباً بالاندلس ودخل قرطبة وهي يومئذ دار علم ثم لحق بالاسكندرية ووج ودخل العراق ولقي به جملة من العلماء وخول النظار وأفاض علماً واسعاً وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده ولقي أبا حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره في ذلك فأراد عليه وقال ابن خلدون كان اجتماع محمد بن تومرت بأبي حامد الغزالي واليكاء الهراسي والطرطوشي وغيرهم ووج وأقام بمكة مدة مديدة وحصل قدراً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشاً مخلوقاً كثيراً الاطراق بساماً في وجوه الناس مقبلاً على العبادة لا يعصبه من متاع الدنيا الا عصار كوة وكان شجاعاً فصيحاً في لسان العرب والبربر شديد الانسكاو على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في أمر الله بغير اظهاره وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحملاً للادذي من الناس بسببه وناله بمكة شرفها الله شيء من المكروه من أجل ذلك فخرج منها الى مصر وبالع في الانكار فزادوا في آذاه

وطردته الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب الى الجنون فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجها الى بلاده وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم إقامة الصلوات وقراءة آخواب من القرآن العظيم ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهديّة من أرض إفريقية وكان ملكها يومئذ يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وذلك في سنة خمس وخمسمائة هكذا ذكره ابن أخيه أبو محمد عبد العزيز بن شاذان بن تميم الصنهاجي في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان وقيل ان ارتحال محمد بن تومرت عن بلاد المشرق كان سنة عشر وخمسمائة واجتاز به مصر كان سنة إحدى عشرة بعد هـ والله أعلم بالصواب ولما انتهى الى المهديّة نزل بمصعد مغلق وهو على الطريق وجلس في طاق شارع الى المحجة ينتظر الى المارة فلا يرى منكمرا من آله الملاحى أو أوفى الخمر الا نزل اليها وكسرهما فتسامع الناس به في البلد فجاؤا اليه وقروا عليه كتابا من أصول الدين فبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصطحت الله لرعيتهك ولم يقم بعد ذلك بالمهديّة الا أياما يسيرة ثم انتقل الى بجاية فأقام بهامدة وهو على حاله في الانكار فاخرج منها الى بعض قرأها واسمها ملالة فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي وهو قال ابن خلدون في انطوى المهدي راجعا الى المغرب بجماعة من العلم وشهابا وارياما من الدين وكان قد لقي بالمشرق أئمة الاشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة وذهب الى رأيهم في تأويل المتشابه من الآسى والاحاديث بعد ان كان أهل المغرب يعزل عن اتباعهم في التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل واقرار التشابهات كما جاءت فبطن المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والاخذ بتعذيب الاشعرية في كافة العقائد وأعلن بامامتهم ووجوب تقليدهم وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد وكان من رأي القبول بعصمة الامام علي رأى الامامية من الشيعة ولم تحفظ عنه قلعة في البدعة سواها واحتل بطرابلس الغرب معني بذهبه ذلك مظهر التنكير على علماء المغرب في عدولهم عنه أخذوا نفسه بتدريس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع حتى اقي بسبب ذلك اذايان في نفسه احتسبها من صالح عمله ولم ادخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حاد من امرأ صنهاجة وكان من المقترفين فأغلظ له ولا يتابعه بالنكير وتعرض يوما للتغيير بعض المنكرات في الطرق فوقعت بسببها هيعة نكرها السلطان والخاصة وأمر وابه فخرج منها خائفا يتربص ولحقه ملالة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو وريا كل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فأووه وأجاروه وطلبهم السلطان صاحب بجاية باسمه اليه فأبوا وأخطوه وأقام بينهم يدرّس العلم أياما وكان يجلس اذا فرغ على حضرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة وهناك لقيه كبير أصحابه عبد المؤمن بن علي حاجا مع همه فاجب بعلمه وصرف عزمه اليه فاختص به وشمر للاخذ عنه وهو في كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب ان المهدي كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت يقال انه عثر عليه عند الشيخ أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء مرفوعة تسمى نمل ورأى فيه أيضا ان استقامة ذلك الامر واستيلائه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه عباد مومن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فأوقع الله سبحانه في نفسه انه القاتل بهذا الامر وان كان قد أرفق فما كان محمد يرمي موضع الا ويسأل عنه ولا يرى أحدا الا أخذاسمه وتفقد حليته وكانت حلية عبد المؤمن معه فبينما هو في الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التي

معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوزته ما اسمك يا شاب فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال له الله أكبر أنت
 بغيته ونظر في حليته فوافقت ما عنده فقال له من أين آقبت قال من كومية قال أين ممة صدك فقال
 المشرق قال ما تبغي قال علما وشرفا قال قد وجدت علما وشرفا وذكرنا احببني تنسأ له فوافقه على ذلك فالتقى
 محمد اليه بامرته وأودعه سره فوفا قال ابن خلدون رحمه الله وارتحل المهدي الى المغرب وعبد المؤمن في جلته ولحق
 بوانشريس فصعبه منها أبو محمد عبد الله الوائشريسي المعروف بالبشير فوفا قال ابن خلدون رحمه الله وكان جيلا
 فصيفا في لغتي العرب والبربر ففاوضه المهدي فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة وكان
 البشير ممن تهذب وقرأ فقهها فتذاكر ايوما في كيفية الوصول الى المطالب فقال المهدي للبشير أرى أن تستر
 ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من الجهر واللكس والحصر والتعري عن الفضائل
 ما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة سيلا الى المطالب
 ويقوم لنا ذلك مقام المجزأة عند حاجتنا اليه فنصدق فيما نقول ففعل البشير ذلك ثم لحق المهدي بتلمسان
 وقد تسامع الناس بخبره فاحضره القاضي بها وهو ابن صاحب الصلاة ووبخه على متخذه ذلك وعلى
 خلافه فلا هـل قطره وظن القاضي ان من العدل نزعهم عن ذلك فصرم عن قوله واستمر على طريقه الى فاس
 فنزل بمسجد طريانة وأقام بها يدرس العلم الى سنة أربع عشرة وخمسمائة ثم انتقل الى مكاسة فتهيأ من
 بعض المنكرات فنار اليه الغوغاء وأوجعوه ضربا ثم لحق براكش وأقام بها أخذ في شأنه واتي بها أمير
 المسلمين علي بن يوسف بالمسجد الجامع عند صلاة الجمعة فوعظه وأغلظه في القول واتي ذات يوم أخت
 أمير المسلمين حاسرة فناءها على عادة قومها الملقين في زى نسائهم فوبخها ودخلت على أخيها باكية
 لما نالها من تقريره ففاوض أمير المسلمين الفقهاء في شأنه بما وصل اليه من سيرته وكأوا قد ملشوا منه
 حسدا وحفيظة لما كان ينتحل من مذهب الاشعرية في تأويل التشابه وينكر عليهم وجودهم على
 مذهب السلف في اقراره كما جاء ويرى ان الجمهور ليقنوه تجسيما ويذهب الى تكفيرهم بذلك على أحد
 قولي الاشعرية في التكفير فأغروا الامير به فاحضره للنظر معهم فكان له الفلج والظهور وعليهم
 فوفا قال ابن خلدون رحمه الله كان محمد المهدي قد استدى في أشخاص من أهل المغرب جلاد في القوى الجسمانية
 اغمارا وكان أميل الى الاغمار من أولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة نفر سوى أبي محمد البشير
 ثم انه رحل الى أقصى المغرب وتوجه في أصحابه الى مراكش وملكها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن
 تاشفين وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا وكان يحضره رجل يقال له مالك بن وهيب الأندلسي
 وكان عالما صالحا زادا بن خلدون عارفا بالنجوم فشرع محمد المهدي في الانكار على جري عادته حتى أنكر
 على ابنة الملك فبلغ خبره الملك وأنه يتحدث في تغيير الدولة فتحدث مع مالك بن وهيب في أمره فقال مالك
 ابن وهيب تخاف من فتح باب عسر علينا سدة والرأى ان تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم
 بحضور جماعة من علماء البلاد فأتى باب الملك الى ذلك وكان المهدي وأصحابه مقيمين في مسجد خراب
 خارج البلد فطابوهم فلما ضهم المجلس قال الملك لعماء بلده سلوا هذا الرجل ما يبغي منا فانتدب له
 قاضي المرية واسمه محمد بن اسود فقال ما هذا الذي يذكرك عنك من الاقوال في حق الملك العادل الحليم
 المنقاد الى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه فقال له المهدي أما ما نقل عني فقد قلته ولى من ورائه
 اقوال وأما قولك انه يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتبار حجة هذا القول عنده
 ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور بما تقولون له وتضررون به مع علمكم ان الحجة متوجهة عليه فهل
 بلغت يا قاضي ان الجرباع جهارا وتمشى الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى وتؤخذ من ذلك شيئا
 كثيرا فلما سمع الملك كلامه زرفت عيناه وأطرق حياء ففهم الحاضرون من خوي كلامه انه طامع
 في الملكة لنفسه ولما رأوا سكوت الملك واتخذاه لقوله لم يتكلم أحد منهم فقال مالك بن وهيب

وكان كثيرا لاجترأ على الملك أيها الملك ان عندي لنصيحة ان قبلتها حدث عاقبتها وان تركتها لم تأمن
 غائاتها فقال الملك ما هي فقال اني أخاف عليك من هذا الرجل وأرى ان تعتقله وأحسبه وتنفق عليهم
 كل يوم دينار التكنفي ثمرة وان لم تفعل فلتنفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك فوافقهم الملك على
 رأيه فقال له وزيره يقم بك أن تبكي من موعظة رجل ثم تسيء اليه في مجلس واحد وان يظهر منك
 الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سذجوعته فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة
 النفس واستهون أمره فصرفه وسأله الدعاء وقال ابن خلدون كان مالك بن وهيب خراة ينظر في
 النجوم وكان الكهان يتحدثون بأن ملكا كان بالمغرب في أمسة من البربر ويتغير فيه شكل السمكة
 لقران بين الكوكبين العلويين من السيارة يقتضي ذلك فقال مالك بن وهيب احتفظوا بالدولة من الرجل
 فانه صاحب القران والدرهم المربع فطلبه على بن يوسف فقده وسرح الخيالة في طلبه ففاته ثم
 خرج صاحب المغرب المهدى لما خرج من عند أمير المسلمين لم يزل وجهه تلقاء وجهه الى ان فارقه
 فقبيل له نزال قد تأدبت مع الملك اذ لم توله ظهره فقال أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغشيه
 ما استطعت اه كلامه فلما خرج المهدى وأحسبه من عند الملك قال لهم لا مقام لكم هنا عرا كس
 مع وجود مالك بن وهيب فانا من أن يعاود الملك في أمرنا فينا النامنه مكروه وان لنا بمدينة أنعمت أبا
 في الله فنقصد المرو به قلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق بن ابراهيم وهو من
 فقهاء المصامدة فخرجوا اليه ونزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعهم على مقصدهم
 وما جرى لهم مع الملك فقال عبد الحق هذا الموضع لا يحميكم وان أحسن الموضع المجاورة لهذا البلد تنفل
 وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم فلما سمع المهدى بهذا
 الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر فقصدته مع أصحابه وقال ابن خلدون لما
 لحق المهدى باغاث غير المنكرات على عادته فأغرى به أهل أنعمت على بن يوسف وطيروا اليه بخبره
 فخرج منها هو وتلامذته الذين كانوا معه في صحبته فلحق أولاء بسفيوة ثم بهنتاة ولقية بها الشيخ
 أبو حفص عمر بن يحيى الهنتائي جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس وأفريقية ثم ارتحل المهدى عنهم
 الى هرغة فزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخسمائة وبني رابطة للعباد فاجتمع عليه الطلبة من
 القبائل وأخذ يعلمهم المرشدة له في التوحيد باللسان البربري وشاع أمره ثم داخل عامل لمتونة على
 السوس اناسا من هرغة في قتله ونذرهم اخوانهم فنقلوا المهدى الى معقل من أشباعتهم وقتلوا من
 داخل في أمره ودعوا المصامدة الى مبايعته على التوحيد وقتل المجسمه دونه سنة خمس عشرة
 وخسمائة فتقدم اليه رجالا منهم من العشرة وغيرهم وكان فيهم من هنتاة أبو حفص عمر بن يحيى
 وأبو يحيى بن يكيث ويوسف بن وانودين وابن يغمور ومن تبغمل أبو حفص عمر بن علي الصمناكي
 ومحمد بن سليمان وعمر بن تافراكين وغيرهم وأوعبت قبيلة هرغة قد دخلوا في أمره كلهم ثم دخل معهم
 كدمية وكنفيسة ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان قبلها يلقب بالامام وكان يسمى أصحابه
 الطلبة وأهل دعوته الموحدين تمرضا بمتونة في أخذهم بالعدل عن التأويل وميلهم الى التجسيم
 ولما تم له من أصحابه خمسون سماهم آية الحسنيين ثم زحف اليهم عامل لمتونة على السول وهم بكانهم
 من هرغة فاستجابوا اخوانهم من هنتاة وتبغمل فاجتمعوا اليهم وأوقعوا بعسكر لمتونة فكانت تلك
 باكورة الفتح وكان المهدى يعدهم بذلك فاستبصروا في أمره وتسابقت كافتهم الى الدخول في دعوته
 وترددت اليهم عساكر لمتونة مرة بعد أخرى ففضوهم وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تبغمل
 فأوطنه وبني داره ومسجده بينهم وحوالي منبع وادي نفيس قاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة
 استقاموا له هذا كلام ابن خلدون في سياقه هذا الخبر جثنا به مختصرا واقتضى كلام ابن خلدون

أن ظهور المهدي ومبايعته لم تكن الا بتفيل فانه قال عقب ما سبق له من ان الفقيه عبد الحق بن
 ابراهيم المصمودي أشار على المهدي بالمسير الى تيفل وان المهدي لما سمع هذا الاسم تجدد له ذكر فقيهه
 فقصده مع أصحابه فلما أتوه وآهم أهل على تلك الصورة فعلوا انهم طلاب علم فقاموا اليهم وأكرمواهم
 وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم في أكرم منازلهم وسأل أمير المسلمين عنهم بعد نحو جهنم من مجلسه فقيل
 له انهم سافروا فسر ذلك وقال تخلصنا من الاثم بحبسهم ثم ان أهل الجبل تسامعوا بوصول المهدي
 اليهم وكان قد سار فيهم ذكره فخاؤه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من آتاه استداناه وعرض
 عليه ما في نفسه من الخروج على السلطان فان أجابه أضافه الى خواصه وان خالفه أعرض عنه وكان
 يستميل الاحداث وذوي الغرة وكان ذوو الحنكة والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من
 من اتباعه ويخوفونهم سطوة السلطان فكان لا يتم له مع ذلك أمر وطالت المدة وخاف المهدي من
 مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامسل وخشى ان يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى
 اسلامه اليه والتخلي عنه فشرع في اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض
 أولاد القوم شقرا زرقا وألوان آياتهم السمرة والكميل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فالزمهم الاجابة
 فقالوا نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج وفي كل سنة تصعد بمالكه الينا وينزلون في بيوتنا
 ويخرجوننا عنها ويختلون بن فيها من النساء فتأتي أولادنا على هذه الصفة ومالنا قدرة على دفع ذلك عنا
 فقال المهدي والله ان الموت خير من هذه الحياة وكيف رضيتم بهذا وانتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعمهم
 بالرمح فقالوا بالرغم لا بالرضى فقال أرايت لو ان ناصر انصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نقدم
 أنفسنا بين يديه للموت ثم قالوا ومن هو قال ضيفكم يعني نفسه فقالوا السمع والطاعة وكافوا يغالون في تعظيمه
 فأخذ عليهم العهد والمواثيق وأطمأن قلبه ثم قال لهم استعدوا للحضور هو لا بالسلاح فاذا جاؤكم
 فأجروهم على عادتهم وخالوا بينهم وبين النساء وميلاوا عليهم بالخيول فاذا سكر وفاقا ذنوبهم فلما حضر
 المالِك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به المهدي وكان ذلك ليلا أعلموه بذلك فأمر بقتلهم كلهم فلم يرض من
 الليل ساعة حتى أتوا على آخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل الحاجة له فسمع
 التكبير عليهم والايقاع بهم فهرب على غير الطريق حتى خلاص من الجبل ولحق بجرا كش فأخبر الملك
 بما جرى فقدم على قوات محمد بن تومرت من يده وعلم ان الحزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به فجهرز
 من وقته خيلا بمقدار ما يسع وادي تيفل فانه ضيق المسلك وعلم المهدي انه لا بد من عسكر يصل اليهم
 فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادي ومراصده واستجد لهم بعض المجاورين فلما وصلت الخيل
 اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي منسل المطر وكان ذلك من أول النهار الى آخره وحال بينهم
 الليل فرجع العسكر الى الملك وأخبروه بما تم لهم فعمل انه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم فاعرض عنهم
 وتحقق المهدي ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل فعند ذلك استدعى أبا محمد البشير وقال له هذا
 أو ان اظهر فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام الهجرة لتستميل بذلك قلوب من لم يدخل في الطاعة
 ثم اتفقا على أنه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال الجمجمة والاكنة في تلك المدة اني رأيت
 البارحة في منامي انه نزل الى ملكان من السماء وشقا قواي وغسلاه وحشواه علما وحكمة وقرأنا فلما
 أصبح فعل ذلك وهو فصل بطول شرحه فانقاد له كل صعب القياد وعجبوا من حاله وحفظه القرآن في
 النوم فقال له محمد بن تومرت فهل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء فقال له أما أنت
 فانك المهدي القائم بامر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال اعرض أصحابك على حتى أمير أهل
 الجنة من أهل النار وعمل في ذلك حيلة فتسل بهم اكل من خالف أمير محمد بن تومرت وأبقى من أطاعه
 وشرح ذلك بطول وكان غرضه أن لا يبقى في الجبل مخالفا لهم فلما قتل من قتل علم محمد بن تومرت

ان في السابقين من له أهل وعشيرة قتلوا وانهم لا تطيب نفوسهم بذلك فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك
مراکش اليهم واغتنام أموالهم فسرحهم ذلك وسلاهم عن أهالهم (وبالجملة) فان تفصيل هذه الواقعة
طويل وليس بنا صدد ذلك وخلاصة الامر ان محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عديدا رجالة عشيرة
آلاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن بن علي وأبو محمد البشير وأصحاب كلهم وأقام هو بالجبل فنزل
القوم لحصار مراکش وأقاموا عليها شهرا ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم منهم من القتل
وكان فيمن سلم عبد المؤمن وقتل البشير وبلغ الخبر المهدي وهو بالجبل وقد حضرته الوفاة قبل عود أصحابه
اليه فأوصى من حضر ان يبلغ الغائبين ان النصر لهم وان العاقبة جيدة فلا يضجر واوليها واولدوا القتال
فان الله سبحانه وتعالى سيهتج على أيديهم وان الحرب سجال وانكم ستقوون ويضعفون ويقولون
وتكثرون وأنتم في مبدأ أمرهم وفي آخره وأشباه هذه الوصايا وهي وصية طويلة اه كاذم ابن خلكان
يقول قال ابن خلدون لما كان شأن أبي محمد البشير وميز الموحدين من المذاق اعترز المهدي على غزو
لمتونة فجاءهم كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم فلقوه بكبكب وهزمهم الموحدين
واتبعوهم الى أغمت فبقيتهم هنالك زحوف لمتونة مع أبي بكر بن علي بن يوسف وبرايم بن تاعماشت
فهزمهم الموحدين وقتل ابرايم وجنده واتبعوهم الى مراکش فنزلوا البصرة في زهاء أربعين
الفا كلهم راجل الا أربع مائة فارس واحتفل علي بن يوسف في الاحتشاد وبرز اليهم لاربعين من نزولهم
خرج عليهم من باب آبلان فهزمهم وأتخن فيهم قتلا وسبياء وفقد البشير واستحو القتل في هيالنة
وأبلى عبد المؤمن في ذلك اليوم أحسن البلاء وقيل للمهدي ان الموحدين قد هلكوا فقال لهم ما فعل
عبد المؤمن قالوا هو على جواده الادهم قد أحسن البلاء فقال ما بقي عبد المؤمن فلم يهلك أحد ويقول ابن
الخطيب في رقم الخليل كانت وقعة البصرة باحواز مراکش قد استأصلت معظم أصحاب المهدي
وكادت تأتي عليهم ومع ذلك فلم تضع منه ولا وهنت صبره وكان يقول مثل هذا الامر كالغجر يتقدمه
الغجر الكاذب وبعده ينبغ الصبح ويستعلي الضوء ويأمرهم باتخاذ رابط الخليل التي ينالون من في
عدوهم بعد ما وانه يعطي الرجل على قدر ما أعد من الم رابط الى غير ذلك فهذا خبر المهدي مختصر من ابن
خلدون عز وجل ما نقله ابن خلكان من ذلك وقد ساق ابن أبي زرع في القرطاس خبر المهدي هذا وفيه
بعض مخالفة لما تقدم قلنا به وان أدى الى بعض التكرار زيادة في الامتاع وتحلية للاسماع فنقول
يقول ابن أبي زرع ما لمخضه ان المهدي رحل الى المشرق في طلب العلم ولقي مشايخ وسمع منهم ثم وأخذ
عنهم علما كثيرا وحفظ جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسخ في علم الاصول والاعتقادات
وكان في جملة من لقي من العلماء الشيخ أبو حامد الغزالي رضى الله عنه لازمه ثلاث سنين وكان الشيخ
أبو حامد كثيرا ما يشير الى المهدي ويقول انه لا بد أن يكون له شأن وفي الخبر بذلك الى المهدي فلم يزل
يتقرب الى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطلعته على ما عنده من العلم في ذلك فلما تحققت عنده الحال استخار
الله وعزم على الترحال فخرج قاصدا بلاد المغرب غرة ربيع الاول سنة عشر وخمس مائة ولازم في طريقه
درس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى ان اجتمع به عبد المؤمن بن علي فبايعه على موازنته
في الشدة والرخاء والعسر واليسر ثم قدم بلاد المغرب واستقر بمراكش وكانت له فصاحة وعليه مهابة
فاخذ يظعن على الم رابطين وينسبهم الى الكفر والتجسيم ويشيع عندهم من يثق به ويسكن اليه انه المهدي
المنتظر الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وجرى منه بمراكش من تغيير المنكر ونحوه ما تقدم
ذكره فاتصل خبره بعلي بن يوسف اللتوني فأحضره وقال له ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انما أنا رجل فقير
طلب الآخرة وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأنت أيها الملك أولى من يفعل ذلك فانك المسؤول عنه
قد ظهرت بمالكك المنكرات وفشت البدع وقد وجب عليك احياء السنة وامانة البدعة وقد عاب الله

تعالى أمة تركوا النهي عن المنكر فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون فلما سمع أمير المسلمين كلامه تأثر له وأخذته وأطرق مفكرا ثم أمر بإحضار الفقهاء فحضر منهم ما أغص المجلس ثم قال أمير المسلمين اخترت الرجل فان كان عالما اتبعناه والأدباء وكان المهدي فصيحا لسانا ذا معرفة بالاصول والجدل وكان الفقهاء الذين حضروا أصحاب حديث وفروع فدارت بينهم محاور ومذاكرة أسكتهم فيها وبان عجزهم عنه فعدلوا عن المذاكرة إلى الممالاة وأغروا به أمير المسلمين وقالوا هذا رجل خارجي وإن بقي بالمدينة أفسد عقائد أهلها فأمره أمير المسلمين بالخروج من البلد فخرج إلى الجبالة وضرب بها خيمة جلس فيها وصار الطلبة يترددون إليه لآخذ العلم عنه فكثر جمعه وأحبته العامة وعظموه وانتهى خبره إلى أمير المسلمين ثانيا ونقل إليه أنه يطعن على الدولة فأحضره مرة أخرى وقال له أيها الرجل اتق الله في نفسك ألم أنهك عن عقد الجوع والمحارب وأمرتك بالخروج من البلد فقال أيها الملك قد امتثلت أمرك وخرجت من المدينة إلى الجبالة واشتغلت بما يعنيني فلا تسمع لأقوال المبطلين فتوعد أمير المسلمين وهم بالقبض عليه ثم عصمه الله منه ليقضى الله أمرا كان مفعولا ولما انفصل المهدي عن المجلس أغرى الحاضرون أمير المسلمين به وشرحوه إليه جلية أمره وما يدعوه إليه فاستدرك أمير المسلمين فيه رأيهم وبعث إليه من يأتيه برأسه فجمع بذلك بعض بطانته فخر مسرعا حتى إذا قرب من الخيمة قرأ قوله تعالى يا موسى إن الملا يأثمرون بك ليقتلوك الآية فسمعها المهدي وطمأن له فأنسل من حينه وخرج حتى أتى تيممل فأقام بها وذلك في شوال سنة أربع عشرة وخمسمائة ثم لحق به أصحابه العشرة السابقون إلى دعوته والمصدقون بإمامته وهم عبد المؤمن بن علي الكوي وأبو محمد البشير الوائش ريسي وأبو حفص عمر بن يحيى الهنتاقي وأبو يحيى بن يكيك الهنتاقي وأبو حفص عمر بن علي أصناك وأبراهيم بن اسمعيل الخزازجي وأبو محمد عبد الواحد الحضري وأبو عمران موسى بن عمار وسليمان ابن خلوف وماثر فأقاموا بتيمل إلى رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمائة فعظم صيته به بجييل درن وكثرت أتباعه فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعا الناس إلى بيعته فبايعه العشرة البيعة الخاصة عقب صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة ولما كان الغد وهو يوم السبت خرج المهدي في أصحابه العشرة متقلدين السيوف وتقدم إلى الجامع فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه المهدي المنتظر ودعاهم إلى بيعته فبايعوه البيعة العامة فثبت دعائه في بلاد المصامدة يدعون الناس إلى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالزهد وتحرى الحق وإظهار الكرامات فأنشأ الناس عليه من كل جهة وسمى أتباعه الموحدين ولقبهم عقائد التوحيد باللسان البربري وجعل لهم فيه الأعشار والأخزاب والصور وقال من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بوحدا لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته فاستولت محبته على قلوبهم وعظموه ظاهرا وباطنا حتى كانوا يستغيثون به في شدائدهم ويهتفون باسمه على منابرهم ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع عليه جم غفير فلما علم أن ناموسه قد رسخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيبا وندبهم إلى جهاد المرابطين وأباح لهم دماءهم وأموالهم فانتدب الناس لذلك وبايعوه على الموت فانتخب منهم عشرة آلاف من أنجاد الموحدين وقدم عليهم أبا محمد البشير وعقد له راية بيضاء ودعاهم وانصرفوا فاصعدوا إلى مدينة أغمات وانتهى الخبر إلى أمير المسلمين فجهز لقتالهم جيشا من الحشم والجناد فلما التقوا انتصر عليهم الموحدون وهزموا وهم واتبعوههم بالسيف حتى أدخلوهم مراکش وحاصروها أياما ثم أفرجوا عنها حين تكاثرت عليهم جيوش لتونة وكان ذلك ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسمائة وقسم المهدي الغنائم التي غنمها من عسكر المرابطين وتلى عليهم قوله تعالى وعذكم الله مغنايم كثيرة تأخذونها فجعل لكم هذه الآية وانتشر ذكر المهدي بجميع أقطار المغرب والاندلس وأركب جل جيشه من خيل المرابطين

التي غنوها ثم غزاهم ا كس بنفسه فعبأ جيشه وسار حتى نزل بجبل كيانز بقرب المدينة فأقام محاصرها ثلاث سنين يباكرها بالقتال ويراوحها من سنة ست عشرة الى سنة تسع عشرة ولما ضجر من مقامه هناك نهض الى وادي نفيس وانحدروا مع مسيله يدعو الناس لطاعته ويقاثل من أبي منهم فانتقاه أهل السهل والجبل وبايعته كدميوة ثم غزا بلاد كراكة فأخذهم بالدماء الى توحيد الله وشرائع دينه وسار في بلاد المصامدة يقاتل من أبي ويسالم من آجاب ففتح بلادا كثيرة ودخل في دعوته عالم كثير من المصامدة ورجع الى تينمل فأقام بهم شهرين ريثما استراح الناس ثم غزا مدينة أنعمات وبلاد هزر جة في ثلاثين ألفا من الموحدين فاجتمع على حربه أهل أنعمات وهزر جة وخلق كثير من الحشم وملتونة وغيرهم فانتصر عليهم الموحدون فهزموهم وقتلوا منهم م خلقا كثيرا وقسم المهدي أنفاهم بين الموحدين ثم غزا أهل درن ففتح قلاعهم وحصونهم وطاع له جميع من فيه من قبائل هرغة وهناتة وكنفيسة وغيرهم ثم عاد الى تينمل فأقام بها ريثما استراح الناس ثم نذبهم الى غزو مرا كس وجهاد المرابطين وقدم عليهم عبد المؤمن بن علي وأبا محمد البشيري وخص عبد المؤمن بأمامة الصلاة فساروا حتى انتهوا الى أنعمات فلقبهم بمهم أبو بكر بن علي بن يوسف في جيش كثيف من ملتونة وقبائل صنهاجة فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم ثمانية أيام ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموهم أبا بكر وجيشه الى مرا كس وقتلوه في كل طريق وحصرهم مرا كس أياما ثم رجعوا الى تينمل فخرج المهدي للقائهم فرحب بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ثم كانت وفاته عقب ذلك على ما نذكره ان شاء الله فهذا سياق ابن أبي زرع لهذه الاخبار والله أعلم بالصواب

• ببقية أخبار المهدي وبعض سيرته الى وفاته •

كان المهدي رجلا ربعة أسمر عظيم الهامة غائر العينين حديد النظر خفيف العارضين له شامة سوداء على كتفه الأيمن ذات سياسة ودهاء وناموس عظيم وكان مع ذلك عالما فقيها راويا للحديث عارفا بالاصول والجدل فصيح اللسان مقداما على الامور العظام غير متوقف في سفك الدماء ويهون عليه اتلاف عالم في بلوغ غرضه وكان حصورا لا يأتى النساء وكان متيقظا في أحواله ضابطا لماولى من سلاطانه أنشد صاحب كتاب المغرب في حقه آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه ثم قال له قدم في الثرى وهمة في الثريا ونفس ترى اراقه ماء الحياة دون اراقه ماء الحيا أغفل المرابطون عقله وربطه حتى دب اليهم مديب الفلق في الغسق وترك في الدنيا دويا أنشأ دولة لو شاهدتها أبو مسلم لكان لعزمه فيها غير مسلم وكان قوته من غزل أخت له في كل يوم رغيفا بقليل سمن أوزيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى أصحابه يوما قد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فأمر بضم ذلك جميعه وأحرقه وقال من كان يتبعني للدنيا فليس له عندي الا مارأى ومن تبعني لاد آخره فجزاؤه عند الله وكان على خول زيه وبسط وجهه مهيبا منيع الحجاب الا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه وكان له شعر فن ذلك قوله أخذت بأعضاءهم اذناؤا * وخلفك القوم اذودعوا فكم أنت تهى ولا تنتهى * وتسمع وعظا ولا تسمع فيأجر السن حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع وكان كثيرا ما ينشد

تجرّد من الدنيا فانك انما * خرجت الى الدنيا وأنت مجرد

وكان يقتل أيضا بقول أبي الطيب المتنبي

اذا غاصرت في شرف مروم * فلا تنقع بمادون النجوم
فطمع الموت في أمر حقير * كطمع الموت في أمر عظيم

وبقوله أيضا ومن عرف الأيام معرفتي بها * وبالناس روي رحمه غير راحم
فليس بحرهم اذا ظفروا به * ولا في الردي الجاري عليهم باثم
وبقوله أيضا وما أنامهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

وقال ابن الخطيب في رقم الحال قالوا كان محمد بن تومرت يزعم انه مأمور بنوع من الوحى والالهام
وينسكركتب الرأى والتقليد وله باع في علم الكلام وغلبت عليه نزعة خارجية وكان يتحلل القضايا
الاستقبالية ويشير الى الكوائن الالمانية ورتب قومه ترتيبا غريبا فمنهم أهل الدار وأهل الجماعة وأهل
الساقية وأهل خمسين وأهل سبعين والطلبة والحفاظ وأهل القبائل فأهل الدار لادامتهم والخدمة
وأهل الجماعة للتفاوض والمشورة وأهل الساقية للباهاة وأهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة
لحل العلم والتأني وسائر القبائل للدفاع العدو وكان يعلمهم أوجه العبادات في العادات يقولت من
ذلك ان طائفة من المصاعدة عسر عليهم حفظ الفاتحة لشدة محبتهم فعدت كلمات أم القرآن ولقب بكل
كلمة منها رجلا فصنفهم صفا وقال لا ولهم اسمك الحمد لله وللثاني رب العالمين وهكذا حتى تمت كلمات الفاتحة
ثم قال لهم لا يقبل الله منكم صلاة حتى تجمعوها هذه الاسماء على نسقها في كل ركعة فسهل عليهم الامر
وحفظوا أم القرآن ذكره صاحب المعرب قالوا وهو أول من أحدث أصبح والله الحمد في أذان الصبح
ومن جرائته واقدامه وتها لكه على تحصيل مرامه ما حكاها صاحب القرطاس قال كانت بين الموحدين
والمرابطين حرب فقتل من الموحدين خلق كثير فعظم ذلك على عشائهم فاحتال المهدي بان انتخب قوما
من أتباعه ودفعهم أحياء بموضع المعركة وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وقال لهم اذا سئلتم عن
حالكم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقار ان مادنا اليه الامام المهدي هو الحق فخذوا في جهاد عدوكم
وقال لهم اذا فعلتم ذلك أخرجتكم وكانت لكم عندي المنزلة العالية وقصد بذلك أن يثبتهم على التمسك
بدعوته ويمتدحون عليهم ما لقوا من القتل والجراحات بسببه ثم جمع أصحابه عند السمر وقال لهم أنتم يا معشر
الموحدين حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق فخذوا في قتال عدوكم فانكم على بصيرة من أمركم وان
كنتم تترتابون فيما أقوله لكم فأتوا موضع المعركة وسلاوا من استشهد اليوم من اخوانكم بخبروكم بما لقوا
من الثواب عند الله ثم أتى بهم الى موضع المعركة ونادى يا معشر الشهداء ما ذا القيم من الله عز وجل
فقالوا قد أعطانا من الثواب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فافتتن الناس وظنوا
ان الموفق قد كلوهم وحكوا ذلك لبقية اخوانهم فازدادوا بصيرة في أمره وثباتا على رأيه والله أعلم
بحقيقة الحال

وفاته المهدي رضى الله عنه

كانت وفاة المهدي عقب وقعة البصرة قال ابن خلدون لاربعة أشهر بعدها وقال ابن الخطيب وغيره
كانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمائة وقيل
غير ذلك وقال في القرطاس لما رجع الموحدون من غزوهم اكش الى تينقل خرج اليهم
المهدي فسلم عليهم ورحب بهم وأعلمهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يكونه من البلاد وعبدة
ملكهم وأعلمهم انه يموت في تلك السنة فبكوا وأسفوا ثم مرض مرضه الذي مات منه وقدم عبد المؤمن
للصلاة أيام مرضه ثم توفي في التاريخ المتقدم ووذكر بعض المؤرخين ان المهدي رأى في منامه قبل
وفاته كأن آتيا أتاه فأنشده أيما تانمي له فيها نفسه وأعلمه باليوم الذي يموت فيه فكان كذلك انظر
القرطاس وقدم في هذه الاخبار في ذكر كتاب الجفر وربما تتشوف النفس لمعرفة حقيقة فقد قال
ابن خلدون في كتاب طبيعة العمران واعلم ان كتاب الجفر كان أصله ان هرود بن سعيد الجلي وهو رأس
الزيدية كان له كتاب يروي عن جعفر الصادق رضى الله عنه وفيه علم ما سيقع لاهل البيت على العموم

ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لثلاثتهم من الأولياء وكان مكتوباً عند جعفر الصادق في جلد ثور صـ غير فرواه عنه هرون الجعفي وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه لأن الجفر في اللغة هو الصغير فصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن الكريم وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق رضي الله عنه وذكره ابن قتيبة في أوائل كتاب اختلاف الحديث فقال بعد كلام طويل وأعجب من هذا التفسير تفسير الرافض للقرآن الكريم وما يدعونه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذي ذكره الجعفي ثم قال ابن قتيبة

ألم تر أن الرافضين تفرقوا * فكلهم في جعفر قال منكرا

فطائفة قالوا امام ومنهم * طوائف سمته النبي المطهرا

ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم * برئت إلى الرحمن عن تجفرا

في آيات غير هذه ثم قال ابن قتيبة وهو جلد جعفر ادعوا أنه كتب لهم فيه الامام جعفر الصادق كلما يحتاجون اليه وكل ما يكون إلى يوم القيامة اهـ وهذا تزيف من ابن قتيبة لكتاب الجفر وخالف هذا المذهب أبو العلاء المعري فقال

لقد عجبوا لاهل البيت لما * آتاهم علمهم في مسك جفر

ومرآة المنجم وهي صغرى * أرتة لكل عامرة وقفر

والمسك بفتح الميم الجلد والجفر بفتح الجيم ما بلغ أربعة أشهر من أولاد المعز وكانت عادتهم في ذلك الزمان انهم يكتبون في الجلود وما شا كلها القلة الاوراق يومئذ وقال ابن خلدون في كتاب الجفر لم تتصل روايته عن جعفر الصادق رضي الله عنه ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصح ادليل ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات رضي الله عنهم

الخبر عن دولة أبي محمد عبد المؤمن بن علي الكوي وأوليتها

اعلم ان بني عبد المؤمن ليسوا من المصامدة وانما هم من كومية ثم من بني عابدينهم وكومية ويعرفون قديماً بصطورية بطن من بني قاتن بن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الا بترفعهم بنو عم زناتة يجتمعون في ضري بن زجيك هذا هو الصحيح وبعض المؤرخين يرفعون نسب عبد المؤمن إلى قيس عيلان بن مضر وهو ضعيف قال ابن خلدون في كتابه كان عبد المؤمن من بني عابدين وبنات كومية وأشرفهم قال وموطنهم بتاكرارت وهو حصن في الجبل المطل على هذين من ناحية الشرق قال ابن خلدون كان والد عبد المؤمن وسيطاني قومه وكان صانعاً في عمل الطين يعمل منه الآنية فيبيعها وكان عاقلاً من الرجال وقوراً ويحكي ان عبد المؤمن في صباه كان ناعماً تجاه أبيه وأبوه مشغول بعمله في الطين فسمع أبوه دوياء السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعاً على عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته أمه على تلك الحال فصاحت خوفاً على ولدها فسكت أمه فقالت أخاف عليه فقال لا بأس عليه بل اني متعجب مما يدل عليه ذلك ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ما يكون من أمر النحل فطار عنه باجمعه فاستيقظ الصبي ومابه من ألم ففقدت أمه جسده فلم تربه أثر ولم يشك اليها ألماً وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فضى أبوه اليه فاخبره بما رآه من النحل مع ولده فقال الزجر يشك أن يكون له شأن يجتمع على طاعته أهل المغرب فكان من أمره ما اشتهر وقد تقدم لنا ان المهدي كان عنده كتاب الجفر وكان فيه ان أمره لا يتم الا على يد رجل اسمه كذا وحليته كذا وهو عبد المؤمن بن علي فاقام المهدي

يتطلبه مدة الى ان لقيه بجلالة وعبد المؤمن اذ ذاك شاب حدث طالب علم فلازم المهدي واستمسك بعرز
الى ان كان من أمره ما كان وكان المهدي يتفرس فيه النجاة وينشد اذا أبصره
تكاملت فيك أوصاف خصصتها * فكاننا بك مسرور ومفتبط
السنة ضاحكة والكف مانحة * والنفس واسعة والوجه منبسط
والبيتان ذبي الشيص الخراي وكان يقول لأصحابه صاحبكم هذا غلاب الدول وكان يقول عبد المؤمن
من صديقي هذه الدائرة * وقال ابن خلدون * أثر المهدي عبد المؤمن بمزيد الخصوصية والقرب بما خصه
الله به من الفهم والوعي للتعليم حتى كان خالصا المهدي وكنز حكايته وكان مؤهله لخلافته لما أظهر عليه
من الشواهد المؤذنة بذلك وفي ذلك يقول ابن الخطيب

وخلف الامر لعبد المؤمن * فانقادت الدنيا له في رسن

جباه بين القوم بالاماره * اذ وضحت له فيه الاماره

ولما اجتاز المهدي في طريقه الى المغرب بالثعلبية عرب الجزائر أهذوا اليه جارا فارها يركبه لانه كان
ساعيا على رجليه فكان يوثر به عبد المؤمن ويقول لأصحابه اركبوه الجار يركبكم الخيول المستومة وزعم
بنو عبد المؤمن ان المهدي كان استخلفه من بعده * وقال ابن خلدون * لم يصح انه استخلفه وانما راعى
أصحابه في تقديمه اشارته فتم له الامر والله أعلم

بيعة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها

لما توفي المهدي في التاريخ المتقدم تولى عبد المؤمن تجهيزه والصلاة عليه ثم دفنه بمسجده الملاصق لداره
من تينمل ولما فرغ الموحدون من أمره تشوف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده وكانوا من قبائل
شتى وأحببت كل قبيلة أن يكون الخليفة منها وان لا يتولى عليها من هو من غير هافتنا فسوا في ذلك
فاجتمع العشرة والخمسون وتآمر وافيا بينهم وخافوا على أنفسهم النفاق وان تفسد نياتهم وتفترق جماعتهم
فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن لكونه كان غريبا بين أظهرهم ليس من المصامدة لان المصامدة من
البرانس وكومية قبيلة عبد المؤمن من البرقة قدموه لذلك مع ما كانوا يرون من ميل المهدي اليه
وايثاره على غيره فتم له الامر * وقال ابن خلدون * لما مات المهدي خشي أصحابه من افتراق الكلمة
وما يتوقع من سطط المصامدة لولاية عبد المؤمن لكونه من غير جلدتهم فارجعوا الامر الى ان تحالط
بشاشة الدعوة قلوبهم وكنمو اموتيه ثلاث سنين يعقون فيه اجرضه ويقيمون سنته في الصلاة والحزب
الراتب ويدخل أصحابه الى بيته كأنه اختصهم ببيادته فيجاسون حوالى قبره ويتفاوضون في شؤونهم
ثم يخرجون لانفاذ ما أبرموه ويتولى ذلك عبد المؤمن حتى اذا استحك أمرهم وتمكنت الدعوة
من نفوس كافهم كشفوا القناع عن حالهم وغالوا من بقي من العشرة على تقديم عبد المؤمن وتولى كبر ذلك
الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الممتنقى جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس فآظهم والناس موت المهدي
وعهده لصاحبه وانقاد بيقية أصحابه لذلك وروى لهم يحيى بن يغمور انه كان يقول في دعائه اثر صلواته اللهم
بارك في صاحب الفضل فرضي الكافة وانقادوا له وأجمعوا على بيعته وزعموا أن عبد المؤمن استعمل
في ذلك حيلة تم له بها ما أراد وذلك انه عمد الى طائر وأسد فضرهما حتى أنسابه وعلم الطائر أن يقول عند
علامة نصبه الى النصر والتمكين لعبد المؤمن أمير المؤمنين وعلم الاسد ان يبصص له ويتمسح به كل ما رآه
ثم جمع عبد المؤمن الموحدين وخطبهم وحضهم على الانفة واجتماع الكلمة وحذرهم عاقبة البغي
والخلاف وبينما هو في ذلك اذا رسل سائس الاسد أسده وصفر صاحب الطائر طائرته فبصص هذا
وأعلن بالنصر هذا فاجب الحاضرون من ذلك ورأوا انها كرامة لعبد المؤمن فازدادوا بها بصيرة في أمره
وثباتا على بيعته مع ما كان من تقديم المهدي له في الصلاة أيام مرضه وفي ذلك يقول بعضهم

أنس الشبل ابتهاجا بالاسد * ورأى شبه أبيه فقصده
ودعا الطائر بالنصر لكم * فقتل حتى حن وقد
وكانت بيعة عبد المؤمن العامة بعد صلاة الجمعة لعشرين يوما من وبيع الأول سنة ست وعشرين
ونخسمائة بجامع تينمل وأول من بايعه العشرة أصحاب المهدي ثم الخمسون من أشياخ الموحدين ثم كافة
الموحدين لم يتخلف عن بيعته منهم أحد فاستوسق له الأمر واستولى على المغرب بأسره وفتح بلاد إفريقية
إلى برقة وبلاد الأندلس بأسرها وخطب له على منابر هذه الأقاليم كلها على ماسيا في تفصيله إن شاء الله
واسلمت بيعته غزا من حينه بلاد تادلا فقتل بها وسبا ثم غزا بلاد درعة فاستولى عليها ثم غزا بلاد غمارة
فافتح البعض منها وقتل واليهاء ثم تسابق الناس إلى دعوته أفواجا وانتقضت البر على المرابطين في سائر
أقطار المغرب وكان ما ذكره

في غزوة عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها على المغربين

ثم صرف عبد المؤمن عزمه لفتح بلاد المغرب فغزا غزوة الطويلة التي مكث فيها سبع سنين وأجلت عن
فتح المغربين مع الأقصى والأوسط خرج لها من تينمل في صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة فلم يزل
يتقرب إلى بلاد المغرب ويفتح معاقله ويسقط جملتها ويذل صعاها إلى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة
وكان خروجهم من تينمل على طريق الجبل وخرج تاشفين بن علي في اتباعه من مراکش على طريق
السهل إلى أن وصل إلى تلمسان حسبا قد مناه في أخبار المرابطين فيقال ابن خلدون في خروج عبد المؤمن
في هذه الغزوة من تينمل يعني على طريق الجبل كما قلنا وخرج تاشفين بن علي يعني في حياة والده بعساكره
يحاذيه في البسيط والناس يفرّون منه إلى عبد المؤمن وهو يتنقل في الجبال في سعة من الفواكه للكل
والحطب للدفء إلى أن وصل إلى جبال غمارة واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالمغرب واقشعت الرعايا عن
البلاد وألح الطاغية على المسلمين بالعدوة الأندلسية وهلك خلال ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف سنة
سبع وثلاثين وخمسمائة وولي بعده ابنه تاشفين بن علي المذكور وهو في غزاته هذه في قرطاس في
أوتحل عبد المؤمن إلى جبال غمارة وأرتحل تاشفين بن علي في أثره فقتل بأزاعين القديم وذلك في فصل
الشتاء فأقام بذلك المنزل شهرين حتى أحرق أهل محبته أو تاد أخبيتهم ورماحهم وهدموا بيوتهم
ونخيامهم انتهى ونشأت فتنة بين لمونة ومسوفة ففرج جماعة من أمراء مسوفة منهم عامل تلمسان يحيى
ابن اسحق المعروف بالنكار ولحقوا بعبد المؤمن ودخلوا في دعوته فنبذ إليهم المرابطون العهد وإلى سائر
مسوفة واستمر عبد المؤمن على حاله فنازل سبتة فامتعت عليه وتولى كبر دقاعه عنها القاضي أبو الفضل
عياض بن موسى الشهير بالذكر وكان رئيسها يومئذ بآبوتة ومنصبه وعلمه ودينه فيقال ابن خلدون في ذلك
سخطه الدولة يعني دولة الموحدين آخر الأيام حتى مات مغربا عن سبتة مستعملا في خطة القضاء بالبادية
من تادلا رجه الله وتمادى عبد المؤمن في غزاته إلى جبال غياتة وبطونية فافتتحها ثم نازل ملوية فافتتح
حصونها ثم تخطى إلى بلاد زناتة فاطاعته قبائل مديونة وكان قد بعث إليهم جيشا من الموحدين إلى نظر
يوسف بن وانودين فخرج إليهم محمد بن يحيى بن فانوا عامل تلمسان من قبل المرابطين فيمن معه من جيوش
لمونة وزناتة فهزمهم الموحدون وقتل ابن فانوا وانفض جمع زناتة ورجعوا إلى بلادهم وولى تاشفين بن علي
على تلمسان أبا بكر بن مزدي وقدم على عبد المؤمن وهو بمكانه من الريف أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن
بدر من أمراء بني وما نوا من زناتة فبعث معهم يحيى بن يغمور ويوسف بن وانودين في عسكر فأتوا بني
بلاد بني عبد الواد وبني يلاوي من زناتة سبيا وأسر وألحق صريحهم بتاشفين بن علي فأمدتهم بعساكر لمونة
ومعهم الربرير قائد الروم ونزلوا منداس وانضمت إليهم قبائل زناتة من بني يلاوي وبني عبد الواد مع
شيخهم جماعة بن مطهر وأخوانهم بني توجين وغيرهم فوقعوا ببني وما نوا وقتلوا أبا بكر بن ماخوخ في

ستمائة من قومه واستنقذوا غنائمهم وتحصن الموحدون وقل بني وما نوا بجبل سيرات ولحق تاشفين بن
 ماخوخ صريحا بعبد المؤمن ومستحيشا به على لمتونة وزناته فارتحل معه عبد المؤمن الى تلمسان ثم أجاز
 الى سيرات وقصد محلة لمتونة وزناته فوقع بهم ورجع الى تلمسان فنزل ما بين الصخرتين من جبل تيطري
 ونزل تاشفين بن علي بالسبل على الصفا ثم وصل مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب
 بجاية لتنظر قائده طاهر بن كباب أمثوابه تاشفين بن علي وقومه لعصبة الصنهاجية وفي يوم وصوله
 أشرف على معسكر الموحدين وكان يدل بأقدام فمرّض بلمتونة وأميرهم تاشفين بن علي لعودهم عن
 المناجزة الموحدين وقال اغناجيتكم لا خلصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومي فامتنع
 تاشفين بن علي من كلمته وأذن له في المناجزة فحمل على القوم فركبوا وصعدوا للقاءه فكان آخر العهد به
 وانقض عسكره وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم وهو الروبرتي في عسكر ضخم فاغار على
 قوم من زناته كانوا في بسط لهم فاكسحهم ورجع بالغنائم فاعترضه الموحدون من عسكر عبد المؤمن
 فقتلواهم وقتلوا الروبرتي في جلتهم ثم بعث تاشفين بن علي بعثا آخر الى جهة أخرى فلقبهم تاشفين بن
 ماخوخ ومن كان معه من الموحدين واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فقالوا منهم أعظم النيل وتوالت
 هذه الوقائع على تاشفين بن علي اللتوني فأجبع الرحلة الى وهران وبعث ابنه ولي عهده ابراهيم بن تاشفين
 الى مراکش في جماعة من لمتونة وبعث كاتباً معه أحمد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين
 وخمس مائة فأقام عليها شهرا ينتظر قائداً سطوله محمد بن ميمون الى ان وصله من المرية بعشرة أساطيل
 فأرسل قريبا من معسكره وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ أباحفص عمر بن يحيى
 الهنتاتي ومعه بنو وما نوا من زناته فتقدموا الى بلاد زناته ونزلوا من داس وسط بلادهم وجعل له بنو يادين
 كلهم وبنو يايوي وبنو مريين ومغراوة فأثن فيهم الموحدون حتى أذعنوا للطاعة ودخلوا في دعوتهم
 ووقد على عبد المؤمن جماعة من رؤسائهم وكان منهم سيد الناس ابن أمير الناس شيخ بني يايوي وجماعة بن
 مطهر شيخ بني عبد الواد وغيرهم فلقاهم بالقبول وسار بهم في جوع الموحدين الى وهران فبیتو لمتونة
 بعسكرهم ففضوهم ولجأ تاشفين الى رابية هناك فأحرقوا بها وأضرمو النيران حولها حتى اذا غشيهم
 الليل خرج تاشفين من الحصن راكبا قرسه فتردى به من بعض حافات الجبل وهلك لسبع وعشرين من
 رمضان سنة تسع وثلاثين وخمس مائة وبعث برأسه الى تينمل وتجاغل العسكر الى وهران فانحصروا بها
 مع أهلها حتى جهدهم العطش فنزلوا على حاكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة المذكورة
 فاستأصلهم القتل رجعهم الله وبلغ خبر مقتل تاشفين بن علي الى تلمسان مع قل لمتونة الذين نجوا من وقعة
 وهران وفيهم سير بن الحاج في آخرين من أعيانهم ففر معهم من كان بها من لمتونة ولما وصل عبد المؤمن
 الى تلمسان استباح أهل تاكرارت لما كالأكثرهم من الحشم بعد ان كانوا بعتوا ستمائة من وجوهم
 فلقبهم بصلين من مشيخة بني عبد الواد فقتلهم أجمعين وافتتح عبد المؤمن تلمسان وعفا عن أهلها ورحل
 عنها السبعة أشهر من فتحها بعد ان ولي عليها سليمان بن محمد بن وانودين وقيل يوسف بن وانودين

بفتح مدينة فاس

نقل بعض المؤرخين أن عبد المؤمن لم يزل محاصرا لتلمسان والفتوح ترد عليه وهناك وصلت به بيعة أهل
 سجلماسة الى ان اعترزم على الرحيل الى المغرب فترك ابراهيم بن جاسع محاصرا لتلمسان وقصد مدينة فاس
 سنة احدى وأربعين وخمس مائة وقد تحصن بها يحيى بن أبي بكر الصمراوى من قل تاشفين بن علي من
 وهران فنار لها عبد المؤمن وبعث عسكر الحصار مكثا ثم غرض في اتباعه وترك عسكران الموحدين
 على فاس وعليهم الشيخ أبو حفص وأبو ابراهيم من صحابة المهدي العشرة فحاصروها سبعة أشهر ثم داخلهم
 ابن الجياني فسرّب البلد وأدخل الموحدين له لا وفر يحيى بن أبي بكر الصمراوى الى طنجة ثم أجاز منها الى

يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية بالاندلس وكان والياً على قرطبة من قبل المرابطين فأقام عنده الى ان كان من أمره ما نذكروه وانتهى خبر فتح قاس الى عبد المؤمن وهو بمكانه من حصار مكناسة فرجع اليها ودخلها ووحى صاحب القرطاس في فتح قاس خلاف هذا الوجه فقال وفي سنة أربعين وخمسمائة فتح عبد المؤمن قاساً بعد حصار شديد قطع عن الماء النهر الداخل اليها وسده بالبناء والخشب حتى انحبس الماء فوق بساط الارض وانتهى الى مراكره منها ثم خرق السد فانتحدر الماء على المدينة دفعة واحدة وهدم سورها ثم هدم من دورها ما يزيد على ألفي دار بالتمذية وهلك بها خلق كثير وكاد الماء يأتي على أكثرها ثم دخلها عبد المؤمن وأمن أهلها إلا من كان بها من المرابطين فإنه أمر أن لا يعصى لمسلم أمان وقتلهم قتل عاد ثم أمر بسور المدينة فهدم منه ثلث كثيرة أو سورها حتى قال اننا لفتحها الى سور وائماً أسوارنا سيوفنا وعدلنا فلم نزل قاس لا سور لها الى ان تداركها حافده يعقوب المنصور فابتدأ ببناءه ومات فأعته ابنه الناصر سنة ست مائة ولما فتح عبد المؤمن قاساً ولى عليها ابراهيم بن جامع الذي خلفه على تلمسان فإنه لما فتحها ارتحل الى عبد المؤمن فأصل به وهو محاصر قاس ففتحه عبد المؤمن وولاه عليها وكان قد اعترضه في طريقه الخنض بن عسكر شيخ بن مرين وناولوا منه ومن رفقة وكانت معه أموال لتونة وذخيرتهم التي استولى عليها عبد المؤمن بوهران وكان ابن جامع ذاهباً بها الى تينمل فاعترضه بنو مرين وانتزعوها منه وانتهى الخبر بذلك الى عبد المؤمن فكتب الى عامر له على تلمسان يوسف بن واودين يأمره أن يجهز العساكر الى بني مرين فبعثها حكمة عبد الحق بن منة فادشخ بن عبد الواد فأوقعوا بني مرين وقتل الخنض شيخهم

فتح مراکش واستئصال بقية اللتوين

ثم ارتحل عبد المؤمن من قاس عامداً الى مراکش فوافته في طريقه بيعة أهل سبتة فولى عليهم يوسف ابن مخلوف من مشيخة هنتاتة ومر على مدينة سلا فافتتحها بعد موقعة قليلة وتلم سورها كقاس ونزل منها بدار ابن عشرة وكانت هذه الدار قصر ابي ديعاب مدينة سلا لبناه الفقيه أبو العباس بن القاسم من بني عشرة فشيده وأتقنه ولما فرغ منه وصفته الشعراء وهنته به ودعت له وكان بالحضرة يومئذ الاديب ابن الحمار ولم يكن أعديشياً فأفكر قليلاً ثم قال

يا أوحداً الناس قد شيدت واحدة * حل فيها حلول الشمس في الحل
فكادارك في الدنيا لذي أمل * ولا كدارك في الاخرى لذي عمل

وهذا القصر لم يبق له اليوم اسم ولا رسم ثم عمادى عبد المؤمن الى مراکش وسرح الشيخ أبا حفص لغزو برغواطية فأتحن فيهم ورجع فلقبه في طريقه وانتهوا جميعاً الى مراکش وقد انضم اليها جوع لمطة فأوقع بهم الموحدون وأتحنوا فيهم قتلاً واكنسوا أموالهم وظعائهم وأقاموا على مراکش تسعة أشهر وأميرهم يومئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وكانوا قد يابغوا أولاً ابراهيم بن تاشفين بن علي فألقوه مضغفاً عاجزاً فخلعوه وبابغوا عمه اسحق بن علي المذكور وهو صبي صغير ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى مدافعة الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون بالقتل فاقتحموا عليهم المدينة في آخر يات شوال سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقتل عامة الملتين ونجا اسحق في جلته وأعيان قومه الى القصبية حتى تزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم وتولى كبر ذلك أبو حفص بن واجاح منهم وانحى أنرا الملتين واستولى الموحدون على جميع البلاد وقد قيل في ترتيب هذه الاخبار غير هذا الوجه قال ابن مطروح القيسي في ما يبيع عبد المؤمن تينمل ارتحل بجيوش الموحدين نحو مراکش فحاصرها أياماً وذلك في شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة ثم ارتحل عنها الى تادلا ثم الى سلا فلقاه أهلها سامعين مطيعين فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة وخطب له بها وفي سنة سبع وعشرين بعد هاج فتح عبد المؤمن بلاد

تأزا وفي سنة ثمان وعشرين بعدها تسمى عبد المؤمن بأمير المؤمنين واعلم ان اللقب بأمير المؤمنين كان في صدر الاسلام خاصا بالخليفة بالمشرق من بني أمية أو من بني العباس بعدهم ولما قام عبيد الله المهدي أول ملوك العبيديين بأفريقية تسمى بأمير المؤمنين لانه كان يرى انه أحق بالخلافة من بني العباس المعاصرين له بالمشرق فهو أول من زاحم الخليفة في هذا اللقب ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب الاندلس ورأى ان له في الخلافة حقا اقتداء بسلفه الذين كانوا خلقاء بالمشرق وكلاهما أعنى العبيدي والأموي قرشي من بني عبد مناف ثم لم يتجاسر أحد لا من ملوك الجهم بالمشرق ولا من ملوك البربر بالمغرب على اللقب بأمير المؤمنين لانه لقب الخليفة الأعظم القرشي كما علمت الى ان جاءت دولة المرابطيين وكان منهم يوسف بن تاشفين واستولى على المغرب والاندلس وعظم سلطانه واتسعت مملكته وخاطب الخليفة العباسي بالمشرق فولاه على ما بيده وتسمى بأمير المسلمين أديامع الخليفة حسيا أشيرنا اليه سالفا ولما جاء عبد المؤمن هذا لم يبال بذلك كله واتسم بالخليفة وتلقب بأمير المؤمنين وتبعه على ذلك بنوه من بعده ولما ان الحال ينشد

لقد هزلت حتى بدان هزالها * كلاها وحتى سامها كل مقلس

وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة أمر عبد المؤمن ببناء رباط مدينة تازا فبنيت وحصن سورها ثم كانت محاربة تاشفين بن علي على نحو ما أسلفناه والله تعالى أعلم

ثورة محمد بن هود السلاوي المعروف بالماسي

كان محمد بن هود بن عبد الله السلاوي رجلا من سوقة أهل سلا وكان أبوه سمسارا يبيع السكايش وكان هو قصارا ثم امتد ثم لحق بعبد المؤمن عندما ظهر وبايعه وشهد معه فتح مراکش ثم فارقه وظهر برباط ماسة من ناحية السوس ودعا لنفسه وتسمى بالمهادي وتمكن ناموسه من قلوب العامة وكثير من الخاصة فأقبل اليه الشراد من كل جانب وانصرفت اليه وجوه الأغمار من أهل الآفاق وأخذ بدعوته أهل سجلماسة ودرة وقبائل دكالة وبرجة وقبائل تامسنا وهوارة وفشت ضلالتهم في جميع المغرب وقال في القرطاس يابيعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد المؤمن الا مراکش فسرّح اليه عبد المؤمن عسكرا من الموحدين لنظر يحيى بن اسحق انكار النازع اليه من ايلة تاشفين بن علي حسبا تقدم فالتقى بالماسي وقاتله فانتصر الماسي عليه وعاد مهزوما الى عبد المؤمن فسرّح اليه عبد المؤمن ثانيا الشيخ أبو حفص المنتاقى في جيش عظيم من أشياخ الموحدين وغيرهم واحفل عبد المؤمن في الاستعداد ونهض الشيخ أبو حفص من مراکش فاتح ذي القعدة سنة ائتين وأربعين وخمسمائة وشيعة عبد المؤمن الى وادي تانسيفت ثم دعاه وودعه وانصرف الشيخ أبو حفص في جيوش الموحدين حتى انتهوا الى رابطة ماسة فبرز اليهم محمد بن هود في نحو ستين ألفا من الرجال وسبع مائة من الفرسان فكانت بينهم حرب شديدة ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموهم وقتل محمد بن هود في المعركة مع كثير من أتباعه وفشت جوعه وكان ذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة وكان الذي باشر قتل ابن هود هو الشيخ أبو حفص رئيس الجيش فلقبه الموحدون بسيف الله تشبيهه به بخالد بن الوليد رضي الله عنه وكتب الشيخ أبو حفص الى عبد المؤمن برسالة الفتح من انشاء الفقيه أبي جعفر بن عطية القاضي الكاتب المشهور يقول فيها كتابنا هذا من وادي ماسة بعد ما تجدد من أمر الله الكريم ونصره تعالى المعهود القديم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فتح بهر الانوار اشراقا وأحرق بنفوس المؤمنين احداقا ونبه الاماني الساعية جفونا وأحداقا واستغرق غاية الشكر استغراقا فلا تطيق اللسان لكتبه وصفه ادراكا ولا لحاقا جمع أششتات الطلب والارب وتقلب في النعم أكرم منقلب ولادلاء الامل الى عقد الكرب فتح تفتح أبواب السماء * وتبرز الارض في أثواب القشب

وتقدمت بشارتنا به جملة حين لم تعط الحال بشرحه مهلة كان أولئك الضالون قد بطروا وعدوا وانا وظلما واقتطعوا الكفر معنى واسما وأملى الله تعالى لهم ليزدادوا اثما وكان مقدمهم الشقي قد استمال لنفوس بجزع لاته واستوى القلوب بجهولاته ونصب له الشيطان من حبالاته فأنته المخاطبات من عدو كتب ونسبت اليه الرسل من كل حذب واعتقدته الخواطر أوجب عجب وكان الذي قادهم الى ذلك وأوردهم تلك المهالك وصول من كان بتلك لسوا حصل من رتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام واشتغل على زعمه بالقيام والصيام آناء لليال والايام لبسوا الناموس ثوبا وتدرعوا الزياء جليبا فلم يفتح الله تعالى لهم للنوفيق بابا ولم يمنها في ذكر صاحبهم الماسى المدعى للهداية فصرع بحمد الله تعالى لحينه وبادرت اليه بوادر منونه وأنته واقفات الخطايا عن يساره وعينه وقدر كان يدعى أنه بشر بأن المنية في هذه الاعوام لاتصيبه والنوائب لاتنوبه ويقول في سواه قولا كثيرا ويخشا على الله تعالى أفكازورا فلما رآوا هيئة اضطجاعه وما خطته الاسنة في أعضائه وأضلاعه ونغذفيه من أمر الله تعالى ما لم يقدر وأعلى استرجاعه هزم من كان لهم من الاخراب وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب وأعطوا على بكرة أبيهم صفحات الرقاب ولم تقطر كلومهم من الاعلى الاعقاب فامتلات تلك الجهات باجسادهم وآذانت الاجال بانقراض آمادهم وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم فلم يعاين منهم الامن خروصا وسقى الارض نجيعا ولقى من أمر الهنديات قطيعا ودعت الضرورة باقيهم الى الترامى في الوادى فن كان يؤمل الفرار ويرتجيه ويسبح طامعا في الخروج الى ما ينجيته اختطفته الاسنة اختطافا وأذاقته موتا ذاعافا ومن لجى الترامى على لججه ورام البقاء في نجبه قضى عليه شرقة وألوى بذقنه غرقه ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون قتلهم طعنا وضربا ويأقونهم بأمر الله تعالى هو لا عظيم اوكريا حتى انبسطت مراقات الدماء على صفحات الماء وحسكت حمرتها على زرقة حرة الشفق على زرقة السماء وجرت لمبرة للمعتبر في جرى ذلك الدم جرى البحر (وبالجملة) فهي رسالة بليغة وهي التي أورثت منشئها الرتبة العلية والمنزلة السنية فان عبدا المؤمن لما وقف عليه استشهد بها ووقعت منه موقعا كبيرا فاستكتبه وتلثم استوزره ثانيا ثم نكبه وقتله ثالنا كما سيأتى ولما انصرف الشيخ أبو حفص من غزوة ماسية أراح عمرا كش أياما ثم خرج غازيا بلاد القاعين بدعوة محمد بن هود بجبال دون فأوقع بأهل نفيس وهي لانة وأثنى فيهم بالقتل والسبي حتى أذعنوا للطاعة ورجع ثم خرج الى هسكورة فأوقع بهم وافتتح معاقلهم وحصونهم ثم غرض الى سجلماسة فاستولى عليها ورجع الى مرا كش ثم خرج ثالثة الى برغواطة فخاربوه مدة ثم هزموه واضطربت نار الفتنة بالمغرب وكان ما نذكره

فانتقض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رحمه الله معهم

قد تقدم لنا ان عبدا المؤمن كان غزاة سبتة في غزوته الطويلة وان القاضي عياض رحمه الله دافعه عنها وانما قتل تاشفين بن علي وفتح تاسان وفاس واستغل أمر عبدا المؤمن باياع أهل سبتة في جملة من باياع من أمصار المغرب قالوا وبادر القاضي عياض الى لقاء عبدا المؤمن فاجتمع به بمدينة سلاحين كان ذاهبا لفتح مرا كش فاجزل صلته وولى على سبتة يوسف بن محمد الواف التينغالى وساكن الموحدين أهل سبتة في ديارهم واطمأنوا اليهم فلما انتقض المغرب على عبدا المؤمن بسبب قيام محمد بن هود وما نشأ عن ذلك من الفتن انتقض أهل سبتة أيضا وكان انتقضهم كافى القرطاس برأى القاضي عياض رحمه الله فقتلوا عامل الموحدين ومن كان معه من أصحابه وحاميته وحرقوهم بالنار وركب القاضي عياض البحر الى يحيى بن على المسوفى المعروف بابن غانية وكان معتصما بقرطبة متمسكا بدعوة المرابطين فقيه وأدى اليه البيعة وطلب منه واليا على سبتة فبعث معه يحيى بن أبي بكر الصحراوي الذي كان معتصما بفاس أيام حصار عبد

المؤمن لما فتر ولحق بابن غانية كما قلنا وبقي في جلته الى ان بعثه مع القاضي عياض في هذه المرة فدخل يحيى سبته وقام بامرها ولما اتصلت بعبد المؤمن هذه الاخبار مع ما تقدم من هزيمة برغواطة للشيخ أبي حنيفة خرج من مراکش قاصدا بلاد برغواطة أولا ثم من بعدهم ثانيا فاستأصمت برغواطة بخروج عبد المؤمن اليهم فكتبوا الى يحيى بن أبي بكر بكانه من سبته يستصرونه عليهم فأتاهم وبايعوه واجتمعوا عليه وقتلوا عبد المؤمن فهزموه ثم كانت له الكرة عليهم فهزمهم وحكم السيف فيهم واستأصل شأقتهم حتى انقادوا للطاعة وتبرؤا من يحيى الصعراوى ولتمتونة وفر الصعراوى الى منجباته ثم طلب الامان من عبد المؤمن ونسفع اليه باشياخ القبائل فأمنه ووفد عليه فبايعه وحسنت طاعته لديه وكان ذلك سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ولما رأى أهل سبته ذلك كله سقط في أيديهم وندموا على صنيعهم وكتبوا يبيعتهم الى عبد المؤمن وقدم بها أشياخ سبته وطلبها ثابئين فغفاهم وعن القاضي عياض وأمره بسكنى مراکش والصحيح انه ولاء القضاء بتادلا ثم دخل مراکش فقبل دخلها امر يضامرض موته وقيل مات بالطريق وحل اليها وأمر عبد المؤمن مع ذلك بهدم سور سبته فهدم وكذلك فعل بفاس وسلا (واعلم) ان ما صدر من القاضي عياض رحمه الله في جانب الموحدين دليل على انه كان يرى ان لا حق لهم في الامر والامامة وانما هم متغلبون وهذا امر لا خفاء به كما هو واضح ولما كانت شوكة عبد المؤمن لازالت ضعيفة وتاشفين بن علي أمير الوقت لا زال قائم العيين امتنع القاضي عياض رحمه الله من مبايعة عبد المؤمن ودافعه عن سبته اذ لا موجب لذلك لان بيعة تاشفين في أعناقهم وهو لا زال حيا فلا يعدل عن بيعته الى غيره بلا موجب وأما ما غالط به المهدي رحمه الله من ان المرابطين مجسمة وان جهادهم أوجب من جهاد الكفار فضعف الا عن ان تكون طاعتهم واجبة ففسطمة منه عفا الله عنا وعنهم ولما قتل تاشفين وفتحت تلمسان وفاس وقويت شوكة عبد المؤمن بايعه القاضي عياض حينئذ وقبل صليته لان من قويت شوكته وجبت طاعته ثم لما ضعف أمره ثانيا بسبب قيام الماسي عليه واجاع قبائل المغرب على التمسك بدعوته رجع القاضي باهل سبته عن بيعته الى طاعة المرابطين الذين لهم الحق في الامامة بطريق الاصل ولم يأخذ بدعوة الماسي لانه نأثر أيضا هذامع ما كان ينقل عن المهدي من انه غلبت نزعة خارجية عليه وانه يقول بعصمة الامام وذلك بدعة كالا يخفى فتكون امامته وامامة أتباعه مقدر وحافيهام هذه الحيشية لكن حيث حصل التغلب والاستيلاء وجبت الطاعة فالخاصل ان ما فعله القاضي عياض أولا وثانيا والثالث كله صواب موافق للحكم الشرعي فهكذا ينبغي ان تفهم أحوال أئمة الدين واعلام المسلمين رضي الله عنهم ونفعنا بعلومهم وأما القتل والتخريق الذي صدر من أهل سبته فالظن بالقاضي عياض رحمه الله انه لا يوافق على ذلك ولا يرضاه لكن العامة تتسرع الى مجاوزة الحدود لاسيما أيام الفتن وذلك معروف من حالهم والله الموفق ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فتح الموحدون مدينة مكاسة القديمة بعد حصارهم اياها سبع سنين اقتحموها عنوة يوم الاربعاء ثالث جمادى الاولى من السنة المذكورة فخرت وقتل أكثر رجالها وسبي حريمهم وخسبت أموالهم ثم بنيت مكاسة تذكرا لمرات المدينة الموجودة الآن

❦ أخبار الاندلس وقنوجها ❦

كان عبد المؤمن لما فتح تلمسان وفاس سابعث الى الاندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أنجب الموحدين ووقال ابن خلدون بعث عبد المؤمن بعد فتح مراکش جيشا من الموحدين لنظر بدران ابن محمد المسوفي النازع الى عبد المؤمن من جهة تاشفين بن علي وعقد له على حرب الاندلس ومن بها من لمتونة والثوار وأمدّه بعسكر آخر لنظر موسى بن سعيد وبعده بعسكر آخر لنظر عمر بن صالح الصنهاجي ولما أجازوا الى الاندلس نزلوا بابي الغمر بن عزرون صاحب شريش فكان أول بلد فتحوا

من الاندلس بلد شريش خرج اليهم صاحبها أبو الغمر فيمن معه من المرابطين وبايعهم لعبد المؤمن
ودخل في طاعته فكان الموحدون يسمون أهل شريش بالسابقين الاولين وحررت أملاكهم فلم تزل
محررة سائر أيامهم فلم يكن في أملاكهم رباعة وجميع بلاد الاندلس مربعة وكان ملوك الموحدون
إذا قدم عليهم وفود الاندلس كان أول من ينادي منهم أهل شريش فكان يقال أين السابقون
فيما دخلون للسلام فإذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا فدخل غيرهم حيثئذ وكان فتح شريش فافخ
ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ثم زحف الموحدون الى لبلبة وكان بها من الثوار يوسف بن أحمد
البطروجي فبذل لهم الطاعة ثم زحفوا الى شلب ففتحوها ثم نهضوا الى باجة وبطليوس ففتحوها أيضا ثم
زحفوا الى اشبيلية فحاصروها برا وبحرا الى ان قصوها في شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة وفر من
كان بها من المرابطين الى قرمونة وقتل من أدركه القتل منهم وقتل في جملتهم عبد الله ولد القاضي أبي بكر محمد
ابن عبد الله بن العربي المعافى الملقب المشهور أصيب في هبة تلك الدخلة من غير قصد وكتب الموحدون
بالفتح الى عبد المؤمن ثم قدم عليه وفدهم بما كسب ما بين له سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ورئيس
الوفد يومئذ القاضي أبو بكر بن العربي المذكور فالفوا عبد المؤمن مشغولا بحرب محمد بن هود الماسي
فأقاموا بمراكش سنة ونصف فلم يلقوه فيها حتى كان يوم عيد الاضحى من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة
فلقوه بالمصلي فسلموا عليه سلام الجماعة ثم بعد ذلك دخلوا عليه فسلموا عليه السلام انخاص وقبلت بيعتهم
وسأل عبد المؤمن القاضي أبا بكر بن العربي عن المهدي هل كان لقيه عند الامام أبي حامد الغزالي فقال
ما لقيته ولكن سمعت به فقال له فما كان أبو حامد يقول فيه قال كان يقول ان هذا البربري لا بد أن يظهر
ثم صرف عبد المؤمن أهل اشبيلية بعد ان أجازهم وكتب لهم منشورا بتحرير أملاكهم فانصرفوا عنه
في جادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فلما أقربوا من مدينة فاس توفي الامام أبو بكر بن
العربي رحمه الله فحمل ودفن خارج باب المحروق منها بتراب القائد مظفر وقبره مزاراة الى الآن وعليه قبة
حسنة وفي هذه السنة ملك الموحدون قرطبة وكان بها يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية مقيما
لدعوة المرابطين فلما دخل الموحدون الاندلس واشتعلت نار الفتنة بحرب المرابطين انتهز الطاغية
الفرصة في بلاد الاسلام وضايق ابن غانية بقرطبة وألح على جهاته حتى زل له عن يأسه وأبده وتغلب
على اشبونة وطرطوشة والمريه وماودة وأفراغة وشنترين وشتمرية وغيرها من حصون الاندلس وطالب
ابن غانية بالزيادة على ما بذل له أو الافراج عن قرطبة فارسى ابن غانية الى بدران بن محمد أمير الموحدون
واجتماعا باستحبة وضمن له بدران أمام الخليفة عبد المؤمن على أن يتخلى له عن قرطبة وقرمونة ففعل ثم لحق
بغرناطة وبها ميمون بن بدر اللتوني في جماعة من المرابطين وأراد أن يكلمه في الدخول في طاعة الموحدون
وأن يكتنهم من غرناطة كما فعل هو بقرطبة فتوفي بغرناطة يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة
ثلاث وأربعين وخمسمائة ودفن في القصبية بآزاء قبر ياديس بن حبوس الصنهاجي وانتهز الطاغية الفرصة
في قرطبة فزحف اليها وحاصرها فجهر اليه الموحدون الذين كانوا بـاشبيلية بأبا الغمر من عزرون لجأيتها
ووصل اليه مدد يوسف البطروجي من لبلبة وبلغ الخبر عبد المؤمن فبعث اليها عسكرا من الموحدون
لنظر يحيى بن يوسف وولم ادخلها أفرج عنها الطاغية لايام من مدخله وبادر ثوار الاندلس الى يحيى بن
يغمر في طلب الامان من عبد المؤمن ثم تلاه ثوابه بمراكش فتقبلهم وصفع لهم عما سلف

وقدوم عبد المؤمن الى سلا وفادة أهل الاندلس عليه بها

لما كانت سنة خمس وأربعين وخمسمائة قدم عبد المؤمن من مراكش الى سلا فنظر في أمرها وأجرى
اليها ماء عن غميلة حتى وصل الى رباطها ولم تكن رباط الفتح يومئذ قد بنيت لان بانها حاقده بعد قوب
المنصور كما ساقى ان شاء الله وانما كان يقال رباط سلا ثم أذن عبد المؤمن لأهل الاندلس في الوفاة عليه

بـ لا فقدموا عليه في نحو خمسمائة فارس من الفقهاء والقضاة والخطباء والاشياخ والقواد قتلناهم
 الشيخ أبو حفص الممتناق والوزير الكاتب أبو جعفر ابن عطية وأشياخ الموحدين على نحو ميلين من المدينة
 فأمر عبد المؤمن بأنزالهم وأفاض عليهم سجال الأكرام وأنواع الضيافات والأنعام وبقوا على ذلك ثلاثة
 أيام ثم أذن لهم في الدخول فدخلوا عليه أول يوم من المحرم فأتى سنة ست وأربعين وخمسمائة فسلموا عليه
 وأشار الوزير ابن عطية لأهل قرطبة بالتقدم فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج فأراد أن يتكلم فدهش
 ثم وصف حال قرطبة فقال يا أمير المؤمنين إن الفتن لعنه الله قد أضاعها قتلاها أبو بكر بن الجندب بالخطبة
 البليغة فجلى في ذلك المجالس واستحسن عبد المؤمن خطبته ووصل الجميع كلال على قدره وقضى مطالبهم
 وأوصاهم بما اقتضاه الحال وأمرهم بالانصراف إلى بلادهم فأنصرفوا فرحين مغتبطين وقال ابن
 خلدون رحمه الله استدعى عبد المؤمن أهل الأندلس وهو بسلافوقدوا عليه وبايعوه جميعا وبايعه الرؤساء من
 النصارى على الانخلاع من الأمر مثل سدراتي ابن وزير صاحب باجة وياجرة ويوسف البطرورجي صاحب
 لبلة وابن عزرون صاحب شريش ورندة ومحمد بن الحجام صاحب بطليوس وعامل بن مهيب صاحب
 طليبة وتختلف ابن القديسي وأهل شارب عن هذا الجمع فكان سببا لقتله من بعد وانصرف أهل الأندلس
 إلى بلادهم ورجع عبد المؤمن إلى مراکش واستعجب النصارى فلم يزالوا يحضرونه والله تعالى أعلم

بـ غزو إفريقية وفتح مدينة بجاية

ثم بلغ عبد المؤمن اضطراب بلاد إفريقية بسبب تنازع ملوكها من بني زيري بن مناد الصنهاجيين
 واستطالة العرب عليهم بها فأجمع الراحل إلى غزوها بعد أن شاور الشيخ أبا حفص وأبا إبراهيم وغيرهما
 من المشيخة فوافقوه فخرج من مراکش أو آخر سنة ست وأربعين وخمسمائة واستخلف عليها الشيخ
 أبا حفص الممتناق وسار حتى وصل إلى سلاف أقام بها شهرين ثم نهض منها إلى سبتة مظفرا أنه يريد العبور
 إلى الأندلس بقصد الجهاد فلما وصل إلى سبتة استدعى فقهاء قرطبة وأشبيلية وأعيان الأندلس وقوادها
 فاستوضح منهم أحوال البلاد وأوصاهم بما إليه منهم من أراد ودعاهم ورجل عن سبتة مظفرا العود إلى
 مراکش وسار حتى وصل إلى القصر الكبير وهو قصر كرامة في زنجوشه وأزاح عنهم وفرق فيهم الأموال
 وأمرهم بتجديد أرواد وخرج يعترف بالاد على غير طريق فجعل مدينة فاس عن يمينه وجدال السير حتى
 خرج على وادي ملوية ثم سار إلى تلمسان فأقام بها يوما واحدا ثم خرج منها إلى السير قاصدا بجاية فطرق
 الجزائر على حين غفلة من أهلها فدخلها وأقامهم وفر صاحبها القائم بن يحيى بن العزيز إلى أبيه يحيى بجاية
 وخرج إلى عبد المؤمن الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهدية وكان الفرغ قد أخر جوه منها فقصده
 ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية فعدله إلى الجزائر وأنزله بها كالمسجون فلما طرق عبد المؤمن
 الجزائر في هذه المرة خرج إليه الحسن بن علي المذكور فصحبه ووصل إليه بيده حتى كان من أمره
 ما نذكره إن شاء الله ثم اعترضت جيوش صنهاجة عبد المؤمن بام العلو فزعمهم وصبح بجاية من الغد
 فدخلها وفر صاحبها يحيى بن العزيز الصنهاجي آخر ملوك بني حاد أصحاب القلعة فركب البصر في أسطواين
 كان أعداه لذلك واحتمل فيهما ذخيره وأمواله وعزم على السير إلى مصر ثم عدل إلى بونة فنزل على أخيه
 الحارث فانكسر عليه سوء صنيعه وأفرجه عن البلد فارتحل عنه إلى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فتحت
 له عن الأمر وفي خلال ذلك دخل الموحدون قلعة حماد عنوة وكان عبد المؤمن وجه جيشا من الموحدين
 إليها وأمر عليهم ابنه أبا محمد عبد الله فدخلوها وأضرموا النيران في مساكنها ونحوها وقتلوا بها
 ثمانية عشر ألفا وامة لآت أيدي الموحدين من الغنائم والسبي ثم جمع لهم العرب الذين هنالك من الأتبع
 وزغبة ورياح وغيرهم بسطيف فأوقعوا بهم واستلحموهم وسبوا نساءهم واكتسحوا أموالهم وأما يحيى
 ابن العزيز فإنه بايع لعبد المؤمن سنة سبع وأربعين وخمسمائة ونزل له عن قسنطينة واشترط لنفسه فوق له

عبد المؤمن ونقله الى مراکش باهله وخاصته فسكنها وأفاض عليه سجال الاحسان وأنزله منزلة رفيعة
ثم انتقل الى سلا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فسكن بقصر ابن عشرة منها الى ان مات من سنته رحمه الله
ووقد على عبد المؤمن بمراكش كبراء العرب من أهل افريقية طائعين فوصلهم ورجعوا الى
قومهم مغتبطين

فتح المرية وياسة وأبدة

كانت هذه البلاد قد استولى عليها الفرنج أيام فتنة الموحدين والمرابطين بالاندلس فلما كانت سنة ست
وأربعين وخمسمائة عبر الشيخ أبو حفص الى الاندلس بأمر عبد المؤمن في جيش كثيف من الموحدين
ومعه السيد أبو سعيد ابن أمير المؤمنين برسم الجهاد وكان بنو عبد المؤمن يسمون أبناءهم بالسادة فثاروا
المرية وضيقوا عليها بالحصار وبنى السيد أبو سعيد على محامته سوراً واستغاث نصارى المرية بالفرنس
فأغارهم محمد بن مردنيش وكان واصلاً يده بيده ووجهه معه السلطين أحد قواد الفرنج في جيش كثيف
فلم يتمكنوا من البلد ولا من محلة الموحدين لكونهم المحصنة بالسور وفرجع ابن مردنيش والسلطين بخفي
حين واقتربا فلم يجتمعا بعد ثم عهد السلطين الى ياسة وأبدة فأخلاه من النصارى الذين كانوا يخافون
عليهم ورجع عوده على يده وأما السيد أبو سعيد فانه شدد الحصار على المرية حتى نزوا على الامان بواسطة
الوزير ابن عطية وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وجه عبد المؤمن على يصلين قريب المهدي فأتى به
مكبولا من سبتة فأمر بقتله وصلبه بباب مراکش لا من رقبته عليه ثم ارتحل عبد المؤمن بعد مقتل
يصلين الى تيفل بقصد زيارة قبر المهدي فزار وفرق في أهلها أموالاً عظيمة وأمر ببناء مسجد هاتوا توسعها

قدوم عبد المؤمن الى سلا وتولية أولاده على النواحي

لما قضى عبد المؤمن أربه من تيفل ارتحل منها الى سلا فأقام بها بقية سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
ثم دخلت سنة تسع وأربعين بعد هافسابع لابنه السيد أبي عبد الله محمد بولاية العهد وأمر أن يذكر في
الخطبة بعده وكتب بذلك الى جميع الأتاق ثم عقد لابنه السيد أبي الحسن علي فاس وأعمالها
واستوزر له أبا الحاج يوسف بن سليمان وعقد لابنه السيد أبي حفص عمر على تلمسان وأعمالها واستوزر له
أبا محمد عبد الحق بن واودين واستكتب له أبا الحسن عبد الملك بن عياش وعقد لابنه السيد أبي سعيد عثمان
على سبتة وطنجة واستوزر له أبا محمد عبد الله بن سليمان وأبا عثمان سعيد بن ميمون الصنهاجي واستكتب له
أبا بكر بن طفيل القيسي وأبا بكر بن حبيش الداجي وعقد لابنه السيد أبي محمد عبد الله على بجاية وأعمالها
واستوزر له أبا سعيد يخف بن الحسن وعقد للشيخ أبي زيد بن يكيث على قرطبة وأعمالها ويقال ان قرطبة
كانت في هذا التاريخ بيد يحيى بن يغمر قاله أعلم واستقامت الاحوال لعبد المؤمن وبنوه وصفا له المغربان
والاندلس والله غالب على أمره

إيقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى أخوي المهدي والسبب في ذلك

كان عبد العزيز وعيسى أخوا المهدي من مشيخة العسكري ووجه الجيش باشيحية أيام فتحها وفادة
أهلها على عبد المؤمن بمراكش حسبما تقدم ثم ساء أثرها بها واستطالت أيديهم على أهلها واستباحوا
الدماء والأموال ثم اعتزما على التفتك بيوسف البطر ورجى صاحب ليلة فلق بيلده وأخرج الموحدين
لذين بها وحول الدعوة عنهم الى المرابطين ونشأ عن ذلك فساد كبير بالاندلس ثم لحق أخوا المهدي بالعدوة
في خبر طويل واستمر حالهما الى ان بايع عبد المؤمن لابنه محمد بولاية العهد وعقد لاختوته على العملات
والنواحي ففسدت نية عبد العزيز وعيسى بذلك مع ما كان صدر من عبد المؤمن من قتل ابن عمهما يصلين
وكا يابونه فذهب فاس وعبد المؤمن بسلا فخرج من فاس الى مراکش على طريق المعدن مضمرين للغدر

واقصل خبر خروجهما بعبد المؤمن فخرج من سلا في أثرهما متلافيا أمرهما اكش وقدم أمامه وزيره
أيا جعفر ابن عطية فسبقاه اليها وادخلها بعض الاواباش بها في شأنهما فوثبوا بعاملها أي حفص عمر بن
تافرا كين فقتلوه بمكانه من القصبه ووصل على أثرهما الوزير ابن عطية ثم عبد المؤمن على أثرهما فاطفا تلك
النائرة وتقبض عبد المؤمن على عبد العزيز وعيسى فقتلهم ما وصلهما وتبع المداخلين له ما فالحقهم بهما
وانقطع الشعب وزال الفساد

في ايقاع يحيى بن يغمور بأهل لبله واسرافه في ذلك

لما كانت سنة تسع وأربعين وخمسمائة فتح الموحدون مدينة لبله وكان المتولى لفتحها يحيى بن يغمور والى
قرطبة واشيلية حاصرها مدة ثم اقتحمها عنوة وقبض على أهلها فخرج بهم الى ظاهر المدينة وصفهم في
صعيد واحد ثم عرضهم على السيف أجمعين حتى خلص القتل منهم الى الفقيه المحدث أبي الحكم بن بطال
والفقيه الصالح أبي عامر بن الجدد وكان عددا من قتل من أهل لبله في ذلك الصعيد ثمانية آلاف وقتل
بأحوارها نحو أربعة آلاف ثم بيعت نسائهم وأبنائهم وأسلافهم فعمل ذلك اقسا ما على
عبد المؤمن وبلغه الخبر وهو عرا كس فخطه وبعث اليه عبد الله بن سليمان فجاءه معتقلا الى الحضرة
يوم عيد الفطر فألزمه بيته وبقى على ذلك مدة ثم عفا عنه وسرحه مع ابنه السيد أبي حفص الى تلمسان
ولم يصرف الى أهل لبله شيئا مما أخذ لهم واستقام أمر الاندلس ونزل ميمون بن بدران للتوفى عن غرناطة
للموحدين فلكوها وأجاز اليها السيد أبو سعيد صاحب سبته بعهد أبيه عبد المؤمن اليه بذلك ولحق
المؤمنون عرا كس

في أمر عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة

لما كانت سنة تسعين وخمسمائة أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بإصلاح المساجد وبنائها في جميع
عماله وبتغيير المنكرات ما كانت وأمر مع ذلك بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة كتب
الحديث واستنباط الاحكام منها وكتب بذلك الى جميع طلبة العلم من بلاد الاندلس والعدوة فجاءه
الله خيرا

في نقل المصنف العثماني من قرطبة الى مرا كس وبناء جامع الكتبيين به

كان بقرطبة ثم بجامعها الاعظم المشهور مصنف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ذكر ذلك
جماعة من المؤرخين منهم ابن شكوال وغيره وكان ذلك المصنف الكريم متدولا عند بني أمية وأهل
الاندلس واستمر بقرطبة الى دولة الموحدين فنقله عبد المؤمن الى مرا كس وقال ابن بشكوال في أخرج
المصنف العثماني من قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت الحادى عشر من شوال سنة
اثنيتين وخمسين وخمسمائة في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن علي وبأمره وهذا أحد المصنفين الاربعة التي
بعث بها عثمان رضى الله عنه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل من ان فيه دم عثمان
بعيد وان يكن أحد هافعله الشامى فيقال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التيجي السبتي في أما الشامى
فهو ياق عقصورة جامع بني أمية بدمشق وعائنه هنالك سنة سبع وخمسين وستمائة كما عاينت المسكى بقبة
الشراب قال فاعله الكوفي أو البصرى فيقال الخطيب ابن مرزوق في كتاب المسند الصحيح الحسن في
اختبرت الذى بالمدينة والذى نقل من الاندلس فالفيت خطهما سواء وما توهوه انه خطه بيمينه فليس
بصحيح فلم يخط عثمان واحد منها وانما جع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المذنى ونص
ما على ظهره هذا ما أجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد الله
ابن الزبير وسعيد بن العاص وذكر العدد الذى جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه من الصحابة رضى الله عنهم

على كتب المصنف اه وكان من خبر نقله الى مراکش ما ذكره ابن رشيد في رحلته عن أبي بكر يحيى
 ابن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي عن كتاب جده الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن
 طفيل المذكور قال وصل الى عبد المؤمن ابنه السيد أبو سعيد وأبو يعقوب من الاندلس وفي صحبتهم
 مصنف عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف قتل في وصوله بالاجلال
 والاعظام وبودر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر
 لكرامة ما هو معتبر لاولي الالباب وذلك ان أمير المؤمنين عبد المؤمن كان قبل ذلك بأيام قد جرى ذكره
 في خاطره وترقى مع نفسه في كيفية جلبه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم فتوقع أن يتأذى أهل
 ذلك القطر بفراقه ويسـتوحشوا لفقدان اضاءته واشراقه فوقف عن ذلك فأوصله الله اليه تحفة
 سنية وهدية هنية دون ان يكترها من البشر اكتساب أو يتقدمها استدعاء واجتلاب بل أوقع
 الله تعالى في نفوس أهل ذلك القطر من الفرح بارساله ما اطلع بالمشاهدة على صحة صدقه وعضدت
 مخايل برقه سواكب ودقه وعذ ذلك من كرامات أمير المؤمنين عبد المؤمن وسعادته ثم عزم عبد
 المؤمن على تعظيم المصنف الكريم وشرع في انتخاب كسوته واختيار حليته فحضر الصنائع المتقنين
 ممن كان بالحضرة وسائر بلاد المغرب والاندلس فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة من المهندسين
 والصوابع والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والتجارين والزواقين والرسميين والمجلدين
 وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب الى الحذاق في صناعة إلا حضر للعمل فيه
 والاشتغال بمعنى من معانيه (وبالجملة) فقد صنعت له أغشية بعضها من السندس وبعضها من الذهب
 والفضة ورصع ذلك بأنواع اليواقيت وأصناف الاحجار الغريبة النوع والشكل العديدة المثال واتخذ
 الغشاء محمل بديع عما يناسب ذلك في غرابة الصنعة وبداعة الصبغة واتخذ المحمل كرسى على شاكلته
 ثم اتخذ للجميع تابوت يمان فيه على ذلك المنوال ووصف ذلك بطول وفي خلال هذه المدة أمر
 عبد المؤمن ببناء المسجد الجامع بحضرة مراکش حرسها الله فبدي بنائه وتأسيس قبلته في العشر الاول
 من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكل في منتصف شعبان من السنة المذكورة
 على اكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأحكم البناء والتجارة وفيه من شمسيات الزجاج
 ودرجات المنبر وسياج المقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرق تمامه فكيف في هذا الامد
 اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصناع ان يتم فيه تقديره وتخطيطه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة
 الجمعة منتصف شعبان المذكور ونهض عبد المؤمن عقب ذلك لزيارة روضة المهدي بمدينة تينغل فاقام بها
 بقية شعبان ومعظم رمضان وحمل في صحبته المصنف العثماني في التابوت المذكور ومعه مصنف المهدي
 وختم القرآن العزيز في مسجد المهدي وعند ضريحه ختمات كثيرة وعاد الى مراکش ولم يزل الموحدون
 يعتنون بهذا المصنف الكريم ويحمونه في أسفارهم متبركين به كتابوت بني اسرائيل الى ان جله منهم
 السعيد وهو علي بن ادريس بن يعقوب المنصور الملقب بالعتقـيد بالله حين توجه الى تلمسان آخر سنة
 خمس وأربعين وستمائة فقتل السعيد قريبا من تلمسان ووقع النهب في الخزائن واستولت العرب وغيرهم
 على معظم العسكر ونهب المصنف في جلة ما نهب منه وعثر عليه ماولك بني عبد الواد أصحاب تلمسان فلم يزل
 في خزائنها الى ان اقتضها السلطان الاعظم أبو الحسن المريني أو آخر شهر رمضان سنة سبع وثلاثين
 وسبعمائة وحصل عنده فكان يتبرك به ويحمله في أسفاره على العادة الى ان أصيب في وقعة طريق
 وحصل في بلاد البرغال وأعمل أبو الحسن الحيلة في استخلاصه حتى وصل الى فاس سنة خمس وأربعين
 وسبعمائة على يد بعض تجار زمور واستقر في خزائنه الى ان سافر أبو الحسن سفرته المعلومة الى افريقية
 فاستولى عليها ولما كانت سنة خمس وسبعمائة ركب أبو الحسن البصر من تونس قافلا الى المغرب وذلك

في ابلان هيجان البحر ففرقت مراكيبه وهلكت نفوس تجل عن الحصر وضاعت نفائس يعز وجود مثلها
ومن جعلها المصنف العثماني فكان ذلك آخر العهد به ومما يناسب ذكره هنا المصنف العقباتي وهو
مصنف عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب وكان متداولا عند ملوكه ومتبركابه وثاني المصنفين في المنزلة عند
أهل المغرب (قال أبو عبد الله اليفري في كتاب النزهة) ان السلطان أبا العباس أحمد المنصور بالله المعروف
بالذهبي لما جد دولاية العهد لولده المأمون بمكة اليه بالقدوم من مدينة فاس فوافاه بتمام سننا وبأشر
المنصور أخذ البيعة له بنفسه وحضر الأعيان وأهل العقد والحل وأحضر المصنف لكريم الذي هو
مصنف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه قال وهو من ذخائر الخفاء وأحضر الصيغان للشيخين وقرئ
ظهير البيعة وذلك في شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ولم يزل المصنف العقباتي متداولا بين الملوك
السعديين الى ان انقرضت دولتهم وجاءت الدولة الشريفة العلوية السجلماسية فانتقل المصنف المذكور
اليها وتداولته ملوكها الى ان جاء السلطان المولى عبد الله بن اسمعيل بن الشريف رحمه الله فبعث هدية
سنية مع ركب الحاج الحرم النبوي وبعث في جملتها المصنف المذكور وقال صاحب البستان رحمه الله ولما سافر
الركب النبوي يعني سنة خمس وخمسين ومائة وألف وجه معه السلطان المولى عبد الله ثلاث وعشرين
مصفا بين كبير وصغير كلها محلاة بالذهب منبثة بالدر والياقوت ومن جملتها المصنف الكبير العقباتي
الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصنف العثماني وهو مصنف عقبة بن نافع الفهري نسخة بالقيروان من
المصنف العثماني فوق هذا المصنف بيد الاشرف الزيدانيين يتداولونه بينهم الى ان بلغ الى السلطان المولى
عبد الله المذكور ففرقه من المغرب الى المشرق ورجع الدر الى صدقه والابرز الى معدنه رحمه الله قال الشيخ
المسنوي رحمه الله وقد وقفت عليه حين أمر السلطان المولى عبد الله بتوجيهه الى الحجرة النبوية وظهر لي
ان تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظر ابعدا بينهما ووجهه معه السلطان المذكور الى حصاة بالتثنية
وسبع مائة حصاة من الياقوت المختلف الألوان الى الحجرة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة وأزكى
السلام وهذه الاخبار وان كانت متباعدة التاريخ فهي متناسبة المعنى بجعلها ههنا ليقف الناظر عليها
في محل واحد وتحصل فائدتها متناسقة والله الموفق

في نسكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها

كان الوزير أبو جعفر أحمد بن عطية من أهل مراکش وأصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية
وكان أبوه أبو أحمد بن عطية كاتباً لأمير المسلمين علي بن يوسف اللتوني ثم لابنه تاشفين من بعده وتحصل
في قبضة الموحدين فمفاعته عبد المؤمن ولما حاصر عبد المؤمن فاساً اعتمر أبو أحمد هذا على الفرار فقبض
عليه في طريقه وسبق الى عبد المؤمن فاعتذر فلم يقبل عبد المؤمن عذره وصحب الى مصر عه فقطل رحمه
الله وكان ابنه أبو جعفر صاحب الترجمة كاتباً للاحق بن علي اللتوني بمراكش فتم له عفو أمير المؤمنين
فمن ثم له من ذلك القل وخرج في جملة الشيخ أبي حفص الهنتاتي حين نهض لقتال محمد بن هود الماسي
فلما كان الفتح وكتب رسالته المتقدمة وقف عليها عبد المؤمن فاستحسنها واستكتبه لذلك ثم ارتفعت
مكاتبه عنده فاستوزره فظهر غناؤه وكفايته وجدت سيرته وإدارته وقاد العساكر وجمع الأموال وبذلها
وبعد في الدولة صيته ونال من الرتبة عند السلطان ما لم ينله أحد في دولته وتحبب الى الناس بإجال السعي
والاحسان فعمت صنائعه وفشام معروفه وكان محمود السيرة مجتهد المحاولات ناجح الماسعي سعيد المآخذ
ميسر المآرب وكانت وزارته زينة الوقت وكما لا دولة لرحمة الله ثم لما كانت سنة إحدى وخمسين
وخمسمائة وفد أشيخ اشبيلية على عبد المؤمن ورغبوا منه في ولاية بعض أبنائه عليهم فعقد لابنه السيد
أبي يعقوب عليها وبعث معه الوزير ابن عطية المذكور لباشرة الامور وإصلاح الاحوال فانغى في ذلك
الغناء الجليل ولما غاب وجهه عن الحضرة وجد حساده السبيل الى التسدير عليه والسعي به حتى

أوغروا صدر الخليفة عليه فاستوزر عبد السلام بن محمد السكوي وانبرى لمطالبة ابن عطية وجد في التماس عوراته وتشنيع سقطاته وطرحته بمجالس السلطان آيات منها

قل للامام أطال الله مدته * قولاً تبين لذي اب حقائقه
ان الزاجين قوم قد وترتهم * وطالب النصارى لم تؤمن بوائقه
والوزير الى آرائهم ميل * لذلك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم في اطفاء نارهم * فربما عاق عن أمر عوائقه
هم العدو ومن والا هم كهم * فاحذر عدوك واحذر من بصادقه
الله يعلم أني ناصح لكم * والحق أبلغ لا تخفى طرائقه

قالوا فلما وقف عبد المؤمن على هذه الايات البليغة في معناها وغر صدره على وزيره أبي جعفر وأضمره في نفسه شراً فكان ذلك من أقوى أسباب ذكيبته وقيل أفضى اليه بسر فافشاه وانتهى ذلك كله الى أبي جعفر وهو بالاندلس ففلق وجعل الانصراف الى مراکش فحب عند قدومه ثم قيد الى المسجد في اليوم بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرر واعلى ما يعلمون من أمره وما صار اليه منهم فاجاب كل بما اقتضاه هواه وأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل عطية وتوجه في أثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدي فاستصحبها بحال ثقاف وصدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة من لطائف الآداب تطماوت في سبيل التوسل بتربة امامهم المهدي عجائب فلم تجد شيئاً مع نفوذ قدر الله تعالى فيه ولا انصرف من وجهته أعادها معه قافلاً الى مراکش فلما حاذى تآكارت أنفذ الامر بقتلها بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحه هنالك فضا السبيلهما وذلك في شوال سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ومما خاطب به الوزير المذكور عبد المؤمن مستعطفاه من رسالة تعالى فيها فاعالته المنية ولم ينل الامنية وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الالهية ولم يخرس لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه فضل الانبياء على غيرهم قوله سبحانه الله تالله لو احاطت بي كل خطية ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطية حتى سخرت عن في الوجود وأنفت لآدم من السجود وقلت ان الله تعالى لم يوح في الفلك الى نوح وأبرمت لحطب نار الخليل حبلاً وبريت لقذارث وودنبلا وحططت عن يونس شجرة اليقطين وأوقدت مع هامان على الطين وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها واقتريت على العذراء لتبول فذقتها وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة وظهرت الاحزاب بالقصوى من العدو وأبغضت كل قرشي وأكرمت لاجل وحشي كل حبشي وقلت ان بيعسة السقيفة لا توجب امامة الخليفة وشهدت شفرة غلام المغيرة بن شعبه واعتنقت من حصار الدار وقتل اشعثها بشعبة وقلت تغاثوا رغبة في اليبض والاصفر وسفكوا الدماء على الثريد الاعفر وغادرت الوجه من الهامة خضيباً وناولت من قرع سنن الحسين قضييها ثم أتيت حضرة المعصوم لا ثداً وبقيراً الامام المهدي عاتذاً لقد آن لمقاتلي أن تسمع وتغفر لي هذه الخطيئات أجمع مع اني مقترف وبالذنب معترف

فغفوا أمير المؤمنين فغن لنا * بحمل قلوب هذه الخلفان

والسلام على المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب مع ابن له صغير آخره
عطفاء علينا أمير المؤمنين فقد * بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها الحج * ورحمة منك أنجي من السغن
وصادفتنا سهام كلنا غرض * وعطفة منك أوفى من الجن
هيهات للخطب أن تسطو حوادته * بن أجارته رجاءكم من المحن
من جاء عندكم يسعي على ثقة * بنصره لم يخف بطشاً من الزمن

فالتوب يطهر عند الغسل من درن * والطرف يرهص بعد الر كض في سنن
 أنتم بذلتم حياة الخلق كلهم * من دون من عليه سم لا ولا تمن
 ونحن من بعض من أحيت مكارمكم * كلة الحياتين من نفس ومن بدن
 وصية كقراخ الوراق من صفر * لم يألموا النوح في فرع ولا فتن
 قد أوجدتمهم أياد منكم سابقة * والكل لولاك لم يوجد ولم يكن
 فوق عبد المؤمن على هذه القصيدة الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وما كتب به من
 السجن أنوح على نفسي أم انتظر الصفا * فقد أن أن تنسي الذنوب وأن تنما
 فها أنا في ليل من السخط حائر * ولا أهدي حتى أرى للرضى صبا
 وامتن عبد المؤمن الشعراء بحوائج عطية فلما أسسموه ما قالوا أعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب
 الأدب معه وكان لابي جعفر أخ اسمه عطية قتل معه كما قلنا ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب
 عقيل بن عطية ومن نظم في رجل تعشق قينة كانت ورثت ما لا من مولاها فكانت تنفق عليه منه
 فلما فرغ المال ملها فقال أبو طالب
 لا تلح ان مل من حبا * فلم يكن ذلك عن ود لما رآها قد صفا ما لها * قال صفا الوجد مع الوجد
 ويروى * ان الوزير ابن عطية رحمه الله مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مرا كش فاطلت
 جارية بارعة الجمال من شبك فقال عبد المؤمن
 قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت * فقال الوزير بحيزاله * حورا ترنواي العشاق بالمقل
 فقال عبد المؤمن * كأنما لحظها في قلب عاشقها فقال الوزير سيف المويدي عبد المؤمن بن علي
 ولا خفاء ان هذه طبقة عالية رحم الله الجميع بعه

غزوا فريقية ثانيا وفتح المهدي وغيرها من الثغور

كانت بلاد فريقية بيد بني زيري بن مناد الصنهاجيين من لدن الدولة العبيدية بها وفي هذا التاريخ
 كانت دولتهم قد أشرفت على الهرم وكثر التنازع بينهم وزاحتهم الثوار من العرب وغيرهم بتلك الاقطار
 فانهز الفريخ أصحاب صقلية الفرصة فيهم وملكوا منهم عدة ثغور مثل صفاقس وسوسة وغيرها
 ثم ملكوا بعد ذلك المهدي وهي يومئذ دار ملك الحسن بن علي الصنهاجي آخر ملوك بني زيري بن مناد
 ففر الحسن عنها الى ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية فانزله بالجزائر ولما طرق عبد المؤمن ثغرا الجزائر
 في غزوته الاولى الى افريقية خرج اليه الحسن بن علي هذا وصحبه وصار في جلته فكان الحسن يقر به
 بغزوا فريقية واستبقاها من يد العدو وكان عبد المؤمن يحب ذلك ويرغب فيه الا انه كان ينتظر ابان
 الفرصة فاتفق ان فرغ صقلية أو قعوا باهل زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدي نخوميدان وقعة
 شنيعة حتى انهم قتلوا النساء والاطفال ففر جماعة منهم الى عبد المؤمن بن علي وهو بمرا كش يستغيثونه
 ويستصرونه على العدو فلما وصلوا اليه أكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس في ملوك
 الاسلام من يقصد سواه ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه وأطرق ثم رفع رأسه وقال أبشروا
 لا نصرنكم ولو بعد حين وأمر بانزالهم وأطلق لهم ألفي دينار ثم أمر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج
 اليه العسكر في السفر وكتب الى جميع نوابه في المغرب وكان قد ملك العديوتين الاندلس والمغرب
 واتسعت خطة ملكته الى قرب مدينة تونس فكتب الى من بطريقه من النواب يأمرهم بحفظ جميع
 ما يتحصل من الغلات وأن يترك الزرع في سنبلة ويخزن في مواضعه وأن يحفروا الابار في الطرق ففعلوا
 جميع ما أمرهم به وجمعوا غلات الحب ثلاث سنين ونقلوها الى المنازل التي على الطريق وطبنوا عليها
 فصارت كأنها تلال فلما كان صفر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة سار عبد المؤمن من مرا كش بقم

بلاد افريقية **وقال ابن خلدون** كان عبد المؤمن في هذه السفرة قد عزم على العبور الى الاندلس
 لما بلغه من اضطراب أحوالها واستطالة الطاغية بها فنهض يريد الجهاد واحتل بسلا فبلغه انتفاض
 افريقية وأهمه شأن النصاري بالمهدية فلما توافت العساكر بسلا استخلف الشيخ أبا حفص الهنتاقي على
 المغرب وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس ونهض يغذي السير الى افريقية واجتمع عليه من العساكر
 مائة ألف مقاتل ومن الاتباع والسوقة أمثالهم وكان هذا الجند عتداً آميلاً وبلغ من حفظه وضبطه
 أنهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة وإذا نزلوا صلبوا بأمام واحد بتكبيره واحدة لا يتخلف
 منهم أحد كائناً من كان وقدم بين يديه الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهدية وكان قد اتصل به كما قلنا
 فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة وبها
 صاحبها أحمد بن خراسان وأقبل اسطوله في البحر في سبعين شينياً وطريفة وشلندة فلما نازلها راسل أهلها
 يدعوهم الى الطاعة فامتنعوا فقاتلهم من الغدا أشد قتال ولما جئ الليل نزل سبعة عشر رجلاً من أعيان
 أهلها الى عبد المؤمن يسألونه الا مان لاهل بلدهم فاجابهم عبد المؤمن بان لهم الامان في أنفسهم وأهلهم
 وأموالهم لم يادرهم الى الطاعة وأمان عداهم من سائر أهل البلد فيؤتمنهم في أنفسهم وأهلهم وبقاسمهم
 على أموالهم وأملأهم نصفين وأن يخرج صاحب البلد هو وأهلها فاستقر الامر على ذلك وتسلم البلد
 وبعث اليهم من ينجع العساكر من الدخول عليهم وبعث أمناه ليقاسموا الناس على أموالهم وأملأهم
 وأقام أهل تونس بها على أجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم وعرض عبد المؤمن الاسلام على من بهامن
 اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن أبى قتل وأقام عليها ثلاثة أيام ثم سار الى المهدية واسطوله يحاذيه في
 البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب من السنة المذكورة وكان بالمهدية يومئذ خواص الفرنج من أولاد
 ملوكها وأبطال فرسانهم وقد أخذوا مدينة زويلة المجاورة للمهدية فدخلها عبد المؤمن وامتلاّت بالعساكر
 والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف
 اليه من صنهاجة والعرب وأهل افريقية ما يخرج عن الاحصاء وأقبلوا يقاتلون المهدية مدة أيام فلا يؤثر
 فيها الحصانها وقوة سورها وضيق محال القتال عليها لان البحر دأبها كثيراً فكانت كفي في البحر وزندها
 متصل بالبر وكانت الفرنج تخرج شجعانها الى أطراف العسكر فقتل منهم ويعودون سرعياً فأمر عبد
 المؤمن ببناء سور وغربي المدينة بمنعهم من الخروج وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن شينياً
 ومعه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وتطوف بها في البحر فهاهنا رأى من حصانها وعلم انها لا تنقح
 بقتال برا ولا بحرا وليس لها الا المطاولة وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلته من يوثق
 به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد عبد المؤمن من البحر وأمر بجمع الغلات والاقوات وترك
 القتال فلم يعض غير قليل حتى صار في المعسكر مثل الجبالين من الخنطة والشعير فكان من يصل الى
 المعسكر من بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال فيقال هي خنطة وشعير فيتجهب من ذلك وتماذى الحصار
 وفي مدة هذا الحصار استولى عبد المؤمن على طرابلس وصفاقس وسوسة وجبال نفوسة وقصور افريقية
 وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف وسير ابنه السيد أبا محمد من مكان حصاره للمهدية في جيش ففتح بلاداً
 أخرى ثم أطاعه أهل مدينة قفصة وقدم عليه صاحبها فوصله بالف دينار (وبالجملة) فانه استخلص في هذه
 المدة جميع بلاد افريقية من أيدي القاتنين بها ولما كان الثاني والعشرون من شعبان من السنة
 المذكورة جاء اسطول صاحب صقلية في مائة وخمسين شينياً غير الطرائد عمداً لاهل المهدية وكان هذا
 الاسطول قد قدم من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبأ أهلها وأسرهم وجعلهم معه فأرسل اليهم
 ملك الفرنج يأمرهم بالمسير الى المهدية ليمدوا الإخوان الذين بها فقد مروا في التاريخ المذكور فلما قاربوا
 المدينة حطوا سرعهم ليدخلوا الميناء فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على

جانب البحر فاستعظم الفرغ فخرج ماراً وامن كثرة العساكر وداخلى الرعب قلوبهم ونزل عبد المؤمن الى الارض فجعل يبرغ وجهه ويبكى ويدعو للمسلمين بالنصر واقتتلوا في البحر فانهمزمت شواني الفرغ وأعادوا القلوع وساروا وتبعهم المسلمون فأخذوا منهم سبع شواني وكان أمر أعجيباً وفتحاً غريباً وعاد اسطول المسلمين مظفر امنصور وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويثس أهل المهديّة حينئذ من النجاة ومع ذلك فقد صبروا على الحصار أربعة أشهر أخرى الى آخر ذى الحجة من السنة فقتل حينئذ من فرسان الفرغ الى عبد المؤمن عشرة وسألوا الامان لمن فيها من الفرغ على أنفسهم واموالهم ليخرجوا منها الى بلادهم وكان قوتهم قد نفق حتى أكلوا الخيل فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام ودعاهم اليه فقالوا ما جئنا لهذا وانما جئنا نطلب فضلك وترددوا اليه أياماً وكان من جملة ما استعطفوه به ان قالوا أيها الخليفة ما عسى أن تكون المهديّة ومن بها بالنسبة الى ملكك العظيم وأمرك الكبير وان أنعمت علينا كنّا أوفاء لك في أرضنا ففعلنهم وكان الفضل شيمته وأعطاهم سفنار كبوا فيها وساروا وكان الزمن شتاء ففرق أكثرهم ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية قد قال ان قتل عبد المؤمن أحسبنا بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين عندنا بجزيرة صقلية وأخذنا حرمهم واموالهم فأهلك الله الفرغ غرقا وكان مدة استيلائهم على المهديّة اثنتي عشرة سنة فدخلها عبد المؤمن صبيحة يوم عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسائة فكان يقال لهذه السنة سنة الاتحاس وأقام عبد المؤمن بالمهديّة عشرين يوماً حتى رتب أحوالها وأصلح ما انتظم من سورها ونقل اليها الذخائر والاقوات والرجال والعدد واستخلف عليها أبا عبد الله محمد بن فرج الكومي وجعل معه الحسن بن علي الصنهاجي الذي كان صاحبها وأمره أن يقتدي برأيه في أفعاله وأقطع الحسن بها أقطاعاً وأعطاه دوراً نفيسة يسكنها وكذلك فعل بأولاده وصفت أفريقية كلها عبد المؤمن ودخل أهلها في طاعته من برقة الى تلمسان ولم يبق له بها منازع ففرق فيها أعماله وقضائه وضبط ثغورها وأصلح شؤونها وثني عنائه الى المغرب أول صفر من السنة المذكورة وانقطعت عادية الفرغ عن بلاد أفريقية مدة مديدة والله تعالى أعلم

﴿توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب﴾

وفي هذه السنة أعني سنة خمس وخمسين وخمسائة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب فكسر من برقة في جهة الشرق الى بلاد تونل من السوس الاقصى في جهة الغرب بالفراخ والاميال طولاً وعرضاً ثم أسقط من التكسير الثلث في الجبال والغياض والانهار والسبخان والحزون والطرق وما بقي قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة بقسطها من الزرع والورق فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب عفا الله عنه

﴿بناء عبد المؤمن جبل طارق﴾

كان عبد المؤمن وجهه الله وهو بأفريقية قد أمر ببناء جبل الفتح وتحصينه وهو جبل طارق فبنى وشيد حصنه وكان ابتداء البناء به في تاسع ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وخمسائة المذكورة وكل بناءؤه في ذى القعدة منها

﴿بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء﴾

لما كان عبد المؤمن قافلاً من بلاد أفريقية بنى مدينة البطحاء وسبب بنائه اياها انه لما طالت بالموحدين الإقامة بالشرق والمغرب عن أوطانهم عزم طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه اذ انهم فاق شيخ من أشياخ الموحدين من اطاع على ذلك الى عبد المؤمن فأخبره الخبر وقال له دعني أبيت الليلة في موضعك وأنم على فراشك فان فعلوا ما اتفقوا عليه كنت قد قديتكم بنفسي في حق المسلمين وأجرى

في ذلك على الله وان حصلت السلامة فن الله تعالى ويكون أجرى على قدر نيتي فبات على فراشه فاستشهد في تلك الليلة فلما أصبح عبد المؤمن وصلى الصبح اقتدعه فوجده قتيلا على فراشه فأخذه وجهه بين يديه على ناقة لا يقودها أحد فسارت الناقة عينا وشمالا حتى بركت وحدها فأمر عبد المؤمن بالشيخ فأزل عنها وأخذ بزمام الناقة فأزالت عن مبركها وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة وبنى بازاء القبة جامعا ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد وترك بها عشرة أهل بيت من كل قبيل من قبائل المغرب فقبر الشيخ هنالك منارة عند أهل تلك البلاد إلى اليوم قاله في القرطاس ولما دخل عبد المؤمن إلى تلمسان في هذه الرجعة قبض على وزيره عبد السلام بن محمد الكومي فسجنه ثم سمع في جرة لين هلاك بها من ليلته

عبور عبد المؤمن إلى جبل طارق والسبب في ذلك

كان عبد المؤمن وهو باق في قبة قد بلغه ان محمد بن مردنيش الثائر بشرق الاندلس قد خرج من مرسية ونازل جيان وأطاعه واليهاء محمد بن علي الكومي ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها وغدر بمرونة وملكها ثم رجع إلى قرطبة وخرج ابن يكيث لحربه فهزمه ابن مردنيش وقتله فكتب عبد المؤمن إلى عماله بالاندلس يخبرهم بفتح افريقية عليه وانه واصل اليهم فلما نهض من تلمسان في رجعة هذه عدل إلى طنجة فدخلها في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وخمسة مائة وأقام بها إلى ان دخلت سنة ست وخمسين بعدها فغير منها إلى الاندلس ونزل بجبل طارق فأقام به شهرا ثم واستشرف منه أحوال الاندلس ووجد عليه قوادها وأشياخها فأمر بغزو غرب الاندلس فنهض إليه الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي حفص الهنتاتي من قرطبة في جيش كثيف من الموحدين ففتح حصن المرناكش من أحوال بطليوس وقتل جميع من كان به من النصاري وخرج الفتنش من طليطلة لا غائته فوجده قد فتح وصمد الموحدون لقتاله فهزمه الله وقتل من عسكره ستة آلاف وساق المسلمون السبي إلى قرطبة وأشبيلية وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس وباجة وبابورة وحصن القصر فولى عليها عبد المؤمن محمد بن علي بن الحاج وعاد إلى مراکش

قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه بمراكش والسبب في ذلك

تقدم لنا ان عبد المؤمن لم يكن من المصامدة وإنما كان من كومية إحدى بطون بني فاتن من البرابرة البتر وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط إلى ان استدعاهم عبد المؤمن إلى مراكش سنة سبع وخمسين وخمسة مائة والسبب في ذلك انه لما همت الطائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذي قد اداه بنفسه وتحقق ذلك منهم ورأى انه غريب بين أظهرهم ليس له قبيل يستند اليه ولا عشير يثق به ويعتمد عليه أو سئل في خفية إلى أشياخ كومية الذين هم قبيلته وعشيرتهم وأمرهم بالقدوم عليه وأن يركبوا كل من بلغ الحلم منهم ويأتوه في أحسن زى وأكمل عدة وسرّب اليهم الأموال والكسبي فاجتمع منهم أربعون ألف فارس ثم أقبلوا إلى عبد المؤمن وهو بمراكش برسم خدمته والقيام بين يديه ولما دخلوا أرض المغرب تشوش أهلها من قدوم هذا الجيش الخفيل من غير ان يتقدم لهم سبب ظاهر وتقول الناس الا قال بل فسار جيش كومية حتى نزلوا على وادي أم الربيع وتسامع الموحدون بأقبالهم فارتابوا منهم وعرفوا أمير المؤمنين عبد المؤمن بخبرهم فأمر عبد المؤمن الشيخ أباحفص الهنتاتي أن يخرج اليهم في جماعة من الموحدين وأشياخهم ليتعرفوا خبرهم فسار حتى لقيهم على وادي أم الربيع فقال لهم ما أنتم أسلم لنا أم حرب قالوا بل نحن سلم نحن قبيل أمير المؤمنين نحن كومية قصدنا زيارته والسلام عليه فرجع أبوحفص وأصحابه وعرف عبد المؤمن الخبر فأمر جميع الموحدين أن يخرجوا إلى إقامتهم ففعلوا واحتفلوا لذلك وكان يوم دخولهم مراكش يوما مشهودا فرتبهم عبد المؤمن في الطبقة الثانية من أهل الديوان وجعلهم بين قبيلة تيممل والقبيلة التابعة لهم وجعلهم بطانته يركبون خلف ظهره ويمشون بين يديه اذا خرج ويقومون على رأسه اذا جلس فاعتضدهم عبد المؤمن وبنوه سائر دولتهم إلى انقراضها والله

غالب على أمره

استعد عبد المؤمن للجهاد وانشأه الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته رحمه الله
 لما عهد عبد المؤمن ملك المغربين وافريقية والاندلس وطاعت له سائر الاقطار وخضعت له الرقاب في
 البوادي والامصار تفرغ لشأنه وتناقت نفسه للجهاد فعزم على غزو بلاد الفرنج برا وبحرا فأمر رحمه
 الله في هذه السنة التي هي سنة سبع وخمسين وخمسمائة بانشاء الاساطيل في جميع سواحل ممالكه
 فأنتشي له منها أربعة مائة قطعة فنهاي خلق المعصورة وهي التي تسمى اليوم المهديّة مائة وعشرون
 قطعة ومنها بطنجة وسبّعة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة ومنها بلاد افريقية ووهران ومرسى
 هنين مائة قطعة ومنها بلاد الاندلس ثمانون قطعة وتطرق في استجلاب الخيل للجهاد والاستمكثار
 من أنواع السلاح والعدد وأمر بضرب السهام في جميع محله فكان يضرب له منها في كل يوم نحو
 عشرة فئات رجدية فجمع له من ذلك ما لا يحصى كثرة في خلال هذا وقدت عليه قبيلة كومية
 كما مر ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين عبد المؤمن من مراکش قاصدا
 الاندلس برسم الجهاد وكان خروجه يوم الخميس خامس ربيع الأول من السنة المذكورة فوصل الى
 رباط سلا فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وافريقية والسوس وغير ذلك يستنفرهم الى الجهاد
 فأجابته خلق كثير واجتمع له من عساكر الموحدين والمرزقة من قبائل العرب والبربر وزناتة أزيد
 من ثلاثمائة ألف فارس من جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل فضاقت بهم الارض
 وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلامن عين غبولة الى عين نخيس الى حلق المعمورة فلما
 استوفيت لديه الحشود وتكاملت لديه الجنود والوفود كان المعنى الذي أشار اليه القائل

إذا تم أمر بدارنقصه * ترقب زوالا إذا قيل تم

فابتدأ بعبد المؤمن مرضه الذي توفي منه وتغادى به ألمه تخاف أن يفجأ الجاه فأمر بعزل ولده محمد عن
 ولاية العهد واستقام اسمه من الخطبة لما ظهر له من الجزع عن القيام بأمر الخلافة وكان ذلك يوم
 الجمعة الثاني من جادى الآخرة من السنة المذكورة وكتب بذلك الى جميع طاعته وتغادى به مرضه
 واشتد ألمه فتوفي ليلة الجمعة الثامن من جادى الآخرة من السنة المذكورة وقيل غير ذلك وحل الى
 تينل فدفن بها الى جنب قبر الامام المهدي رحمه الله فسبحان من لا يبذل ملكه ولا ينقض عزمه ونقل
 ابن خلكان في كيفية عزله الى العهد وجهها آخرا قال ناقلا من خط العماد بن جبريل ان عبد المؤمن كان
 في حياته قد عهد الى أكبر أولاده وهو محمد وبايعه الناس بعد تخليف الجند له وكتب يبيعه الى البلاد
 فلما مات عبد المؤمن لم يمت له الامر لانه كان على أمور لا يصلح معها الملكة من ادمان شرب الخمر
 واختلال الرأى وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال انه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب
 أمره واختلف الناس عليه فخلع وكانت مدّة ولايته خمسة وأربعين يوما وذلك في شعبان من سنة ثمان
 وخمسين وخمسمائة وكان الذي سعى في خلعه أخويه أبايه قوب يوسف وأبا حفص عمر ابني عبد المؤمن
 ولما تم خلعه دار الامر بين الاخوين المذكورين وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوى الرأى فتأخر
 منهم أبو حفص عمر وسلم الامر الى أخيه أبي يعقوب يوسف فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة
 والله تعالى أعلم

ببقية أخبار عبد المؤمن وسيرته

قال ابن خلكان كان عبد المؤمن عند وفاته شيخا نقي البياض قال ونقلات من تاريخ فيه سيرته
 وحليته فقال مؤلفه رأيت شيخا معتدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية شثن الكفين
 طويل القعدة واضح بياض الاسنان بخذه الايمن خال وكان رحمه الله فصيفا فقيها عالما بالاصول

والجدل والحديث مشاركا في كثير من العلوم الدينية والدنيوية ذا حزم وسياسة واقدام في الحرب ومهمات الامور سرى الهمة ميمون النقيبة لم يقصد قط بلدا لا فتحه ولا جيشا لا هزمه محبا لاهل العلم والادب مكرما لوفادتهم منفق البضاعتهم ذكر العمامة الاصبغاني في كتاب الخريدة ان الفقيه ابا عبد الله محمد بن ابي العباس التيفاشي لما أنشده

ما هز عطفيه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار عليه بأن يقتصر على هذا البيت وأمر له بالف دينار وقد تقدم ما دار بينه وبين وزيره ابن عطية من الشعر الذي تجاذباه في أمر الجارية التي أطلت من الشباك وذلك دليل على سراوة طبعه وخفة روحه رحمه الله

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي

قال ابن خلدون لما هلك عبد المؤمن أخذ السيد أبو حفص بن عبد المؤمن البيعة على الناس لآخيه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن باتفاق من الموحدین كافة ورضي من الشيخ أبي حفص المنتاقى خاصة واستقل في رتبة وزارته ووذكر القاضي أبو الحجاج يوسف بن عمر مؤرخ دولتهم أن أمير المؤمنين يوسف ابن عبد المؤمن بويع ببيعة الجماعة يوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين وخمسمائة وذلك بعد وفاة والده عبد المؤمن بستين لانه لما بويع بعد وفاة والده توقف عن بيعته ناس من أشياخ الموحدین وامتنع من بيعته أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة فكف عنهم ولم يطالبهم ببيعة وتسمى بالامير ولم يتسم بأمير المؤمنين حتى اجتمع عليه الناس (وذكر ابن مطر روح في تاريخه) انه لما مات عبد المؤمن كان ولده يوسف باشيلية فأخفى أصحابه موته وأرسلوا الى يوسف فوصل من اشيلية الى سلا في أقرب وقت فبويع بها ولم يتخلف عن بيعته الا ناس قليلون فلم يلتفت اليهم وكان أول شيء فعله بعد البيعة ان سرح الجيوش المجتمعة للجهاد الى بلادهم وقبائلهم وكتب الى البلاد بفتح السجون وتفريق الصدقات في جميع عملها وتسمى بالامير ثم ارجل الى مراکش فدخلها وأقام بها وكتب الى جميع أهل طاعته من الموحدین يطلبهم بالبيعة فأنته البيعة من جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس ما خلا قرطبة وبجاية فان ولاتهم ما وها أخواه توقفوا عن ذلك وانتشر خبر أمير المؤمنين يوسف في أقطار البلاد ودان له من بالعدوتين من العباد وفرق الاموال في القبائل والاجناد وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة قدم عليه أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة تائبين مبايعين وقدم معهما أشياخ بلديهم ما وقفوا فوصلهم أمير المؤمنين يوسف بالاموال والخلع وأحسن اليهم وفي هذه السنة نار مرزدغ الصنهاجي من صنهاجة مفتاح وضرب السكة باسمه وكتب فيها مرزدغ الغريب نصره الله عن قريب وكانت ثورته ببلاد غمارة فباعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة فافسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها خلقا كثيرا وسببا فبعث اليه أمير المؤمنين يوسف جيشا من الموحدین قتل وجل رأسه الى مراکش وفي سنة ستين وخمسمائة كانت وقعة الجلاب بالاندلس بين السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن وجيوش الفرغ مع ابن مردينش وكانت الفرغ ثلاثة عشر ألفا هزم ابن مردينش وقتل من معه من الفرغ باجمعهم وكتب السيد أبو سعيد بالفتح الى أخيه أمير المؤمنين يوسف وفي احدى وستين وخمسمائة عقد أمير المؤمنين يوسف على بجاية لآخيه السيد أبي ذكريا وعلى اشيلية للشيخ أبي عبد الله محمد بن ابراهيم ثم أдал منه بأخيه السيد أبي ابراهيم وأقر الشيخ ابا عبد الله على وزارته وعقد على قرطبة لآخيه السيد أبي اسحق وأقر السيد ابا سعيد على غرناطة ثم نظر الموحدون في وضع العلامة المكتوبة بخط الخليفة فاختروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليه بخط الامام المهدي في بعض مخاطباته فكانت علامتهم الى آخر دولتهم والله أعلم

﴿تورة سبع بن منغداد بجبال غمارة﴾

﴿وفي سنة احدى وستين وخمسمائة﴾ ثار سبع بن منغداد وسماه ابن أبي زرع يوسف بن منغداد بجبل تيزيران من بلاد غمارة وعظمت الفتنة في قبائلها وجاذبهم فيها جيرانهم من صنهاجة فبعث اليهم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن عساكر الموحدون الى نظر الشيخ أبي حفص الهنتاني ثم تعاطفت فتنة غمارة وصنهاجة فخرج اليهم أمير المؤمنين بنفسه وأوقع بهم واستأصلهم وقتل سبع بن منغداد وجل رأسه الى مراکش وانحسروا وهدموا وعقد يوسف لآخيه السيد أبي علي الحسن على سبته وسائر بلادهم ﴿وفي سنة ثلاث وستين﴾ اجتمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف بن عبد المؤمن واللقب بأمر المؤمنين وذلك في جمادى الآخرة منها وخطب العرب بأفريقية يستدعيهم الى الغزو ويحرضهم وكتب اليهم في ذلك بقصيدة ورسالة مشهورة بين الناس فكان من احتفالهم ووفودهم عليه ما هو معروف ﴿وفي سنة أربع وستين بعدها﴾ وفد عليه أهل الامصار من افريقية والمغرب والاندلس القضاء والفقهاء والخطباء والشعراء والاشيخ والاعيان برسم التهنئة والمطالعة بأحوال بلادهم فوصلت الوفود الى مراکش فدخلوا عليه وهنؤه بالخطب لافه ووصل الجميع كل على قدره وأوصاهم بما اقتضاه الحال وكتب لهم الظهار بعطائهم واصلاح شؤونهم وانصرفوا شاكرين ﴿وفي هذه السنة﴾ أيضاً بعث أمير المؤمنين الشيخ أبي حفص الهنتاني في جيوش الموحدون الى الاندلس لاستنقاذ بطلينوس من حصار العدو واحتفل أمير المؤمنين في ذلك فلما انتهوا الى اشبيلية بلغه ان الموحدون وأهل بطلينوس هزموا العدو وأسروا قائد جيشه فسار الشيخ أبو حفص الى قرطبة ﴿وفي سنة خمس وستين بعدها﴾ وجه يوسف بن عبد المؤمن أخاه السيد أبي حفص الى الاندلس برسم الجهاد فعبر البحر من قصر المجاز الى طريف في عشرين ألفاً من الموحدون والمتطوعة فدخول بلاد العدو وبعث السيد أبو حفص أخاه السيد أبي سعيد الى بطلينوس فعقد الصلح مع الطاغية ابن اذفونش وهو يومئذ أعظم ملوك فرنج الجزيرة وانصرف ونهضوا جميعاً الى مرسية ومعهم ابراهيم بن هشك كان من قواد ابن مردنيش فترع عنه الى الموحدون فحاصروا ابن مردنيش الثائر بمرسية وأعمالها واستولوا على أكثر بلادها واتصل الخبر بالخليفة عمرا كس وقذف الى الجهاد ﴿وفي سنة ست وستين﴾ أمر أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ببناء قنطرة تانسيغت وكان الشروع في بنائها يوم الاحد ثالث صفر من السنة المذكورة

﴿الجواز الاول لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس بقصد الجهاد﴾

لما اتصل بأمر المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما اتفق لشقيقه السيد أبي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنيش وظهور المسلمين على عدوهم بها وكان بعض ملوك الفرنج بهم الميزاوا يشغبون على المسلمين بالغارات على أطراف بلادهم تاقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد اصلاح حالها وجهاد العدو بها وقد توافقت لديه وهو عمرا كس جوع العرب من افريقية صحبة السيد أبي زكريا صاحب بجاية والسيد أبي عمران صاحب تلمسان وكان يوم قدومهم عليه يوماً مشهوداً فاعترضهم وسائر عساكرهم ونهض الى الاندلس في مائة ألف من العرب والموحدون واستخلف على مراکش أخاه السيد أبي عمران فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين وخمسمائة ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية ولقيه السيد أبو حفص هنالك فأنصرفا من بعض غزواته ولما نزل أمير المؤمنين يوسف بأشبيلية خافه محمد بن مردنيش وجل على قلبه فرض ومات وقيل ان أمه سمته لانه كان قد أساء الى خواصه وكبراء دولته فتصحه فتهتدها وخافت بطشه فسمته ولما مات محمد بن مردنيش جاء أولاده وأخوته الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو بأشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لايهم فأحسن اليهم أمير المؤمنين وتزوج أخته وأصبحوا عنده في أعز منزلة وصنع في وليتها مهر جانا عظيماً يقصر الوصف عنه

عنه ولم اصفت لامير المؤمنين يوسف الاندلس خرج من اشبيلية غازيا بلاد العدو وقتل على مدينة له
تسمى وبدة فقام محاصرا لها شهورا الى ان اشتد عليهم الحصار وعطشوا فراسلوه في تسليم المدينة
وان يعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع من ذلك فلما اشتد عليهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لفظ
عظيم وأصوات هائلة وذلك انهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى بخاءهم مطر عظيم ملاء ما كان عندهم
من الصبار فيجفون وتقفوا على المسلمين فانصرف عنهم الى اشبيلية بعد ان هادنهم مدة سبع سنين
فليعتبر الواقف على هذه القضية وليعلم ان هؤلاء كفار جاحدون ينسبون الى الله تعالى ما لا يليق به من
التلذذ وأنواع الكفر ومع ذلك لما انقطع رجائهم ورجعوا اليه ته الى بالاضطرار الصادق رجهم سبحانه
وهو أرحم الراحمين فلا ينبغي بعد هذا اللؤم الموحد اذا حصل في شدة ان يياس من رحمة الله فانه لا يياس
من روح الله الا القوم الكافرون والسرفى الاضطرار فانه عند أبواب البصائر هو اسم الله الاعظم الذي
اذا عي به أجاب واذا سئل به أعطى اللهم اجعلنا يا مولانا عندك من المرحومين واجعل كل من يرجنا
عندك من المرحومين فانت أهل ذلك والقادر عليه ثم بلغ أمير المؤمنين خروج العدو الى أرض المسلمين
مع القوم من الاحدب فخرج اليهم وأوقع بهم بناحية قلعة رباح وأتخن فيهم ورجع الى اشبيلية وفي هذه
السنة أعني سنة سبع وستين وخمسة مائة شرع أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن في بناء جامع اشبيلية فتم
وصايت به الجمعة في ذي الحجة منها وفي هذه السنة أيضا عقد أمير المؤمنين الجسر على وادي اشبيلية
بالقوارب وبني قصبته الداخلية وبني الزلايق السور وبني سور باب جوهر وبني الرصيفان المنسدرجة
بضغى الوادي وجلب الماء من قلعة جابر حتى أدخله اشبيلية وأنفق في ذلك أموالا لا تحصى ثم انتقض
ابن اذقونس وأغار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة وسرح السيد أبا حفص اليه فغزاه بعقد داره واقتح
قنصرة بالسيف وهزم جوعه في كل جهة ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية راجعا الى مراکش سنة احدى
وسبعين وخمس سنين من اجازته الى الاندلس وعقد على قرطبة لآخيه أبي الحسن وعلى اشبيلية لآخيه
أبي علي وأصاب مراکش طاعون فهلك من السادة أبو عمران وأبو سعيد وأبو زكريا وقدم الشيخ
أبو حفص الهنتاقي من قرطبة فهلك في طريقه ودفن بمدينة سلا وهو جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس
وأفريقية واستدعى الخليفة أخويه السيدين أبا علي وأبا الحسن فعقد لآبي علي على سجلماسة ورجع
أبو الحسن الى قرطبة وعقد لآبي أخيه السيد أبي حفص لآبي زيد منه ما على غرناطة ولآبي محمد على
مالقة وفي سنة ثلاث وسبعين سطا بذرية بني جامع وزرائه وغربهم الى ماردة وفي سنة خمس
وسبعين وخمسة مائة عقد القائم بن محمد بن مردنيش على اسطوله واغزاه مدينة اشبونة فغنم ورجع
وفيها كانت وفاة أخيه الوزير السيد أبي حفص بن عبد المؤمن بعدما أبلى في الجهاد وبالغ في تكايد العدو
وقدم ابنائه من الاندلس فأحبر الخليفة بانتفاض الطاغية واعترم على الجهاد وأخذ في استدعاء العرب
من افريقية والله تعالى أعلم

غزو أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد افريقية وفتح مدينة قفصة والسبب في ذلك

كانت قفصة من بلاد افريقية قد استتبها ابنو الرند أو آخر دولة صنهاجة من بني زيري بن مناد كان جدهم
عبد الله بن محمد بن الرند عاملا لهم بهم اقتوار ثم ابنوه من بعده فاستبدوا بهم آخر الدولة ولما غزا عبد المؤمن
بلاد افريقية استنزلهم في جلة من اسكنهم من الثوار بها ولما مات عبد المؤمن وبويع ابنه يوسف بلغه
سنة أربع وسبعين وخمسة مائة ان بعض بني الرند قد عاد الى قفصة وثار بها فاضطربت لاجل ذلك
أحوالها فحضر اليها في سنة خمس وسبعين بعد هافانتى الى افريقية ونزل على مدينة قفصة وضيق
عليها بالقتال والحصار حتى دخلها وظفر باب الرند القائم بها فقتله وذلك في سنة ست وسبعين وخمسة مائة
ثم عاد الى مراکش فدخلها في سنة سبع وسبعين بعد هافانتى في القرطاس ونحوه لابن خلدون في أخبار

بنى عبد المؤمن وذكروا عند الكلام على بنى الرند وجهها آخر فقال كان عبد المؤمن قدولى على قصبة عمران
ابن موسى الصنهاجى فأساء الى الرعية فبعثوا عن على بن العزيز بن المعتر الرندى من بجاية وكان بها
في مضيفة يحترف بالخياطة فقدم عليه ثم وثاروا بعمران بن موسى عامل الموحدين فقتلوه وقدموا ماله
على بن العزيز فساس ماله وحاط رعيته وأغزاه يوسف بن عبد المؤمن سنة ثلاث وستين وخمسمائة أخاه
السيد أباز كريا فحاصره وضيق عليه وأخذته وأشخصه الى مراکش باهله وماله واستعمله على
الاشغال بمدينة سلا الى ان هلك بها وقضيت دولة بنى الرند والبقاء لله وحده اه كلامه قاله أعلم أى ذلك كان
في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين يوسف من مراکش لبناء حصن از كنندر
فبناءه على المعدن الذى ظهر هنالك

الجواز الثانى لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس برسم الجهاد
وما يتصل بذلك من وفاته رحمه الله

لما قدم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من فتح قصبة سنة سبع وسبعين وخمسمائة قدم عليه ولاية
الاندلس ورؤساؤها بنونه بالاياب فأكرم وفادتهم وانصرفوا ثم بلغه الخبر بان اذفونش بن سانجة نازل
قرطبة وشنق الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ثم نزل استجة وتغلب على حصن شقيلة وأسكن به
القصارى وانصرف فاستنفر السيد أبو اسحق سائر الناس للغزو ونازل الحصن نحو من أربعين يوما
ثم بلغه خروج اذفونش من طليطلة بعدده فأنكفأ راجعا وخرج محمد بن يوسف بن وانودين من اشبيلية في
جوع الموحدين ونازل طليطلة فبرز اليه أهلها فأوقع بهم وانصرف بالغنائم فاعتزم الخليفة يوسف بن عبد
المؤمن على معاودة الجهاد وولى على الاندلس أمناه وقدمهم لاحتشاده فدل ابنه السيد أبي زيد على
غرناطة ولابنه السيد أبي عبد الله على مرسية ونهض سنة تسع وسبعين وخمسمائة في جوف القرطاس
كان خرج من مراکش في التاريخ المذكور على باب دكالة قال برسم غزو افريقية فلما وصل الى
سلا أتاه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جامع من افريقية فأعلمه بدورها وسكونها فصرف عزمه الى
الاندلس فنهض من سلا نحو يوم الجمعة الموالى له فوصل الى مكاسة يوم الاربعاء السادس من ذى
الحجة فعيدها عيد الاضحى خارجها ثم ارتحل الى فاس فدخلها وأقام بها بقية الشهر ثم دخلت سنة ثمانين
وخمسمائة في اليوم الرابع بها نهض من فاس وسار حتى انتهى الى سبتة فأقام بها بقية شهر المحرم وأمر
الناس بالجواز الى الاندلس فحازت قبائل العرب أولا ثم قبائل زناتة ثم المصامدة ثم مغراوة وصنهاجة
واوربة وأصناف البربر ثم عبرت جيوش الموحدين والاغزاز والمامة فلما استكمل الناس الجواز عبره
في آخرهم في الحاشية والعبيد وكان جوازه يوم الخميس خامس صفر من السنة المذكورة فنزل بجبل
الفتح ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ثم سار الى اشبيلية فلما أشرف عليها يوم الجمعة الثالث والعشرين
من صفر خرج اليه ولده السيد أبو اسحق ومعه فقهاء اشبيلية وأشياخها فبعث اليهم يأمرهم بالوقوف
بالنحر المنية حتى يصل اليهم فلما صلى الظهر وركب اجتاز بهم فلما دنوا منهم نزلوا عن دوابهم فوقف لهم
حتى سلوا عن آخرهم وركبوا ثم نهض الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الاندلس فانتفى اليها في
السابع من ربيع الاول فنزل عليها وأدار به الجيوش وشدد عليها في الحصار والقتال وبذل المجهود الى
ليلة الثاني والعشرين من ربيع المذكور فانتقل من موضع نزوله بجوف شنترين الى غريبها فأنكر
المسلمون ذلك ولم يعلموا له سببا فلما جئ الليل وصل الى العشاء الاخرة بعث الى ولده السيد أبي اسحق
صاحب اشبيلية فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة لغزو اشبونة وشن الغارات على أنحائها وأن يسير اليها
في جيوش الاندلس خاصة وأن يكون رحيه له ثم أرفأ ساء الفهم وظن أنه أمره بالرحيل الى لا وصرخ

الشیطان في محلة المسلمين ان أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل في هذه الليلة وتحدث الناس بذلك وتأهبوا له ورحلت طائفة منهم بالليل ولما كان قرب الفجر أفلح السيد أبو إسحق وأفلح من كان مواليه وتتابع الناس بالرحيل وتسبقوا الاختيار المنازل وأمير المؤمنين مقيم في مكانه لا علم له بذلك فلما أصبح وصلى الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله من أهل المحلات أحدا الا يسيرا من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لتزوله والاقواد الاندلس فانهم الذين كانوا يسرون أمام ساقته وخلف محلته من أجل من يتخلف عنهم من الضعفاء فلما طاعت الشمس وتطلع النصارى المحصورون على المحلة من سور البلد ورأوا أمير المؤمنين منفردا في عبيده وحشمه وتحققوا ذلك من جواسيسهم فتخروا البلد وخرج جميع من فيه نرجة منكورة وهم ينادون اري اري أى اقصدوا السلطان فضرىوا في محلة العبيد الى ان وصلوا الى أخبية أمير المؤمنين فزقوها واقتحموها فبرز اليهم وقاتلهم بسيفه حتى قتل ستة منهم ثم طعنوه طعنة نافذة وقتل عليه ثلاث من جواريه كن قدأ كبن عليه ولما طعن وقع بالارض وتمسك بالعبيد ونادوا بالفرسان والاجناد فترجع المسلمون وقاتلوا النصارى حتى أراحوهم عن الأخبية واشتد القتال بينهم وتوافقوا ساعة ثم انهم الفرغ وركبهم المسلمون بالسيف حتى أدخلواهم المدينة وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة آلاف واستشهد من المسلمين جماعة وركب أمير المؤمنين يوسف وقد أنقذته الطعنة وارتحل الناس ولا يدرون أين ثم اهتمدوا بالطبول فقصدا واجهة اشبيلية ثم سار أمير المؤمنين يريد العبور الى المغرب فاستدأ له ومات بالطريق رحمه الله قاله ابن مطروح وكانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وخمس مائة قرب الجزيرة الخضراء فحمل الى تينمل فدفن بها الى جنب قبر أبيه وقيل انه لم يميت حتى وصل الى مراکش وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذي يدخل على أبيه ويخرج ويصرف الامور بين يديه من يوم طعن الى ان مات قالوا وكم ولده وموته حتى وصل الى مدينة سلا فافشاء وكان قبل موته بأشهر كثيرا ما ينشد قول الشاعر ويردده
طوى الجديدان ما قد كنت أنشره * وأنكرتني ذوات الاعين النجل

ورثاه الاديب أبو بكر يحيى بن مجير بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها
جل الأسى فأسل دم الاجفان * ماء الشؤون لغير هذا الشأن

بقية أخبار أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته

قال ابن خلكان كان يوسف بن عبد المؤمن أبيض تعلوه حرة شديدة سود الشعر مستدير الوجه أفوه أعين الى الطول ماهو في صوته جهارة رقيق حواشي الطبع حلو اللفاظ حسن الحديث طيب المجالسة أعرف الناس كيف تكلمت العرب وأحفظهم لا يامها في الجاهلية والاسلام صرف عنايته الى ذلك واتى فضلاء اشبيلية أيام ولايته بها وكان فقيها حاذقا متقنا لان أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والمعارف فنشأ في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان وفي قراءة العلمين أفاضل العلماء وكان ميلا الى الحكمة والفلسفة أكثر من ميلا الى الادب وبقية العلوم ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة صالحة من الفقه ثم طمع الى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيئا كثيرا وكان ممن حبه من العلماء بهذا الشأن الوزير أبو بكر محمد بن طفيل كان متحققا بجميع أجزاء الحكمة قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة وغيره وابن طفيل هذا تصانيف كثيرة وكان يوسف بن عبد المؤمن حريصا على الجمع بين علمي الشريعة والحكمة ولم يزل يجمع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ومن جملتهم القاضي أبو الوالي محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المعروف بالحفيد وكان يوسف بن عبد المؤمن شديد الملوكة بعيدا للهمة جماعا مناعا ضابطا للخراج مملكتها عارفا بسياسة رعيته وكان مخلصا

جواد افي محل الصناء والجود قد استغنى الناس في أيامه وكان من ضبطه وسياسة ته رجما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام قد قوض الامور اليه لم لما علم من صلاحه وم أهليته لم لذلك قال ابن خلد كان والد النانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه * ومما يستطرف من أخبار روجه الله ان الاديب أبا العباس أحمد بن عبد السلام الكرواني وكروان قبيلة من البربر منازلهم بضواحي فاس كان نهاية في حفظ الاشعار القديمة والحديثة وتقدم في هذا الشأن وله فيه تأليف وكان مع ذلك صاحب نوادر جالس بها عبد المؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب فن نوادره أنه حضر يوما الى باب أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن المذكور وحضر اليه أيضا الطبيب سعيد الغماري فقال أمير المؤمنين لبعض خدمه انظر من بالباب من الاصحاب فخرج الخادم ثم عاد اليه فقال ياسيدي به أحد الكرواني وسعيد الغماري فقال أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من عجائب الدنيا شاعر من كروان وطبيب من غمارة فبلغ ذلك الكرواني فقال وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أعجب منه ما والله خليفة من كومية فيقال ان أمير المؤمنين يوسف لما بلغه ذلك قال أعاقبه بالحلم عنه ففيه تكذيب له ومن شعر الكرواني من جملة قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين يوسف المذكور وهو يمدح ان الامام هو الطبيب وقد شفا * عال البرايا ظاهرا ودخيلة جل البسيطة وهي تحمل شخصه * كالروح وجد حاملا محمولا

الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي

قال ابن خلدون لما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على حصن شترين في التاريخ المتقدم بوج ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة واستوزر الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص المهنائي واستتفر الناس للغزو مع أخيه السيد يحيى فاستولى على بعض الحصون وأنصن في بلاد الكفار ثم أجاز البحر الى الحضرة ولقيه بقصر مصمودة السيد أبو زكريا ابن السيد أبي حفص قادم من تلمسان مع مشيخة بني زغبة من عرب هلال ومضى الى مراکش فغير المناكر وبسط العدل ونشر الاحكام اه وفيه نوع مخالفة لما قدمناه وقال ابن أبي زرع لما تمت له البيعة وطاعت له الامة كان أول شيء فعله ان أخرج مائة ألف دينار ذهباً من بيت المال ففرقه في الضعفاء من بيوتات المغرب وكتب الى جميع بلاد المغرب بتسريح السجون ورد المظالم التي ظلمها العمال في أيام أبيه وأكرم الفقهاء ورأى الصلحاء وأهل الفضل وأجرى على أكثرهم الانفاق من بيت المال وفرق في الموحدين وسائر الاجناد أموالا جمة وكان أول شيء حدث في دولته شأن بني غانية المسوفيين اصحاب جزيرة ميورقة وأعمالها فلتأت بشئ من ذلك

خروج علي بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية على يعقوب المنصور

قد تقدم لنا في أخبار الدولة اللتونية ان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين اللتوني كان قد استعمل على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس وهي ميورقة ومنورقة ويابسة محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية وهي أهم قناراتهم ابنتوه من بعده الى أيام يوسف بن عبد المؤمن فبعث اليه محمد بن اسحق ابن محمد المسوفي المذكور بالطاعة فقبل ذلك يوسف بن عبد المؤمن وبعث اليه قائده علي بن الروبرتير ليخبر برأيه ويعقد له البيعة عليه ويؤكد الامر في ذلك وكان لمحمد بن اسحق المذكور عدة اخوة يساهمون في الرياسة فلما انتهت اليهم ابن الروبرتير وعلموا الامر الذي قدم لاجله أنكروا على أخيه ذلك لانه لم يكن أعلمهم بمكاتبة يوسف بن عبد المؤمن فخاصوا نجيادونه وتقبضوا عليه وعلي ابن الروبرتير وقد موامكانه أخاهم علي بن اسحق بن محمد ثم بلغه من خبر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب

المنصور فرسك ب علي بن اسحق اسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من أهلها وعليها يومئذ السيد
أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن وكان خارجا في بعض مذهبهم فاستولى عليها ابن غانية في صفر سنة
أحدى وثمانين وخمسمائة وهو يحيى بن أبي زرع في أتيلاء ابن غانية على بجاية وجها آخر قال دخل
المبورقي وهو علي بن اسحق المذكور مدينة بجاية يوم الجمعة السادس من شعبان سنة ثمانين وخمسمائة
والناس في صلاة الجمعة وكانت أبواب المدن قبل ذلك لا تفتح وقت صلاة الجمعة فارتقب ابن غانية الناس
حتى أحرموا صلاة الجمعة ثم اقتحم عليهم المدينة وعهد إلى الجامع الأعظم وأدار به الخيل والرجل فن بايعه
خليل سبيله ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه قال وأقام بهم اسبعة أشهر ثم استرجعت من يده قال ومن ذلك
اليوم اتخذ الناس غياق أبواب المدن يوم الجمعة وقت الصلاة والله أعلم ثم استولى علي بن اسحق على الجزائر
ثم على مازونة ثم على ملية ثم على القلعة ثم نازل قسنطينة فامتنعت عليه واتصل الخبر بالمنصور فسر
السيد أبا زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وعقد له على حرب ابن غانية وعقد لمحمد بن ابراهيم بن جامع على
الاساطيل وإلى نظره أبو محمد بن عطوش وأحد المقلبي فوصل السيد أبو زيد إلى افريقية وشرى ابن غانية
عنها إلى الصمراء في أخبار طويلة ثم عاد ابن غانية إلى الجلاب على بلاد افريقية وظاهره على ذلك قراقوش
الغزي من موالى السيد سلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الكردي صاحب مصر وكان قد تغلب على
طرابلس وما والاها وبلغ المنصور أن ابن غانية قد استولى على قفصة فنهض بنفسه من حضرة مراکش
ثالث شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ووصل إلى فاس فأراح بها ثم سار إلى رباط تازا ثم سار على
التعبية إلى تونس وجع ابن غانية من إليه من الممّنين والعرب وجاء معه قراقوش الغزي صاحب طرابلس
فسرح إليهم المنصور مقدمة من جيشه انظر السيد أبي يوسف يعقوب ابن السيد أبي حفص عمر
ابن عبد المؤمن فبقية ابن غانية في جوعه فانتصر عليهم وانهمز الموحدون وقتل جماعة من وجوههم
وأسر على بن الروبرتي في آخرين وامتلات أيدي العرب من أناتهم وأسلاهم ووصل سرعان الناس إلى
المنصور وهو بتونس فنهض إليهم في الحال ونزل القيروان ثم أغذ السيرة إلى الحمامة فالتقى الجمعان
وأنشبو الحرب فكانت الهزيمة على ابن غانية وأخزاه وأفلت من المعركة بذمائه نفسه ومعه خليله قراقوش
وأتى القتل على أكثرهم ثم صبح المنصور مدينة قابس وكانت في يد قراقوش فاقتحها ونقل من كان بها
من حرم ابن غانية وذويه في البحر إلى تونس وثنى العنان إلى توزر فاقتحها وقتل من وجد بها ثم إلى قفصة
فنازلها أياما حتى نزلوا على حكمه فقتل من كان بها من الحشود وهدم سورها واستبقى أهلها وجعل
أملاكهم بأيديهم على حكم المساقاة ولما فرغ من أمر قفصة نهض إلى عرب افريقية فقتلهم واستباح
حللهم وأموالهم وشردهم في كل وجه ثم بعد ذلك جاؤه تائبين خاضعين فنقل أهل القفصة والخلاف منهم
إلى المغرب الأقصى ورجع إلى مراکش فدخلها في رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة

الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم إلى أرض افريقية ثم منها إلى المغرب الأقصى والسبب في ذلك

اعلم ان أرض افريقية والمغرب لم تكن للعرب بوطن في الايام السالفة لافي الجاهلية ولا في صدر الاسلام
واغما كان المغرب وطن الامّة البربر خاصة لا يشاركهم فيه غيرهم ولما جاءت الملة الاسلامية وأظهرها الله
على الدين كله زحفت جيوش المسلمين من العرب إلى أرض المغرب في جملة ما زحفت إليه من أقطار
الأرض لكن العرب الداخلون إلى المغرب في ذلك العصر انما كانوا يدخلون إليه غزاة مجاهدين على
ظهروا وحيولهم فيقضون الوطرن فتح الاقطار والامصار ثم ينقلب جهورهم إلى وطنهم ومقرهم
من جزيرة العرب وان بقي القليل منهم به فأنما كانوا يستوطنون منه الامصار دون البادية ويسكنون
القصور دون الخيام فلم تكن العرب تسكن المغرب ثم نذبت قبائلهم وخيامهم ولا استوطنوه باحيائهم
وحللهم كما هو شأنهم اليوم لان الملك الذي حصل لهم والغلب الذي مكنتهم الله منه كان يمنعهم من سكني

البادية ويعدل بهم الى الحاضرة ولا بد فكانت الخيمة بارض المغرب مع مدومة رأساً أو قليلة جداً البعض
البربر ممن كان يتخذها منهم وهم قليل وانما كان يسكن الجهور منهم بالمداشر وكهوف الجبال واستقر
الحال على ذلك الى أواسط المائة الخامسة فدخلت العرب أرض افريقية واستوطنوها بحلالهم ونخيامهم
ثم لما كانت أواسط المائة السادسة في دولة يعقوب المنصور روجه الله نقل الكثير منهم الى المغرب الأقصى
فأسستوطنوه بحلالهم ونخيامهم كذلك وصارت أرض المغرب منقسمة بين أمة العرب أهل اللسان
العربي وأمة البربر أهل اللسان البربري بعد ان كانت بلاده خاصة بالبربر لا يشاركون فيها غيرهم كما قلنا
وواعلم ان أمة العرب تنقسم أولاً الى قسمين عدنان وقحطان ثم ينقسم كل من عدنان وقحطان الى
شعبين عظيمين فاما عدنان وهم الاسماعيلية ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فينقسمون
الى ربيعة ومضر وأما قحطان وهم اليمانية ذرية قحطان بن عابر بن شالخ بن ارنخش ذنب سام بن نوح
عليه السلام فينقسمون الى جبر وكهلان وهذا هو المعروف المشهور من نسب الفريقين وقد يذكر
النسابةون لكل منهم ما شئوا بآخر كما لم نعتبرها اما لانقرضها أو لقوة الخلاف فيها أو لقلتها جداً
واندراجها فيمن ذكرناه ثم ينشعب كل من هذه الشعوب الاربعة الى قبائل وعشائر وبطون وأنفاذ
وفصائل لا حصر لها لكننا ننبه على الغرض المقصود منها فنقول من جملة قبائل مضر بنوسليم بن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ومن قبائلها أيضاً بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن
ابن منصور المذكور في النسب السابق وقد نسبت الخنساء جشم هذا الى جده فقالت تم جودريدين
الصحة معاذ الله ينكحني حبركي * قصير الشبر من جشم بن بكر

ومن قبائلها أيضاً بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر المذكور أيضاً ومن جملة قبائل
كهلان القحطانيين بنو الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن جاد بن مذج بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب
ابن زيد بن كهلان وكهلان هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (واعلم) ان هؤلاء القبائل الاربعة
اتت ذكرنا هاهي التي ذكر المؤرخون انها انتقلت الى افريقية والمغرب وقد يضاف اليهم غيرهم من
قبائل العرب لكنهم ليسوا بعشيرة كالأربعة المذكورة **وَأَمَّا** خبر دخولهم الى المغرب والسبب
فيه فقد ذكر المؤرخون ان بني سليم بن منصور وبني هلال بن عامر لم يزلوا يجزيرة العرب برهة من الدهر
الى ان مضى الصدر من دولة بني العباس وكانوا أحياء ناجعة بارض الحجاز ونجد فبنو سليم على المدينة
المنورة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ثم تحيز بنوسليم والكثير من هلال بن عامر الى البحرين
وعمان وصار واجند القرامطة ثم غلب القرامطة على بلاد الشام وظاهرهم على ذلك بنوسليم وبنو هلال
ثم انتقلت دولة العبيديين من افريقية الى مصر وغلبوا القرامطة على الشام وانتزعوه منهم وردوهم على
أعقابهم الى البحرين ونقلوا أشياعهم من بني سليم وبني هلال فانزلوهم بصعيد مصر في العدو الشرقية من
بحر النيل فأقاموا هنالك وكان لهم أضرار بالبلاد ولما انتقلت الدولة العبيدية من افريقية الى مصر
كما قلنا استنابوا على افريقية بنو زيري بن مناد الصنهاجيين فلكوها وكانوا يخطبون بملوك العبيديين
على منابرهم ويضربون السكة بأسمائهم ويؤدون اليهم آتاة معلومة وطاعة معروفة ولما انساق ملك
افريقية الى المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي كان له رغبة في مذهب أهل
السنة خالف فيه أسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة وكان الخليفة من العبيديين بمصر يومئذ
المستنصر بالله معز بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله والمعز هذا هو الذي انتقل الى مصر
وبني مدينة القاهرة وكان المعز بن باديس الصنهاجي لا تزال المراسلات والهدايا تختلف بينهما وبين
المستنصر العبيدي صاحب مصر كما كانت أسلافهما ثم ان المعز بن باديس ركب ذات يوم لبعض مذهبهم
وذلك في أول ولايته فكباه فرسه فنادى مستغيثاً بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فسمعت العامة

وكان جمهورهم سنية فناروا بالرافضة وقتلواهم أبرح قتل وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الإيمان
 وقطعوا من الأذان حتى على خير العمل وكانت هذه الواقعة في أيام الظاهر العبيدي والد المستنصر
 فكاتب المعز بن باديس في ذلك فاعة ذر إليه بالعامة فاغضى عنه واستقر ابن باديس على إقامة الدعوة
 لهم والمهاداة معهم وهو في أثناء ذلك يكتب وزيرهم القائم بأمور دولتهم أبا القاسم علي بن أحمد
 الجرجاني ويستقبله ويعرض بيني عبيد وشيعتهم ويغض منهم ثم هلك الوزير أبو القاسم سنة ست وثلاثين
 وأربع مائة وولي الوزارة بعده أبو محمد الحسن بن علي اليازوري أصله من قرى فلسطين وكان أبوه فلاحا
 بها فلما ولي الوزارة خاطبه المعز بن باديس دون ما كان يخاطب به من قبله من الوزراء كان يقول في كتابه
 إليهم عبيدكم وصار يقول في كتاب اليازوري صنيعةكم فخذ ذلك عليه وصارت القوارص تسري من
 بعضهم إلى بعض إلى أن أظلم الجوين المعز بن باديس وبين المستنصر العبيدي ووزيره اليازوري فقطع
 ابن باديس الخطبة بهم على منابر سنة ثلاث وأربعين وأربع مائة وأحرق بنود المستنصر ومحي اسمه من
 السكة والطرز ودعا للقائم العباسي خليفة بن إداد وجاءه خطابه وكتاب عهده فقرأه بجامع القيروان
 ونشرت الرايات السود وهدمت دور الاسماعيلية وبلغ الخبر بذلك كله إلى المستنصر بالقاهرة فقامت
 قيامته ففاوض وزيره أبا محمد الحسن بن علي اليازوري في أمر ابن باديس فأشار عليه بأن يسرح له العرب
 من بني هلال وبني جشم الذين بالصعيد وأن يتقدم إليهم بالاصطناع ويستميل مشائخهم بالعطاء وتولية
 أعمال إفريقية وتقليدهم أمرها بدلا من صنهاجة الذين بها النصر والشيعة ويدافعوا عنهم فان صدقت
 الخيلة في ظفرهم بأن باديس وقومه صنهاجة كانوا أولياء للدولة وعملوا بتلك القاصية وارتفع عدوانهم
 من ساحة الخلافة وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها وأمر العرب على كل حال أهون على الدولة من أمر
 صنهاجة الملوكة فبعث المستنصر وزيره إلى هؤلاء الأحياء وأرضخ لأمرائهم في العطاء ووصل عامتهم
 بغير ودينار لكل واحد منهم وأباح لهم إجازة النيل وقال لهم قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد
 الباقي فلا تنفكروا عنها وكتب اليازوري إلى المعز أما بعد فقد أنفدنا إليكم خيولا فخولا وأرسلنا
 عليهم رجالا كهولا ليقضي الله أمرنا كان مفعولا فشرهت العرب اذذاك وعبروا النيل إلى برقة فزولوا
 بها واستباحوها واقتحموا أمصارها وأعجبهم البلاد فكتبوا إلى اخوانهم الذين بقوا شرق النيل يرغبونهم
 في البلاد فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا المستنصر لكل رأس دينارين فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه
 وتعارعوا على البلاد فحصل لبني سليم شرقها ولبنو هلال غربها ثم انتشروا في أقطار إفريقية مثل الجراد
 لا يعرفون بشيء إلا أتوا عليه (وبالجملة) فلم تزل مدة يسيرة حتى استولوا على ضواحي إفريقية ونزلوا
 أمصارها واقتضوا من أهلها الاتاوة وحصروا ابن باديس في مصر وصاهرهم بيناته تأليفهم ومع
 ذلك فلم يجد شيئا والحديث في ذلك طويل وليس تتبعه من غرضنا قال ابن خلدون ولهم ولهم الهلاليين
 في الحكيمة عن دخولهم إلى إفريقية طرق يزعمون أن الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ومكة
 ويسمونه شكر بن أبي الفتوح وأنه أصهر إلى الحسن بن سرحان في أخته جازية فأنكحه إياها وولدت منه
 ولدا واسمه محمد وأنه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وقتنة فاجعوا الرحلة عن أرض نجد إلى
 إفريقية وتحملوا عليه في استرجاع أخته جازية المذكورة فطالبت به بزيارة أبيهم فأزارها إياهم وخرج بها
 إلى حلهم وأقام معهم مدة الزيادة فارتحلوا به وبها وكنوا رحلتهم عنه ومثله هو عليه بأنهم يباكرون به
 للصيد والقنص ويروحون به إلى بيوتهم بعد بنائها فلم يشعر بالرحلة إلى أن فارق موضع ماله وصار إلى
 حيث لا يملك أمرها عليهم ففارقوه ورجع إلى مكانه من مكة وبين جوانحه من جهاد أعدائهم وانها من
 بعد ذلك كلفت به مثل ما كلف بها إلى أن ماتت من حبه وبيتها قلوب من أخبارها في ذلك ما يعنى على خبر
 قيس وإيلي ويرون كثيرا من أشعارها محكمة المباني مثقفة الاطراف وفيها المطبوع والمنثقل والمصنوع

لم يفقه دفيها من البلاغة شيء وانما افقه منها الاعراب فقط ولا مدخل له في البلاغة وفي هذه الاشياء عارشي
 كثير دخلته الصنعة وفقهت فيه حجة الولاية فلذلك لا يوثق به ولو صحت روايته لمكانت فيه شواهد
 بآياتهم ووقائعهم مع زناثة وحروبهم وضبط لاسمائهم جالانهم وكثير من أحوالهم لسكان لا يثق بروايتها
 وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمصنوع منها وغيره وهم متفقون على الخبر عن حال جازية هذه والشريف
 خلفا عن سلف وجبلا عن جيل ويكاد القادح فيها والمس تريب في أمرها أن يرى عندهم الجنون
 لتواتر هاينهم وهذا الشريف الذي يشيرون اليه هو من المواسم وهو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن
 جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد الأكبر ابن موسى الثاني ابن عبد الله أبي الكرام ابن موسى
 الجون ابن عبد الله الكامل ابن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 وأبوالفتوح هو الذي خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم العبيدي وباع له بنو الجراح أمراء طي بالشام
 وبعثوا عنه فوصل إلى أحيائهم وباع له كافة العرب ثم غلبته معسكر الحاكم العبيدي ورجع إلى مكة
 وهلك سنة ثلاثين وأربع مائة فولى بعده ابنه شكر هذا وهلك سنة ثلاث وخمسين وولى بعده ابنه محمد
 الذي يزعم هؤلاء الهالليون أنه من جازية هذه وهو قال ابن خزم أن شكر بن أبي الفتوح لم يولد له قط
 وانما صار أمرا مكة من بعده إلى عبد كان له وهو قال ابن خلدون بطل أخبرني من أثق به من الهالبيين لهذا
 العهد أنه وقف على بلاد الشريف شكر بن أبي الفتوح وانها بقعة من أرض نجد مما يلي الفرات وابن ولده
 به هذا العهد والله أعلم (واعلم) أن جازية بنت سرحان هذه كانت من بني دريد بن اثيب بن أبي ربيعة بن نميك
 ابن هلال بن عامر بن صعصعة فهي هلالية اقبجية دريدية ومن مزارعهم انما الماصرت إلى افريقية
 وفارقت الشريف بن هاشم المذكور خلفه عليها منهم ماضي بن مقرب من رجالات دريد فأقامت عنده
 مدة ثم غاضبته ولحق بها أخوها الحسن بن سرحان فغضبته فقامت عشيرة ماضي بن مقرب معه وقتلوا
 الحسن بن سرحان وعشيرته وتارت الفتنة بينهم وقتل فيها الحسن بن سرحان واستمرت العداوة بينهم إلى
 أيام الموحدين فهي ذاسب انتقال هؤلاء العرب من الحجاز ونجد إلى افريقية وأما سبب انتقامهم من
 افريقية إلى المغرب الأقصى فقد ذكرنا أن بني سليم بن منصور وبني هلال بن عامر اقترعوا على بلاد
 افريقية فكان لبني سليم شرقها وللبني هلال غربها ثم تغلبوا على ضواحيها وأما صاريها وضواحيها واما
 بها وانضم إلى بني هلال بن عامر بنو جشم بن معاوية بن بكر فطأت أيديهم على الجميع واستمر أمرهم على
 ذلك إلى أن كانت دولة بنو قلوب المنصور الموحدي رحمه الله ونار ابن غانية ببلاد افريقية كما تقدم قطا هرتة
 العرب من جشم وهلال إلى الموحدين وأوقعوا بدمة المنصور فغضب اليهم من تونس وأوقع بالملثمين
 أولا ثم بالعرب ثانيا وقل جمعهم واتبع آثارهم إلى أن شردهم إلى صحاري برقة وانتزع تلك البلاد من
 أيديهم ثم راجعوا بصائرهم فاتوه طائعين خاضعين حسيما قدما الخبر عن ذلك مستوفي وكان الذين
 قاتلوه أولا ثم راجعوا طاعته ثانيا هم قبائل هلال بن عامر وجشم بن معاوية بن بكر كما قلنا رهم
 أصحاب غرب افريقية وأما بنو سليم بن منصور فلم يقاتله منهم أحد فلذلك بقي بنو سليم بأرض افريقية
 ونقل المنصور رحمه الله بني هلال وبني جشم إلى المغرب الأقصى حين أتوه طائعين وكان ذلك سنة أربع
 وثمانين وخمسمائة فانزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر
 الكبير إلى أزغار البسيط الأفيج هناك إلى ساحل البحر الأخضر فاستقروا بها وطالب لهم المقام وأنزل
 قبائل جشم ببلاد تامنا البسيط الأفيج ما بين سلاو مر اكش وهو أوسط بلاد المغرب الأقصى وأبعداها
 عن الثنايا المفضية إلى القفار لا حاطة جبل درن بها فلم يبق لهم ما بعد ما قفروا ولا بعد وارجلة (واعلم) أن هذين
 البسيطين يسميان اليوم في عرف عامة أهل المغرب بالغرب والحوز فالغرب عبارة عن بلاد الهبط وأزغار
 وما في حكمهما والحوز عبارة عن بلاد تامنا وما اتصل بهما إلى مر اكش فكان رياح بلاد المغرب وكان

لجشم بلاد الحوز (ثم اعلم) أيضا ان قبيلة رياح هم بنو رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر
ابن صعصة وهم بطون كثيرة وجلهم قديمي بارض افريقية والذين انتقلوا منهم الى المغرب الاقصى كان
رئيسهم في ذلك العصر مسعود بن سلطان بن زمام الذواذي من بني ذواد بن مراد بن رياح فاقام معهم
مدة ثم جع جاعة من قومه وفر الى افريقية وذلك في حدود التسعين وخمسمائة وأبدأ أو أعاد هنالك في
الاجلاب مع الثوار الى ان هلك في بعض تلك المدة وأقام الباقون بعد قرار كبيرهم مسعود المذكور
ببلاد الهبط وازغار الى ان انقرضت دولة الموحدين وكان عثمان بن نصر رئيسهم أيام المأمون الموحدي
وقتل سنة ثلاثين وستمائة ولما تغلب بنو مرين على ضواحي المغرب ضرب الموحدون على رياح هؤلاء
البعث مع عساكرهم فقاموا بحماية ضواحيهم وانضم اليهم بنو عسكر بن محمد المرينيون حين خالفوا
اخوانهم بني جامة بن محمد سلف الملوك منهم فكانت بين الفريقين جولة قتلى فيها عبد الحق بن محيوا
ابن أبي بكر بن جامة أبو الملوك المرينيين وقتل معه ابنه ادريس فاوجدت رياح السبيل لبني مرين على
أنفسهم في طلب الثار فاختنقوا فيهم بعد ان ملكوا المغرب واستلموهم قتلوا وسبيامرة بعد أخرى وكان
آخر من أوقع بهم السلطان أبو ثابت المريني سنة سبع وسبعمائة تتيهم بالقتل الى ان لحقوا برؤس
الهضاب وأسفخا الى المتوسطة في المرج المستنير بازغار فصاروا الى عدد قليل ولحقوا بالقبائل الغارمة
وذهبت رياح أدراج الرياح هذا خبرهم على الجملة (وأما بنو جشم أصحاب تامسنا) فان المنصور
لما نقلهم اليه انقل معهم قبائل أخرى كانوا قد قاتلوه معهم ولم يكونوا من نسبهم ولكنهم كانوا من درجين
فيهم فكان يطلق على الجميع جشم وهؤلاء القبائل هم المقدم والعاصم من بني هلال بن عامر ثم من
الأنجب منهم وقرة من بني هلال أيضا والخلط من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر فهؤلاء القبائل
ليد وامن جشم كما ترى ولكنهم لما اتفروا فاتهم وانتقلوا الى المغرب بانتقالهم أطلق على الجميع جشم
فاما المقدم والعاصم فهما ابنا مشرف بن أنجب بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصة وأما قرة
فهم بنو قرة بن عبد مناف بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال فهؤلاء القبائل الثلاثة أعني المقدم والعاصم
وقرة هلاليون وأما الخلط فهم بطون من بني عقيل بالتصغير ~~يقول~~ قال أبو الحسن علي بن عبد العزيز
الجزاني في الخلط بنو عوف وبنو معاوية ابني المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصة المذكور في الانساب المتقدمة فقد بان لك هذا ان هذه القبائل الاربع أعني العاصم ومقدم
وقرة والخلط ليسوا من بني جشم بن معاوية بن بكر من حيث النسب وان الثلاث الاول من بني هلال بن
عامر وان الاربعة وهي الخلط من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصة بن معاوية بن بكر وفي
معاوية بن بكر يجمع الجميع كما ذكرناه أولا والله تعالى أعلم ولنتكلم الآن على أخبار جشم على الجملة
فنعول لما نزل بنو جشم ببسطة تامسنا أقاموا به رهة من الدهر ثم غلبهم بنو جهم الى العاصم ومقدم
وبني جابر وسفيان والخلط (فاما مقدم والعاصم) فكانوا مع اخوانهم ببسطة تامسنا المذكور وكان
للموحدين عليهم عسكرة وجباية وكان شيخ العاصم لهذا الموحدين ثم عهد المأمون بن المنصور منهم حسن
ابن زيد وكان له أثر في الفتنة التي ثارت بين المأمون وبين يحيى بن الناصر بن المنصور ولما هلك يحيى
المذكور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أمر الرشيد بن المأمون بقتل حسن بن زيد المذكور مع قائد وقائد
ابني عامر من شيوخ بني جابر كل منهم مائة مائة قائد فقتلوا جميعا ثم صارت الرئاسة لابن عياد وبنيه وكان
رئيسهم لعهد بني مرين عياد بن أبي عياد وكان له تلون على الدولة في النفرة تارة والاستقامة أخرى فرأى
تلمسان ورجع منها أعوام تسعين وستمائة وفرأى السوس ورجع منه سنة سبع وسبعمائة ولم يزل هذا دأبه
وكانت له ولاية مع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني من قبل ذلك ومقاماته في الجهاد معه مذكورة
وبقيت رياسته في بنيه الى ان انقرض أمرهم وتلاشوا والله خير الوارثين (وأما بنو جابر بن جشم) فكانت

لهم شوكة أيضا وكان لهم أثر في الفتنة الناشئة بين المأمون بن المنصور ويحيى بن الناصر بن المنصور فكانوا
شيعية ليحيى ولما ولي الرشيد بن المأمون أمر بقتل قائد وقائد بني عامر وهما يومئذ شيخا بني جابر فقتلا
وقتل معهم حسن بن زيد شيخ العاصم كما تقدم وكانوا جميعا معتقلين عند الرشيد وولي أمر بني جابر بعدهما
يعقوب بن محمد بن قيطون ثم قبض عليه قائد الموحدين أبو الحسن بن يعقوب وكان ذلك بأمر أبي حفص
المرتضى الموحدي وولي رياسته بني جابر بعده اسمعيل بن يعقوب بن قيطون ثم تحيز بنو جابر هؤلاء عن
أحياء جشم إلى سفح الجبل بتادلا وما إليها يجاورون هنالك صناكة من البربر الساكنين بقتنه وهضابه
فيسهلون إلى البسيطة تارة ويأوون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى إذا ذهبت مخافة من
السلطان (قال ابن خلدون) والرياسة فيهم لهذه العصور يعني أواخر المائة الثامنة في ورديعة من بطونهم
قال أدركت شيخا عليهم عهد السلطان أبي عنان حسين بن علي الورديني ثم هلك وأقيم مقامه ابنه الناصر
ابن حسين ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوحه عن السلطان أبي سالم المريني سنة ستين وسبع مائة
ونهمضت اليهم عساكر السلطان فأمكنوا منه ثم لحق بهم أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم عند فراره من
مراكش سنة ثمان وستين وناله السلطان عبد العزيز المريني وأحاط به وبهم فلحق ببرابرة صناكة
ثم أمكنوا منه على مال جل اليهم ولحق بهم أثناء هذه الفتن الأمير عبد الرحمن بن أبي يفاوسن المريني على
عهد الوزير عمر بن عبد الله المنتخب على المغرب وطلبه الوزير عمر فأنجزوه عنهم وطال بذلك مراسي
الناصر هذه الفتنة فشكرته الدولة وتقبضت عليه وأودعته السجن فمكث فيه سنين ثم تجافت عنه الدولة
من بعد ذلك وأطلقته ثم رجع من المشرق فتقبض عليه الوزير أبو بكر بن غازي المستبد بالمغرب على ولد
السلطان عبد العزيز وأودعه السجن ونقلوا إلى رياسته عن بيته إلى غيرهم والله تعالى مقاب الأمور وقد
يزعم كثير من الناس أن ورديعة من بني جابر ليسوا من جشم وأنهم بطن من بطون سدراتة إحدى
شعوب لواتة من البربر ويسعدون على ذلك بوطونهم وجوارهم البربر والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك
وحوال ما سفيان يفهم الذين كانت لهم الرياسة والشوكة عند دخول العرب إلى المغرب كانت رياستهم
يومئذ في أولاد جرهمون على سائر بطون جشم واستمر وأعلى ذلك سائر أيام الموحدين ولما ضعف أمر بني
عبد المؤمن استكثروا بهم في حروبهم فكانت لهم عز ودارة على الدولة بسبب الكثرة وقرب العهد بالبدواة
وخبوا ووضعوا في الفتن مع أعقاب المملوك من بني عبد المؤمن المتنازعين على الملك وظاهروا البع عن
منهم على البعض وساعت أنارهم بالمغرب وكان شيخهم المشهور على عهد يحيى بن الناصر الموحدي
جرهمون بن عيسى السفياني وكانت بينهم وبين الخياط عداوة فصارت الخياط شيعية للمأمون وبنيته وصارت
سفياني بسبب ذلك شيعية ليحيى بن الناصر منازعه في الخلافة بمراكش ثم قتل الرشيد بن المأمون مسعود
ابن حميدان شيخ الخياط كما نذكر بعد فصاروا إلى يحيى بن الناصر وصارت سفياني إلى الرشيد ثم ظهر بنو
مصرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين وتزعج جرهمون سنة ثمان وثلاثين وستمائة عن الرشيد ولحق
بمحمد بن عبد الحق المريني حياء مما وقع له مع الرشيد وذلك أنه نادى ذات ليلة حتى سكر فقام يرقص طربا
ثم جل عليه وهو سكران وعربدوا أساء الأدب ثم أفاق فتقدم وفر إلى محمد بن عبد الحق وهلك سنة تسع
وثلاثين بعدها وعلا كعب ابنه كانون بن جرهمون عند السعيد بن المأمون ثم خالف عليه عندئذ وضه إلى
بني مريم سنة ثلاث وأربعين وستمائة ورجع إلى آزمور فلكها وقت ذلك في عضد السعيد فرجع عن
حركته وقصد كانون بن جرهمون ففرأماهم ثم حضر معه بعد ذلك حركته إلى تلمسان وقتل بخصم
ناصر ردت قبل مقتل السعيد يوم واحد قتله الخياط في قننة وقعت بينهم في محلة السعيد وهي التي جرت
عليها تلك الواقعة وقام بامر سفيان من بعده أخوه يعقوب بن جرهمون وقتل ابن أخيه محمد بن كانون
وحضر مع عمر المرتضى الموحدي حركه أمان إيمولواين سنة تسع وأربعين وستمائة فرحل يعقوب عن

السلطان واختل عسكره بسبب ذلك فرجع واتبعه بنو مرين فكانت الهزيمة ثم عفاه المرتضى عنها ثم قتله
 مسعود وعلى ابنا أخيه كانوا بنار أخيهما محمد سنة تسع وخمسين وستمائة ولحقا يعقوب بن عبد الحق
 المريني وقدم المرتضى ابنه عبد الرحمن فجهز عن القيام بأمره فقدم معه عبد الله بن جرمون فجهز أيضا فقدم
 مسعود بن كانون فأقام شيخا على سفيان واستمرت حالهم مع الموحدين وبنى مرين على هذا النحو من
 اخلاص الطاعة والنصرة تارة والتمريض فيهما أخرى ^{وقال ابن خلدون} واتصلت الرئاسة على سفيان
 في بني جرمون هؤلاء الى عهدنا قال وأدركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبي عنان يعقوب بن علي بن
 منصور بن عيسى بن يعقوب بن جرمون بن عيسى وكانت سفيان هؤلاء أحياء حاولوا باطراف تامسنا
 على آسفي وغلبتهم الخلط على بساطها القسيحة وبقي من أحيائهم الحارث والكلابية يتجمعون أرض
 السوس وقناره ويطلبون ضواحي بلاد حاحة من المصامدة فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس ورياستهم
 في أولاد مطاع من الحارث وطال عيشتهم في ضواحي مراکش وفسادهم فلما استبد سلطان مراکش
 الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس المريني سنة ست وسبعين وسبع مائة كان ذلك كراستهم ورفع منزلتهم
 ثم استقدمهم في بعض أيامه للعرض بخيلهم ورجلهم على العادة وشيخهم يومئذ منصور بن يعيش من
 أولاد مطاع فتقبض عليهم أجمعين وقتل من قتل منهم وأودع الآخرين سجونه فذهبوا مثل اللدخزين
 وخضضت شوكتهم والله قادر على ما يشاء ^{وقال الخلط} فقد كانوا يسيطرون تامسنا أولى عدد وقوة وكان
 شيخهم هلال بن جيدان بن مقدم ولما ولي العادل بن المنصور الموحدي خالفوا عليه وهزموا عساكره
 وبعث هلال بيعته الى المأمون بن المنصور سنة خمس وعشرين وستمائة وتبعه الموحدون على ذلك ثم جاء
 المأمون قطاهره على أمره وتجهزت أعداؤه الى يحيى بن الناصر منازعه ولم يزل هلال بن جيدان مع
 المأمون الى ان هلك في حركته سنة وبابعد بعده لابنه الرشيد وجاء به الى مراکش وهزم سفيان
 واستباحهم ثم هلك هلال بن جيدان فولى مكانه أخوه مسعود بن جيدان ثم خالف على الرشيد فاحتال
 الرشيد عليه حتى وقد عليه عراكش فقتله في جماعة من قومه سنة ثنتين وثلاثين وستمائة وولى أمر الخلط
 بعده يحيى بن هلال وفر بقومه الى يحيى بن الناصر وحاصروا مراکش ثم استولوا عليها وعاثوا فيها
 وخرج الرشيد الى سجلماسة ثم عاد اليهم سنة ثلاث وثلاثين بعد هاو غلبهم عليها ثم راجعوا طاعة الرشيد
 وطردوا يحيى بن الناصر الى بني معقل عرب الصحراء فتقبض الرشيد على وشاح وعلى ابني هلال وسجنهم
 بأزمور سنة خمس وثلاثين وستمائة ثم أطلقهم ثم بعد ذلك غدر بمشيختهم بعد الاستدعاء والتأنيس وقتلهم
 أجمعين ثم بعد ذلك حضر وامن السعيد بن المأمون حركته الى بني عبد الواد أصحاب تلمسان وجر وعلية
 الواقعة حتى قتل فيها بسبب فننتهم مع سفيان يومئذ فليزل المرتضى يعمل الحيلة فيهم الى ان تقبض على
 أشياخهم سنة ثنتين وخمسين وستمائة فقتلهم ولحق عواج بن هلال بن جيدان ببني مرين وقدم المرتضى
 عليهم على بن أبي علي من بيت الرئاسة فيهم ثم رجع عواج الى الموحدين سنة أربع وخمسين وستمائة
 فأغراه على بن أبي علي فقتل في غزاته تلك ثم كانت واقعة أم الرجلين ببني مرين على المرتضى سنة ستين
 وستمائة فنزع على بن أبي علي الى بني مرين ثم صار الخلط كلهم الى بني مرين وكانت الرئاسة فيهم أول دولة
 بني مرين لابي عطية مهمل بن يحيى الخلطى واصهر اليه السلطان يعقوب بن عبد الحق فانكحه مهمل
 ابنته عائشة التي كان منها ابنه السلطان أبو سعيد بن يعقوب ولم يزل مهمل كبير اعليهم الى ان هلك سنة
 خمس وتسعين وستمائة ثم قام بامر الخلط ابنه عطية وكان لعهد السلطان أبي سعيد وابنه السلطان أبي
 الحسن وبعثه السلطان أبو الحسن سفيرا عنه الى سلطان مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون ولما هلك
 عطية قام بامر الخلط ابنه عيسى بن عطية ثم ابن أخيه زمام بن ابراهيم بن عطية وهو الذي بلغ المبالغ من
 العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه الى ان هلك فولى أمر الخلط بعده أخوه أحمد بن

ابراهيم ثم اخوه سليمان بن ابراهيم ثم اخوه مبارك بن ابراهيم على مثل حالهم أيام السلطان أبي عنان المريني ومن بعده الى ان كانت الفتنة بالمغرب بعدمهلك السلطان أبي سالم المريني واستولى على المغرب أخوه السلطان عبد العزيز وأقطع ابنه أبا الفضل ناحية مراکش فكان مبارك بن ابراهيم بن عطية هذامعه واستقبض على أبي الفضل تقبض على مبارك المذكور وأودع السجن الى ان غلب السلطان عبد العزيز على عاصم بن محمد الهنتاتي وقتله فقتل معه مبارك بن ابراهيم هذا لما كان يعرف به من محبته ومداخلة في الفتن كما يذكروا في أخبار بني مرين وولي ابنه محمد بن مبارك على قبيل الخلط وقال ابن خلدون في الان الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين بذلك البسيط الافج زيادة على العز والدعة فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف والله غالب على أمره أما لما انقرضت الدولة المرينية من المغرب وجاءت دولة الشرفاء السعديين وقام منهم أبو عبد الله محمد الشيخ المعروف بالمهدي انحاشت الخلط اليه وأظهروا الخدمة والنصيحة وغاب محمد الشيخ المذكور على فاس وأخرج أبا حسون الوطاسي عنها فذهب أبو حسون المذكور الى دولة الترك بالجزائر واستنصرهم على السعديين فلبوا دعوته وقدم معه منهم عسكري جاز الى فاس فاخرجوا محمد الشيخ السعدي عنها بعد حروب عظيمة جرت الخلط هؤلاء عليه فيها الهزيمة فلما استقل بالامر محمد الشيخ المذكور خلع الخلط من الجندية ووظف عليهم الخراج وحمل اسمهم من ديوان الخدمة ونقل أعيانهم الى مراکش واتخذهم رهائن عنده ولم يزل الامر على ذلك الى دولة السلطان أبي العباس أحمد المنصور السعدي المعروف بالذهبي قرأى جلاد الخلط وقتلهم يوم وادي المخازن وابلاهم البلاء الحسن فاختر النصف منهم ورده الى الجندية وأبقى النصف الآخر في غمار الرعية ونقلهم الى أزغار فاس متوطنوه فعاثوا في تلك البلادوا أكثروا فيها الفساد وماتوا أيديهم الى أولاد مطاع فتهبوا بهم وضايقة وابتى حسن فكثر الشكاية بهم الى المنصور السعدي فضرب عليهم مغراما سبعين ألفا فلم يزدوا الا شدة فضرب عليهم بعنا الى تكرار من أرض الصحراء فامتنعوا من ذلك فبعث اليهم القائد موسى بن أبي جادة العمرى فانتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة ثم حكم فيهم السيف فزقهم كل عرق ومن ثم خدعت شوكتهم ولانت للعاصم قناتهم ثم ختموا أعينهم بقلعهم الشنعاء التي ملأت الافواه وأسالت من الجفون الامواه وهي قتلهم ولي الله تعالى المجاهد في سبيله أبا عبد الله سيدي محمد العياشي المالكي رحمه الله فآزالنا سمع ان قبيلة الخلط انما سلبوا العزم منذ قتلهم للولي المذكور وكان ذلك في المحرم سنة احدى وخمسين وألف والله تعالى أعلم

الخبر عن بني معقل عرب الصحراء من أرض المغرب وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم ووطنهم

وقال ابن خلدون في هذا القبيل لهذا العهد من أوفرقبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى مجاورون لبني عاصم من زغبة الهلاليين في مواطنهم بقبلة تلمسان وينتهون الى البحر المحيط من جهة الغرب وهم ثلاثة بطون ذوى عبيد الله وذوى منصور وذوى حسان فذوى عبيد الله منهم هم المجاورون لبني عاصم ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت في التل وما واجهها من القبلة ومواطن ذوى منصور من تاوريرت الى بلاد درعة فيستولون على ملوية كلها الى سجلماسة وعلى درعة وما يحاذيها من التل مثل نازاوغساسة ومكاسة وفاس وبلاد تادلا والمعدن ومواطن ذوى حسان من درعة الى البحر المحيط وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس فيستولون على السوس الاقصى وما اليه وينتجعون كلهم في الرمال الى مواطن الملمين من كدالة ومسوفة ولتونة وكان دخولهم الى المغرب مع الهلاليين في عدد قليل يقال انهم لم يبلغوا المائتين واعترضتهم بنو سليم فاجعزواهم وتحيزوا الى الهلاليين منذ عهد قديم وتزلبوا باخر مواطنهم محالي ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زانانة في القفار فعصوا أكثر واكثر وفي صحارى المغرب الاقصى فعمروا رماله وقلعوا فيافيها وكانوا هنالك أحلا فالزنانة ساثر أيامهم وبقى منهم باقر بقية جمع

قليل اندرجوا في جملة بني كعب بن سليم وداخلوهم حتى كانوا زواء لهم في الاستخدام للسلطان واستئلاف
 العرب فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا الى الامصار والمدن أقام بنو معقل هؤلاء في القفار وتفردوا
 في البسداء فتموا غزو الا كفاء له وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا
 ثم توات ثم بودة ثم تامنطيت ثم وازكلان ثم تاسيبيت ثم تيكراين شرقا وكل واحد من هذه وطن منفرد
 يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار وأكثرت سكانها من زناتة وبينهم فتن وحروب على رياستها فحازت
 عرب معقل هذه الاوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون
 فيها ملكا وكانوا في تلك المدة السالفة يعطون الصدقات لمولك زناتة ويأخذونهم بالدماء والطوائل
 ويسمونهم اجل الرحيل وكان لهم الخيار في تعيينها ولم يكن هؤلاء العرب يحمون من أطراف المغرب وتناوله
 حتى ولا يعرضون لسابلة مصامسة ولا غيرهما من بلاد الصحراء بأذية ولا مكروه لما كان بالمغرب من
 اعتزاز الدين وسد الثغور وكثرة الحامية أيام الموحدين وزناتة من بعدهم وكان لهم بازاء ذلك اقطاع
 من الدول يعتدون الى أخذ اليد السفلى وعددهم قليل كما قلنا وانما كثروا بمن اجتمع اليهم من القبائل
 من غير نسبهم فان فيهم من فزارة بن ذيبان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر
 وفيهم من أشجع بن ريث بن غطفان احياء كبيرة يظعنون مع بني معقل بجهات مصامسة ووادي ملوية
 ولهم عدد وذكروا وفيهم الصباح من الاخضر ويقولون انهم من ولد اخضر بن عامر وعامر هذا هو
 والله أعلم من ولد رياح الهلاليين وفيهم الهامة من عياض احدى بطون الانبج الهلاليين وفيهم العمور
 من الانبج ايضا وفيهم بطون آخر من بني هلال وبني سليم وغيرهم وأما أنسابهم عند الجمهور فحفية
 ومجهولة والنسابون من عوب هلال يعتدونهم من بطونهم وهو غير صحيح وهم أعني بني معقل يزعمون
 ان نسبهم في أهل البيت الى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك أيضا صحيح لان الطالبيين والهاشميين لم يكونوا
 أهل بادية وشجعة هكذا ذكر ابن خلدون لكنهم لما تكامل على جهينة احدى بطون قضاة وذكراهم
 نزول بلاد الصعيد وملوها قال وزل معهم في تلك المواطن من اسوان الى قوص بنو جعفر بن أبي طالب
 حين غلبهم بنو الحسن على نواحي المدينة وآخر جوهم منها فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ويحترفون
 في غالب أحوالهم بالتجارة اه كلامه فعلى هذا لا يبعد ان تكون طائفة من هؤلاء الجعافرة قد انتقلوا
 من أرض الصعيد ودخلوا مع بني هلال الى بلاد المغرب وأوطنوا صحراء وهم بنو معقل المذكورون
 والناس مصدقون في أنسابهم والله تعالى أعلم بحقائق الامور ثم قال ابن خلدون والصحيح والله أعلم من
 أمرهم انهم من عرب اليمن فان في اليمن بطنين يسمى كل واحد منهم مامعقل ذكرهما ابن الكلابي وغيره
 فاحدهما من قضاة بن مالك بن حير وهو معقل بن كعب بن عامر بن جناب وينتهي نسبه الى قضاة
 والاخر من بني الحرث بن كعب أصحاب نجران الذين كان منهم بنو عهد المدان مولك نجران في الجاهلية
 والاسلام وهو معقل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب وينتهي نسبه الى كهلان قال
 والانساب ان يكونوا من هذا البطن الآخر وقد عده الاخباريون في بطون هلال الداخلين الى افريقية
 لمجاورتهم في الوطن قال ومن املاء نسابهم ان معقلا جدتهم له من الولد سمير ومحمد فولد سمير عبيد الله
 وثعلب فبن عبيد الله ذوى عبيد الله البطن الكبير منهم ومن ثعلب الثعلبية الذين كانوا ببسط متيجة من
 نواحي الجزائر فولد محمد مختارا ومنصورا وجلالا وسالما وعثمان فولد مختار بن محمد حسان وشبابة فبن
 حسان ذوى حسان البطن المذكور أهل السوس الاقصى ومن شبابة الشيبانات جيرانهم هنالك
 ومن جلال وسالم وعثمان الرقيطات بادية في ذوى حسان ينتجبون معهم فولد منصور بن محمد حسينا
 وأبا الحسين وهما شقيقان وعمران ومنبا وهما شقيقان أيضا وهما الاحلاف ويقال لعمران العمارنة ولمنبا
 المنبات ثم يقال لجميع البطون الاربعة ولد منصور بن محمد ذوى منصور وهم احدى بطونهم الثلاث

المذكورة والله تعالى أعلم بغيه فهذه أصول عرب المغرب الأقصى وكيفية دخولهم اليه واستيطانهم اياه وبعض فصولهم قد ذكرناها ملخصة من تاريخ امام الفن أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون ومن جمهرة الانساب لابن خزم وزدنا ما يحتاج منها الى البيان بيانا والله تعالى الموفق **﴿ وانرجع ﴾** الى ما كتبنا بسيله من اخبار أمير المؤمنين يعقوب المنصور وجه الله فانه لما رجع من افريقية الى مراکش سنة أربع وثمانين وخمسمائة رفع اليه ان أخاه السيد أبا حفص صاحب مرسية المنقب بالرشيد وعنه السيد أبا الربيع صاحب تادلا عندما بلغهما خبر الواقعة التي كانت على مقدمة المنصور بأفريقية حدثا أنفسيهما بالتوثب على الخلافة فلما قدم عليه لاثنتي عشرة باعتهما لهما خلال ما استملى أمرهما ثم قتلهما وعقد للسيد أبي الحسن ابن السيد أبي حفص على بجاية وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة شرع المنصور في ادخال ساقية الماء الى مراکش ثم تآقت نفسه الى الجهاد فكان منه ما ذكره

﴿ الجواز الاول ليعقوب المنصور وجه الله الى الاندلس بقصد الجهاد ﴾

﴿ قال ابن أبي ذرع ﴾ وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة تحرك أمير المؤمنين يعقوب المنصور الى الاندلس برسم غزو بلاد غربها وهي أولى غزواته فعبر من قصر المجاز الى الخضراء يوم الخميس الثالث من ربيع الاول من السنة المذكورة ثم نهض من الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة اشبونة وأنحائم فقطع الثمار وحرق الزروع وقتل وسبب وأضرم النيران في القرى وأبلغ في النكابة وانصرف الى العدو بثلاثة عشر ألفا من السبي فدخل فاسا في آخر رجب من السنة المذكورة

﴿ مراسلة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر ليعقوب ﴾
﴿ المنصور وجهه الله والتماسه منه الاساطيل للجهاد ﴾

كانت الفرغ قد ملكوا سواحل الشام في آخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة قبل هذا التاريخ وملكوا مهابيت المقدس شرفه الله فلما استولى السلطان صلاح الدين رحمه الله على ديار مصر والشام اعتزم على جهادهم وصار يفتح حصونهم واحد بعد واحد حتى أتى على جميعها واقتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهدم الكنيسة التي بناه حيه وانقضت أمم النصرانية من كل جهة وتتابع أساطيلهم الكفورية بالمدد من كل ناحية لتلك الثغور القريبة من بيت المقدس واعترضوا اسطول صلاح الدين في البحر ولم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لضعفها يومئذ عن ممانعتهم فبعث صلاح الدين صريخه الى المنصور سنة خمس وثمانين وخمسمائة يطلب اعانته بالاساطيل لمنازلة ~~عكا~~ وصور وطرابلس الشام وأوقد عاينه أبا الحرث عبد الرحمن بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك شيزر من حصون الشام وكان صلاح الدين قد ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته فبعث صلاح الدين عبد الرحمن هذا الى يعقوب المنصور طالبا مددا لاساطيله لتحول في البحرين أساطيل الفرغ وبين امداد النصرانية بالشام وللمنازلة الثغور التي ذكرنا وبعث معه الى المنصور هدية تشتمل على مصفين كريمين منسوبين ومائة درهم من دهن البلسان وعشرين رطلا من العود وستمائة مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوسا عربية باوتارها وعشرين من النصول الهندية وسروج عدة مثقلة فوصل الى المغرب فصادف المنصور بالاندلس فانتظره بفاس الى ان رجع فلقبه وأدى الرسالة وقدم الهدية وكان الكتاب الذي بعث به صلاح الدين من انشاء الاديب عبد الرحيم اليبساني المعروف بالقاضي الفاضل وكان عنوان الكتاب من صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب وبعده الحمد لله الذي استعمل على الملة الخفيفة من استعمر الارض وأغنى من أهلها من سألته القرض وأجر من أجرى على يده النافلة والقرض وزين سماء الملة بدرارى الذور الى بعضها من بعض وهو كتاب طويل ولما وقف

عليه المنصور ورأى تجافيه - ثم فيه عن خطابه بأمير المؤمنين لم يعبه ذلك وأسرها في نفسه وحمل الرسول على مناهج البر والكرامة وورده إلى مرسله ولم يجبه إلى حاجته ويقال أنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولا ومنع النصاري من سواحل الشام والله تعالى أعلم ﴿قال ابن خلدون﴾ وفي هذا دليل على اختصاص ملوك المغرب بومثذبالا ساطيل الجهادية وعدم عناية الدول بعصر والشام لذلك العهد بها وكان ابن منقذ المذكور قد مدح المنصور بقصيدة يقول فيها

سأشكر بحر إذا عباب قطعت * إلى بحر جود ما لا خراء ساحل
إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى * إلى من سمى بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المؤمنين ولم تزل * إلى بياض المأمول ترجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقفا * بأن نذاك الغمر بالفتح كافل
وخرت بقصدك العلى فباغتها * وأدنى عطايك العلى والفواضل
فلا زلت للعباء والجود بانيا * تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعذتها أربعون بيتا فاعطاه بكل بيت ألفا وقال له اغنا عطيناك لفضلك ولييتك يعني لاجل صلاح الدين

﴿عود المنصور إلى إفريقية والسبب في ذلك﴾

لما قدم المنصور من الاندلس إلى فاس وفرغ من شأن ابن منقذ توارث لديه الاخبار بان ابن غانية قد ظهر بإفريقية فنهض اليها من فاس في ثامن شعبان من تلك السنة فدخل تونس في أول ذي القعدة منها فالتقى ببلاد إفريقية ساكنة وقد فر ابن غانية عنها إلى الصحراء حين سمع بقدومه وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة استولى الفرنج على مدينة شلب وباجة ويا بورة من غرب الاندلس وذلك لما علموا ان المنصور قد أبعد عنهم واشتغل بأمر إفريقية فاغتموا الفرصة فيها واتصل الخبر بالمنصور فغاضه ذلك وأعظمه وكتب إلى قواد الاندلس يؤمهم ويأمرهم بغزو بلاد الفرنج ويعلمهم أنه قادم عليهم في أثر كتابه فاجتمع قواد الاندلس إلى محمد بن يوسف وإلى قرطبة فخرج بهم في جيش كثيف من الموحدين والعرب وأهل الاندلس حتى نزل على شاب فشد عليه الحصار وتابع عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبي دانس ومدينة باجة ويا بورة ورجع إلى قرطبة فدخلها بنحو خمسة عشر ألفا من السبي وثلاثة آلاف أسير قدمهم بين يديه في القطائن خمسون علجا في كل قطينة وذلك في شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة وفي هذا الشهر رجع المنصور من إفريقية فأنهى إلى تلمسان فاقام بها إلى آخر السنة المذكورة وفي فاتح محرم من سنة ثمان وثمانين وهي سنة آ كروا وخرج المنصور من تلمسان إلى فاس وهو مريض فكان يركب في آ كروا وادخل فاسا وأقام بها مريضاً - بعة أشهر حتى أبل من علته ثم نهض إلى مراکش فاقام بها إلى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ثم نهض منها إلى الاندلس بقصد الجهاد وكان ما ذكره ان شاء الله

﴿الغزوة الكبرى بالارك من بلاد الاندلس﴾

﴿قال ابن خلدون﴾ كان يهقبوب المنصور رحمه الله قد خافه الغنش صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه إلى خمس سنين فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فقبوا وسبوا وعاثوا عياضا فانتفى الخبر إلى أمير المؤمنين يهقبوب المنصور وهو بجرا كش فجهز لقصدهم في جيش عرمرم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل في ذلك وعبر البحر إلى الاندلس سنة إحدى وتسعين وخمسمائة واتصل بالفرنج عبوره اليهم فجاءهوا خلاقا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه ﴿قال ابن خلدون﴾ وقد رأيت بدمشق جزأ بخط الشيخ الحافظ تاج الدين عبد الله بن جوية السرخسي وكان قد سافر إلى مراکش وأقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة

فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الواقعة فينبغي ذكره ههنا قال لما انقضت الهدنة بين أمير المؤمنين يعقوب المنصور وبين الأذفونش الفرنجي صاحب غرب جزيرة الأندلس وقاعدة مملكته يومئذ طيلة ذلك في أواخر سنة تسعين وخمسة مائة عزم يعقوب المنصور وهو يومئذ بعرا كش على التوجه إلى جزيرة الأندلس لمحاربة الفرنج وكتب إلى ولاية الأطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج إلى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق أنه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه أطباؤه فتوقف الحال عن تدبير تلك الجيوش وجعل يعقوب المنصور إلى مراكش وهو مريض فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيه وأغاروا على النواحي والأطراف وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالأندلس واقتضى الحال تفرقة الجيوش التي جمعها يعقوب المنصور شرقا وغربا واشتغلوا بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الأذفونش في البلاد وبعث رسولا إلى أمير المؤمنين يعقوب المنصور يتهدد ويتوعد ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الأندلس وكتب إليه رسالة من إنشاء وزيره من ضعفاء المسلمين يعرف بابن الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السموات والأرض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكنيته (رسول الفصح) (أما بعد) فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب أنك أمير الملة الخنيفية كما أني أمير الملة النصرانية وقد علمت الآن ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال أمر الرعية وإخلادهم إلى الراحة وأنا أسومهم بحكمكم القهر وخلاء الديار وأسرى الذراري وأمثل بالرجال ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة وأنتم تزعمون أن الله فرض عليكم قتال عشرة منابواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا نستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى فلا أدري أكان الجبن قد أبطأك أم التكذيب بما وعد بك ثم قيل لي أنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلا لعله لا يسوغ لك التفهم معها وهأنذا أقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر لك وعنك على أن تقي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان وترسل إلى جملة من عبيدك بالمرأكب والشواني والطرائد المسطحات وأجوز بجملتي إليك فأقاتلك في أعز الأماكن لديك فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحققت إمارة المؤمنين والحكم على البرين والله تعالى يرفق للسعادة ويسهل الإرادة لأرب غيره ولا خير إلا خيره فلما وصل كتابه إلى أمير المؤمنين يعقوب المنصور حرقه وكتب على ظهر قطعة منه وكان المنصور يضرب به المثل في حسن التوقيع كما يأتي في بقية أخباره أرجع إليهم فلما أتيتهم بجند لا قبل لهم بها ولخرجهم منها أذلة وهم صاغرون ثم كتب الجواب ما ترى لا ما تسمع فهو أول من تكلم به فأرسله مثلا وأنشد ممثلا

ولا كتب إلا المشرفية والقنى * ولا رسل إلا الخيس العرمم

ثم أمر بالاستنفار واستدعاء الجيوش من الأمصار وضرب المراتبات بظاهرها بالبلد من يرمه وجمع العساكر وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة يريد الأندلس وهو قال ابن أبي زرعجة خرج أمير المؤمنين يعقوب المنصور من حضرة مراكش يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وخمسة مائة إلى السير ويطوى المناهل ولا يولي على فارس ولا راجل والجيوش تتابع في أثره من سائر الأقطار فلما انتهى إلى قصر المجاز أخذ في إجازة الجيوش الواردة عليه لا يفرغ من طائفة الأوقد لحقت بها أخرى فاجاز أول قبائل العرب ثم زناته ثم المصامدة ثم غماره ثم المتطوعة من قبائل المغرب ثم الأغزاز والرماة ثم الموحدون ثم العبيد ثم أجاز أمير المؤمنين في أثرهم في موكب عظيم من أشياخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة ومعه فقهاء المغرب وصلحاء واستقر بالجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة

الموفى عشرين من رجب من السنة المذكورة فأقام بها يوماً واحداً ثم نهض إلى العدو قبل أن تخمد قراخ
المجاهدين وتضعف نياتهم فسار حتى بقي بينه وبين حصن الأرك الذي كان العدو نازلاً بإزائه نحو مرحلتين
فتزل هنالك وذلك يوم الخميس ثالث شعبان من السنة في جمع الناس ذلك اليوم وقاؤهم ووعظهم ثم
اختص أهل الأندلس بنزير المشورة وقال لهم إن جميع من استثمرته وإن كانوا أولى بأس ومعرفة بالحرب
لكنهم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أنتم لتمرسكم بهم وتمرسهم بكم فأحالوه في الرأي على القائد
أبي عبد الله بن صناديد فعول المنصور رجه الله عرض جيشه وأخذ في تقريب القرب إلى الله تعالى بين يدي جهاده
فسرح السجون وأدر الأرزاقي وعين الصدقات ورحل فتزل الأرك وقد خيمت بأحواله ومحلات العدو
بضيق عنها المتسع وقام المنصور بعد أن اجتمع الناس فتحل من المسلمين وقال أيها الناس اغفروا لي
فما عسى أن يكون صدر مني فبكي الناس وقالوا منكم يطلب الرضى والغفران وخطب الخطباء بين يديه
محرضين ومذكرين فغشط الناس وطابت النفوس ومن الغد صدع المنصور بالنداء وأمر بأخذ السلاح
والبروز إلى اللقاء فكانت التعبئة تحت الغلس ويوحى إلى ابن أبي ذرع أن المنصور بات تلك الليلة عاكفاً
بمسلة على الركوع والسجود وأنه أغفى اغفاه فقرأ ملكاً نزل من السماء في صورة بشريه يد راية
خضراء وبشره بالفتح وأنشده في ذلك أيما تباقيت على ذكر المنصور إلى أن استيقظ وقص رؤياه على
وجوه الجند فازداد الناس طمأنينة وبصيرة فلما كان يوم السبت خامس شعبان جلس المنصور في قبة
الحراء المعدة للجهاد ثم دعا بكبير وزرائه الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وقدمه على ذلك الجيش وعقد له
رايته وقدمه بين يديه فخرفت على رأسه الرايات وقرعت بين يديه الطبول وسار في قبيلة هنتاتة وبين
يديه القائد بن صناديد في جيش الأندلس ثم عقد المنصور لجرمون بن رياح على قبائل العرب ولنديل
ابن عبد الرحمن المقرأوى على قبائل مغراوة ولحميو ابن أبي بكر بن حمامة المريني جذاً للملوك المرينيين على
قبائل بني مرين ولجابر بن يوسف العبد الوادى على قبائل بني عبد الواد وللعباس بن عطية التوجيني
على قبائل بني توجين ولتلمين بن علي على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ولمحمد بن منغفاد على قبائل
غمارة وعقد للفقيه الصالح أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي على المتطوعة ويوقال ابن خلدون أن الذي
كان على المتطوعة يومئذ هو الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص والسكل إلى نظر الشيخ أبي يحيى بن
أبي حفص وبقي المنصور رجه الله في جيش الموحدين والعبيد وأمر الشيخ أبي يحيى بالرحيل والتقدم
أمامه إلى جهة العدو وكان المنصور قد صفر مع ابن صناديد من الرأي أن يبقى هو متأخراً في الموحدين
والعبيد والحشم على مسافة يخفى بها عن أعين العدو ويقدم الشيخ أبي يحيى ببعض الرايات والطبول في
هيئة السلطان فيأتي العدو فإن كانت للمسلمين فهو المطلوب وإن كانت عليهم كان المنصور ردأهم
ثم يستأنف القتال مع العدو وقد انقل حذوه ولانت شوكته فسار الشيخ أبو يحيى على هذا الترتيب وابن
صناديد أمامه في فرسان الأندلس وجاتها فكان الشيخ أبو يحيى إذا ألقع بجيشه عن موضع صباحاً خلفه
المنصور فيه بجيشه مساء حتى أشرف الشيخ أبو يحيى على جوع الفرنج وهي يومئذ إلى جنب حصن
الأرك ويقال الأركو بزيادة الواو في آخره قد ضربت أخبيتهم على ربوة عالية ذات مهاو وأحجار كبار
قدملات السهل والوعر ونزل الشيخ أبو يحيى بجيشه في البسيط نحو يوم الأربعاء التاسع من شعبان
سنة إحدى وتسعين وخمسائة وعند ابن خلدون أن ذلك كان يوم الخميس قال واقتفى المنصور في ذلك
طريقة أبيه وجده فأنهم أكثر ما كانوا يصاقون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر فبعأ الشيخ أبو يحيى
عساكره تعبئة الحرب وعقد الرايات لأمراء القبائل وأوقف كل قبيلة في مركزها الذي عين لها فجعل
عسكر الأندلس في المينة وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في الميسرة وجعل المتطوعة

والاغزاز والرماة في المقدمة وبقي هوفى القلب في قبيل هنتاتة ولما أخذ الناس من اكرهم من حومة القتال خرج جرمون بن رياح يحشى في صفوف المسلمين ويحضرهم على الثبات والصبر وينمى الناس على ذلك اذا انفصلت من جيش العدو كتيبة عظيمة من نحو عشرة آلاف فارس كلهم مدجج في الحديد وكانت هذه الكتيبة هي شوكة ذلك الجيش وحده كان الفئس لعنه الله قد انتخبهم وصلت أقسسته عليهم صلاة التصرور وشوهم بماء العمودية وتحالفوا عند الصلابة أن لا يبرحوا حتى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا دونهم فلما برزت هذه الكتيبة نادى منادى الشيخ أبي يحيى معشر المسلمين اثبتوا في مصافكم واخلصوا الله تعالى نياتكم واذكروا الله عز وجل في قلوبكم وبرز عامر الزعيم من أمراء العرب فحش الناس على الصبر وثبتهم وجلت كتيبة العدو حتى اندقت رماح المسلمين في صدور خيلها أو كادت ثم تقهرت قايلا ثم عاودت الحملة فكانت كالاولى ثم تهيأت للحملة الثالثة فدفعت حتى خالطت صفوف المسلمين وخلص البعض منها الى الشيخ أبي يحيى يظنون المنصور فاستشهد رجه الله بعد ما أحسن البلاء وقاتل قتالا شديدا واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاتة والمتطوعة وغيرهم وسعى بنو الشيخ أبي يحيى بنى الشهيد وعرفوا به من يومئذ وأظلم الجيوب بالعباء واختلطت الرجال بالرجال وانفرد كل قرن بقرنه وأقبلت العرب والمتطوعة فأحاطوا بالكتيبة التي دفعت الى الشيخ أبي يحيى وزحفت زناتة والمصامدة وغمارة الى الروبة التي فيها الفئس وجوعه وكانت على ما قيل تنيف على ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل فتوغل المسلمون في تلك الاوعار اليهم وخالطوهم بها واشتد القتال واستمر القتل في الكتيبة التي دفعت أولا وانقضت عليهم العرب والمتطوعة وهنتاتة فطعنوهم طعنا وانكسرت شوكة الفئس بهم - لا كهم اذ كان اعتماده ومعوله عليهم وأسرع خيل من العرب الى أمير المؤمنين المنصور فأعلموه بان الله تعالى قد قل شوكة العدو وأشرف على الانهزام فعندها أمر المنصور بالرايات فرفعت وبالطبول فقرعت ورفع المسلمون أصواتهم بالتكبير وتسابقوا القتال العدو وخفقت البنود وزحف أمير المؤمنين نحو المعركة فلم يبرح الفئس اللعين الا الرايات قد أقبلت تخفق من كل جهة وزعقات الطبول والابواق وأصوات المجاهدين بالتكبير قد زلزلت الارض فقال ما هذا فقبل هذا المنصور قد أقبل في جيشه وما قاتلك سائر اليوم الا طلائعه ومقدماته فقد قذف الله الرعب في قلبه وخشعت نفوس جوعه وزلزلت بهم الارض زلزلا فلو الادبار لا يلوون على شيء وأسعدهم يومئذ من وجد في فرسه بقية تنجيهم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وأحاط بعض بهم بحصن الارك يظنون ان الفئس قد تحصن به وكان العدو قد دخل على باب وخرج على آخر من الناحية الاخرى واقحم المسلمون الحصن عنوة وأضرمو النيران في أبوابه واحتوا على جميع ما كان فيه وفي محلة العدو من الاموال والذخائر وأنواع السلاح التي تفوت الحصر ﴿﴾ وقال ابن خلدون ﴿﴾ كان ملوك الفرنج الذين قاتلوا المنصور يومئذ ثلاثة ابن اذفونش وابن الرند واليبوج قال واعتصم قلمهم بحصن الارك وكانوا خمسة آلاف من زعمائهم فاستنزطهم المنصور على حكمه حتى فودى بهم عددهم من المسلمين ﴿﴾ وفي القرمطاس ﴿﴾ ان عددا سارى الارك كانوا أربعة وعشرين ألفا فلق عليهم المنصور وأطلقهم قال فعز ذلك على جميع الموحدين وسائر المسلمين وعدت للمنصور سقطة من سقطات الملوك ﴿﴾ وقال ابن الاثير ﴿﴾ كانت الدائرة يوم الارك أولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج وانهمزمو أقبح هزيمة وكان عددهم قتل من الفرنج أزيد من مائة ألف وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا فغن الخيام مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفا ومن الخيل ستة وأربعون ألفا وقيل غنم ألفا ومن البغال مائة ألف ومن الخيل أربع مائة ألف ﴿﴾ قال في فتح الطيب ﴿﴾ جاء بها الكفار لجل أنقاعهم لانهم لا بيل لهم قال وأما الجواهر والاموال فلا تحصى ويبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحارب درهم وقسم المنصور الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع كذا في فتح الطيب ﴿﴾ وفي كامل ابن الاثير ﴿﴾ ان يعقوب المنصور رجه الله

نادى في عسكره من غنم شيا فهو له سوى السلاح وأحصى ما حل اليه منه فكان زيادة على سبعين ألفا لبس واستشهد من المسلمين نحو عشرين ألفا ثم تقدم المنصور بجيوشه الى بلاد الفرنج وأخذ يخرب المدن والقرى ويفتح الحصون والمعاقل ويقتل ويسبي ويأسر حتى وصل الى جبل سليمان ثم ثنى عنانه راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين من الغنائم ولم يعارضه من الفرنج معارض حتى وصل الى اشبيلية فاستقر بها وأما الفتنش فانه لما انهزم وصل الى طليطلة في أسوأ حال فخلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وركب حمارا وأقسم أن لا يركب فرسا ولا يغل لا ولا يتألم على فراش ولا يقرب النساء حتى تنصر النصرانية فجمع جموعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى المنصور فبعث الى بلاد المغرب مراکش وغيرها يستقر الناس من غير اكراه فأتاه من المتطوعة والمرتزقة جمع عظيم ثم مضى الى الفتنش فالتقوا في ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهمز الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدواب وغيرها ثم تقدم المنصور الى مدينة طليطلة فحاصرها وقتلها قتلا شديدا وقطع أشجارها وحرق الغارات على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون مثل قلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط وجبل سليمان واقليج وكثير من أحواز طليطلة ثم ارتحل عن طليطلة الى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف فقتل المقاتلة وسب النساء والذرية وغنم أموالها وهدم أسوارها وأضرم النيران في جوانبها وتركها قاعا صفصفا وثنى عنانه الى اشبيلية فدخلها غرة صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة فرفع اليه في القاضي أبي الوليد بن رشد المعروف بالحفيد مقالات نسب فيها الى المرض في دينه ومعتقده وكان أحد فلاسفة الاسلام ورعا ألقي بعضا بخط يده فحبس ثم أطلق وأشخص الى مراکش وبها كانت وفاته رحمه الله ثم خرج المنصور من اشبيلية غازيا لبلاد ابن اذفونش فسار حتى احتل بساحة طليطلة وبلغه ان صاحب برشونة قد أمد ابن اذفونش بعساكره وانهم جميعا يحصن مجريط فمضى اليهم ولما أطل عليهم انقضت جموع ابن اذفونش من قبل القتال ثم انكفأ المنصور راجعا الى اشبيلية ثم اجتمع ملوك الفرنج وأرسلوا يطلبون الصلح فأجابهم اليه وصالحهم على مدة خمس سنين بعد ان كان عازما على الامتناع مريدا للملازمة الجهاد الى ان يفرغ منهم فأتاه خبره على بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية وانه دخل افريقية وأراد الاستيلاء عليها ففت ذلك في عزمه وصالحهم على المدة التي ذكرنا وعقد على اشبيلية للسيد أبي زيد بن الخليفة وعلى مدينة بطايوس للسيد أبي الربيع ابن السيد أبي حفص وعلى المغرب للسيد أبي عبد الله ابن السيد أبي حفص ثم عبر البصر الى المغرب فوصل الى مراکش في شعبان سنة أربع وتسعين وخمسمائة ووفى فتح الطيب رحمه الله ان يعقوب المنصور لما حاصر طليطلة وضيق عليها ولم يبق الا فتحها خرجت اليه والدة الاذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألته ابقاء البلد عليهن فرفق لهن ومن عليهن به ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل وردهن مكرمات وعفا بعد القدرة والله تعالى أعلم **الطيفة** قال الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي رحمه الله في كتاب الفتوحات المكية ما نصه ولقد كنت بمدينة فاس سنة احدى وتسعين وخمسمائة وعساكر الموحدين قد عبرت الى الاندلس لقتال العدو حين استفحل أمره على الاسلام فلقيت رجلا من رجال الله ولا أذكرني على الله أحدا وكان من أخص أودائي فسالني ما تقول في هذا الجيش هل يفتح له وينصر في هذه السنة أم لا فقلت له ما عندك في ذلك فقال ان الله تعالى قد ذكره في كتابه ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح في هذه السنة وبشر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه الذي أنزله عليه وهو قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا فوضع البشرى فتحا مبينا من غير تكرار أو ألف فانها لاطلاق الوقوف في تمام الآية فانظر أعدادها بحساب الجمل فتظرت فوجدت الفتح يكون في سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم جئت الى الاندلس وقد نصر الله جيش المسلمين وفتح الله به قلعة رباح والوكو وكر كرا وما انضاف الى هذه القلاع من الولايات هذا عاينته من الفتح عن هذه صفته فأخذت

للفاء ثمانين و للتاء أربع مائة و للحاء المهملة ثمانية و للالف واحدا و لليم أربعين و للباء اثنتين و للياء عشرة و للنون خمسين و أما الالف فقد أخذ عدد ها و كان المجموع احدى وتسعين و ثمان مائة و هي سنو الهجرة الى هذه السنة فهذا من الفتح الالهى لهذا الشخص انتهى

﴿ذكر ما شيد المنصور وجه الله من الآثار بالمغرب والاندلس﴾

كان يعقوب المنصور رحمه الله لما عزم على المسير الى الاندلس بقصد الجهاد اوصى الى ثوابه ووكلائه
ببناء قصبة مراکش والاعتناء بتشيد قصورها فن آثاره الباقية بها الى الآن بابها المعروف بباب
آكناو ولا يريد على ضخامته وارتفاعه وأمرهم ببناء الجامع الاعظم بها المنسوب اليه الى اليوم وتشيد
مناره المائل به ومنار جامع الكتبيين المضروب به المثل في الارتفاع وعظم الهيكل **✽** قال ابن سعيد
طول صومعة الكتبيين بمراكش مائة ذراع وعشر أذرع ولما اجتاز المنصور في سفره هذا بأرض سلا
أمر أيضا ببناء مدينة رباط الفتح فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسة مائة وأكمل سورها وركبت أبوابها
وأمر ببناء المسجد الاعظم بطالعة سلا ومدرسته الجوفية منه **✽** قال صاحب الروض المعطار **✽** كان
يعمل في بنائه ونقل حجراته وترابه سبعة مائة أسير من أسارى الفرنج في قيودها وأمر ببناء جامع حسان
ومناره الاعظم المضروب به المثل في الضخامة وحسن الصنعة قالوا ولم يتم بناؤه ولما فرغ المنصور من
وقعة الاروك واحتل بمدينة اشبيلية أخذ في اتمام بناء جامعها الاعظم وتشيد مناره المشاكل للناظرين
المتقدمين فهو الثالثة الاثاني بالنسبة لهما بل قيل انه ليس في بلاد الاسلام منار أعظم منه وعمل لهذا المنار
تفافيح من ألمح ما يكون **✽** قال في القرطاس **✽** بلغت من العظم الى ما يعرف قدره الا ان الوسطى منها
لم تدخل على باب المنار حتى قلعت الرخامة من أسفل وزنة العمود الذي ركب عليه أربعون ريعان
الحديد وكان الذي صنعها ورفعها في أعلى المنار المذكور المعلم أبو الليث الصقلي وموتت تلك التفافيح
بمائة ألف دينار ذهباً ولما اكمل جامع اشبيلية وصلى فيه أمر ببناء حصن البرج على وادي اشبيلية وقد
تقدم لنا في أخبار عبد المؤمن انه هدم أسوار مدينة قاس وان حافذه المنصور هذا شرع في بنائها ثم أتمها
ابنه الناصر من بعده ولما رجع المنصور من الاندلس الى مراكش وجد كل ما أمر به من البناء قد تم
على أكمل حال وأحسنه مثل القصبة والقصور والجامع والصوامع وأنفق على ذلك كله من أخماس
الغنائم وكان قد تغير على الوكلاء والصناع الذين تولوا بناء ذلك لانه سمى اليه بانهم احتجوا الاموال
وصنعوا للجامع سبعة أبواب على عدد أبواب جهنم فلما دخله المنصور وتوقف به أعجبه فسأل عن عدد
أبوابه فقيل انها سبعة أبواب والثامن هو الذي يدخل منه أمير المؤمنين فقال المنصور عند ذلك لا بأس
بالغالى اذا قيل حسن واتخذ المنصور رحمه الله في جامع هذه المصلا به مقصورة عجيبة كانت مدبرة
بجبل هندسية بحيث تنصب اذا استقر المنصور ووزرائه بمصلا منها وتختفي اذا انفصلوا عنها **✽** حتى
الشريف الغرناطي شارح الحازمية عن الكاتب البارع أبي الحسن عبد الملك بن عياش أحد كتّاب
المنصور قال كانت لابي بكر يحيى بن مجير الشاعر المشهور وفادة على المنصور في كل سنة فصادف في
احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره في حضرة مراكش
وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترتفع بها الخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بياض المنصور
يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعاراً أنشدوه اياها في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزية الخبير
فما جئتم من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قدم أبو بكر بن مجير فانشد
قصيده التي أولها أعلمني ألقى عصا التسيار * في بلدة ليست بدار قرار
واسمرفها حتى ألم بذكر المقصورة فقال بصفها

طورات تكون بين حوته محيطه • فكأنها سور من الاسوار

وتكون حينئذ منهم مخبوة * فكانها سر من الاسرار
 وكانها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
 فاذا أحست بالامام يزورها * في قومته قامت الى الزوار
 يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات للارقار
 فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها * وقال أبو العباس المقرئ في نفع الطيب * وقد بطلت
 حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حشما شاهدته سنة عشر وألف والله وارث الارض ومن
 عليها ومن شعرا بن مجير يصف خيل المنصور من قصيدة مدحه بها قوله

له حلبة الخيل العتاق كأنها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
 عرائس أغنتها الجول عن الحلى * فلم تبغ خلخال ولا التمسست وقفنا
 فن يقق كالطرس تحسب انه * وأن جوده في مـلائته التفنا
 وأبلى أعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفنا
 ووردت غشى جلدته شفق الدجا * فاذحازه دلى له الذيل والعرقا
 وأشقر حج الراح صرفا أديمه * وأصف فرم عسج بها جلده صرفا
 وأشهب فضى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهومة حرفا
 كما خطط الراهى به رق كاتب * فجر عليه ذيله وهو ماجفا
 تهب على الاعداء منها عواصف * ستنسف أرض المشركين بها نسفا
 ترى كل طرف كالغزال قمتمرى * أنظيها ترى تحت الهاجة أم طرفا
 وقد كان في البيداء بألف سر به * فربته مهرا وهى تحسبه خسفا
 تناوله لفظ الجواد لانه * اذا ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا
 وعما مدحه المنصور رجه الله قول بعض شعراء عصره حين طلب منه الفئش الصلح فأجاب به اليه
 أهل بان يسـمى اليه ويرتجى * ويزار من أقصى البلاد على الرجا
 من قد غدا بالمكرمات مقلدا * وموشحا ومختما ومتوجا
 عمرت مقامات الملوك بذكره * وتعطرت منه الرياح تأرجا
 ودخل عليه الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكافى الاسود الشاعر فأنشده

أزال حجاب عني وعيني * تراه من المهابة في حجاب
 وكانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنوعم تكرورو وليس اسمهم اللاتساب لاب أولام وانما كانم
 اسم بلدة بنواحي غانة فسمى هذا الجنس بها وكذلك تكرورو اسم للارض التى هم بها فسموا بها والله أعلم

بقية أخبار المنصور وسيرته

وقال ابن أبي زرع * كان المنصور رجه الله ذارأى وحزم ودين وسياسة قال وهو أول من كتب العلامة
 بيده من ملوك الموحدين الحمد لله وحده فجري عملهم على ذلك وقد تقدم لنا ان ذلك كان في دولة أبيه
 قاله أعلم وهو واسطة عقد ملوك الموحدين الذى ضخم الدولة وشرّفها وكانت أيامه أيام دعة وأمن
 ورخاء ورفاهية وبهجة صنع الله عز وجل في أيامه الأمن بالشرق والمغرب والاندلس فكانت الطمينة
 تخرج من بلاد نول فتنتهى الى برقة وحدها لا ترى من يعرض لها ولا من يسومها بسوء ضبط الثغور
 وحصن البلاد وبني المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والمغرب والاندلس وبني المدارس للراضى
 والمجانين وأجرى عليهم الانفاق في جميع أعماله وأجرى المراتب على الفقهاء وطلبة العلم كل على قدر
 مرتبته وبني الصوامع والقناطر وحفر الآبار للماء في البرية واتخذ عليها المنازل من السوس

الاقصى الى سويقة ابن مصكوك فكانت أيامه زينة للدهر وشرفا للاسلام وأهله **وقال ابن**
خلكان كان يعقوب المنصور رحمه الله صافي السمرة جدا الى الطول ما هو بجيد الوجه أفوه
 أعين شديد الكحل ضخم الاعضاء جهورى الصوت جزل اللفاظ من أصدق الناس لهجة
 وأحسنهم حديثا وأكثرهم اصابة بالظن مجرب بالامور ولى وزارة أبيه فبحث عن الاحوال بحنان شافيا
 وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الامور فلما مات أبوه اجتمع
 رأى أشياخ الموحدين على تقديمه فقام بالامر أحسن قيام ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل
 وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع وقطر في أمور الدين والورع وأقام الحدود حتى في أهله
 وعشيرته الاقربين كما أقامها في سائر الناس أجمعين فاستقامت الاحوال في أيامه وعظمت الفتوحات
 وكان قد أمر لاول دولته بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات وأرسل بذلك الى سائر بلاد الاسلام
 التى فى مملكته فاجاب قوم وامتنع آخرون وكان ملكا جوادا عادلا متمسكا بالشرع المطهر يأمُر
 بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغي من غير محاباة ويصلى بالناس الصلوات الخمس ويلبس الصوف
 ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق **وقال ابن خلكان** وسمعت عنه حكاية يليق أن نذكرها هنا
 وهى ان الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص كان قد تزوج أخت يعقوب المنصور فقامت عنده
 ثم جرت بينهما منافرة فغابت الى بيت أخيها يعقوب المنصور فسير الشيخ عبد الواحد فى طلبها فامتنعت
 عليه فشكى الشيخ عبد الواحد ذلك الى قاضى الجماعة براكش وهو أبى عبد الله محمد بن على بن مروان
 فاجتمع القاضى المذكور بامير المؤمنين يعقوب المنصور وقال له ان الشيخ أبى محمد عبد الواحد يطلب
 أهله فسكت عنه المنصور ومضت أيام ثم ان الشيخ أبى محمد اجتمع بالقاضى المذكور فى قصر المنصور
 براكش وقال له أنت قاضى المسلمين وقد طلبت أهلى فما جأؤنى فاجتمع القاضى بالمنصور وقال له يا أمير
 المؤمنين الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية فسكت المنصور ثم بعد ذلك جئته لى الشيخ
 عبد الواحد القاضى بالقصر المذكور وقال له يا قاضى المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة أنا أطلب
 أهلى وقد منعونى منهم فاجتمع القاضى بالمنصور وقال له يا مولانا ان الشيخ عبد الواحد قد تكبر وطلبه
 لاهله فاما ان تسير اليه أهله واما ان تعزاني عن القضاء فسكت المنصور وقيل انه قال له يا أبى عبد الله
 ما هذا الا جد كبير ثم استدعى خادما وأمره سربا ان يحمل أهل الشيخ عبد الواحد اليه فحملت اليه فى ذلك
 اليوم ولم يتغير على القاضى ولا قال له شيئا بكرهه وتبع فى ذلك حكم الشرع المطهر وانقادا لمره وهذه
 حسنة تعدله وللقاضى أيضا فانه بالغ فى إقامة منار الشرع والعدل وكان المنصور يشدد فى الزام الرعية
 بإقامة الصلوات الخمس وقتل فى بعض الاحيان على شرب الخمر وقتل العمال الذين تشكروهم الرعايا
 وأمر برفع فروع الفقه واحراق كتب المذاهب وان الفقهاء لا يفتون الا من الكتاب والسنة النبوية
 ولا يقلدون أحدا من الأئمة المجتهدين بل تكون أحكامهم بما يؤدى اليه اجتهادهم من استنباطهم
 القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس **وقال ابن خلكان** ولقد أدركنا جماعة من مشايخ
 المغرب وصلوا الينا وهم على ذلك الطريق مثل أبى الخطاب بن دحية وأخيه أبى هريرة بن عيسى بن عربى
 نزيل دمشق وغيرهم وكان يعاقب على ترك الصلوات ويأمر بالنداء فى الاسواق بالمبادرة اليها فن غفل
 عنها أو اشتغل بمعيشته عززه تعزير ابليغا وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى انه لم يبق
 بجميع أقطار بلاد المغرب من البصر المحيط الى برقة الا من هو فى طاعته وداخل فى ولايته الى غير ذلك
 من جزيرة الاندلس وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للادباء مهغيا الى المدح مثيرا عليه وله آلاف
 أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى كتابه الذى سماه صفوة الادب وديوان العرب فى مختار الشعر
 وهو مجموع مليح أحسن فى اختياره كل الاحسان وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن التوقيع واجادته

وقد تقدم لنا ما وقع به على كتاب الفتن وحكى ابن الخطيب في رقم الحل * ان المنصور طلب يروا من قاضيه ان يختاره رجلين لغرضين من تعليم ولد وضبط امره ففرقه برجلين قال في أحدهما وهو بحرف في علمه وقال في الآخر وهو بر في دينه ولما خرج المنصور أحضرهما واختبرهما فقصر ابن يديه وأكذبا الدعوى فوقع المنصور على رقعة القاضي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ظهر الفساد في البر والبحر قال ابن الخطيب وهذا من التوقيع العريق في الاجادة والصنعة وكان مجلس المنصور رحمه الله مجلس الفضلاء والادباء وأرباب المعارف والفنون (حكي) أبو الفضل التيفاشي قال جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب يعقوب المنصور وكانت بين الفقيه أبي الوليد بن رشد المعروف بالحفيد والرئيس الوزير أبي بكر بن زهر بضم الزاي وكان الاوّل قرطيباً والثاني اشبيلية قال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حلت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حلت الى اشبيلية وهذا الوزير ابن زهر هو أحد أعيان وزراء الدولة الموحدية ووزر للمنصور ولا يبه من قبله * قال ابن خلدون كان ابن زهر من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماة وزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامره وكان يتكرر ووده على الحضرة بمراكش فيقيم بها ويرجع الى الاندلس ومما قاله بمراكش يتشوق الى ولده صغير تركه باشبيلية

ولي واحد مثل فرخ القطا * صغير تخلفت قلي لديه
نأت عنه دارى فيا وحشتى * لذاك التخصيص وذاك الوجيه
تشوقنى وتشوقته * فيبكي على وأبكي عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا * فنه الى ومنى اليه

* قال العلامة الاديب أبو العباس المقرئ في نفع الطبيب * أخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير الفسافي الاندلسي الاصل القاسمي المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان أبي العباس المنصور بالله السعدي ان ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمعهما يعقوب المنصور رحمه الله أرسل المهندسين الى اشبيلية يعني من غير علم من ابن زهر وأمرهم أن يحيطوا علمائبيوت ابن زهر وحارته ثم ينوamئها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم به في أقرب مدّة وفرشهم بائتمل فرشته وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فرآه أشبه شئ ببيوته وحارته فاحتار لذلك وظن انه نائم وان ذلك أحلام فقبل له ادخل البيت الذي يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذي يتشوق اليه ياعب في البيت فحصل له من السرور ما لا مزيد عليه ولا يعبر عنه * هكذا هكذا والافلا * ومن أطباء المنصور الوزير الطبيب الشهير أبو بكر بن طفيل من أهل وادي آش كان حاذقاً بصناعة الطب والجراحات ومن أطبائه أيضاً الحفيد بن رشد المتقدم الذكر ومن كتابه الكتاب البارع أبو الحسن عبد الملك بن عياش القرطبي النشأة الليابوري الاصل والفقيه البارع أبو الفضل بن طاهر من أهل بجاية ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه ويسامرونه الفقيه الحافظ أبو بكر بن الجدد والفقيه القاضي أبو عبد الله بن الصقر وغيرهم رحم الله الجميع

* وفاة يعقوب المنصور رحمه الله *

* قال ابن أبي زرع * لما رجع المنصور من الاندلس الى مراكش أخذ البيعة لولده أبي عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله فبايعه كافة الموحدين وسائر أهل الامصار والاقطار فلما تمت البيعة للناصر المذكور وجلس في محل الخلافة وجرت الاحكام والاوامر باسمه وعلى يديه في حياة أبيه دخل المنصور قصره فلزمه * وقال ابن خلدون لما وصل المنصور الى مراكش يعني بعد قدومه من الاندلس أمر باتخاذ الاحواض والزوايا والاسـفر للتوجه الى بلاد افريقية فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا له

باسدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس فثنا من له خمس سنين وغير ذلك فقتم علينا بالملهة هذا العام وتكون
الحركة في أول سنة خمس وتسعين وخمسمائة فأجابهم إلى سؤالهم وانتقل إلى مدينة سلا وشاهد ما فيها
من المنتزهات المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على
هيئة الاسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحصينه وتحسينه وبناه على البحر المحيط
الذي هناك وهو على غير سلا مقابلة لها من البر القبلي وطاف تلك البلاد وتزده فيها ثم رجع إلى مراکش
وقال ابن خلدون كان في وقت هذا الاختلاف الروايات في أمره فمن الناس من يقول انه ترك ما كان فيه وتجرد
وساح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف ومات غاملاً ومنهم من يقول انه لما
رجع إلى مراکش كما ذكرناه توفي في غرة جمادى الأولى وقيل في ربيع الآخر في سبع عشرة وقيل
في غرة صفر ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك إلى حين وفاته وقيل توفي بمدينة سلا وقال ابن خلدون كان في
ثم حكى لي جمع كثير بدمشق ان بالقرب من المجدل البليدة التي من أعمال البقاع العزيزي قرية يقال لها
جارية وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك المغرب وكل أهل تلك النواحي متفقون على
ذلك وليس عندهم فيه خلاف وهذا القبر بينه وبين المجدل مقدار فرسخين من جهة القبلية بغرب قال
وكان أوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليرحم عليه من يمر به وقال المقرئ في نفع الطبيب في هذه مقالة
عاقبة لا يثبتها علماء المغرب وسبب هذه المقالة توالع العامة به فكذبوا في موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا
ما شاع إلى الآن وذاع مما ليس له أصل ثم نقل عن الشريف الغرناطي من ذلك فانتظره وقال مؤلفه
عفا الله عنه في وعندي ان انكار ما حكاه ابن خلدون ليس بجيد وهب ان أهل المغرب قالوا ذلك تولع به فها
بال أهل المغرب يتولعون به ويتخذون له الشهيد ثم يتفق كبيرهم وصغيرهم على انه قبر يعقوب ملك المغرب
من غير أصل ولا مستند هذا بعيد في العادة بل لا بد أن يكون لذلك أصل والله أعلم بحقيقته في نعم ما ترجمه
عامة المغرب في جهة أبي يعقوب التي بقرب مدينة فاس انهم امنسوبة ليعقوب المنصور هذا وانهم رصد لها
عفرتين يوقدان عليها إلى الابد وان حرارة ماؤها بسبب ذلك الايقاد وان الشفاء الذي يحصل للمستحسين
بها انما هو ببركة يعقوب المنصور وجعلوا له زوجة أو بنتا اسمها شافية اشتقاقا من لفظ الشفاء الحاصل
بتلك العين كله باطل وانما حرارة العين الخاصة أو دعوا الله في أصلها ومنبعها وكذا الشفاء الحاصل بها
انما هو بخاصية في ذلك الماء ولعلها ما فيه من الكبريتية فان ترى أصحاب الجرب يلتطخون بالكبريت
المعالج فيشفون وكمن عين على وجه الأرض في المشرق والمغرب وبلاد المسلمين ولا كفار على هذه الحالة
كما أخبر بذلك غير واحد وقال الجوهرى في الصحاح في الحجة العين الحارة يستشفى بها الاعلاء والمرضى
في الحديث في العالم كالحجة اه ومثله في القاموس بل ذكر فيه ان مدينة تغليس وهي قصبة
كريستان عليها سوران قال وجما ماتمها تنبع ماء حار بغير نار وقد ذكر ابن أبي زرع في القرطاس جهة
أبي يعقوب هذه وذكر معها حجتين أخريين فقال وبالقرب أيضا من مدينة فاس على مسيرة أربعة أميال
منهاجة عظيمة تعرف بحمة خولان ماؤها في أشد ما يكون من السخونة وبالقرب أيضا منها حمة وشنة
وجهة أبي يعقوب وهي من الحجات المشهورة بالمغرب اه كلامه فقد ذكر أبو يعقوب بلفظ الكنية فهو
غير يعقوب المنصور قطعا ولعله أبو يعقوب الاشقر الذي ذكره في أحداث المائة السابعة
وقال ابن خلدون في الكلام على وفاة المنصور عند علماء المغرب فنقول وقال ابن الخطيب في رقم الحمل في
توفي يعقوب المنصور رحمه الله في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة
ودفن بمجلس سكاك من مراکش وكذب العامة بموته ولوعا وتمسك به فادعوا انه ساح في الأرض اه
وقال ابن أبي زرع لما حضرت المنصور الوفاة قال ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاث
وددت اني لم أفعلها (الأولى) ادخال العرب من افريقية إلى المغرب مع اني أعلم انهم أهل فساد (والثانية)

بنامو رباط الفتح أنفقت فيه بيت المال وهو بعد لا يعمر (والثالثة) اطلاق أسارى الارك ولا بد لهم ان يطلبوا بثأرهم * فقامت * ما ذكره رحمه الله في رباط الفتح من انه لا يعمر قد تخلف ظنه فيه فهو اليوم من أمصار المغرب وأحضرها حرسه الله وحرس سائر أمصار المسلمين من آفات النقصان وطوارق الحدثن * ولقد كرم * ما كان في هذه المدة من الاحداث فنقول * وفي سنة أربعين وخمسة مائة * هدم على ابن عيسى بن ميمون وكان من رؤساء البصر في دولة اللتوينين صنم قادم وقادم هذه هي الجزيرة المسماة في لسان العامة اليوم بقالص وكان بها صنم عظيم على صورة رجل ويده مفتاح يقال ان حكام اليونان اتخذوه طسما هناك كان من خاصيته ان ينعج هبوب الريح فيما جاوره من البحر المحيط فكانت السفن لا تجري هناك على ما قيل فلما تار ابن ميمون المذكور بالجزيرة المذكورة ظن ان تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيئا * وفي السنة المذكورة * توفي أبو علي منصور بن ابراهيم المسطاسي دفن آرمور وكان كبير الشأن من أهل العلم والعمل ومن أشياخ أبي شعيب السارية * وفي سنة أربع وأربعين وخمسة مائة * توفي الامام المهام الحافظ البارع أبو الفضل عياض بن موسى البصب * وقال ابن خلكان * توفي عمرا كش يوم الجمعة سابع جادى الآخرة وقيل في شهر رمضان من السنة المذكورة ودفن بباب آبلان داخل المدينة وذلك في دولة عبد المؤمن بن علي * وفي سنة تسع وخمسين وخمسة مائة * توفي الشيخ أبو الحسن علي بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن حزمهم ينتهي نسبه الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو من أهل مدينة فاس وبها توفي آخريات شعبان من السنة المذكورة وكان فقيها زاهدا صوفيا قال أبو الحسن المذكور راعة كفت على قراءة الاحياء سنة فحدثت المسائل التي تنتقد عليه وعزمت على أحراق الكتاب فتمت قرأتها لا يقول جردوه واضربوه حد الفرية فضربت عانين سوطا فلما استيقظت جعلت أقاب ظهري ووجدت الألم الشديد من ذلك فقتبت الى الله ثم تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة وقد تقدم لنا ما اتفق له مع السلطان في جنازة أبي الحكم بن بركان * وفي سنة احدى وستين وخمسة مائة * توفي الشيخ القدوة أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الملقب بسارية من أهل مدينة آرمور وبها توفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الثاني من السنة المذكورة وكان رضي الله عنه شديد المراقبة والورع والخوف من الله تعالى وكان اذا وقف في صلاته يطيل القيام فذلك لقب بالسارية ونقلت عنه في الورع والخوف حكايات انظر التشوف * وقال مؤلفه رضي الله عنه * كنت زرت ضريح هذا الشيخ سنة ثمانين ومائتين وألف ومدحته بقصيدة سلكت فيها مسلك الادباء من النسيب وغيره وأنشدتها عند ضريحه فرأيت لها بركة والحمد لله فأجبت أن أذكرها هنا وهي هذه

لله يارب أربع ما هيبت من ثجن * على الفؤاد ومن ضنى على البدن
وقفت فيك ركبا طالما وقفت * على القصور على الاطلال والدمن
أيام فيك حسان ما أشبهها * بالشمس حسنا ولا في اللين بالغصن
وفيك أسد من الملوكة عادت * بذي النصار وصون البيض والحصن
يحمون منك عراصا كنت أعهد * ماوى السرور فمادت موقف الحزن
عانت يد الدهر فيهم منذ أزمنة * كأن بأسهم المحذور لم يكن
قوم عرفت نداهم قبل معرفتي * نفسي وفاجأتني في المهدي باليمن
ومذتر عرفت لم أعاق بغيرهم * حتى كأن في رضعت الحب في الدين
قضيت حق الشباب في منازلهم * أيام عيش لنا أحلى من الوسن
من ظن بالدهر خيرا فهو مخدع * فوده همدنة تبنى على دخن
لا أنتهى منها الا شرفت به * ولا أحل مكانا ليس بالحنين

ولا أصاحب من هذا الوري بشرا * الا حصلت على رزق من الاحن
حتى توهمت اني جنيت لهم * حرب البسوس وانني أبو القسطن
وما لذي الفضل من ذنب يلام به * سوى فضيلته في دهره الزمن
فعدت قلب عن شكوى أضيق بها * ذرعا فشكواك لي ضرب من الوهن
ولست أحسب هذا الدهر مرعويا * ولو تعلق منسبه بآب ذى وزن
حالا لقد علفت يدي بمن علفت * أيدي العفاة به في الشام واليمن
بأعظم الناس منزلا ومنزلة * وأسمح الناس كفا بالندى الهتن
وأشعخ الناس قدرا في الوري وعلا * وأحكم الناس للفروض والسنن
ذاك الولي الذي كل الانام غدا * يتلو مناقبه في السر والعلن
أبو شعيب الذي من بحره انشعبت * جداول اليمن في الاحياء والمدن
بدر غدا في سماء المجد مكتملا * به عملا ذكر آرمور في الوطن
أرض اذا الضرع المحروم يعمها * ألقي بها بذل الالهين والسكن
أود من أجل ثاويها حجارتها * وأجعل الترب لي مسكبا لثمن
وكيف لا تطبي قلبي منازل من * به أكون من الاحداث في حن
مجلي الغياهب مبذول المواهب مقفوا * المذاهب بالجنيح والقرن
بحر الحقيقة والغوث الذي لهجت * به القبائل في المقام والنظم
ما زال يرقى الذرامن كل سالحة * حتى اكتسى شهرة النيران في القن
يا خير من أتمه العافي ولا ذبه * أهل الجراثم والاوزار والمحن
اني خدمتك في شعر عنيت به * وايس لولا حلالك الزهر بالحسن
أشكو اليك سقاما أنت مبرته * ولست أرجو سواك منه ينعشني
وشدأ زرى فاني كنت معتقدا * اذا بلغت لك قدت الدهر بالرسن
وانظر بفضلك من وفاقك معتفيا * فان نظرت فكل الخير يشعني
وأعظم السؤل منك النفس تصلحها * وطهر القلب مالا مراض والدون
وامنحه نورا وتوفيقا ومعرفة * أرى بها عملي والبر في قرن
فخدع بارمت من جدواك بأملتي * فبجودك عذب ليس بالاجن
سقي ضريحك غيث ما يزال به * بستان أنسك وهو مورق الفن
يجاء أفضل خالق الله كلهم * محمد ذي المزايا الغر والمدن
عليه أزكى صلاة الله ماتليت * صحف وما نسج القريض ذولسن
والآل والعصب والازواج قاطبة * ومن قفا نهمهم في كل مازمن

﴿واعلم﴾ ان التعلق بأولياء الله رضي الله عنهم يجب أن يكون مع استحضار ان الله تعالى هو المطلوب على الحقيقة والفاعل للأشياء كلها لا معبود غيره ولا مرجؤ سواه وانما التمسك بأهل الله لاجل التبرك بهم والاستشفاع بهم الى الله تعالى لانهم أبواب الله والدالون عليه نفعنا الله بهم وأفاض علينا من مددهم آمين ﴿وفي سنة تسع وستين وخمسة﴾ توفي الشيخ الفقيه العالم أبو اسحق ابراهيم بن يوسف المعروف بابن قرقر صاحب كتاب مطالع الانوار الذي وضعه على مثال كتاب مشارق الانوار للقاضي عياض كان من الافاضل وصحب جماعة من علماء الاندلس وتوفي بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصر سادس شوال من السنة المذكورة وكان قد صلى الجمعة في الجامع ذلك اليوم فلما حضرته الوفاة تلى سورة

الاحلاس وجعل يكررها بسرعة ثم تشهد ثلاث مرات وسقط على وجهه ساجدا فوقع ميتا رحمه الله
 في سنة سبعين بعد هاجم توفي الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد الانصاري المعروف
 بالمتيطي ومتيطه قرية باحواز الجزيرة الخضراء وهو الموثق المشهور لازم مدينة فاس خاله أبا الحاج
 المتيطي وبين يديه تعلم عقد الشروط وله كتاب كبير في الوثائق سماه النهاية والتمام في معرفة الوثائق
 والاحكام ثم انتقل الى سبتة فاستوطنها ولازم مجالس علماء بالمنظرة والتفقه ومهر في كتابة الشروط
 واشتغل بها حتى لم يكن في وقته أقدر منه عليها وكان له في السجلات اليد الطولى وطبع عليها حتى كاد
 طبعه لا يواتيه في سواها بل كان طبعه في ذلك أكثر من فقهه ثم ولى القضاء بشريش وأصابه خسر
 لازمه فعوال سنتين ثم توفي مستهل شعبان من السنة المذكورة في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة
 توفي وحيد عصره وأعجوبة دهره الولي العارف الشيخ أبو يعزى يلتور بن ميمون قال قوم انه من
 هزميرة ابرجان وقيل من بني صبيح من هسكورة مات وقد نيف على المائة بنحو الثلاثين سنة ودفن بجبل
 ابرجان في أوائل شوال من السنة المذكورة كان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه يقول رأيت أخبار
 الصالحين من زمن أويس القرنى الى زماننا هذا رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى قال وتظرت
 في كتب التصوف فأرأيت مثل الاحياء للغزالي وكان لباس الشيخ أبي يعزى برنسا أسود مرقوعا الى
 أسفل من ركبتيه وجبة من تليس مطرّف وشاشية من عزف وكان يتعش من نبات الارض ولا يشارك
 الناس في معائشهم وكان طويلا رقيقا أسود اللون وكان اذا جنه الليل دخل غيضة كثيرة السباع يتعبد
 فيها فاذا قرب القبر أعلم أصحابه وأحواله رضى الله عنه وكراماته كثيرة في سنة ثلاث وسبعين
 بعد هاجم توفي الشيخ العارف أبو الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي دفين قصر كتامة نشأ بشلب من
 بلاد الاندلس وقرأ بقرطبة واستقر آخر بقصر كتامة وبه توفي في السنة المذكورة وقيل ان وفاته كانت
 سنة ثمان وستين قبل هذا التاريخ والله أعلم وكان رضى الله عنه متمكنا في علوم القوم وكان الاولياء
 يحضرون مجلسه وهو من تلامذة أبي العباس بن العريف المتقدم الذكر في سنة ثمانين وخمسمائة
 توفي الشيخ أبو عبد الله التاودي المعلم من أهل مدينة فاس ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى وكان يعلم الصبيان
 فيأخذ الاجر من أولاد الاغنياء فيرده على أولاد الفقراء ومات بفاس في السنة المذكورة وهذه النسبة
 الى بني تاودي وهي قبيلة بقرب فاس في سنة احدى وثمانين بعد هاجم توفي الامام المشهور أبو زيد
 عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن أحمد السهيلي الختومي صاحب كتاب الروض الاتف وغيره
 من التأليف الحسان وصاحب الايات المشهورة في الدعاء وهي

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
 يا من يرجي للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفرع
 يا من خزان رزقه في قول كن * آمن فان الخير عندك أجمع
 مالي سوى فقري اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقري أدفع
 مالي سوى قرع لبابك حيلة * فلتن ودت فأى باب أقرع
 ومن الذى أدعوا أهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
 حاشى لمجدك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع

كان ببلدة سهيل وهي قرية بالقرب من مالقة يتسوق بالعفاف ويتبلى بالكفاف حتى غي خبره
 الى السلطان بمراكش فطلبه اليها وأحسن اليه وأقبل بوجهه غاية الاقبال عليه فأقام بها نحو ثلاث
 سنين ثم توفي بها يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ودفن وقت الظهر
 خارج باب الرب أحد أبواب مراكش وكان رحمه الله ضريرا نفعنا الله تعالى به في سنة تسعين

ونخمسائة حج توفي ولي الله تعالى أبو محمد عبد الحليم بن عبد الله المراسي المعروف بالفصاد من صلحاء سلا
كان رحمه الله عبدا صالحا يدور على المكاتب ويستوهب الدعاء من الصبيان ويبيكي على نفسه وله كرامات
وتوفي ببلده المذكور وقبره معروف ملاصق للمسجد الأعظم قرب باب الكبير من جهة القبلة توفي
سنة ثلاث وتسعين ونخمسائة حج توفي الشيخ أبو يعقوب يوسف بن علي المبتلي المهدود في سبعة رجال من
صلحاء مرا كش كان رضي الله عنه كبير الشأن فاضلا صابرا راضيا على ربه فيما ابتلاه به من داء الجذام
سقط بعض جسده ذات يوم فصنع طعاما كثيرا للفقراء شكر الله تعالى على ذلك وكان يسكن بحارة الجذى
العتيقة قبلي مرا كش وبها مات في شهر رجب من السنة المذكورة ودفن خارج باب انغمات عند رابطة
الغار واحتفل الناس لجنائزه رضي الله عنه توفي سنة أربع وتسعين بعد هاجم توفي الشيخ العارف بالله
تعالى أبو مدين شعيب بن الحسن الانصاري الولي الكبير المشهور أصله من حصن قطينانة من عمل
اشيلية ثم انتقل إلى العدو فآخذ عن الشيخ أبي الحسن بن حزم وعن الشيخ أبي يعزى وبه انتفع وعليه
تخرج وكان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه من العارفين الراسخين قد خاض من الأحوال بحارا ومن
العارف أسراراً وجال في حدائث سنة في بلاد المغرب من سنة ومرا كش وفاس ولازم بفاس الشيخ
ابن حزم كما قلنا ثم سمع بخبر الشيخ أبي يعزى فقصده وأخذ عنه وظهرت عليه برهته **توفي** قال الشيخ
أبو مدين **توفي** لما قدمت فاسا لقيت بها الأشياخ فسمعت وعاية المحاسبي على أبي الحسن بن حزم وكتاب
النسب للترمذي على أبي الحسن بن غالب وأخذت طريقة التصوف على أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن
السللاوي قال وكنت أزور الشيخ أبي يعزى مرارا فقال لي جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزى قد
ثبتت عندنا ولاية أبي يعزى ولما كنا نشاهده يلبس بطون النساء وصدورهن ويتفل عليهن فيبرأن ونحن
نرى أن لمسهن حرام فان تكلمنا في هذا هل كنا وان سكتنا حرامنا فقلت لهم أرايت لو ان ابنة أحدكم أو أخته
أصابها داء لا يطلع عليه إلا الزوج ولم يوجد من يعاينه إلا طبيب يهودي أو نصراني ألسنته تميزون ذلك
مع أن دواءه مظنون ودواء أبي يعزى أنتم على يقين منه فبلغ كلامي أبي يعزى فاستحسنه **توفي** قال محمد بن
ابراهيم الانصاري **توفي** خرج الشيخ أبو مدين ألف تلميذ وجاءه رجل لمعترض عليه فحاس في الحلقة فقال له
أبو مدين لم جئت قال لا أقبس من نورك فقال له ما الذي في كك فقال له مصحف فقال له افتحه وقرأ أول
سطر يخرج لك ففعل فخرج له قوله تعالى الذين كذبوا شيعييا كانوا هم الخاسرين فقال له أبو مدين
أما يكفيك هذا فاعترف الرجل وتاب وكراماته رضي الله عنه **توفي** وكان استوطن في آخر عمره
بجاية وكثر عليه الناس وظهرت على يده كرامات فوشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور
وقال له انا نخاف منه على دوائكم فان له شيا بالامام المهدي وأتباعه كثيرون بكل بلد فوق منه ذلك
فكتب لصاحب بجاية يبعثه اليه وأوصاه بالاعتناء به وان يحمله اليه خير تحمل ففعل ولما كان الشيخ
أبو مدين رضي الله عنه بالطريق مرض مرض موته فلما وصل وادى يسر قرب تلمسان اشتد به مرضه
فتزلوا به هنالك فكان آخر كلامه الله الحق فتوفي ودفن برابطة العباد قرب تلمسان وسمع أهل تلمسان
بجنائزه فحضروها وكانت من المشاهد العظيمة **توفي** سنة خمس وتسعين ونخمسائة حج توفي الشيخ الفقيه
الصالح أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المهدوي صاحب كتاب الهداية أقام نحو أربعين سنة لم تفته صلاة
في جماعة الا يوما واحدا لم يذرعاقه عن ذلك دخل مدينة فاس ومعه نحو من أربعين ألفا من المال
لما زال ينفقها في سبيل الخير حتى لم يبق له الا دوا سكاها فباعها من بعض أهل فاس وأمره المشتري لها
فلما خرجت منها جنازته حازها المشتري المذكور وكانت وفاته يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى
الاولى من السنة المذكورة (واعلم) انا قد قدمنان الشيخ أبا مدين كان تلميذ الشيخ أبي يعزى وكان الشيخ
أبو يعزى تلميذ الشيخ أبي شعيب السارية وكان الشيخ أبو شعيب تلميذ الشيخ أبي ينور الدكالي نفعنا الله

بجميعهم وأفاض علينا من مددهم آمين ولترجع الى أخبار الدولة الموحدية فنقول

✽ الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله ✽

بويح لابي عبد الله محمد الناصر لدين الله في حياة والده يعقوب المنصور ثم جددت له البيعة بعد وفاته وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة وهو اليوم الذي توفي فيه أبوه فأقام بمراكش بقية ربيع الأول وجميع الثاني ثم نهض في فاتح جمادى الأولى الى فاس فأقام بها بقية السنة المذكورة ثم غزا جبال غمارة من أجل علودان الغماري النازر بها ففتحها ثم رجع الى فاس فآتم بناء سورها الذي كان نربه عبد المؤمن وبنى قصبتها ورتب أمورها وأقام بها الى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة فعاد الى مراكش وأقام بها الى ان كان ما نذكره

✽ غزو الناصر بلاد افريقية وولاية الشيخ أبي محمد بن أبي حفص عليها والسبب في ذلك ✽

لما هلك المنصور رحمه الله قوى أمر يحيى بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية بافريقية واستولى على أعمال قراقوش الغزي صاحب طرابلس وعلى المهديّة وتغلب على بلاد الجريد ثم نازل تونس سنة تسع وتسعين وخمسمائة واقتحمها غنوة لاربعة أشهر من حصارها في ختام المائة السادسة وقبض على السيد أبي زيد وابنه ومن كان معه من الموحدين وطالب أهل تونس بالنفقة التي أنفق وبسط عليهم العذاب حتى هلك في الامتحان كثير من بيوتاتهم ثم دخل في دعوته أهل القيروان وغيرها من البلاد وانتظمت له أعمال افريقية وفرق العمال وخطب الخليفة العباسي واتصل بالناصر وهو بمراكش هذا كله فامتنع لذلك وشاور الموحدين في أمر افريقية فأشاروا عليه بمسألة ابن غانية وأشار الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص بالنهوض اليها والمدافعة عنها فعمل على رأيه ونهض اليها سنة ثمان وتسعين وبعث الاسطول في البحر لنظر يحيى بن أبي زكريا الهزرجي واتصل بذلك بابن غانية فبعث ذخائره وجرمه الى المهديّة مع علي بن الغاني من قرابته وولاه عليها ولما قرب الناصر من افريقية خرج ابن غانية من تونس الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهائن على المظاهرة والدفاع وسار الى حامة مطماطة ثم الى جبل بني دمر فحصن به ووصل الناصر الى تونس ثم سار في اتباع ابن غانية الى قفصة ثم الى قابس ثم عاد الى المهديّة فمسكر عليها واتخذ الاسلحة لخصارها وسرح الشيخ أبا محمد عبد الواحد لقتال ابن غانية في أربعة آلاف من الموحدين سنة اثنتين وستمائة فلقيه بجبل تاجورة من نواحي قابس وأوقع به وقتل أخاه جبارة بن اسحق واستنقذ السيد أبا زيد من معتقله وأما الناصر فإنه استمر محاصرا للمهديّة وبها يومئذ علي بن الغاني وكان يدعي بالحاج وكان شهما محر بافريقية على الناصر وأبدي من مكائد الحرب وخدعه ما يقصر عنه الوصف وأتبع الموحدين وبالغ في نكايتهم فكانوا يسمونه الحاج الكافر ثم نزل على الأمان وأحسن اليه الناصر إحسانا تاما وسماه بالحاج الكافي بالياء بدل الراء لما رأى من مراعاته لصاحبه وحسن عهده معه واستشهد الحاج الكافي هذه الواقعة العقاب الآتية وكان فتح المهديّة في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثنتين وستمائة وولى الناصر عليها محمد بن يغمور المرغني وأرتحل عنها في عشرين من جمادى الثانية فدخل تونس غرة رجب وأقام بها بقية السنة وأكثر التي بعدها ولما كان ربيع الثاني من سنة ثلاث وستمائة أشاع الناصر الحركة الى المغرب واستخلف على افريقية ثقته ووزيره الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص المنتسب الى جد الملوك الحفصيين بعد مراجعة وامتناع ✽ قال ابن خلدون ✽ امتنع الشيخ أبو محمد الى ان بعث اليه الناصر في ذلك بآيته يوسف فأكبر بحبيته وأذن ويقال ان الناصر قال له يا أبا محمد أنت تعلم ما تجشمناه من المشاق والصوائر في استنقاذ هذا القطر ولا آمن عليه من عدو متوثب ولا يقوم بحمايته الا أنا وأنت فامض الى حفظ

عمال الكا المغربية وأقيم أنا وأقم أنت وأرجع أنا فتنه الحياء حيث نذروا ذعن للقامة واشترط شروطه المعروفة، هي أن يقيم ثلاث سنين ريثما تترتب الأحوال ثم يعود إلى وطنه وأن يحكمه الناصر فيمن يحبسه معه من الجنود ويرضاه من أهل الكفاية وأن لا يتعقب أمره في ولاية ولا عزل فقبل الناصر شروطه ولما عزم الناصر على النهوض إلى المغرب خرج إليه أهل تونس رافعي أصواتهم بين يديه اشفاقا من عود ابن غانية إليهم فاستدعى وجوههم وكلهم بنفسه وقال أنا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم وآثرناكم به على شدة حاجتنا إليه وهو فلان فقبائل الناس بولاية وشيخ الناصر إلى باجة ورجع واليا على جميع بلاد إفريقية واستقل بامرها ونهيتها * فن هنا ورثت الملوك الحفصيون سلطنة تونس وإفريقية وقبيل الناصر إلى المغرب فدخل مراکش في ربيع سنة أربع وستمائة ولما استقر بالحضرة وفدت عليه الوفود وهنأتهم الشعراء بالفتح فكان من ذلك ما أنشده ابن مريح السكحل وهو قوله

ولما تولى الفتح من كل وجهة * ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الألهي عنده
فلانعمة لا تؤدى حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب منه ذلك ووقع أحسن موقع وأشار بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده وقد تقدم ذلك والله أعلم

فتح جزيرة ميورقة

كانت جزيرة ميورقة لبني غانية المسوفيين من عهد علي بن يوسف بن تاشفين اللتوفي وكان يعقوب المنصور قد بعث إليها أسطولها مرارا فامتنعت عليه ولما ولي ابنه الناصر وغزا إفريقية وجه إليها من ثغر الجزائر أسطولاً مع عمه السيد أبي العلاء والشيخ أبي سعيد بن أبي حفص قنارلوها ثم اقتحموها عنوة وقتلوا صاحبها عبد الله بن اسحق المسوفي وانصرف السيد إلى مراکش بعد أن ولي عليها عبد الله ابن طاع الله الكومي ووفد أهلها على الناصر فأكرم وقادتهم وولى القضاء عليهم الفقيه الجليل المحتش أبى محمد عبد الله بن سليمان الانصاري المعروف بابن حوط الله ذكره ابن الخطيب في الإحاطة فقال كان مشهوراً بالعدل والفضل معظماً عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب في مجالس الأمراء والمحافل الجمهوريّة مقدماً في ذلك ذابلاً لغة وفصاحة إلى أبعد مضمار ولي قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلاوم ميورقة فقطأ هراً بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانباً لأهل البدع والأهواء بارع الخط حسن التقييد إلى غير ذلك ثم ولي الناصر على ميورقة عمه السيد أبا زيد وجعل ابن طاع الله على قيادة البحر وبعد السيد أبي زيد وياها السيد أبو عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن ثم أبو يحيى بن علي بن أبي عمر ابن التينغلي ومن يده أخذها النصارى سنة سبع وعشرين وستمائة وكان الحادث بها عظيماً

ثورة ابن الفرس وما كان من أمره

كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالاندلس ويعرف بالمهر وحضر مجلس يعقوب المنصور في بعض الأيام وتكلم بما خشي عاقبته في عهده فخرج من المجلس واختفى مدة ثم بعد مهلك المنصور ظهر في بلاد جزولة وانتحل الامامة وادعى انه القحطاني المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصا يلاها عدلاً كما ملئت جوراً الحديث وكان مما نسب إليه من الشعر قوله

قولاً لآباء عبد المؤمن بن علي * تأهبوا لوقوع الحادث الجلل

قد جاء سيد قحطان وعالمها * ومنتهى القول والغلاب للدول
والناس طوع وعصاه وهو سائقهم * بالامر والنهي بحر العلم والعمل
وبادروا أمره فآله ناصره * والله خادع أهل الزينج والميل

فبعث الناصر اليه الجيوش فهزموه وقتل وسبق رأسه الى مراکش فنصب بها وسكنت الفتنة وقد ثار
أيضا في سنة ستمائة رجل من آل البيت من العبيدين واسمه محمد بن عبد الله بن العاضد وهذا العاضد
هو آخر خلفاء الشيعة بمصر فثار حافده محمد بن عبد الله المذكور بجبال ورغبة من أحوار فاس فظفر به
وقتل وعلق رأسه بباب الشريعة أحد أبواب فاس وأحرق جسده في وسط الباب المذكور وكان ذلك
في اليوم الذي كمل فيه بناء سور فاس وبناء الباب المذكور وركبت مصارعه فسمى الباب باب المحروق
بعد أن كان يسمى باب الشريعة ثم في سنة عشر وستمائة ثار ولد هذا المحروق بجبال غارة وادعى أنه
الفاطمي وتابعه خلق كثير من أهل الجبل والبادية فبعث اليه الناصر جيشا فظفر به وقتل وفي سنة
احدى وستمائة بنى عامل الريف من قبيل الناصر واسمه يعيش سور بادس ولمدية ومليلة حيطة
وتحصنها من فجأة العدو وفي سنة أربع وستمائة أمر الناصر بتجديد سور مدينة وجدة واصلاحها فشرع
في ذلك في فاتح رجب من السنة المذكورة وفيها أيضا أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بآراء جامع
الاندلس بفاس فبنيت وجلب اليها الماء من العين التي خارج باب الحديد وأمر ببناء الباب الكبير
الدرج الذي يحصن الجامع المذكور وأنفق في ذلك كله من بيت المال وفيها أيضا أمر ببناء مصلى
القرويين وأمر أن لا يصلى بالمصلى الاندلس فاقام الناس يصلون بعدد القرويين ثلاث سنين
ثم عادوا يصلون بالاندلس والقرويين معا كما كانوا أولا بعد أن شهد أنها قديمة وفي شوال من السنة
المذكورة نهض الناصر من فاس الى مراکش فاقام بهم الى ان كان ما ذكره

بغزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين

ثم اتصلت الاخبار بالناصر وهو بمراكش أن الفتن اعنه الله قد استطال على تغور المسلمين بالاندلس
وأنه يغير على قراها وينهب الاموال ويسبي النساء والذرية فأهمه ذلك وأقلقه وكتب الى الشيخ أبي محمد
عبد الواحد بن أبي حفص صاحب افرقية يستشير في الغزو فأبى عليه فخالفه وأخذ في الحركة للجهاد
وكان الناصر مهجرا بآية مستبدا بأموره ففرق الاموال على القواد والاجناد وكتب الى جميع بلاد
افريقية والمغرب وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكفار فأجابهم خلق كثير وألزم كل قبيلة من قبائل
العرب بحصة من الخيل والرجل تخرج للجهاد فقدمت عليه الجيوش من سائر الاقطار وتسارع الناس
اليه خفا فاثقا من البوادي والامصار فلما تكاملت لديه الحشود وتوافت بحضرته الجنود خرج
من مراکش في تاسع عشر شعبان سنة سبع وستمائة فانتهى الى قصر المجاز فأقام به وشرع في اجازة
الجيوش من أوائل شوال الى أوخر ذي القعدة من السنة المذكورة ثم عبر في آخرهم واحتل بطريف يوم
الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة المذكور وقتلناه هنالك قواد الاندلس وفتحها وهاور وساوها
وأقام بطريف ثلاثا ثم نهض الى اشبيلية في أم لا تحصى وجيوش لا تستقصى قدماء السهل والوعر
بحكم بعض الثقات من مؤرخي المغرب * انه اجتمع مع الناصر في هذه الغزوة من أهل المغرب
والاندلس ستمائة ألف مقاتل وكان الناصر رجه الله قد أعجبه ما رأى من كثرة جنوده وأيقن بالظفر
بقسم الناس على خمس فرق فجعل العرب فرقة وزناته وصنهاجة والمصامدة وغماره وسائر أصناف قبائل
المغرب فرقة وجعل المتطوعة فرقة وجعل حند الاندلس فرقة والموحدين فرقة وأمر كل فرقة ان تنزل
ناحية واهتزت جميع بلاد الفرنج لجوازه وتمكن رعيه من قلوبهم فأخذوا في تحصين بلادهم واخلاء
ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم وكتب اليه أكثر أمرائهم يسألونه السلم ويطلبون منه العفو

السبب في تسمية باب
المحروق

ووفد عليه منهم ملك ينبأونة مستسما خاضعاً طالبا للصالح فيقال انه قدم بين يديه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع به وقد كان هذا الكتاب وقع اليه ورائه من بعض سلفه فاحتفل الناصر لقدمه وصف له الجيوش من باب مدينة قمر مونة الى باب اشبيلية أربعين ميلاً ثم عقده الصلح ما دامت دولة الموحدين وصرفه الى بلاده مكرماً مسعياً بجميع مطالبه وعنده ابن خلدون في ان الذي وفد على الناصر في هذه الغزوة هو اليببوج أحد الملوك الثلاثة الذين شهدوا وقعة الارك قال وهو الذي مكر بالناصر يوم العقاب قدم عليه وأظهر له التنصح وبذل له أموالاً ثم غدر به وجر عليه الهزيمة والله أعلم ثم خرج الناصر من اشبيلية غازياً ببلاد قشتالة في أوائل صفر سنة ثمان وستمائة ففسار حتى نزل حصن سلبطرة وهو حصن منيع وضع على قنة جبل وقد تعلق بأكثاف الصحاب ليس له مسلك الا من طريق واحد في مضائق وأوعار فنزل عليه الناصر وأدار به الجيوش ونصب عليه أربعين متجنيقاً فهتك ارباضه ولم يقدر منه على شيء قالوا وكان وزيره أبو سعيد بن جامع قد تمكن من الناصر فاقصى شيوخ الموحدين وأعيانهم وذوى الحفكة والرأي منهم عن بساطته وانفرده هو به فكان يشير على الناصر في غزواته هذه بأراء كانت سبب الضعف والوهن وجلبت الكثرة على المسلمين من ذلك ان الناصر لما أعياه أمر الحصن عزم على النهوض عنه الى غيره فأشاد عليه ابن جامع بان لا يتجاوز به حتى يفتحه فيقال انه أقام على ذلك الحصن ثمانية أشهر فنفيت فيها أزواد الناس وقتل عوفاً منهم ونفذت نفقاتهم وكلفت عزائهم وفسدت نياتهم وانقطعت الامداد عن المحلة فغلبت بها الاسعار ودخل فصل الشتاء فاشتد البرد وأصاب المسلمين كل ضرر ويقال انه من طول مقام الناصر على ذلك الحصن عشن خطاف في جانب خبائه وباض وأفرخ وطارت فراخه وهو مقيم على حاله واتصل بالفنش لعنه الله ما آل اليه أمر المسلمين من الضجر وقلة المادة وتشوش البواطن واختلاف الرأي فاغتنم الفرصة وبعث الحاشرين في مدائنه ودعا كل من قدور على حل السلاح من رعيته فاجتمع له من ذلك ما لا يحصر له ثم خالف الناصر الى قلعة رباح فنان لها وجبها يومئذ أبو الحاج يوسف بن قادم من قواد الاندلس وزعمائها كان قد ترتب في ذلك الحصن في جماعة من الخيل لحمايته وضبطه فحاصره الفنش وبالغ في التضييق عليه فكان ابن قادم يكتب لامير المؤمنين الناصر يعلمه بحاله ويستمدّه على عدوه وهو على حصن سلبطرة فكان الوزير ابن جامع اذا وصلت اليه كتب ابن قادم أخفاها عن الناصر لئلا يرحل عن الحصن قبل فتحه فلما طال الحصار على ابن قادم وفي ما عنده من الاقوات والسلاح ويئس من امداد الناصر اياه ونحش على من في الحصن من النساء والذرية صالح الفنش على تسليم الحصن له وخروج المسلمين آمنين على أنفسهم ففعل واستولى الفنش على قلعة رباح وسار ابن قادم الى الناصر ليجتمع به ويعلمه بالامر على وجهه وسار معه صهره بعد ان عزم ابن قادم عليه أن يرجع فأبى وقال ان قتلت قتلت معك ولما وصلا الى الوزير ابن جامع أمر بحبس صهره معه ثم دخل على الناصر فقال له ان ابن قادم قد دفع الحصن الى العدو ثم قدم عليك وأراد الدخول عليك وكان الناصر قد تغير باطنه على أهل الاندلس وانهم هم بكتمان أمر العدو عنه حين كان بجرا كش فلما قدم ابن قادم في هذه المرة وقال له ابن جامع ما قال أمر بقتله فقتل هو وصهره قصصاً بالرمح رحمه الله فخذت جيوش الاندلس على ابن جامع وفسدت نياتهم على الناصر وأحسن ابن جامع بذلك فأمر باحضار قوادهم فحضروا بين يديه فقال اعتزلوا جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم كما قال الله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً وستنظرون بعد هذا في أمر كل فاجر ولما علم الناصر بحال الفنش وما هو عليه من القوة وكثرة الجوع واستيلائه على قلعة رباح التي هي أمنع ثغور المسلمين شق ذلك عليه وامتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة الوجد ثم شدد في قتال سلبطرة وبذل الاموال الجائلة حتى فتحها صلحاً وذلك في أوخر ذي الحجة من سنة ثمان وستمائة ثم زحف الفنش الى

الناصر ونهض الناصر اليه فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان فضرب المصاق وضرب للناصر
قبته الجراء المعذرة للقتال على رأس روبة وقعد أمامها على درقته وفرسه قائم بأزائه ودارت العبيد بالقبة
من كل ناحية ومعهم السلاح التام ووقفت الساقات والبنود والطبول أمام العبيد مع الوزير ابن جامع
وأقبلت جوع الفرخ على مصافها كأنها الجراد المنتشر فتقدمت اليهم المتطوعة وجاوا عليهم أجمعون
وكانوا مائة وستين ألفا فغابوا في صفوفهم وانطبقت عليهم جوع الفرخ فاقتتلوا قتالا شديدا فاستشهد
المتطوعة عن آخرهم هذا وعساكر الموحدين والعرب والاندلس ينظرون اليهم لم يتحرك اليهم منهم
أحد ولما فرغ الفرخ من المتطوعة جاوا باجمعهم على عساكر الموحدين والعرب حملة منكرة فلما انتشب
القتال بين الفريقين قرت قواد الاندلس وجيوشها لما كانوا قد حقه دوه على ابن جامع في قتل ابن قادن
أولا وتهديدهم وطرده لهم ثانيا فجزوا الهزيمة على المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله وتبعهم قبائل البربر
والموحدون والعرب وركبتهم الفرخ بالسيف وكشفوهم عن الناصر حتى انتهوا الى الدائرة التي دارت
عليه من العبيد والحشم فلقوها كالبنيان المرصوص لم يقدر وامنأ على شيء ودفع الفرخ بجيولهم المدرعة
على رماح العبيد وهي مشرعة اليهم فدخلوا فيها والناصر قاعد على درقته أمام خيائه يقول صدق
الرجن وكذب الشيطان حتى كادت الفرخ تصل اليه وحتى قتل حوله من عبيد الدائرة نحو عشرة آلاف
ثم أقبل اليه بعض فرسان العرب على فرس له أنقى فقال له الى متى قعودك يا أمير المؤمنين وقد نفذ
حكم الله وتم أمره وفي المسلمون فعند ذلك قام الناصر الى جواده سابق كان أمامه فأراد أن يركبه فترجل
العربي عن فرسه وقال له اركب هذه الحرة فانها لا ترضى بعار فاعمل الله ينحيك عليها فان في سلامتك الخير
كله فركبها الناصر وركب العربي جواده وتقدم أمامه في كدبة عظيمة من العبيد محيطتهم والفرخ
في أعقابهم تقتلهم ونادى منادى الفئس يومئذ الا لأسرا القتل ومن أتى بأسه يرقل هو وأسيره
فحكمت سيوف الفرخ في المسلمين الى الليل وكانت هذه الرزية العظيمة يوم الاثنين خامس عشر
صفر سنة تسع وستمائة فذهبت قوة المسلمين بالمغرب والاندلس من يومئذ ولم تنصر لهم بعدها راية مع
الفرخ الى ان تدارك الله رمق الاندلس بالسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني رحمه الله
كما سنقص خبر ذلك مستوفي عند الوصول اليه ان شاء الله وقال ابن الخطيب رحمه الله الحق الناصر باشييلية
جل السيف على طائفة كبيرة ممن توجهت اليهم الظنة وقال ابن خلدون رحمه الله ثم رجعت الفرخ الى
الاندلس بعد الكائنة للاغارة على بلاد المسلمين فلقبهم السيد أبو زكريا بن أبي حفص بن عبد المؤمن
قريبا من اشبيلية فهزمهم وانهش المسلمون بها واتصلت الحال على ذلك

وفاة الناصر رحمه الله

وقال ابن أبي زرع رحمه الله لما قدم الناصر الى مراکش منصرفا من وقعة العقاب أخذ البيعة لولده يوسف
الملقب بالمنتصر فبايعه كافة الموحدين وخطب له على جميع منابر المغرب والاندلس في العشر الاواخر من
ذي الحجة سنة تسع وستمائة ولما تمت له البيعة دخل الناصر قصره واحتجب فيه عن الناس وانغمس
في لذاته مصطصا ومعتبعا الى شعبان من سنة عشر وستمائة فأتته مسموما بآية دبير وزرائه عليه في ذلك
قال وكانت وفاته يوم الاربعاء الحادي عشر من شعبان المذكور وقال ابن خلدون رحمه الله تقول المغاربة
ان الناصر رحمه الله كان قد أوصى الى عبيده المشتغلين بحراسة بيستاته بمراكش ان كل من ظهر لهم
بالليل فهو مباح الدم لهم ثم أراد أن يختبر قدر أمره عندهم فتنكروا وجعل يعيش في البيستان ليلا فعند
ما رآوه جعلوا يرمونه بالرمح فخرجوا من البيستان ليلا فخرجوا من البيستان ليلا فخرجوا من البيستان ليلا
بصفة ذلك وقال رحمه الله الصحيح في وفاة الناصر ما ذكره الوزير ابن الخطيب في رقم الحلل قال ثم صرف
الناصر وجهه الى غزو الاندلس في عزم لم يبلغ اليه ملك قبله ولما احتل رباط الفتح من سلا نزل به

الموت فتوفي ليلة الثلاثاء عاشر شعبان سنة عشر وستمائة فأنحل العزم وتفرقت الجموع والبقاء لله وحده

والخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر بالله ابن الناصر بن المنصور ورحمه الله

لما هلك محمد الناصر لدين الله بويع ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور وهو ابن ست عشرة سنة وأقب بالمنتصر بالله وغلب عليه الوزير أبو سعيد بن جامع ومشىخة الموحدين فقاموا بأمره واستبدوا عليه وتأخوت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص من إفريقية لصغر سن المنتصر ثم وقعت المحاولة من الوزير ابن جامع وصاحب الأشغال عبد العزيز بن أبي زيد فوصلت بيعة حينئذ واشتغل المنتصر عن تدبير الأمور والجهاد بما يقتضيه الشباب وعقد للسادات على عمالات ملكه فعقد السيد أبي إبراهيم اسحق بن يوسف بن عبد المؤمن وبلقب بالظاهر على فاس وأعمالها وهو أخو المنصور والد عمر المرتضى الآتي ذكره وعقد لعمه السيد أبي اسحق بن المنصور على أشبيلية وما أضيف إليها ولعمه أبي عبد الله محمد بن المنصور على النسيبة وشاطبة وأعمالهما ولعمه أبي محمد عبد الله بن المنصور على مرسية ودانية وأعمالها وبعث معه الشيخ أبازيد بن ريجان وكان من أشياخ الموحدين ودهاتهم وفي دولة المنتصر هذا قسمل أمر الموحدين وذهب ربحهم وأشرفت دولتهم على الهرم واستولى الغنش على المعقل التي أخذها المسلمون وهزم حامية الاندلس في كل جهة واستبدت السادة بالاطراف والتأنت الأمور بالاندلس والمغرب أجمع أما الاندلس فبتكالب العدو عليها وقتل أجناتها وأما المغرب فبخلاء كثير من قراء وأمهارة من وقعة العقاب ثم ظهرت بنو مرين بجهة فاس سنة ثلاث عشرة وستمائة وكانوا موطنين بعصره فيجيج وما والاها فاقحموا المغرب في هذه السنين لخلافة من الحامية واكتسبوا بساطته بالغارات وانحازت رعاياه إلى المعقل والحصون وكثرت الشكايات بهم إلى المنتصر وهو مقيم بمراكش فكتب إلى السيد أبي إبراهيم صاحب فاس يأمره بقر وهزم فخرج إليهم وهم به لا داريف فأوقعوا به وقعة شماء كانت باكورة فتحهم وعاد السيد مقلولا إلى فاس وأصحابه عراة بين يديه يخسفون عليهم من ورق النبات المعروف بالمشعلة فسميت السنة سنة المشعلة وكانوا قد أسروا السيد أبي إبراهيم ثم عرفوه فأطلقوه ثم صمدت بنو مرين بعددها إلى تازافلوا حامية وأعظم شوكتهم بالمغرب على ما ذكره بعد أن شاء الله (وفي سنة أربع عشرة وستمائة) هزم المسلمون بقصر أبي دانس من الاندلس وهي من الهزائم الكبار التي تقرب من هزيمة العقاب لأن العدو كان قد نزل قصر أبي دانس وحاصره فخرج إليه جيش أشبيلية وجيش قرطبة وجيش جيان وحشود بلاد غرب الاندلس لاستنقاذ قصر أبي دانس وكان ذلك بأمر المنتصر فساروا يؤمّنون العدو فلم تقع عينهم على عينه الا وقد خامر قلوب المسلمين الرعب وولوا الادبار لما كان قد رسخ في نفوسهم من بأسه يوم العقاب فتكالب العدو بعددها على المسلمين وتمرس بهم وهان عليه أمرهم وخشعت نفوسهم له ولما فر وامنهم في هذه الخرجة ركبهم بالسيف وقتلهم عن آخرهم ورجع الغنش إلى قصر أبي دانس فحاصره حتى اقتحمه عنوة وقتل جميع من به من المسلمين وفي سنة ثمان عشرة وستمائة توفي صاحب إفريقية الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص فبايع الموحدون بإفريقية ابنه أبازيد عبد الرحمن فقام بالأمور وأطفأ النائرة وأفاض العطاء ومهد النواحي ورتب الأمور حتى ورد كتاب المنتصر من مراكش لثلاثة أشهر من ولايته بتأخيرته وتولية السيد أبي العلاء الأكبر مكانه وهو ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن فقدم إفريقية في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وستمائة ووالى الهزائم على ابن غانية الناصر بإفريقية حتى شرده إلى الصحراء وأبو العلاء هذا هو الذي بنى البرجين اللذين على باب المهدية وحصنهما وهو الذي بنى برج الذهب بأشبيلية أيام ولايته عليها في دولة أبيه وأقام أبو العلاء بإفريقية إلى أن توفي بتونس منها في شعبان سنة عشرين وستمائة واستولى على إفريقية بعده ابنه أبو يزيد بن ادريس وساءت سيرته في الناس وأقام على ذلك إلى دولة العادل عبد الله بن المنصور صاحب

مرا كش فخره وولى مكانه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص ثم غلب عليه أخوه أبو زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن أبي حفص وتداول ملك افریقیة بنوه من بعده واستبدوا بها واقتطعوا بها عن قطر بنى عبد المؤمن أصحاب مرا كش فلم تعد اليه هم بعد وأما يوسف المنتصر فانه استقر مقيما بمراكش على لذاته الى ان توفي وكان من خبر وفاته انه كان مولعا باختيار الحيوان واستنتاجه فكان يؤتى اليه باصناف البقر من الاندلس فيرسلها في بساتنه الكبير من حضرة مرا كش ويحمل بعضها على بعض للتنازل فخرج ذات يوم للتطوف على تلك البقر والنظر اليها فتوسط قطيعا منها وقد ركب فنشيا فانه بقرته بقره شرود كانت في ذلك القطيع فطعنته في صدره طعنة أتت عليه من حينه وذلك في عشي يوم السبت الثاني عشر من ذي الحجة سنة عشرين وستمائة ولم يخاف الاحلام من جارية له **هـ** قال ابن خلدان **هـ** لم يكن في بني عبد المؤمن أحسن وجهاً من المنتصر ولا أبلغ في المخاطبة الا انه كان مشغوقا براحتة فلم يبرح عن حضرته فضعت الدولة في أيامه والله تعالى أعلم

هـ الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المخالع ابن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله **هـ**

لما هلك المنتصر في التاريخ المتقدم اجتمع الوزير ابن جامع والموحدون وبايعوا السيد أبي محمد عبد الواحد ابن يوسف وهو أخو المنصور **هـ** قال ابن أبي زرع **هـ** بايعوه على كره منه بقية المنصور من قصة مرا كش وهو يومئذ في سق الشيخوخة وكان عالما فاضلا متورا عافا مستقاما له الامر نحو شهرين وخطب له في جميع أعمال الموحدين ما عدا مرسية فان ابن أخيه السيد أبي محمد عبد الله بن المنصور الملقب بالعدل كان واليا عليها وكان وزيره بها الشيخ أبا زيد بن رجان المعروف بالأصفر وكان من دهاة الموحدين وكان المنصور رحمه الله اذ ارآه يستعيد بالله من شره ويقول ما ذا يجري على يدك من الفتن يا أصفر وكان من خبره انه لما بويع المخالع أمر باطلاق ابن رجان لانه كان محبوبا على ما عداه من الموحدون فاطلق ثم صده ابن جامع عن ذلك وأنفذ أخاه أبا اسحق في الاسطول ليغربه الى ميورقة فلاذ ابن رجان حينئذ بعبد الله بن المنصور صاحب مرسية ونزل منه منزلة الوزير وأغراه بالتوثب على الامر وشهد له انه سمع من المنصور رحمه الله العهد له بالخلافة من بعد الناصر وقال له فيما قال انك أحق بالخلافة من عبد الواحد أنت ولد المنصور وأخو الناصر وعم المنتصر ولك الرأي وحسن السياسة والحزم ولودعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان وكان الناس على كره من ابن جامع وولاية الاندلس يومئذ كله هم بنو المنصور فاصنى اليه عبد الله هذا وكان مترددا في بيعة عمه فبرز الى مجلس حكمه واستدعى من مرسية وأعمالها من الموحدين والفقهاء والاشياخ فدعاهم الى بيعته فبايعوه وتسمى بالعدل وكان اخوته أبو العلاء الأصغر صاحب قرطبة وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرا وكان أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي صاحب جيان وقد عزله المخالع بعنه أبي الربيع بن أبي حفص فانتقض وبايع للعدل وزحف مع أبي العلاء صاحب قرطبة وهو أخو العدل الى اشبيلية وبها عبد العزيز أخو المنصور والمخالع قد دخل في دعوتهم وامتنع السيد أبو زيد ابن أبي عبد الله أخو البياسي عن بيعة العدل وتمسك بطاعة المخالع وخرج العدل من مرسية الى اشبيلية قد دخلها مع أبي زيد بن رجان وبلغ الخبر الى مرا كش فاختلف الموحدون على المخالع وبادروا بعزل ابن جامع وتغريبه الى هسكورة لكرههم له وجرى خطوب أفضت الى خلع عبد الواحد وقتله **هـ** وفي القرطاس **هـ** ان عبد الله العدل كتب الى أشياخ الموحدين الذين يحضرون مرا كش يدعوهم الى بيعته وخالع عبد الواحد وعدهم على ذلك الاموال الجزيلة والمنازل الرفيعة والولايات الجاهلة ففسارعوا الى ذلك ودخلوا على عبد الواحد وهم قد دوه بالقتل الا ان يخلع نفسه ويبايع للعدل فاجابهم **هـ** الى ذلك فخرجوا عنه ووكلوا بالقصر من يحفظه وكان ذلك يوم السبت الحادى والعشرين من شعبان سنة احدى

وعشرين وستمائة فلما كان يوم الاحد بعده دخلوا على عبد الواحد القصر وأحضروا القاضي والفقهاء والاشياخ فاشهدوا على نفسه بالخلع وبايع للعادل ثم دخلوا عليه بعد مضي ثلاث عشرة ليلة من خلعه فخنقوه حتى مات وانهبوا قصره واستولوا على أمواله وحرّبه فكان عبد الواحد هذا أول من خلع وقتل من بني عبد المؤمن وصاروا شياخ الموحدين خلفائهم كالترك لبني العباس فكان فعلهم ذلك سبباً لذهاب ملكهم وانقراض دولتهم والله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وكانت وفاة عبد الواحد الخلع خامس رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وستمائة

الخبر عن دولة أبي محمد عبد الله العادل ابن المنصور رحمه الله

يبيع له البيعة الاولى بمرسية من بلاد الاندلس منتصف صفر سنة احدى وعشرين وستمائة وتلقب بالعادل في أحكام الله ثم خلع له الامرو بايعة كافة الموحدين وخطب له بحضرة مراکش وأخر شعبان من السنة المذكورة وتوقف عن بيعته السيد أبو زيد بن أبي عبد الله أخو البياسي كما ذكرنا آنفاً وكان والياً على بلنسية وشاطبة ودانية ولما رأى السيد أبو محمد البياسي أخاه السيد أبو زيد توقف عن بيعته العادل وضبط بلاده نار هو ببيعة وما انضاف اليها من قرطبة وجيان وقباطة وحصون النغر الأوسط وتلقب بالطاهر وانما دعى البياسي لقيامه من ببيعة فوصلت بيعة الموحدين من مراکش الى العادل ومعها كتاب أبي زكريا يحيى بن الشهيد شيخ هنتاة بقصة الخلع وما كان من أمره فصادف وصولها هيجان هذه الفتنة فشغل العادل بها عن مراکش وبعث أخاه السيد أبو العلاء الأصغر وهو أدريس ابن المنصور في جيش كثيف الى البياسي فحاصره ببيعة ولما اشتد عليه الحصار أظهر الطاعة والانتقاد وبايع للعادل حتى اذا أفرج عنه أبو العلاء عاد الى الترك وبعث الى الفتن يستنصره على العادل وضمن له ان ينزل له عن ببيعة وقباطة فكان أول من سبى اعطاء الحصون والبلاد للفرنج فوجه اليه الفتن بجيش من عشرين ألفاً ولما توافقا لديه جوع الفرنج من قرطبة يريد اشبيلية حتى اذا نام منها خرج اليه السيد أبو العلاء الأصغر وهو الذي دعى بعد بالأمون فالتقوا واقته لواقته لا شديداً فانهزم السيد أبو العلاء واستولى البياسي والفرنج على محلاتهما فيها من أثاث وسلاح ودواب وغير ذلك ولما رأى العادل ما وقع بأخيه وجنده خشي أن يتفاهم داء البياسي ويمتد عذاب فنته الى مراکش فترك أخاه أبو العلاء قبالة وعبر البحر الى العدو ولما احتل بقصر المجاز دخل عليه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص المدعو بعبو فقال له العادل كيف حالك فأنشده

حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان الى منها تائباً

فاستحسن ذلك منه وولاه افرقية وهذا البيت لابي الطيب المتنبى وانما تمثل به عبو الموافقة اسم منصور فيه لاسم والد العادل فحسن التمثيل به وانتهى العادل في سيره الى سلا فاقام بها وبعث عن شيوخ حشم عرب تامسنا وكان لابن يرچان غناية واختصاص بهلال بن حميد ان أمير الخلط فتناقل جومون ابن عيسى أمير سفيان عن الوصول الى العادل ثم بادر العادل الى مراکش وقاسى في طريقه اليها من العرب شداً ثم دخلها واستوزر أبو زيد بن عبد الواحد بن أبي حفص وتغير لابن يرچان ففسد بباطنه وسعى في افساد الدولة وغلب أبو زكريا بن الشهيد شيخ هنتاة ويوسف بن علي شيخ تينخل على أمر العادل ثم خالفت عليه العرب الخلط وهسكورة وعافوا في نواحي مراکش وغربوا بلاد دكالة فخرج اليهم ابن يرچان فلم يقن شيئاً فانفذ اليهم العادل عسكراً من الموحدين لتطراب ابراهيم بن اسمعيل ابن الشيخ أبي حفص فانهم زعم وقتل واضطربت الاحوال على العادل وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي الى قبائلهما للتشدود مدافعة هسكورة والعرب فاتفقا أيضاً على خلع العادل واضطربت الامور ولما انتهى الى أبي العلاء صاحب الاندلس خبر أخيه العادل بمراكش وما هو فيه من الاضطراب دعا نفسه بأشبيلية

فبيع بها وأجابها أكثر أهل الأندلس وتلقب بالمأمون وبيع له السيد أبو زيد صاحب بلنسية وهو أخو
البياسي وكان ذلك في أوائل شوال سنة أربع وعشرين وستمائة ولما تمت بيعته كتب إلى الموحدين الذين
عبروا كش يدعوهم إلى بيعته ويعلمهم باجتماع أهل الأندلس والموحدين الذين بها عليه ووعدهم في ذلك
ومناهم فكان منهم بعض توقف ثم أجع رأيهم على مبايعته وخلع أخيه العادل فدخلوا عليه قصره
وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع فوثبوا عليه ودسوا رأسه في خصة ماء كانت هناك وقالوا له لا تفارقك
أوتيه على نفسك بالخلع فقال اصنعوا ما بدا لكم والله لا أموت إلا أمير المؤمنين فوضعوا عمامته في عنقه
وخنقوه ورأسه في الخصة حتى فاطم وكان خيرا فاضل لارحمه الله وكانت وفاته في الحادي والعشرين
من شوال سنة أربع وعشرين وستمائة وكتبوا ببيعته إلى أبي العلاء المأمون وبعثوا به إليه مع البريد
ثم بداهم في بيعته المأمون بعد انفصال البريد عنهم فتكثروا وبيعوا يحيى بن الناصر بن المنصور
واضطربت الأحوال بالمغرب والأندلس وطما عباب الفتن بهما وكان ما ذكره

في الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ومزاجه يحيى بن الناصر له

كان المأمون وهو أبو العلاء أدريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتقاض الموحدين والعرب بالحضرة
على أخيه وثلاثي أمره دعا نفسه بأشيلية وبيعه أهل الأندلس والموحدون بالحضرة كما قلنا
ثم لما انفصل البريد ببيعته من الحضرة ندم الموحدون على ذلك لما يعلمون من شهادته وصرامته وتخلقه
بأخلاق الجاج بن يوسف وتخوفوا أن يأخذهم يدمهم عبد الواحد المخلوخ ثم أخيه عبد الله العادل فاتفق
رأيهم على مبايعة يحيى بن الناصر بن المنصور وهو شاب غرقا بقل عذاره وانما وقع اختيارهم عليه ليكون
أطوع لهم فإن سنة يومئذ كانت ست عشرة سنة فبايعوه بجامع المنصور من قسبة مراکش بعد صلاة
العصر من يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وستمائة وامتنع عرب الخطط
وقبائل هسكورة من بيعته وقالوا قد بايعنا المأمون فلان تكث بيعته وتأخر قدوم المأمون إلى مراکش
وبقي بالأندلس لأسباب يأتي شرحها وأقام يحيى مراکش واستتب أمره بها بعض الشيء وجهز جيشا
من الموحدين والجنود إلى قتال الخطط وهسكورة وهم يومئذ في طاعة المأمون فانهزم جيش يحيى وقتل
منه خلق كثير وعاد مغلولا إلى مراکش ثم أطلع يحيى على مداخلة أبي زيد بن رچان للعرب وهسكورة
في الغارة على مراکش وأطلع على ذلك أيضا أبو زكريا يحيى بن الشهيد فقتل أبا زيد بن رچان وابنه عبد
الله ونصب رؤسهم على باب الكحل وطوق أجسادها بأسواق المدينة ثم اضطربت الأحوال على يحيى
وانتقضت البلاد وغلت الأسعار وعم الخراب والفساد ببلاد المغرب واستحوذ بنو مرين على ضواحيه
وضايق الموحدين في كثير من أمصاره واقترضوا جبايته ونبت الثوار في الأقطار على ما ذكره

في ثورة محمد بن أبي الطواجين الكامي بجبال غمارة

ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة ثار بجبال غمارة محمد بن أبي الطواجين الكامي المتني وكان أبوه
من قهر كتامة من قبضاعن الناس وكان يتحل صناعة الكيمياء فكان يلقب بابي الطواجين لكثرة
الظروف التي كان يستعملها في ذلك بزعمه وتلقن ذلك عنه ابنه محمد هذا ثم ارتحل إلى سبتة ونزل على بني
سعيد بأحوازها وادعى صناعة الكيمياء فقبه الغوغاء ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع وأظهر أنواعا من
الشعبذة فكثرتابعوه ثم أطلعوا على خبثه فنبذوا إليه عهد وزحفت إليه عساكر سبتة ففر عنهم ثم قتله
بعض البرابرة غيلة بوادي لاو بين بلاد بني سعيد وبلاد بني زيات وابن أبي الطواجين هذا هو الذي
نسب في قتل الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه على ما ذكره بعد أن شاء الله

في أخبار الثوار بالأندلس وما آل إليه أمر الموحدين بها

لما ضعف أمر الموحدين بالمغرب وكثرت الفتن في أقطاره ونواحيه وانتزى السادة منهم بنواحي الاندلس كل في حمله واستظهر كل واحد منهم على أمره بالطاغية ونزلوا له عن كثير من الحصون فسدت من أجل ذلك ضماير أهل الاندلس عليهم وتصدى للنورة على الموحدين محمد بن يوسف بن هود من أعقاب بني هود الجذاميين ملوك الطوائف بسر قسطة وكان يؤمل لها ورعما امتحنه الموحدون لذلك مرأت نخرج في نفر من الاجناد سنة خمس وعشرين وستمائة وجهز اليه والى مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن أبي عمران. وسمى بن يوسف بن عبد المؤمن عسكريا فهزمهم وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للخليفة المستنصر العباسي صاحب بغداد وفي ذلك يقول ابن الخطيب في رقم الحل عند ذكره لبني هود هؤلاء وكان من أعقابه الأمير * محمد بن يوسف الاخير

وكان بأسلا شديد البأس * وبابغ المستنصر العباسي ثم زحف اليه السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وهو أخو البياضي المتقدم ذكره من شاطبة وكان واليا بها كما مر فهزمه ابن هود ورجع الى شاطبة واستجاش بالمأمون وهو يومئذ باشبيلية فخرج في العساكر ولقيه ابن هود فانهزم واتبه المأمون الى مرسية فحاصره مدة وأمنتعت عليه فاقطع عنه ورجع الى اشبيلية ثم انتفض على السيد أبي زيد بن يان بن أبي الحلات مدافع بن أبي الحاج يوسف بن سعد بن مردنيش وخرج عنه الى أبدة وذلك سنة ست وعشرين وستمائة وكان بنو مردنيش هؤلاء أهل عصابة وأولى بأس رقة فتوقع أبو زيد اختلال أمره وبعث اليه ولطفه في الرجوع فأبى فخرج أبو زيد من بلنسية ولحق بطاغية برشلونة ودخل في دين النصرانية وأبغى أهل شاطبة لابن هود ثم تتابعت بلاد الاندلس على بيعته ودخل في طاعته أهل قرطبة واشبيلية بعد رحيل المأمون عنهم الى مراکش ولم يبق للموحدين بالاندلس سلطان ثم في سنة تسع وعشرين وستمائة تار محمد ابن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر يجمع من ارجونة من أعمال قرطبة ودعاه الى ذكرى الحفص صاحب افريقية ثم دخل في طاعته أهل قرطبة وتنازع ابن الاحمر وابن هود رئاسة الاندلس وتجاذا جيل الملك بها وكانت خطوب استولى الطاغية فيها على كثير من حصون الاندلس ثم استقر قدم ابن الاحمر في الملك وأورثه بنيه من بعده والله غالب على أمره

وقد قدم أبي العلاء المأمون بن المنصور من الاندلس الى مراکش وما اتفق له في ذلك

قد تقدم لنا ان الموحدين عرا كش خنقوا العادل وبايعوا أخاه المأمون وبعد انفصال البريد بالبيعة ندموا وبايعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر فوصلت بيعة الموحدين الى المأمون وهو يومئذ باشبيلية فسر بها وأمر باقراهم على منابر الاندلس ثم أخذ في التجهيز والحركة الى مراکش دار ملكهم فسار حتى اذا وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبر ان الموحدين قد نكثوا بيعته وبايعوا ابن أخيه يحيى فوجم لذلك وأطرق مليا ثم أنشد ممثلا بقول حسن رضي الله عنه

لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا نارات عثمان

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويسأله أن يبعث له جيشا من الفرنج يجوز هم الى العدو لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فشرط عليه صاحب قشتالة أن يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها هو وأن يبنى عرا كش اذا دخلها الجيش النصاري الذين معه كنيسة يظهر فيها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم لمصلواتهم وان من أسلم منهم لا يقبل منه اسلامه ويرد الى اخوانه فيحكمون فيه باحكامهم الى غير ذلك فأسمع المأمون في جميع ما طلب منه وكان يحيى بن الناصر صاحب مراکش لما رأى اختلال أحواله بها كما قلنا ومبايعه أكثر أهل المغرب لعمه المأمون خرج فارا بنفسه الى تينغال وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة ولما فرج يحيى عن الحضرة قدم أشياخ

الموحدين الذين بها واليا يضبطها المأمون ريثما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا اليه يخبرونه بفرار يحيى الى الجبل ويرغبون اليه في القدوم عليهم وكتب اليه أيضا هلال بن جيدان أمير الخياط واشتمر يحيى مقتصما بالجبل أربعة أشهر ثم بداه فعدا الى مراکش وقتل عامل المأمون الذي قدمه الموحدون بها واستمر بها نحو سبعة أيام ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به وأقام منتظرا القدوم المأمون ودفاعه عن مراکش ثم بعث صاحب قشتالة الى المأمون جيشا من اثني عشر ألفا يرسم الخدمة معه والمقاتلة دونه على الشروط المتقدمة وكان وصولهم اليه في رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ثم عبر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة في ذي القعدة من السنة المذكورة وهو أول من أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب واستخدمهم بها فأراح بسبتة أياما ثم نهض الى مراکش حتى اذا دنا منها لقيه يحيى وشن الموحدين وذلك عشى يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة الداخلة فأنهزم يحيى وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه ودخل المأمون حضرة مراکش وباعه الموحدون وصعد المنبر بجامع المنصور وكان علامة أديبا بليغا فخطب الناس وأمن المهدي على المنبر وقال لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم ألا المهدي الاعشى وانا قد نبذنا أمره الفس واما انتهى الى آخر خطبته قال معشر الموحدين لا تظنوا اني أنا ادريس الذي تدرس دولتكم على يده كلاله سيأتي بعدى ان شاء الله ثم نزل وأمر بالكتب الى جميع البلاد بجمع المهدي من السكة والخطبة وتغيير سننه التي ابتدعها للموحدين وجرى عليه اسلفهم ونهى عليه التدا بالغة البربرية وزيادته في أذان الصبح أصبح والله الحمد وغير ذلك من السفن التي اختص بها المهدي وأمر بتدوير الدراهم التي ضربها المهدي مربعة وقال كل ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل الى ابقائه وأبدأ في ذلك وأعاد ثم دخل قصره فاحتجب عن الناس ثلاثا ثم خرج في اليوم الرابع فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه فقال لهم يا معشر الموحدين انكم قد أظهرتم علينا العناد وأكثرتم في الأرض الفساد ونقضتم العهود وبذلتهم في حربنا المجهود وقتلتم الأخوان والاعمام ولم ترقبوا فيهم الا ولا ذمام ثم أخرج كتاب بيعتهم الذي بعثوا به اليه واحتج عليهم بشكوتهم الذي نكثوا بعده فقامت الحجة عليهم فبهتوا وسقط في أيديهم والتفت الى قاضيه المكيدى وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية فقال له ما ترى أيها القاضي في أمر هؤلاء الناكثين فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول ومن نكث فاعما بنكث على نفسه الآية فقال المأمون صدق الله العظيم فانا نكثهم فيهم بحكم الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ثم أمر بجميع أشياخ الموحدين وأشرفهم فمضوا الى مصارعهم وقتلوا من عند آخرهم ولم يبق على كبرهم ولا صغيرهم حتى انه أتى بأبن أخت له صغير يقال ان سنه كان ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرآن فلما قدم للقتل قال له يا أمير المؤمنين اعف عني لثلاث قال ما عفت قال صغري سني وقرب رجى وحفظى لكتاب الله العزيز فيقال ان المأمون تظر الى القاضي كالمستشير له وقتل له كيف ترى قوة جاش هذا الغلام واقدمه على الكلام في هذا المقام فقال القاضي يا أمير المؤمنين انك ان تذرهم يضلوا وعبادك ولا يلدوا الا فبرا كذا فامر به فقتل رحمه الله ثم أمر بالرؤس فعلق بدائر سور المدينة (ذكر ابن أبي زرع) انها كانت تنيف على أربعة آلاف رأس وكان الزمان زمان فيظ فنقذت بها المدينة وتأذى الناس بريحها فرفع اليه ذلك فقال ان ههنا مجانين وان تلك الرؤس حرو زلهم لا يصلح حالهم الا بها وانها العطرة عند المحبين وننته عند البعضين ثم أنشد

أهل الحراية والفساد من الورى * يعزون في التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره * بالقطع والتعليق في الاشجار
فروهم ذكرى اذا ما أبصرت * فوق الجذوع وفي ذرى الاسوار

وكذا القصاص حياة أرباب النهر * والعدل مالوف بكل جوار

لوعدم حلم الله سائر خلقه * ما كان أكثرهم من أهل النار

وهذه الفتكة التي ارتكبها المأمون من الموحدين أنست فتكة الحارث بن ظالم والبراض الكفافي والنجاف بن حكيم وهي التي استأصلت جمهورهم وأماتت نخوتهم وأذن المأمون للنصارى القادمين معه في بناء الكنيسة وسط مراکش على شرطهم المتقدم فضر بوابها فواقسهم وكانت الكنيسة في الموضع المعروف بالسجينة وقبض على قاضي الجماعة بمراكش وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الحق فقيده ودفعه إلى هلال بن جيدان الخطاطي فحبسه حتى اقتدى منه بسنة آلاف دينار وأقام المأمون بمراكش خمسة أشهر ثم نهض إلى الجبل لقتال يحيى بن الناصر ومن معه من الموحدين وذلك في رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة فالتقى معه على الموضع المعروف بالكاعة فانهمز يحيى وقتل من عسكره ومن أهل الجبل خلق كثير سبق من رؤسهم إلى مراکش أربعة آلاف رأس وفي هذه السنة استبد الأمير أبو بكر بن أبي الشيخ أبي محمد بن أبي حفص المهتاق بأفريقية وخلع طاعة الموحدين وفي سنة ثمان وعشرين بعدها نفذت كتب المأمون إلى سائر البلاد بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها خرجت بلاد الأندلس كلها من ملك الموحدين ونفاهم عنها بن هود الناصر فقتلهم العامة في كل وجه وفي سنة تسع وعشرين بعدها خرج على المأمون أخوه السيد أبو موسى عمران بن المنصور بمدينة سبتة وتسمى بالمؤيد فاتصل الخبر بالمأمون فخرج إليه وبلغه في طريقه أن قبائل بني قازار ومكاذنة قد حاصروا مكاسة وعاثوا في نواحيها فسار إليهم وحسم مادة فسادهم وعاد إلى سبتة فحاصرها أخاه السيد أبو موسى مدة فلم يقدر منه على شيء وكانت سبتة من أحصن مدن المغرب ولما طالت غيبة المأمون عن الحضرة اغتنم يحيى بن الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ومعهم أبو سعيد بن وانودين شيخ هنتانة وعاثوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التي بنيت بها وقتلوا كثيرا من يهودها وسبوا أموالهم ودخل يحيى القصر فحمل منه جميع ما وجد به إلى الجبل واتصل الخبر بالمأمون وهو على حصار سبتة فارتحل عنها مسرعا إلى مراکش وذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة ولما أبعد عن سبتة عبر أبو موسى صاحبها إلى الأندلس فبايع ابن هود وأعطاه سبتة فعمّوه ابن هود عنها بالرية فكان السيد أبو موسى بها إلى أن مات وانتهى الخبر إلى المأمون وهو في طريقه بأن ابن هود قدم لك سبتة فتوالت عليه القبايع فرفض أسفا ومات بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبتة وكانت وفاته في آخر يوم من ستة تسع وعشرين وستمائة وكانت أيامه أيام شقاء وعناء ومنازعة افتقرت دولة الموحدين فيها فرقتين فرقة معه وفرقة مع يحيى بن الناصر وكان محقق دولة الموحدين واستئصال أركانها وذهاب نخوتها على يده قالوا ولولا أن الأمور قد استحال إلى ما ذكر كان المأمون موافقا لأبيه المنصور في كثير من الخلال ومتبعاً سنته في جل الأحوال وكان المأمون فصيح اللسان فقيها حافظا للحديث ضابطاً للرواية عارفاً بالقرآت حسن الصوت والتلاوة مقدماً في علم اللغة والعربية والادب وأيام الناس كاتباً بليغاً حسن التوقيع لم يزل سائر أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داود وكان مع ذلك شهماً حازماً على عظام الأمور ولما خلفه والبلاد تضطرم ناراً والممالك قد توزعت الثوار فكان المأمون إذا فكر في حال الثوار وما آل إليه حال الدولة معهم ومادها من كثرتهم ينشد ميمناً

تسكارت الأطباء على خدائهم * فبايدري خدائهم ما يصيد

يشير إلى حاله معهم وأنه لم يدروا ما يتلاني من ذلك والله تعالى أعلم

الخبر عن دولة أبي محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور رحمه الله

لما هلك المأمون بويع ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد **ب**وقال ابن أبي زرع **ب** بويع له بالخلافة بوادي العبيد ثاني يوم من وفاة أبيه وهو يوم الاحد فاقح محرم سنة ثلاثين وستمائة وسنه يومئذ أربع عشرة سنة وكان الذين أخذوا له البيعة كانوا بن جرمون السفيناني وشعيب بن اوقاريط الهسكوري وفرنسيميل قائد جيش الفرنج فانه لما مات المأمون كتمت جاريته موته واسمها حباب وكانت فرنجية الاصل ومن دهاة النساء وعقلائهن وهي أم الرشيد فاستدعت هؤلاء النفر الثلاثة وكانوا عدة جيش المأمون يركب كل واحد منهم في أزيد من عشرة آلاف من قومه وأعوانه ولان أهل الحل والعقد من الموحدين قد أتت عليهم فتنة المأمون كما مر فجاؤا اليها فأعلمتهم بموت الخليفة ورغبت اليهم في بيعه ابن الرشيد والقيام معه وبذلت لهم على ذلك أموالاً جمة ووعدتهم مع ذلك انهم اذا فتحوا الحضرة وكان يحيى قد استولى عليها كما قلنا تجعلها لهم فيثا فبايعوه وأخذوا البيعة له على من سواهم فبايع الناس طوعاً وكرهاً خوفاً من سيوفهم ولما تم أمره جعل أباه في تابوت وقدمه أمامه وسار الى مراکش وسمع يحيى وأهل مراکش بما شرطته حباب للقواد الثلاثة من جعل مدينتهم فيثا فخرجوا لقتال الرشيد باجمعهم واستخلف يحيى على مراکش أباسعيد بن واتودين والتقى الجمعان فاقتتلا فانهزم يحيى وقتل أكثر من معه وصبح الرشيد مراکش فتضمن منه أهلها فأمنهم وصالح قائد الفرنج وأصحابه على فيثا بخمسة آلاف دينار ودخل الرشيد مراکش واستقر بها وكان قد وصل في صحبته عمه السيد أبو محمد سعد بن المنصور فحل من تلك الدولة بمكان وكان اليه التدبير والحل والعقد وبعد استتقرار الرشيد بمراکش قدم عليه عمر ابن اوقاريط الهسكوري صحبة أولاد المأمون الذين كانوا بأشيبية ونفاهم ابن هو د عنها وكان ابن اوقاريط هذا منصرفاً عن المأمون أيام حياته فتدغم بصحبة هؤلاء الأولاد ووقدم على الرشيد فتقبله واتصل بالسيد أبي محمد وحسنت منزلته لديه ثم لما هلك السيد أبو محمد لحق ابن اوقاريط بقومه ومعتصمه وكشف وجهه الخلاف وأخذ يدعو يحيى بن الناصر واستغفر له قبائل الموحدين ونهض اليهم الرشيد سنة إحدى وثلاثين وستمائة واستخلف على الحضرة صهره أبا العلاء ادريس وصعد اليهم الجبل فأوقع يحيى وجوعه بكانهم من هزرجة واستولى على معسكرهم ولحق يحيى ببلاط سجلماسة وانكفأ الرشيد راجعاً الى حضرته واستأمن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى فأقرهم ولحقوا بحضرته وكان كبيرهم أبو عثمان سعيد بن زكريا القديوي وجاء الباقيون على أثره بعد ان شرطوا عليه اعادة ما كان أزاله المأمون من رسوم المهدي وسنه فأعيدت واطمأنوا لاعادة رسوم الدعوة المهدية واستقامت الاحوال في هذه الايام الى ان كان ما ذكره

بوقتنة الخلط مع الرشيد واستيلائهم على حضرة مراکش **ب**

كان مسعود بن جيد ان كبير الخلط قد أغراه عمر بن اوقاريط بالخلاف لصحبة بينهما وكان مدلاً بيأسه وكثرة جوعه يقال ان الخلط كانوا يومئذ يهازون اثني عشر فارس سوى الرجل والاتباع والحشود وفرض مسعود في الطاعة وتناقل عن الوفاة الى الحضرة ولما علم بعقد الموحدين واجتماع كلهم على الرشيد غاظه ذلك وأخذ في السعي للفرقة والشتات بينهم فاعمل الرشيد الحيلة في استئدائه وصرف عساكره الى بعض الجهات حتى خلا لمسعود الجؤ وذهب عنه الريب واستقدمه الرشيد فأسرع اليه بالحضرة وقدم معه معاوية عم عمر بن اوقاريط فقبض على معاوية وقتل لحينه واستدعى الرشيد ابن جيد الى المجلس الخلفي للحديث فتقبض عليه وعلى خمسة وعشرين من أصحابه من كبار الخلط وقتلوا ساعته بعد جولة وهيعة وقضى الرشيد حاجة في نفسه منهم ولما بلغ خبر مقتلهم الى قومه قدموا عليهم يحيى ابن هلال بن جيدان وأجلبوا على سائر النواحي وأعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر واستقدموه من مكانه بقاصية الصحراء ودخلهم في ذلك عمر بن اوقاريط وزحفوا لحصار مراکش وخرجت العساكر لقتالهم

ومعهم عبد الصمد بن يولان فدفع ابن أوقاريط بجموعه في تلك العاصم فأنهزموا وأحيط بجند
النصارى فقتلوا وتفاقم الأمر بالحضرة وعدمت الأقوات واعتزم الرشيد على الخروج إلى جبال الموحدين
فخرج إليها وسار منها إلى سجلماسة فلاحها واشتد الحصار على مراكش واقتحمها يحيى بن الناصر
وأنصاره من الخلط وهسكورة فتهبوا وساء أثرهم فيها واضطربت أحوال الخلافة بها وتغلب على
السلطان السيد أبو إبراهيم بن أبي حفص الملقب بابي حافة وهذه الفتن كانت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم إياها

وفي هذه السنة أعنى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة نازل الفرنج الجنويون سبتة باجفان لا تحصى
ونصبوا عليها المنجنيقات والآلات المعدة للحمار واستقروا على ذلك إلى أن دخلت سنة ثلاث وثلاثين
بعدها فلم يقدر وأمنها على شيء ولما اشتد الحصار على أهل سبتة صالحوا الفرنج في الإفراج عنهم
بأربعمائة ألف دينار فقبلوا وأقلعوا عنهم بعد الحصار الشديد والتضييق العظيم

عود الرشيد إلى مراكش وفرار يحيى عنها إلى بني معقل ومقتله بهم

وفي هذه السنة أعنى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة خرج الرشيد من سجلماسة بقصد مراكش
وخطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيان فاجابوه وعبروا وادى أم الربيع وبرز إليه يحيى في جوعه
والتقى الفريقان فأنهزم جوع يحيى واستمر القتل فيهم وودخل الرشيد إلى الحضرة طافرا وأشار ابن
أوقاريط على الخلط بالاستصراخ بأن هو وصاحب الاندلس والاخذ بدعوته فتكثروا ببيعة يحيى وبعثوا
وقد هم إلى ابن هو دحجة ابن أوقاريط فاستقر هنالك ولم يرجع اليهم قولا فعمل الخلط أنها حيلة من ابن
أوقاريط وأنه تخاص من الورطة وخرج الرشيد من مراكش وفر الخلط أمامه وسار إلى فاس فأقام
بها أياما وفرق في فقهاء وصلحاءها أموالا وبراغا مغلة وسرح وزيره السيد أبي محمد إلى غمارة وفازاز
لجباية أموالها وكان يحيى بن الناصر لما نكت الخلط ببيعتة لحق بعرب معقل فأجاروه ووعدوه النصر
واشتطوا عليه في المطالب فأسف بعضهم بالمنع فاعتاله في جهة تازا وسبق رأسه إلى الرشيد بغاس فبعثه
إلى مراكش وأوعز إلى نائبه بها أبي علي بن عبد العزيز بقتل العرب الذين كانوا في اعتقاله وهم حسن بن
زيد شيخ العاصم وقائد وقائد ابناعا مرشحي بني جابر فقتلهم وانكفأ الرشيد راجعا إلى حضرته سنة أربع
وثلاثين وستمائة وكان ابن أوقاريط لما فصل إلى ابن هو دحجة الاندلس أقام عنده إلى هذه السنة
فركب البحر في أسطول من أساطيل ابن هو دحجة وقصد مدينة سلا وبها يومئذ السيد أبو العلاء صهر الرشيد
فأزلهما وكاد يغلب عليها ثم رجع عنها بلا طائل وفي سنة خمس وثلاثين بعدها بايع أهل اشبيلية
للرشيد ونقضوا طاعة ابن هو دحجة وتولى بذلك أبو عمر بن الجندب وصل وقد هم إلى الحضرة ومرافق
طريقهم بسبتة فاقتدى أهلها بهم في بيعة الرشيد وقدموا على الحضرة وولى عليهم الرشيد أبا علي بن
خلاص منهم وانصرف وقد اشبيلية وسبتة راضين واستقدم الرشيد رؤساء الخلط وكانوا راجعوا طاعته
بعد مقتل يحيى فقدموا عليه وتقبض عليهم وبعث عساكره فاستباحوا حلالهم وأحيائهم ثم أمر بقتل
مشيختهم وقتل معهم ابن أوقاريط وكان أهل اشبيلية قد بدعوا به إليه فقطع دابرهم وفي سنة ست
وثلاثين وستمائة وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأجر النائر بالاندلس على ابن هو دحجة
وكان قد بايع أولا أبا بكر بن الحنفى صاحب إفريقية ثم بدله فرد البيعة إلى الرشيد وفي هذه السنة
كان استيلاء العدو ودمره الله على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الاندلس ودار ملكتها وذلك يوم الأحد الثالث
والعشرين من شوال من السنة المذكورة وفي سنة سبع وثلاثين بعدها انتشر بنو مرين ببلاد المغرب
واشتدت شوكتهم به وزحف اليهم الرشيد فهزموه ثم زحف ثانية وثالثة فهزموه وأقام في محاربتهم

استيلاء العدو على قرطبة

سنتين ورجع عنهم الى الحضرة فاشتهدواهم بالمغرب والحواء الى مكاسة حتى أعطوا الاثاوة لبني حامة منهم واصل غلبهم في نواحيها وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة قتل الرشيد كاتبه ابن الموميا في لداخلة له مع بعض السادة وهو عمر بن عبد العزيز بن يوسف ووقع الرشيد على كتبه بخطه غلط الرسول بها فدفنها بدار الخلافة فوكت الى الرشيد فقتله

وفاته الرشيد رحمه الله

مات الرشيد رحمه الله غريفا في بعض صهاريج بستانه بحضرة مراكتس وذلك يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة ويقال انه أخرج من الماء حيا فم لوقته ومات وذكر أبو عبد الله الكنسوس ان غرق الرشيد كان في البركة الكبرى التي بدار الهنداء من أجدال اليوم قال وكان يقال لها البحر الأصفر لان ملوك بني عبد المؤمن الذين أنشأوها كانوا يرسلون فيها الزوارق والفلك الصغار بقصد النزهة والفرجة والله تعالى أعلم

الخبر عن دولة أبي الحسن السعيد علي بن المأمون بن المنصور رحمه الله

لما هلك الرشيد بويع أخوه لايسه أبو الحسن علي المدعو السعيد بتعيين أبي محمد بن وانودين وتلقب بالعتضد بالله وأستوزر السيد أبا اسحق ابن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ويحيى بن عطوش وتقبض على جملة من مشيخة الموحدين واستمضى أموالهم واصطنع لنفسه رؤساء العرب من جثم واستظهر بجموعهم على أمره وكان شيخ سفيان كانون بن جرمون كبير مجلسه وكان ضرر بن مرين قد تفاقم بالمغرب وداؤهم قد أعضل فخرج السعيد سنة اثنتين وأربعين وستمائة لتمهيد بلاد المغرب فأنتهى الى سجلماسة وكان صاحبها عبد الله بن زكريا الهزرجي قد انتقض عليه فقتله واستولى عليها ثم رجع حتى نزل المقرمدة من أرض فاس وعقد المهادنة مع بني مرين وقف على مراكتس فكانت هدنة على دخن فلم يلبث الا يسيرا حتى عاود النهوض اليهم سنة ثلاث وأربعين بعدها واستخلف السيد أبا زيد ابن السيد أبي ابراهيم أخا الوزير المذكور أنفا على مراكتس واستعمل أخاهما السيد أبا حفص وهو المرتضى على سلا وسار نحو بني مرين فجمع له أميرهم أبو بكر بن عبد الحق جوع زناته وصمد ضوعه حتى اذا تراا الجمعان وتهايا القوم للقاء خالف كانون بن جرمون الى أزمو رفاستولى عليها وغلب الموحدين عايبها فرجع السعيد أدراجه في اتباعه ففر كانون عنها فاعترضه السعيد فاوقع به واستلم كثير من قومه سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ولحق كانون بن مرين ورجع السعيد الى الحضرة ثم تقدم الامير أبو بكر بن عبد الحق المريني الى مكاسة فضايقها وخطب طاعة أهلها فثارت العامة بكاسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وخذلوا شيخها وكبرائها من سطوته فحولوا الدعوة الى الامير أبي زكريا الحفصي صاحب افريقية وكان قد استبد على بني عبد المؤمن ورام التغلب حتى على كرسيمهم بمراكتس فبايعه أهل مكاسة بواطاة الامير أبي بكر بن عبد الحق فانه كان يدعو اليه في أول أمره وكذا أخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بأمره عندما تم له ملك المغرب حسم ناقصه بعد ان شاء الله وفي هذه السنة بعث أهل اشبيلية وأهل سبتة بطاعتهم للامير أبي زكريا الحفصي أيضا وبعث أبو علي بن خلاص صاحب سبتة اليه بهدية مع ابنه في اسطول أنشأه لذلك ففرق عند اقلاعه من المرسى وقبل هذه المدة يسيير كان الامير أبو زكريا الحفصي قد تغلب على تلمسان وبايعه صاحبها يغمرا سن بن زيان العبد الوادي وهو جد ملوك بني زيان أصحاب تلمسان والمغرب الاوسط فعظم قدر أبي زكريا بسبب هذه البيعات التي انثالت عليه من سائر الجهات وحدثته نفسه بالتوئب على كرسى الخلافة بمراكتس وغص بنو عبد المؤمن بمكانه وعظم عليهم استبداده ثم طمعه في كرسيمهم وقرارة عزهم

مع انه ما كان الاجد ولا من يحرمهم وفرعاً من دوحهم والامر كله لله

في نهوض السعيد من مراسكش الى غزو الثوار بالمغربين ومحاصرته بغير مراسن
في ابن زيان وما آل اليه الامر من مقتله رحمه الله

لم يبلغ السعيد وهو بمراسكش استبداد الامير أبي زكريا بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص المهنتاق
بأفريقية ومبايعة أمراء الجهات له أعمال نظره في الحركة الى هؤلاء الثوار والنهوض لتدويخ هذه
الاقطار وكان السعيد شهما حاز ما يقطاب بعيد الهمة فتتظر في اعطاف دولته وفاوض الملامن الموحدين
في تثقيف أطرافها وتقويم أودها وحركهم وأثار حفاظهم وأراهم كيف اقتطع عنهم الامر
شياً فشيأ فان أبي حفص اقتطع أفريقية ويغمراسن بن زيان اقتطع المغرب الاوسط ثم أقام فيه الدعوة
الحفصية وابن هودا اقتطع الاندلس وأقام فيها دعوة بني العباس وابن الجار بالجانب الآخر منها مقيم
للدعوة الحفصية أيضاً هؤلاء بنو مرين قد تغلبوا على ضواحي المغرب ثم سمو الى تلك أمصاره
وان سكتنا على هذا فيوشك أن يحتل الامر وتنقرض الدولة فتذامر واودعوا الى النهوض اليهم فغشده
السعيد الجنود وجهز العساكر وأزاح عنهم واستنفر عرب المغرب وما يليه واحتشد كافة المصامدة
ونفض من مراسكش آخر سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكاسة وبني مرين أولاً ثم تلمسان
ويغمراسن ثانياً ثم أفريقية وابن أبي حفص ثالثاً ولما نزل بوادي هبت أخذ في عرض عساكره وتغييرها
فخرج الامير أبو بكر بن عبد الحق من مكاسة ليلا وحده يتجسس الاخبار فاشرف على جوع السعيد
فرأى ما لا قبل له به فعاد الى قومه وأفرج للسعيد عن البلاد وتلاحقت به بنو مرين من أماكها التي كان
الامير أبو بكر أزلهم بها واجتمعوا عليه بحصن تازوطامن بلاد الريف وتقدم السعيد الى مكاسة فتفرج
اليه أهلها يطلبون منه العفو وقد موأين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور بن حرزوز وتلقوه
بالصبيان من المكاتب على رؤسهم الألواح وبين أيديهم المصاحف وخرج النساء حاسرات يطلبن العفو
فمعاظنهم ثم ارتحل الى تازا في اتباع بني مرين وانتقل أبو بكر بن عبد الحق الى بني يزناسن ثم راجع نظره
في مسألة الموحدين والدخول في أمرهم فبعث يبيعه الى السعيد وهو يومئذ بتازا مع جماعة من وجوه
بني مرين فقبلها السعيد وعفا لهم عما سلف فساله وفدهم ان يستكفي بالامير أبي بكر في أمر تلمسان
وصاحبها يغمراسن بن زيان وقد كتب اليه الامير أبو بكر أيضاً بذلك يقول يا أمير المؤمنين ارجع الى
حضرتك وقوتني بالجيش وأنا كفيتك أمر يغمراسن وأفتح لك تلمسان فاستشار السعيد وزاءه فقالوا
لا تفعل فان الزناقي أخو الزناقي لا يتخذ ولا يسلمه فكتب اليه السعيد بان يبعث اليه جماعة من قومه
يعسكرون معه فامده الامير أبو بكر بخمسمائة من قبائل بني مرين وعقد عليهم لابن عمه أبي عياد
ابن أبي يحيى بن حمامة وخرجوا تحت رايات السعيد ونفض من تازا يريد تلمسان في وعنده ابن أبي زرع في ان
السعيد لما فرغ من أمر مكاسة عسكر بظاهر فاس وهناك آتته بيعة بني مرين قال ثم ارتحل السعيد
عن فاس في الرابع عشر من محرم سنة ست وأربعين وستمائة ونحسف القمرك تلك الليلة خسوفاً كلياً وأصبح
السعيد غادياً يريد تلمسان فلما ركب فرسه انكسر لرواه المنصوري فتطير ونزل ولم يرتحل الا في اليوم
السادس عشر من الشهر المذكور ولما سمع يغمراسن باقبال السعيد اليه خرج من تلمسان في عشيرته وقومه
من سائر بني عبد الواد وتحملوا باهليهم وأولادهم الى قلعة تاهرت دكت قبله وجدة فاعتصموا بها وفد
على السعيد الفقيه عبدون وزير يغمراسن مؤدياً للطاعة وساعياً في مذهب الخدمة ومتولياً من حاجات
الخليفة بتلمسان ما يدعوه اليه ويصرفه في سبيله ومعتذراً عن تخلف يغمراسن عن الوصول الى حضرة
السعيد فلج السعيد في شأنه ولم يعذره وأبى الامباشرة طاعته بنفسه وساعده في ذلك كانون بن جرمون
السفياقي صاحب الشوري بمجلسه ومن حضر من الملا ووردوا الفقيه عبدون الى يغمراسن ليستقدمه

فتناقل يغمراسن عن القدوم خشية على نفسه واعتمد السعيد الجبل في عساكره حتى أتاه في ساحة
القلعة وأخذ يخنقهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع ركب يغمرا في وقت القيولة على حين غفلة من الناس
ليبتدئ بالقلعة ويتقرب من مكانها فصره فارس من بني عبد الوادي يعرف يوسف الشيطان كان أسفل
الجبل بقصد الحراسة واتفق ان يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر كانا قرييين منه فعرفوا السعيد
فانقضوا عليه من بعض الشعاب أمثال العقبان وطعنه يوسف الشيطان فكبته عن فرسه وعمد يعقوب
ابن جابر الى وزيره يحيى بن عطوش فقتله ثم استلموا الوقت ثم مواليه ناحضامن العلوج وعنبرامن
الحصيان وقائد جند النصاري وهو أخو القمط ووليد ايا فعامن ولد السعيد ويقال انما كان ذلك يوم عبي
السعيد العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم أمام الناس فاقتطعه بعض الشعاب المتوعدة في طريقه
فتوالت عليه هؤلاء الفرسان وكان ما ذكرناه وذلك منسوخ صفر سنة ست وأربعين وستمائة وانتهى
الخبر الى المحلة فارتجت وماجت وأخذ أهلها في الفرار وبادر يغمراسن الى السعيد فنزل اليه وهو صريع
على الأرض فحياه وفداه وأقسم له على البراءة من دمه والسعيد رحمه الله واجم بعصره بوجود نفسه
الى ان فاظ وانتهب المعسكر بجملته واستولى بنو عبد الوادي على ما كان به من الاخيرة الحسنة والفازات
الرفيعة واختص يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خالصة دون قومه واستولى على الذخيرة
التي كانت فيه منها مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه يزعمون انه أحد المصاحف التي انتصفت لعهد
خلافة وانه كان في خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ثم صار في ذخائر لموتونة فيما صار اليهم من ذخائر
ملوك الطوائف بالاندلس ثم صار الى خزائن الموحدين من يدلموتونة يقال ابن خلدون وهو لهذا العهد
في خزائن بني مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان وذلك عند غلب السلطان أبي الحسن المريني
على تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبع مائة كما ذكرناه وقد تقدم لنا الخبر عن هذا المصحف العثماني وفيه
مخالفة لبعض ما هنا وسأبقي لنا في دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ما يخالف ذلك
كله والله أعلم بحقيقة الامر ومن الذخائر التي صارت ليغمراسن من فسطاط السعيد العبد العبد المنتظم
من خزائن الياقوت الفاخر والدر النفيس المشتمل على مئين متعددة من حصبائه وكان يسمى بالنعبان
ثم صار الى بني مرين أيضا الى ان تلف في البحر عند غرق الاسطول بالسلطان أبي الحسن بمرسى بجاية
مرجعه من تونس حسب ما ذكرناه بعد الى ذخائر من أمثاله وطرف من أشبهه ما يستخلصه الملوك
لانفسهم ويعتدونه من ذخائرهم ولما سكنت الفتنة وركد عاصف تلك الهيعة نظري يغمراسن في شأن
مواراة الخليفة فجهره ورفعته على أعواده فدفعه بالعباد بمقبرة الشيخ أبي مدين رضي الله عنه ثم نظر
في شأن حرمه وأختيه تاغر ونبأ الشهيرة المذكور بعد ان جاءها واعتذر اليها بما وقع وأحبهت جملة من
مشيخة بني عبد الوادي الى ما منتهى فالحقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم فكان ليغمراسن بذلك حديث جميل
في الابقاء على الحرم ورعى حقوق الملك وأما أهل محلة السعيد فانهم بعد دهنهم تداعوا واجتمعوا الى
عبد الله بن السعيد وقفلوا قاصدين مراكش واتصل الخبر بالامير أبي بكر بن عبد الحق وهو يومئذ ببني
رتاسن وقد تمت عليه الحصنة التي كان وجهها مع السعيد فتحقق الخبر وانتهز الفرصة في الموحدين
فاعترض عسكرهم بجبهات تازا فقتل عبد الله بن السعيد واستلمهم واستولى على ما بقي من أناتهم ثم جدد
السير الى مكاسة فدخلها وملكها ولحق فل الموحدين بمراكش فبايعوا عمر المرتضى كما ذكرناه ان شاء الله

الخبر عن دولة أبي حفص عمر المرتضى ابن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله

لما توفي أبو الحسن السعيد كان عمر المرتضى واليا من قبله بقصبة رباط الفتح من سلا كما قدمنا فاجتمع
الموحدون بجامع المنصور من قصبة مراكش وعقدوا البيعة وبعثوا اليه ونهض هو متوجها الى
مراكش فلقبه وقد هم أثناء طريقه بتامسنا واجتمع عليه أشياخ العرب فبايعوه أيضا واستقام أمره

وتلقب بالمرتضى وعقد له عقوب بن كاتون على بنى جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان بعد ان كان قومه قد موه عليهم ودخل الحضرة واستوزر ابا محمد بن يونس من قرابته وقبض على حاشية السعيد ثم وصل اخوه السيد ابو اسحق الذى كان وزير السعيد من قبل ناجيا من وقعة ناهض ردكت اتخذ على طريق سجلماسة فاستوزره ايضا واسند اليه امره واستولى ابو بكر بن عبد الحق امير بنى مرين بعد مهلك السعيد على رباط تازا ومكاسة ثم استولى سنة تسع وأربعين وستمائة على فاس وأعمالها فاقطع عن المرتضى بلاد الغرب كلها ولم يبق له الا بلاد الحوز من سلا الى السوس ولاول دولة المرتضى كان استيلاء العدو على اشيلية احدى قواعد الاندلس فان طاغية قشتالة وهو الاصبنيول خذله الله حاصرها سنة خمس وأربعين وستمائة وفي يوم الاثنين الخامس من شعبان من السنة بعدها ملكها صلحا بعد منازلها حولا كاملا وخمس أشهر وانتقل كرسي المملكة الاسلامية بالاندلس الى غرناطة وذلك في دولة بنى الاجر وفي سنة تسع وأربعين وستمائة ملك الامير ابو بكر المريني سلا ورباط الفتح ووفد على المرتضى عمرا كش موسى بن زيان الونكاسي واخوه على بن زيان من قبيل بنى مرين واغروه بقتال بنى عبد الحق فاسعفهم ولما انتهى الى امان ايمولين اشاع يعقوب بن جرمون السفيناني قضية الصلح بينهما واصبح راحلا وقد استولى الجزع على قلوب الجيش فانقضوا ووقعت الهزيمة من غير قتال ووصل المرتضى الى الحضرة واغضى ليعقوب عما صدر منه وفي سنة خمس وخمسين وستمائة استرجع المرتضى سلا ورباط الفتح من يد بنى مرين وفي سنة احدى وخمسين بعدها فر من حاشية المرتضى على بن يدر من بنى باداسن ولحق ببلاذ السوس وتحصن ببعض جبالها ثم حاصرتار ودانت قاعدة بلاد السوس فاستولى عليها واستخدم الشيبانات وذوى حسان من عرب معقل وأطاعته قبائل جزولة واستفحل أمره واستولى على بسائط السوس فوجه اليه المرتضى عدة جيوش فهزم البعض وقتل البعض ثم جاء أودوبوس من بعد المرتضى فقبض اليه وحاصره ببعض حصونه قرب تارودانت ولما اشتد عليه الحصار رغب في الاقالة ومعاودة الطاعة فقبل ذلك منه أودوبوس وأقلع عن حصاره وعاد الى الحضرة ولما استولى بنو مرين على مراکش سنة ثمان وستين وستمائة استبد على بن يدر هذا عليهم وتلك قطر السوس واستولى على تارودانت وسائر قرى ومعاقله وارهاق حده للعرب وسامهم الهزيمة فزحفوا اليه وقتلوه في السنة المذكورة ثم توارث قطر السوس من بعده جماعة من عشيرته واسم ملكهم عليه الى زمان السلطان أبي الحسن المريني فغلبهم عليه وانقرض أمرهم

وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة خرج أبو الحسن بن يعلى قائد المرتضى في جيش من الموحدين الى تامسنا ليكشف أحوال العرب ومعه يعقوب بن جرمون السفيناني وعهد اليه المرتضى بالقبض على يعقوب بن محمد بن قيطون شيخ بنى جابر فتقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم وطيرهما الى الحضرة معتقلين وفي سنة ثلاث وخمسين بعدها خرج المرتضى من مراکش لاسترجاع فاس وأعمالها من يد بنى مرين المتغلبين عليها واحتفل في الاحتشاد وبالغ في الاستعداد فكان جيشه ثمانين ألف فارس من الموحدين والعرب والاغزاز وأهل الاندلس والفرنج فسار حتى نزل جبل بنى يمل أول قبلة فاس وكانت هيبة بنى مرين وناموسهم قد تمكّن من قلوب جيش المرتضى فكانوا منذ قربوا من أحواز فاس لا ينامون الا غراراً فانطلق ذات ليلة قس لبعض الجنديين وجرى بين الاخبية وجرى الناس خلفه لياخذوه فظن أهل المحلة ان بنى مرين قد أغاروا عليهم فركبوا خيولهم وماج بعضهم في بعض وانقلبوا منهزمين لا يلوون على شيء واتصل الخبر بابي بكر بن عبد الحق وهو بفاس فخرج للوقت واحتوى على جميع ما في محلة الموحدين من الاخبية والاثاث والسلاح والمال ومر المرتضى على وجهه فدخل مراکش في جمع قليل من الاشياخ والفرنج وأقام بها وأعرض عن بنى مرين وتسلّى عنهم سائر أيامه

وازدادت شوكة الموحدين ضعفا واستبدأ أبو القاسم العزفي بسبته واستتب أمره بها وتوارث الرياسة بها
عشيرة من بعده زمانا إلى ان غلبهم عليها بنو مرين في سنة خمس وخمسين وستمائة هـ استولى أبو بكر
ابن عبد الحق على سجلماسة وتقبض على واليها عبد الحق بن اصبكك واعد اخلة خديم له يعرف بمحمد
القطراني وشرط على الامير أبي بكر ان يكون هو والي عليها فامضى له شرطه وأنزل معه بها جماعة من
رجال بني مرين حتى اذا هلك أبو بكر بن عبد الحق أخرجه -م- محمد القطراني واستبدأ امر سجلماسة
وراجع دعوة المرتضى واعتذر اليه واشترط عليه الاستبداد فامضى له شرطه الا في أحكام الشريعة
وبعث أبا عمر بن حجاج قاضيا من الحضرة وبعض السادة للنظر في القضية وقائدا من النصارى بعسكر
للمحاربة فاعمل القاضي ابن حجاج الخيلة في قتل القطراني وتولى الفتك به قائد النصارى واستبد السيد بامر
سجلماسة بدعوة المرتضى واستفحل أمر بني مرين أثناء ذلك ونزل الامير يعقوب بن عبد الحق بسائط
نامسنا فشرح اليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن عبد الله بن واوودين فأجفلوا إلى وادي
أم الربيع واتبعهم الموحدون وألحوا عليهم فعطف عليهم بنو مرين واقتلوا بيطن الوادي فانهمزمت
عساكر الموحدين وغدروهم بنو جابر وكان في مسيل الوادي كدي يحسرها الماء فتبدوا كأنها أرجل
فسميت الواقعة من أجل ذلك بأمر الرجلين وذلك في سنة ستين وستمائة وبقى المرتضى يعالج أمر علي بن
يدر الثائر بالسوس إلى سنة اثنتين وستين وستمائة فأقبل الامير يعقوب بن عبد الحق في جوع بني مرين
حتى نزل على مراکش واتصلت الحرب بينه وبين الموحدين بظاهرها وأياها هلك فيها عبد الله بن يعقوب
ابن عبد الحق فبعث المرتضى إلى أبيه يعقوب بالعزيزية ولاطفه وضرب اتاوة يبعث بها اليه في كل سنة
فرضي يعقوب وارتحل عنها وقيل ان مقتل عبد الله بن يعقوب كان سنة ستين قبل وقعة أم الرجلين
والله تعالى أعلم

انتقاض أبي دبوس على المرتضى واستيلائه على مراکش ومقتل المرتضى عقب ذلك هـ

لما ارتحل بنو مرين عن مراکش بعد مهلك عبد الله بن يعقوب فر من الحضرة قائد حروب المرتضى وابن
عمه وهو السيد أبو العلاء ادريس الملقب بأبي دبوس ابن السيد أبي عبد الله محمد ابن السيد أبي حفص عمر
ابن عبد المؤمن اسعاه تحمكت فيه عند المرتضى وانه يطأ الامر لنفسه فأحس أبو دبوس بالشر ولحق
بمعقوب بن عبد الحق فادركه عند مقدمه إلى فاس فافلامن منازلة مراکش فأقبل عليه الامير يعقوب
وبالغ في اكرامه فطلب منه أبو دبوس الاغاثة على حرب المرتضى وكان بطال محرابا وضمن له فتح مراکش
واشترطت له المقاسمة فيما يغلب عليه من السلطان وما يستغنيده من الذخيرة والمال فأمدّه الامير يعقوب
بخمسة آلاف من بني مرين وبالكفاية من المال وبالمستجد من آلة الحرب من طبول وبنود ونحو
ذلك وكتب له مع ذلك إلى عرب جشم وأميرهم يومئذ علي بن أبي علي الخاطي ان يكونوا معه يد واحدة
فسار أبو دبوس حتى وصل إلى سلا فكتب منها إلى العرب وأشياخ الموحدين والمصامدة الذين في طاعة
المرتضى يدعوهم إلى بيعته ويعددهم ويخفيهم فتلقته وفود العرب والمساكرة وصناجة آرموريين بعض
الطريق فبايعوه وسار واميته حتى نزل بلاد هسكورة ثم كتب إلى خاصته من وزراء المرتضى ان يعلموه
بحال البلاد والدولة فراجعوه ان أسرع السير وأقبل ولا تخش شيئا فانا قد فرقنا الجند في أطراف البلاد
وهذا وقت انتهاء الفرصة فزحف أبو دبوس إلى مراکش حتى اذا انتهى إلى انغمات وجد بها الوزير أبي يزيد
ابن يكيث في جيش من حاميتها فاجزء الحرب فانهمز ابن يكيث وقتل عامّة أصحابه وسار أبو دبوس يوم
مراكش ومعه عرب سفيان وبني جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كانون السفيا في فلادنا ومن مراکش
أغار علوش على باب الشريعة منها والناس في صلاة الجمعة حتى ركز رمحه بمصرع الباب ودخلت سنة
خمس وستين وستمائة والمرتضى بمراكش غافل عن شأن أبي ادريس والاسوار خالية من الحامية

والحراس فقصده أبو دؤوس باب اغمات وتسور البلد من هنالك ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها
وصعد إلى القسبة فاقصدها من باب الطبول واستولى عليها ﴿وقال ابن أبي زرع﴾ أن دخول أبي دؤوس
مراکش كان من باب الصالحة وذلك ضحى يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم سنة خمس وستين
وسمائة والصالحة التي أضيف إليها هذا الباب هي بستان كبير من جملة بساتين أجدال دار الخلافة
بمراکش ولا زال هذا البستان مشهوراً بهذا الاسم إلى الآن وهو من إنشاء عبد المؤمن بن علي رحمه
الله وقد ذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عذاري الأندلسي في كتاب البيان المغرب عن أخبار المغرب
أن بستان المسرة الذي بظاهر جنان الصالحة أنشأه عبد المؤمن بن علي كبير الموحدين قال وهو بستان
طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها فيه كل فاكهة تشتهي وجلب إليه الماء من اغمات واستنبت له عيوناً
كثيرة ﴿قال ابن اليسع﴾ وما خرجت أنا من مراکش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة إلا وهذا
البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنة على رخص
الفاكهة بمراکش اه ﴿قلت﴾ ولشهرة هذا البستان وموقعه من الناس لم يمت به صبيانهم
وصعبوا به فيقولون يا جادة مألحة أين بت سارحة في جنان الصالحة في اسجاع غير هذه تجرى على
السنة الصبيان والله أعلم ﴿رجع إلى خبر أبي دؤوس﴾

﴿قال ابن أبي زرع﴾ لما اقحم أبو دؤوس مراکش سارحتي وقف بباب البنود من القسبة فقلقت
الأبواب دونه وقام عبيد المخزن عليها يقاتلونه ولما رأى المرتضى أن أبا دؤوس قد التحف معه كساء دار
الملك خرج من القصر ناجياً بنفسه من باب الفاتحة ومعه الوزير أبو زيد بن يعقوب الكومي وأبو موسى
ابن عزوز المهنائي فلحق به متتاتة ثم انتقل منها إلى كدمية ثم إلى شفشافة ثم لحق آخرها زمور
ونزل على صهره من بني عطوش كان والياً عليها من قبله وكان ابن عطوش هذا قد أسره العدو فاقتسكه
المرتضى بمال جسيم وزوجه ابنته وولاه زمور فلما وقعت عليه الكائن بمراکش ذهب إليه
مستجيراً به ومطمشاً إليه فكان من جزائه له أن قبض عليه وقيده وكتب إلى أبي دؤوس يعلمه فكتب
أبو دؤوس إليه يستكشفه في شأن الذخيرة فأنكر المرتضى أن يكون قد ذخراً شيئاً وحلف على ذلك
ومت إليه بالرحم حتى عاد أبو دؤوس يعطف عليه ثم أغراه حاصته به فوجه إليه من قتله في الطريق
وأتى إليه برأسه وصار ابن عطوش بقلعة هذه أظلم من الخيفقان وكان مقتل المرتضى في العشر
الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وسمائة وكان رحمه الله ينتمي إلى التصوف والزهد
والورع وتسمى بثالث العمرين وكان مولعاً بالسمع لا يكاد يخلو منه ليلة ولا نهاراً وكان في أيامه
رخاء مفرط لم ير أهل مراکش مثله ﴿وقال ابن الخطيب﴾ كان المرتضى قاضاً لا خيراً عفيفاً مغمداً سيف
مائل إلى الهدنة رحمه الله تعالى

﴿الخبر عن دولة أبي العلاء أدريس الواثق بالله المعروف بابي دؤوس﴾

لما اقحم أبو دؤوس حضرة الخلافة على المرتضى وفر المرتضى عنها ملكها أبو دؤوس واستتب أمره بها
وباعه كافة الموحدين وأهل العقد والحل من الوزراء والفقهاء والأشياخ وكان ذلك بجامع المنصور
يوم الأحد الثالث والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وسمائة واستقل أبو دؤوس بمملكة مراکش
وأهملها وتلقب بالواثق بالله والمعتمد على الله وبذل العطاء ونظر في الولايات ورفع المكوس عن الرعية
ولما اتصل بالأمير يعقوب بن عبد الحق ما كان من أبي دؤوس واستيلائه على المملكة كتب إليه يهنئه
بالفتح ويطلب منه أن يكتفه من الشرط الذي شرط له فلما وصل إليه الكتاب أدوكتة النخوة وغلب عليه
الكبر وقال للرسول قل ليعقوب بن عبد الحق يفتنم سلامته ويبعث إلى يبيعه حتى أقره على ما يبيده

والاغزوته بجند ولا قبل له بها فعدا الرسول الى الامير يعقوب وأبأعه ان يبر ودفع اليه كتاب أبي دؤس فاذا هو يخاطبه بخاطبة الخلقاء لعمالمهم والرؤساء لخدمهم فتحقق الامير يعقوب نكته وغدره فنهض اليه في جوع بني مرين وعساكر المغرب فلما أشرف على مراكش خام أبو دؤس عن اللقاء وتحصن بداره ولبأ الى أسواره فتقدم الامير يعقوب حتى نزل على مراكش وحاصرها أياما وعاث في نواحيها وانتسف ما حولها ولما رأى أبو دؤس ما نزل به منه كتب الى قريته يعمراسن بن زيان صاحب تلسان يطلب منه ان يشغل عنه الامير يعقوب بما وراءه من أعمال فاس والمغرب وأسنى له الهدية في ذلك وكذا العهد في الموالاة والمناصرة فاجابه يعمراسن الى ذلك ونهض من حينه فشق الغارات على ثغور المغرب وأضرهم نار الفتنة بما واصل ذلك بالامير يعقوب وهو محاصر لمراكش فرجع عوده على بدته وسار الى يعمراسن فناجزه الحرب وانتصف منه على ما ينبغي وحسم مادة فساد ثم كر راجعا الى مراكش في شعبان سنة ست وستين وستمائة ولما عبر وادي أم الربيع شق الغارات على النواحي وبث السرايا في الجهات وطال عيشه في البلاد وأبدأ في ذلك وأعاده حتى ضاقت صدور بني عبد المؤمن بمراكش وتكدر عيشهم فغرضهم أو اياؤهم من عرب جشم وأغروهم باستنفاض أبي دؤس لمدافعة عدوه ووعدهم النصر من أنفسهم فحرك أبو دؤس لذلك واتسرت نفسه الى القتال فحشد وأبلغ وبرز من الحضرة في جيوش ضخمة وجوع وافرة ولما علم الامير يعقوب بخروجه ودنوه منه أظهر من نفسه الهزيمة لقاته وكر راجعا الى جهة بلاده يستجبره بذلك ليعمد عن الحضرة ومددها وتمادى أبو دؤس في اتباعه حتى انتهى الى وادي ودغفوا فكر عليه الامير يعقوب والتحم القتال وقامت الحرب على ساق فلم تمض الساعة حتى انهزم الموحدون وأطلق أبو دؤس عنانه للفرار يريد مراكش فأدركته خيل بني مرين وتناولته ومأخهم ونحو صريعا ليدن ولغم واحترأ رأسه وجرى به الى الامير يعقوب فسجد شكرا لله تعالى ثم بعث به الى فاس وتم هوالى مراكش فاستولى عليها في أوائل محرم سنة ثمان وستين وستمائة وفر الموحدون الذين كانوا بمراكش الى جبل تينخل فباعوا اسحق بن أبي ابراهيم أخا المرتضى فبقى ذبالة هنالك الى سنة أربع وسبعين وستمائة فقبض عليه وجرى به الى السلطان يعقوب بن عبد الحق هو وابن عمه السيد أبو سعيد بن أبي الربيع ووزيره القبائلي وأولاده فقطعوا جميعا وانقرضت دولة بني عبد المؤمن من الارض وذهبت محاسن مراكش يومئذ بذهاب دولتهم والبقاء لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه ولقد ذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث في سنة احدى وستمائة توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي دفين مراكش وذلك يوم الاثنين الثالث من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ودفن خارج باب تاغروت وكان شيخه أبو عبد الله العنبري من أصحاب القاضي أبي الفضل عياض وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه جميل الصورة أبيض اللون حسن الثياب فصيح اللسان قادرا على الكلام لا ينظره أحد الا أخاه حتى كان مواقع الحج من الكتاب والسنة موضوعة على طرف لسانه وكان مع ذلك حلما صبوراً عطاءً يحسن الى من يؤذيه ويعلم عن نفسه عليه برأ بالية اى والمساكين وحيما هم يجلس حيث أمكنه الجلوس من الاسواق والطرفات ويحضر الناس على الصدقة ويأتى بما جاء في فضلها من الايات والآثار فتثال عليه من كل جانب فيفرقها على المساكين وينصرف وكان له مع الله تعالى في التوكل عليه عقداً كيد ومقام جيد قد ظهر أثره على روضته المباركة بعد وفاته (حدث) أبو القاسم عبد الرحمن بن ابراهيم الخزرجي قال بعثني أبو الوليد ابن رشد من قرطبة وقال لي اذ رأيت أبا العباس السبتي بمراكش فانظر مذهبه وأعلمني به قال جلست مع السبتي كثيراً الى ان حصلت مذهبه فاعلمته بذلك فقال لي أبو الوليد هذا رجل مذهب به ان الوجود ينفع بالجلود وقال الوزير ابن الخطيب كان سيدى أبو العباس السبتي رضي الله عنه مقصودا في حياته

مستغاثا به في الازمات وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة ومبني أمره على انفعال العالم عن الجود
وكونه حكمة في تأثر الوجود له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربيته
وانصببت على مكانه عادة حياته ووقع الاجماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى الناس مباشرة قبره
بالصدقة الى بعثاله من أماكهم على بعد المدى وانقطاع الاماكن القصي قعاهم أجنحة نياتهم
فنهوى اليه بعبادتهم من كل فج عميق فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة ويوفي سنة عشر
وسمائه كان الوفاء العظيم بالمغرب والاندلس ويوفي سنة ست عشرة وسمائه توفي الشيخ الفقيه
الصالح أبو اسحق ابراهيم بن محمد السلي البلقيني ينتهي نسبه الى العباس بن مرداس السلي صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو اسحق رحمه الله من كبار العلماء العاملين والرهاد المحققين مثابرا
على الاجتهاد والاقطاع الى الله تعالى وطهرت عليه بيده المرية من عبادة الاندلس كرامات واجتمع
عليه خلق كثير وشاع ذكره هناك فوشوا به الى الخليفة صاحب مراکش وهو يوسف المنتصر
الموحدى فكتب الى عامله على المرية بأمره بتوجيه الشيخ أبي اسحق مكرما غير مرقوع ولما عزم العامل
على توجيهه قام العامة والاتباع دون الشيخ وأرادوا أن يحولوا بينه وبين العامل فقال لهم الشيخ طاعة
السلطان واجبة ولما انتهى الى مراکش ودخل على المنتصر هابه وأجله وندم على ما كان منه اليه ثم بالغ
في اكرامه وبعد ذلك مرض الشيخ أبو اسحق وتوفي في السنة المذكورة واحتفل الناس بجنائزه وحضرها
الامراء والكبراء وكبر العامة نعشه واقسموا أعواده تبركابه وقبره مشهورا وكش بسوق الدقيق
منها وبقرب ضريحه مسجد جامع ينسب اليه والعامة تقول جامع سيدي اسحق بدون لفظ الكنية
وليس كذلك ويوفي سنة سبع عشرة وسمائه كان الجراد والقحط والغلاء الشديد بالمغرب وفيها ألف
الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المراكشي الدار عرف بابن الزيات كتابه المسمى بالتشوق الى
رجال التصوف وذكر فيه انه لم يتعرض لذكر أحد من أولياء زمانه الاحياء غير انه ذكر ان من جملة
أولياء زمانه الدين كاوا في قبة الحياة الشيخ الصالح الصوفي أبا محمد صالح بن ينضار بن عفيان الدكالي ثم
الماجري تزيل رباط آسفي قال وهو الآن لا يفتر من الاجتهاد والحفاطة على المواصلة والاوراد ومن
كلامه الفقير ادس له نهاية الاموت قال وحديثي عنه تلامذته بهائث من الكرامات والكلام على
الخواطر وهو على سنن المشايخ الاول رضى الله عنه ويوفي سنة اثنتين وعشرين وسمائه توفي الشيخ
أبو محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وقيل فيما بعد ذلك الى سنة خمس وعشرين وتوفي رضى الله
عنه شهيدا بجبل العلم من جبال عمارة وقبره هناك مشهور من أعظم مزارات المغرب وكان سبب
شهادته ان محمد بن أبي الطواجين النكاخي كان قد تأثر بذلك البلاد وانتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة
حسب اسلاف وتبعه على ضلاله طغايا غمارة والبر فكان عدو الله يغص بكان الشيخ رضى الله عنه
لما آتاه الله من شرف التقوى والاسقامه المؤيد بشرف النسب الصميم والعنصر الكريم فسؤله
الشیطان انه لا يتم أمر مخبرته في تلك الناحية الا بقتل الشيخ فدنس له جماعة من أتباعه وأشياعه فرصدوا
الشيخ حتى نزل من خيلوته في مصر من الانصار الى عين هنالك قرب الجبل المذكور فنواضأ منها وولى
راجعا الى محل عبادته وارتقاب فجره فعدوا عليه وقتلوه ومن الشائع انه ألقى عليهم ضباب كثيف
أضلهم عن الطريق ودفعوا الى شواهدق تردوا منها في مهاوى صيقة تمزقت فيها أشلائهم ولم يرجع منهم
مخبر والشيخ عبد السلام هذا هو ابن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بتشديد اللام
ابن من واربغ الميم وبالراء المله ملة أخيرا ابن جبدرة واسمه علي بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله
ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ويوفي هذه السنة أيضا استأسد
العدو الكافر على المسكين بالاندلس وتوالت له عليهم المهزائم بمواضع متعددة واستولى على كثير

الحصون واستلحم منهم عدة ألوف حتى خلت المساجد والأسواق في سنة أربع وعشرين
 وستمائة في اشتد الغلاء بالمغرب والاندلس حتى بيع الفقير من القمح بخمسة عشر دينارا وعم الجرا
 بلاد المغرب في سنة ست وعشرين وستمائة في كان السيل العظيم بفاس هدم من
 سورها لقبلى نحو مسافتين وهدم من جامع الاندلس ثلاثة بلاطات وهدم دورا
 كثيرة وفما دق متعددة من عدوة الاندلس في سنة ثلاثين وستمائة في كان
 الغلاء ببلاد المغرب وكثيرهم الجوع والوباء حتى بلغ الفقير من القمح ثمانين
 دينارا وخلت الامصار من أهلها في سنة خمس وثلاثين
 وستمائة في عاود الغلاء والوباء أرض المغرب فأكل الناس
 بعضهم بعضا وكان يدفن في الحمير الواحد المائة من
 الناس في سنة ست وأربعين وستمائة في
 وقع الحريق بأسواق فاس فاحترقت
 حارة باب السلسلة بأسرها الى
 حمام الرحبة وبالله
 تعالى العصمة
 والتوفيق
 تم

﴿ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى اوله ابتداء دولة بنى مرين ﴾